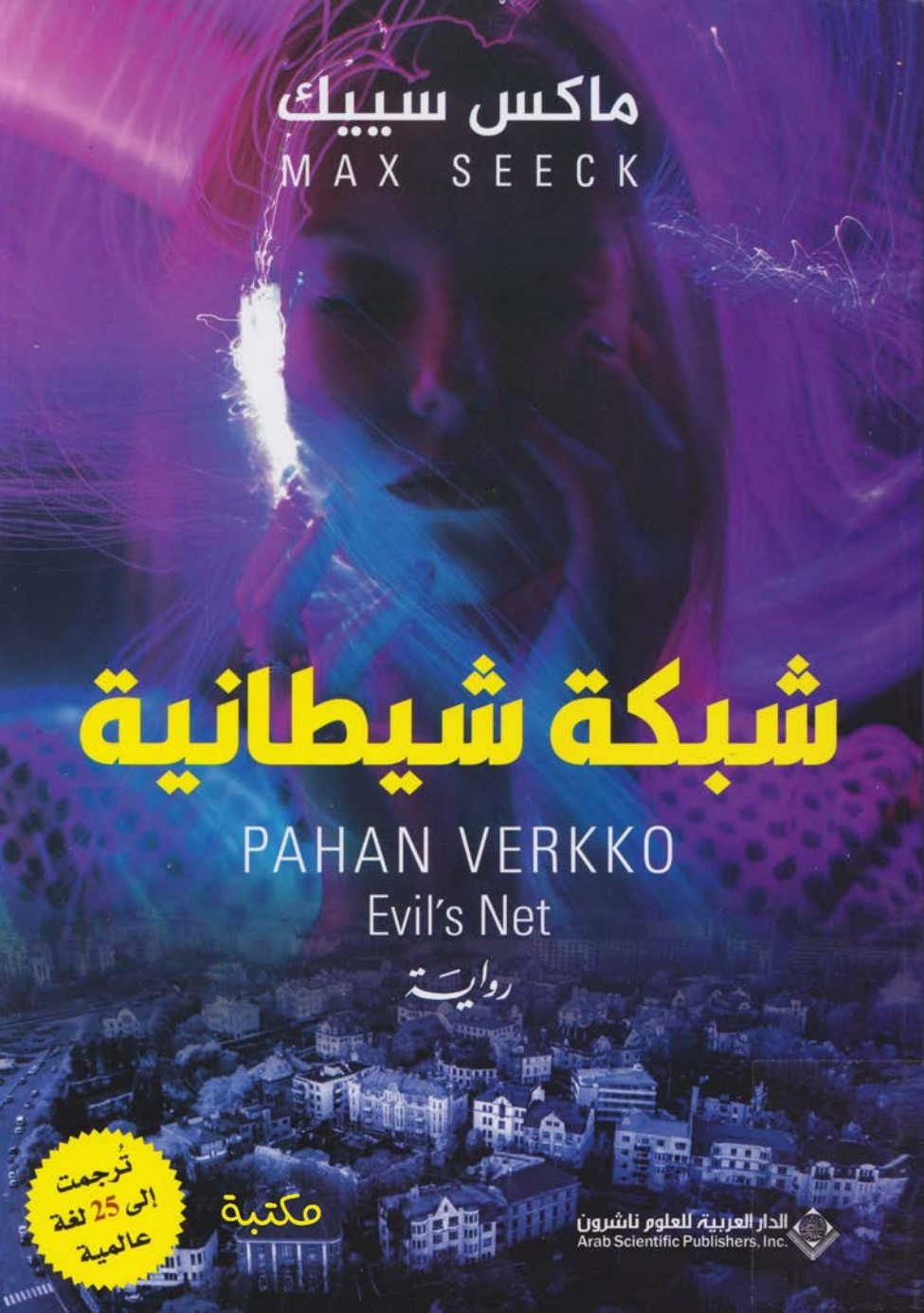
ماكس سيك
MAX SEECK
شبكة شيطانية
PAHAN VERKKO
Evil's Net
رواية
تُرجمت إلى 25 لغة عالمية
مكتبة
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

شبكة شيطانية

PAHAN VERKKO

Evil's Net

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الإنكليزية

EVIL'S NET

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من المؤلف

Arabic edition published by agreement with the author Max Seeck represented by Elina Ahlbäck Literary Agency Oy Ltd., Helsinki, Finland

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2020 Max Seeck

Original edition published by Tammi, 2020

All rights reserved

This Work has been published with the financial assistance of FILI - Finnish Literature Exchange

Arab Scientific Publishers gratefully acknowledges the financial assistance of FILI - Finnish Literature Exchange

Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3366-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

إصدار

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التوزيع في المملكة العربية السعودية

دار إقـــراء للـــنـــشـــر

22 3 2023

مكتبة

t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون**

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

ماكس سييك
MAX SEECK

شبكة شيطانية

PAHAN VERKKO
Evil's Net

رواية

مكتبة | 1113

تعريب

ماجد حامد

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مقدمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

تعرّق القناع البلاستيكي الذي ضبطه أكيفومي قبل فتح درج منضدة المطبخ الذي تتوزّع فيه مختلف أدوات المائدة المصنوعة من الفضة الأصلية وفقًا لأنواعها، من سكاكين صغيرة وكبيرة، وشوك للمقبلات وللطبق الرئيسي. وقد وُضعت سكاكين شرائح اللحم جانبًا، بالإضافة إلى ملاعق الحلوى، وأربعة أزواج من عيدان الطعام المعدنية، وعدد من كرات الشاي الشبكية ذات سلاسل مقطوعة تتدلّى من الأطراف، يا للأناقة والرقي!

سأل أكيفومي: "هل ما زلت جائعة، يا أسونا؟"، وهو يرفع الشوكة إلى مستوى عينيه، وقد شوّهت العقد الثمين الذي يحيط برقبته بقعة سوداء داكنة. إن ارتكاب أي خطأ يُثير الشبهات في هذه البيئة المثالية يمكن معالجته بسهولة عن طريق تنظيف المقبض بقليل من معجون الأسنان بالفلورايد.

قالت تلك الفتاة الصغيرة، وهي تجلس على السرير شابكة ساقيها، ما جعلها تبدو وكأنها شابة: "كلا"، ثم صمتت *تلك العاهرة*، ولم تنبس ببنت شفة، وفقًا لأوامر أكيفومي.

سحب أكيفومي طبقًا من الدرج، وسكب فيه الطعام من الأطباق الموضوعة على المائدة، والتي تحتوي على لحم بقري مشوي مع فلفل أخضر، سمك مُدخن، بطاطا مقلية بالثوم، سلطة، وخبز، فبدت تلك المائدة أشبه بالولائم التي تُقدّم في بوفيهات الزفاف المتوسطة أو مقصورات كبار الشخصيات في الملاعب. ولكن التفاصيل، مثل العرض التقديميّ، وأدوات المائدة الفاخرة، والصينية البيضاء المبهرة غير المخدوشة، أضفت على الوجبة الإحساس بالرفاهية. وضع أكيفومي

الطبق على الطاولة، ثم فتح زجاجة شراب، وملأ كأسًا، فلازمه الشعور باحتراق حلقه من حدة طعم الشراب الذي احتساه للتو.

سألها أكيفومي، وهو ينقر على الأخدود في العمود بظفره: "لا يمكنك احتساء هذا الشراب؟".

أجابته: "بالتأكيد، فاحتساء طالبات المدارس الكحول، يعدّ مخالفًا للقانون".

اشتدّت إثارة أكيفومي بعد أن تردّد صدى كلماتها في الغرفة، لأن أسونا ليست طالبة، ولكنها صغيرة الحجم بما يكفي لتبدو وكأنها كذلك، ما جعله يشدّ على راحة يده.

عاهرة سخيفة.

في النهاية لم يكن أكيفومي جائعًا، ولكنه ارتشف كأس الشراب دفعة واحدة، ثم سألها: "ما هو اسم المدرسة التي ترتادينها، يا أسونا؟".

بدت الفتاة مترددة في الإجابة، ولكن ما إن أوشكت أن ترد على سؤاله، حتى رفع أكيفومي إصبعه، ليسكتها، وهو يهمس لها قائلًا: "أتعلمين ما أودّه؟ أن تنسي الأمر... فقد اكتفيت من سماعك تتحدّثين"، ثم استدعى الفتاة بإشارة من سبابته، وهو يقول لها: "تعالي إلى هنا، تعالي إلى هنا الآن".

سوّت الفتاة تنورتها القصيرة، وسارت نحوه، وهي تترنّح بكعبها العالي.

استنشق أكيفومي رائحة البرتقال المنعشة مستحضرًا ذكريات رحلاته إلى الشرق الأقصى، ولهيب الشمس الحارقة، والكريم الواقي من أشعة الشمس، ثم أمسك بالفتاة من ضفائرها، وطرحها أرضًا.

ثم قال لها: "أعيدي الكرّة، يا أسونا، أعيدي الكرّة، أيتها العاهرة، ولكن يجدر بكِ أن تجيدي القيام به. *بعد ذلك سأحطّم جمجمتك بهذا الجدار الصلب*".

السبت 23 تشرين الثاني

1

انتظرت ليزا ياماموتو إغلاق الأبواب المصنوعة من الكروم، وهي تتنهد تنهيدة طويلة وحارة الأنفاس، ثم رفعت نظارتها الشمسية السوداء من ماركة برادا، وما إن نظرت إلى انعكاس صورتها على المرآة المعلقة على الحائط الخلفي، حتى تبيّن أن مستحضر ساتر العيوب يمكنه أن يُخفي التوتر والإرهاق، ولكنه لا يستطيع أن يُشعل في عينيها البهجة. فملامح وجهها لم تشر إلى الحماسة التي كان يمكن أن تبعثها الدعوة لحضور حفل أشهر فناني الراب في فنلندا أو أي فنانين آخرين قبل عام أو عامين. إن العاطفة السائدة الآن هي التشويق الممزوج بالشعور بالضيق في المقام الأول، كما شعرت بالأسف لتجنّب قيامها بما يمكن أن يعزّز ثقتها بنفسها قبل مغادرة المنزل، على أن يكون تأثيره أقوى من الشمبانيا، ولكن لا شك في أن إحدى زميلاتها المدعوات ستحرص على تلبية احتياجاتها، وسوف تصوّر الشخص المثالي بالشكل المناسب، في الوقت الذي تتجول فيه في المكان المخصص للسيدات بمؤخرتها اللافتة للنظر.

تفحّصت ليزا فستانها البيج الذي صمّمه هيرفيه ليجيه، وقد ناسب قوامها الممشوق تمامًا، فأظهر منحنياتها بشكل مثالي، وعلى الأقل بدا مظهرها على ما يرام، ولكن ذلك لا يعني أن الأمور لم تكن على أفضل ما يرام، أو أنها لم تكن تحت السيطرة، فالبند الوحيد الذي كان على جدولها الليلة، هو التقاط صور شخصية جذابة إلى جانب الرجل الأمثل، وربما تصوير بعض مقاطع الفيديو مع بعض المشاهير الآخرين، فمن المؤكد أن الوجوه الأكثر شهرة في هلسنكي ستكون موجودة بكثافة.

شعرت ليزا بأن هاتفها يهتزّ في جيب حقيبتها الجانبي، ربما يكون المتصل جيسون مرة أخرى، فقد حاول ثلاث مرات، فأشاحت نظرها عن المرآة، وحدّقت

إلى لوحة الأرقام الرقمية أعلاه، التي توهّج عليها الرقم أربعة باللون الأحمر، فتلاه الرقم خمسة، ثم الرقم ستة.

بعد ذلك انبعث لحن قصير، وما إن انفتحت الأبواب بعد لحظات، حتى تناهي إلى مسمعها في المصعد أصوات صيحات جهيرة، خالطتها ثرثرات متفرقة، وضحكات ملعلعة.

نظرت ليزا إلى نهاية السجادة الحمراء في اتجاه المكان المخصص لنزع المعاطف، فبدا مكتظًا بالضيوف الذين يحملون باقات الزهور وزجاجات الشراب، ومن حسن حظها أنها لم تكن تعرف أحدًا منهم، لأنها ليست مضطرةً للتحدث إليهم.

يُدعى الحارس صاحب، وهو رجل أصلع ومفتول العضلات، تعرفه ليزا منذ سنوات عديدة، أومأ إليها إيماءة خاطفة وهي تغادر المصعد، ثم سارت بمحاذاة الجدران الممتدة من الأرضية إلى السقف، والتي تكشف عن منظر بانورامي، يتضمّن سطوح منازل هلسنكي الرطبة نتيجة استمرار هطول الأمطار على مدار أيام عدة، وقد ارتفع فندق تورني المضاء بشكل لافت للنظر في المحيط، وهو نموذج مصغر من إمباير ستيت الذي يطغى على مشهد أفق المدينة، فأضفى الضوء المنبعث من مصابيح الشوارع والنوافذ على المشهد المظلم المزيد من التألق واللمعان.

لم تحتفل المدينة بهطول الثلج للمرة الأولى حتى الآن.

قال صاحب الذي يرتدي السترة السوداء والقميص الأبيض، بينما كان يساعدها على خلع معطفها المصنوع من الجلد والمزين بالفرو الصناعيين: "مرحبًا ليزا، تسرّني رؤيتك"، ولمح الزوجين اللذين كانا يقفان أمام ليزا على بعد أمتار قليلة، وقد تسمّرا في مكانهما، وهما يتهامسان، فبدوا وكأنهما يتحدّثان عنها.

مرّ وقت توارت فيه عن أنظار الجميع، ولم تعد محط انتباه الغرباء الذين يجعلونها تشعر بالضيق والانزعاج.

ما الذي يحدّقون إليه بحق الجحيم؟

سألت ليزا صاحب، الرجل الأصلع والمفتول العضلات، بينما كانت تضع حقيبتها وحقيبة حذائها على المنضدة: "كيف تجري الأمور؟"، ثم استندت إلى إحدى يديها، وهي تخلع حذاءها المخطط باللونين الأسود والأبيض بمهارة، وباليد الأخرى تمكّنت من أن تدفع أصابع قدميها إلى حذاء بيج ذي كعب يبلغ ارتفاعه أربع بوصات.

أجاب صاحب باقتضاب: "لقد بدأ الحفل بالفعل"، ثم وضع معطف ليزا وكيس حذائها الرياضي على الرف، وسلّمها علامة مرقمة سبق لقبضات آلاف المشاركين في حفلات سابقة أن جعّدتها.

شعرت ليزا بأن هاتفها يهتزّ مرة أخرى، ربما كان يرنّ منذ وقت طويل، فسحبته من حقيبتها، وألقت نظرة خاطفة على الشاشة، ثم أوقفت خاصية اهتزاز الجهاز، وقالت: "تبًا"، ثم ابتسمت لصاحب ابتسامة خفيفة، وقالت له: "شكرًا".

غمزها صاحب، وقال لها: "كوني حذرة، فمعظم الشبان السيئين طليقون الليلة"، وعلى الرغم من أنها لم تكن مستعدة إلى تقبّل مغازلة الحارس، إلا أنها بادلته غمزته.

إلى جانب تألق السجادة الحمراء، كانت الستائر الداكنة اللون تنعكس عليها ومضات كاميرات المصورين، كما فاحت رائحة العطور في الملهى الليلي الذي ترتاده دومًا، بالإضافة إلى رائحة الكحول ودخان السجائر التي تشبّثت بالسجادة والستائر، وقد فشلت رائحة مواد التنظيف في القضاء عليها.

لاحظت ليزا ظهور إحدى الحارسات التي لم تتعرّف إليها من خلف الستائر، ثم دخلت إلى الملهى، وهو عبارة عن غرفة مساحتها واسعة ومكتظة بالمحتفلين الذين يستعرضون آخر صيحات الموضة:

ومن أهمها شعر مصبوغ بألوان نارية، ومكياج خارج عن المألوف، وشفاه منتفخة، وبذلات مفصلة لهذا لحدث بالتحديد، وسترات تبرز الأجسام الرشيقة، بالإضافة إلى شوارب ولحى مشذبة وفقًا للموضة الرائجة.

توقّفت ليزا لالتقاط صورة أمام جدار كبير ينظر إليه الضيوف الذين يمرّون أمامه، كما لو أنه مشنقة تعود إلى العصور الوسطى.

انبعث صوت أنثوي صارخ يقول لها: "ياماموتو"، فالتقت عينا ليزا عيني مراسلة تعاني من زيادة الوزن، وتضع نظارة، ولكنها لم تتذكّر اسمها، مع أنها تذكّرت أنه سبق لها أن أجرت معها مقابلة.

ابتسمت ليزا للمراسلة ابتسامة تظهر أسنانها الناصعة البياض، وقالت لها: "أهلًا!".

قالت لها: "نودّ أن نجري معك مقابلة صغيرة...".

نظرت ليزا إلى المصور الذي يقف خلف المراسلة، فلاحظت بطاقة صحيفة التابلويد تتدلّى من عنقه.

مثل هذه المقابلة قد تكون فعالة ومفيدة لمدونتها.

قالت ليزا: "دعيني في البدء ألتقط صورة شخصية، ثم سأعود إليك".

قالت لها: "بالتأكيد، وسننتظرك هنا".

قالت ليزا: "حسنًا، هذا جيد"، بينما كانت تنحني لمعانقة شاب يتحدّث الإنكليزية، فلم تتذكّر أنه سبق لها أن قابلته، فقالت له: "أهلًا!".

"تسرني رؤيتك، ومن المؤكد أنني سأتحدّث إليك عما قريب".

اتّجهت ليزا إلى الجدار الذي ستلتقط الصورة بمحاذاته، بعد أن أنقذت نفسها من العناق المفاجئ، والعنيف للغاية، والمفعم برائحة العطر، وانضمّت إلى طابور المنتظرين الطويل.

عاينت المشهد الذي يخيّم عليه الضوء الخافت، فلمحت بحرًا من الأجساد تنتشر في كل مكان، فتعرّفت إلى بعض الوجوه، ولكنها لم تتعرّف إلى بعضها الآخر. بدا أن معظمها يعود إلى أشخاص يقعون بين المنزلتين، وقد استعادت ذكريات باهتة، ومومضات بعيدة من نمط الحياة الليلية في هلسنكي القائم على "د.ر.ق.ج"، دردشة، رقص، قبلة، جنس.

لطالما جرت الأحداث وفق هذا الترتيب، على الرغم من أن ليزا تتذكّر بضع ليالٍ كانت تتطوّر فيها العلاقة مباشرة من الدردشة إلى ممارسة الجنس، وربما تطورت علاقة أو اثنتين من دون إجراء المحادثة.

تجسّست ليزا بحذر على عدد قليل من المحتفلين المنتمين إلى المجموعة الرئيسية، فكانت ومضات الكاميرات مسلطة عليهم، بينما كان الرجال والنساء يتناوبون على التحدث بودية إلى الباباراتزي.

في خضم تلك الأحداث، كان ضيف الشرف الذي يعتمر قبعة عالية، ويرتدي بذلة توكسيدو يغطيها الترتر، كيكس مايس المعروف أيضًا باسم تيم توسي، وهو فنان الراب الذي يبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، والذي احتل ألبومه لموسيقى الهيب هوب المركز الأول هذا العام، كما تصدّر قوائم البث لا في فنلندا فقط، بل في بلدان الشمال الأوروبي الأخرى وألمانيا أيضًا.

سألتها المرأة التي تحمل الكاميرا: "هل أنت مستعدة، يا ليزا؟"، صعدت ليزا إلى الخلفية، وهي تمسك حقيبتها بيد، وغلاف الألبوم، تظهر عليه صورة عنكبوت ضخم، شبكة كيكس مايس العنكبوتية أومضت الكاميرات بسرعة لفترة وجيزة وهذا ما أزجها للغاية. لم تستطع ليزا التملص أبدًا من المصورين بسهولة، في العام الماضي ظلت تحلم لفترة بوميض الكاميرات الكاميرات. *شكرًا!* وأخيرًا تحرّرت منها. *سررت برؤيتك، يا ليزا! استمتعي بوقتكِ الليلة!* بدت الابتسامات حقيقية تقريبًا، والكلمات صادقة نوعًا ما، ولكن ما يجري حقًا لم يمرّ من دون ملاحظة ليزا، فهي تملك نظرتها الثاقبة حول ما تسبّبه مثل تلك الأحداث المتلاحقة. فلا أحد يهتمّ بهويتك حقًا، بل بالشكل الذي تبدو عليه، وما تمثّله فقط، وقد لا يهتمّ بعضهم سوى إن كنت مستعدًا لممارسة الجنس بعد انتهاء الحفل عند الساعة الخامسة صباحًا، بمجرد إفراغ الزجاجات واستخدام كل غرام داخل أكياس الزيبلوك.

كان البند التالي على جدول الأعمال هو احتساء كأس من الشمبانيا، يقدّمه نادل يرتدي قميصًا أسود، ويضع ربطة عنق صفراء، ويحمل صينية بيده ذات القفاز.

ثم ناولت فتاة تعمل في ترويج بعض الأنشطة، وترتدي تنورة قصيرة باهتة، وكنزة قصيرة تبرز صدرها بشكل لافت، ليزا برنامجًا، فغمزتها، وقالت لها: "لا تدخلي إلى الشبكة".

لا تدخلي إلى الشبكة، نطقت بتلك العبارة بكثير من التصنع، ثم بقيت في الداخل لبضع دقائق، مع أنها كانت ترغب في أن تغادر المكان وتعود أدراجها، ولكنها كانت بأمس الحاجة إلى الحصول على لقطة شجاعة، ثم بدأت تبحث عمّن يمكنه تقديم المساعدة إليها، تيم، ساكي، طالب...إذ يُفترض أن يكون أصدقاؤها بين الحشد.

ثم شعرت ليزا بأن قلبها سيتوقّف، فها هو مرة أخرى يقف أمام النوافذ التي تطلّ على المدينة، ولا تزال نظراته الثاقبة والاتهامية موجّهة إليها، كما كانت في المرة السابقة، فاستدارت ليزا، واتجهت نحو الحانة، ولكنها كانت تعلم أن الرجل لن يتركها تغيب عن أنظاره.

الأربعاء، 27 تشرين الثاني

2

تلاشى صوت أغنية "فري يور مايند" التي تعود إلى فرقة أن فوغ المنبعثة من سماعتي الأذنين بشكل مؤقت، عندما صدرت من التطبيق الذي لا يزال قيد التشغيل تعليقات صوتية. فعلى الرغم من أن الصوت بدا ودودًا وأنثويًا، إلا أنه كان ينضح بحدة أي إعلان مسجل. وكانت *المسافة التي اجتازتها خمسة كيلومترات، وبلغ متوسط سرعتها عشرة فاصل اثنين كيلومتر في الساعة*، ثم انبعثت الموسيقى من جديد. وبينما كانت جيسيكا نيمي تستنشق الهواء النقي من خلال فتحتي أنفها، فاحت رائحة الصباح بعد هطول الثلج للمرة الأولى خلال هذه السنة، وقد جرفت أوراق الأشجار مياه الصقيع الذائبة بعد انتشار أشعة الشمس التي أشرقت في وقت مبكر هذا الصباح، فتركت خطواتها آثار حذائها على الثلج.

شعرت أنها تطير، وأن خطواتها باتت خفيفة بعد أن عاودت الركض منذ بضعة أشهر في أثناء توجّهها إلى العمل بعد انقطاع دام طويلًا. إنه مظهر من مظاهر التمارين التي توقّفت عن القيام بها أكثر من مرة على الرغم من احتجاجات جسدها المتعب والمتألم، فهي تعاني من آلام المفاصل والركبتين، بالإضافة إلى الألم الذي تشعر به من أعلى ساقيها إلى أسفلهما، بعد أن أصبحت المسكنات لا تجدي نفعًا. ومع أنها كانت واثقة من أن الألم سيعاودها من جديد، إلا أنها حتى ذلك الحين ستستمتع بكل لحظة وبكل طفرة تنتهي بفيض من الإندورفين. بالعودة إلى الماضي فإن معاودتها الركض تبدو لها كنزوة تشعرها بأن معجزة ما قد تحقّقت، فبعد حضورها جنازة رئيسها السابق إرني ميكسون، أمضت أسابيع طويلة، وهي في حالة ذهول، جعلتها تنعزل في المنزل، وهي تفكّر في كل ما حدث، إلى أن حلّ يوم انتعلت فيه حذاءها، واندفعت خارج منزلها مستمتعة بهواء الربيع المعتدل، وهي تتذكّر دعابة يوسف الذي قال لها ذات يوم: *مثل فورست غامب*.

تقدّر المسافة الفاصلة بين شقتها في تولنكاتو ومقر الشرطة في باسيلا بثلاثة كيلومترات ونصف الكيلومتر تقريبًا، حيث يعانق الطريق الذي يمرّ بالحديقة الشتوية الخليج، ثم يتخطّى تلة الإستاد وصولًا إلى سنترال بارك هلسنكي، وغالبًا ما تنحرف جيسيكا غربًا في اتجاه مركز لاكسو للفروسية كما فعلت اليوم، حيث المسارات الصخرية التي تصطف أشجار التنوب على جانبيها طوال الطريق المؤدّي إلى حدائق البلدية في روسكيسو.

قد تمرّ بمدرسة الفروسية ومقر خيالة الشرطة في هلسنكي الواقعين في الشمال الشرقي من أجل مضاعفة المسافة، إلا أن الممر الرملي في هذا المسار سيئ الإضاءة، وأعمدة الإنارة المنتشرة بين الأشجار العالية قليلة ومتباعدة، ما يجعل أضواء الساحة الساطعة تضمحل على الفور في ظلمة الغابات، بينما يحلّق طائر كبير على رؤوس الأشجار.

مهلًا! هل تسمعينني؟

نظرت جيسيكا إلى الخلف، فرأت الطريق خاليًا، وقد استحال عليها سماع أي صوت انبعث في المكان، إذ كانت الموسيقى تصدح عبر سماعتي أذنيها، كما أنها كانت تسمع أحيانًا في أثناء جريها، صوت أحدهم ينطق بكلمات غير مفهومة أو يجهش بالبكاء، وقد لاحقها ذلك الصوت منذ وقت طويل، لذلك لم تعره اهتمامًا.

قفي!

كان الصوت هذه المرة حقيقيًا، فنزعت جيسيكا إحدى سماعتي أذنيها، ونظرت إلى أعلى كتفها، فلمحت في تلك اللحظة رجلًا ذا يدين كبيرتين تدنوان من سترتها الواقية، ثم ألقى بكل ثقله عليها، وطرحها أرضًا، فشعرت بثقل جسده على ظهرها، فاندفع خدها في الطين والأوراق الرطبة.

ثم قال لها: "اسمعِي...".

أوشكت جيسيكا على التقيؤ من رائحة أنفاسه الكريهة، بينما كان يثبّت جسدها بفخذيه، ويثبّت أسفل ظهرها بجذعه، ثم امتدت أصابعه العارية إلى رقبتها،

وهمس في أذنها، ففاحت منه رائحة الشنبص[1]، ولكنها استطاعت أن تدفعه عنها، ورؤية وجهه الغريب وغير المألوف. بدا خداه شاحبين، وشاربه كثًا، وظهرت على وجهه حمرة الثمالة، بدا أنه دون الأربعين من عمره، غير أنه كان في تلك اللحظة ساكنًا، وتفوح منه رائحة الإيثانول، فتذكّرت جيسيكا بأنها مرّت بالقرب من مقعد بجانب نشارة خشب منذ بضع دقائق، يجلس عليه رجل مخيف يرتدي سترة جلدية، وهو يشرب جرعات كبيرة من قنينة بلاستيكية.

"ليلة ميلاد" لم يكن الصوت أعلى من الهمس: "ليلة الميلاد، ليلة الميلاد".

حدّقت جيسيكا إليه محتارة، لأنه يبدو بوضوح أنه فاقد صوابه، إذ إن ليلة الميلاد بعد شهر، وحين ضغطت أصابعه على فكها، وأمسكت يده الأخرى بمعصمها الأيسر، بذلت قصارى جهدها للتمكن من إبعاده عنها، وبطحه على العشب، ولكن ساقيها كانتا ثابتتين تحت ثقل ذلك الأحمق، ولا بد أنه كان ثملًا للغاية، ولا يشعر بثقل بجسده.

سمعت جيسيكا ازديادًا في سرعة نبضاتها، وبينما كانت تتنفّس بعمق، جرحت الحصى الخشنة خدها، بينما كانت الرمال المبتلة بالمياه الذائبة والأوراق المتحللة خارج مرمى نظرها، فصرخت طالبة المساعدة على الرغم من تيقنها من أنها لم تصادف أي شخص في ذلك المكان، ولكنها سمعت صوت شخص ينادي أحدهم، وكلب ينبح من بعيد.

ثم بدأ لعاب الرجل يسيل من فمه، وهو يكزّ على أسنانه، ويواظب على ترديد عبارة: "ليلة الميلاد، ليلة الميلاد".

تلمّست أنامل جيسيكا العلبة الصغيرة في أسفل جيبها، وهي عبارة عن سلاح مصنف على أنه من فئة السلاح الناري بموجب القانون الفنلندي، وهي لا تفارقها أبدًا في هذه الأيام، وخلال ثوانٍ رشّت في عيني الرجل رذاذ الفلفل، فبدت لحظة مثيرة، وخارجة عن المألوف، وبعد أن تحوّل صوته المخمور إلى صرخات ألم،

---

(1) الشنبص مشروب هولندي قوي.

ضربت جيسيكا مهاجمها على وجهه مرارًا وتكرارًا بيدها الطليقة، فكسرت أسنانه العلوية، وفي الحال تدفّق الدم من فمه، وسال على جلده الشاحب، فأرخى قبضته، وبحركة خفيفة مثيرة للدهشة، انتصب واقفًا، وركض مبتعدًا عن جيسيكا، وتوارى عن الأنظار بين الأشجار الكثيفة.

بذلت جيسيكا قصارى جهدها، وهي تحاول الوقوف على قدميها، بينما كانت براجم أصابع يدها اليمنى تنزف، ثم سمعت حركة بين الأغصان، ولكنها لم تجد أي أثر للرجل، ومع ذلك لم تخفض يدها، بل ظلّت تلوح برذاذ الفلفل خشية أن يعاود الرجل مهاجمتها، وظلّت تصغي إلى الأصوات التي تنبعث من الغابة لفترة وجيزة، ولكنه لم يعاود مهاجمتها.

أمسكت جيسيكا بهاتفها، واتصلت برقم مقر الشرطة، وبعد أن أعطت الشرطي وصف المهاجم، عاودت الركض في الاتجاه الذي كانت تسلكه، ولكنها هذه المرة كانت في حالة تأهب قصوى.

تقدّر المسافة التي اجتازتها بستة كيلومترات، ومتوسط السرعة بلغ تسعة فاصل واحد كيلومتر في الساعة.

3

تجاوزت جيسيكا العتبة، وأسندت وركها إلى عضادة الباب، وقد أدّى التعرق الناجم عن الحمام الساخن الذي أخذته في غرفة تبديل الملابس إلى التصاق قميصها ذي اللون الأزرق الغامق بظهرها، فسحبته من تحت حزامها، وهي تشعر بألم شديد في يدها اليمنى التي لكمت بها فك المهاجم، وربما ينبغي لها تصويرها بالأشعة السينية.

قالت المشرفة هيلينا لابي، وهي تنقر الماوس اللاسلكي بإصبعها: "أغلقي الباب، يا نيمي"، يبدو أن النطق باسم جيسيكا يترك أثرًا سيئًا على شفتيها، فأغلقت الباب خلفها، وقد بدت لها الغرفة أصغر حجمًا، وتفوح فيها رائحة عطر قوية، وكأنها رائحة قطعة صابون باهظة الثمن.

واصلت هيلينا لابي التي تعرف بين زملائها بهيلو التحديق إلى شاشة حاسوبها، ما أتاح لجيسيكا فرصة مراقبة محيطها، فلا يزال المكان، إلى حدّ كبير، كما كان عليه عندما كان مكتبًا لإرني، فهو عبارة عن غرفة صغيرة ومتواضعة، جدرانها بيضاء، وما من شك في أن إضافة بعض الألوان المختلفة والأشكال المتنوعة إليها ستكسر رتابتها، كما تدلّت الستائر المعدنية من الحواف العليا للنوافذ، وتوزّعت المقابس الكهربائية على مجموعات مؤلفة من أربعة، حتى في الأماكن التي لا حاجة فيها إلى الطاقة. وكان كل ما يتعلّق بالجدية والكفاح والالتزام وغيرها من القواعد المرتبطة بالمؤسسة، يحتلّ هذا المكتب المرتبة الأولى فيها، ولكن بعد رحيل إرني ذي القلب الطيب الذي لطالما غمر المكان بالبهجة، صارت جيسيكا تشعر فيه بالكآبة والقمع واليأس.

قالت هيلو، وهي تشير إلى جيسيكا كي تجلس: "لم تتح لنا فرصة إجراء حديث مطول حتى الآن".

جلست جيسيكا، وهي تضع يديها في حجرها، ونظرت إلى عيني سيدة أربعينية تجلس إلى المكتب الذي لا ينسجم لونه البني مع قصَّة شعرها وشيبه.

شهدت إدارة وحدة الجرائم العنيفة بعض الاضطرابات بعد رحيل إرني في آذار الماضي، وكان المرشح الأول للمنصب رجلًا عجوزًا على وشك التقاعد، ولكنه لم يتولَّ منصبه إلا لبضعة أشهر قبل أن ينتقل إلى وظيفة إدارية أكثر أمانًا، كما بقي المرشح الثاني في منصبه لفترة مماثلة، ولكنه لم يثر ضجة كبيرة في أثناء تولّيه مهامه، وقد أكّد مصدر موثوق أن إدمانه على الشراب كان سبب فشله، إذ تعمّقت علاقة الصداقة الحميمة والأبدية مع الزجاجة التي تحوّلت إلى جاذبية قاتلة خلال فترة طلاقه.

في المقابل لا يبدو أن هيلو ستسير على درب سلفيها، فهي تنضح بالحماسة، وتتشبّث بقوة بمنصبها، ما جعلها تتحلّى بثقة كبيرة بالنفس، ولكن للأسف جعل منها اندفاعها مديرة متحذلقة بشكل مثير للغضب، ومع أنه لم يمضِ على عمل جيسيكا تحت إشراف هيلو سوى أسبوعين، إلّا أنها اكتشفت أن مديرتها الجديدة تُحبّ الالتزام بالمواعيد وتطبيق البروتوكول والانضباط شبه العسكري والبيروقراطية المبدئية، مع أن جيسيكا لم تكن تدرك سبب التصادم الذي وقع بينهما منذ اليوم الأول. وأيًا يكن الأمر فقد أصبحت الممرات في مقر الشرطة أضيق وأضيق يومًا بعد يوم، كما يبدو أنه لم يكن يفترض بجيسيكا وهيلو أن تعملا معًا أبدًا.

قالت هيلو بجفاء: "أهنّئك على نجاحك في قضية كالاساتاما"، وكانت تشير إلى التحقيق الأولي في جريمة قتل أنهتها جيسيكا بسرعة مذهلة، ولكن تلك الجريمة لم تشكّل لغزًا كبيرًا، فقد ضرب رجل لديه سجل قديم بالعنف صديقه بمضرب بيسبول فقتله، عندما انتابته فورة غضب، وهو تحت تأثير الكحول، ثم لفّ جثته بسجادة فارسية أو على نحو أدق ببساط كان مجرد نسخة صينية، ثم ألقى بها في حاوية قمامة.

حاولت جيسيكا الرد بابتسامة دبلوماسية، ولكنها وجدت صعوبة في الحفاظ عليها لوقت طويلة، فقالت: "شكرًا".

نظرت هيلو إلى جيسيكا من أسفل نظارتها، في تلك الأثناء رفعت جيسيكا إحدى ساقيها لوضعها فوق الأخرى، فاصطدمت ركبتها بزاوية المكتب، ما أدّى إلى اهتزاز الأقلام على سطحه.

قالت هيلو: "لقد تحدّثت للتو إلى المدعي العام، وقد بدا راضيًا بما أنجزته، والآن سيكون من السهل على فريقه متابعة القضية".

"سيكون فشلهم معيبًا جدًا، بعد أن زوّدناهم بالسلاح، والدافع إلى الجريمة، والحمض النووي الذي يربط...".

أفلتت هيلو الماوس، وقالت لها: "كما سبق وقلت لك، أهنّئك على نجاحك"، كانت الطريقة التي تعالج بها الأمور محسوبة، وتشير تلك الإيماءة التافهة إلى انتهائها من المقدمة، وكأنها تقول: *لقد فرغت من المديح، يا نيمي، وسأدقّ عنقك الآن.*

تراجعت المشرفة إلى الخلف، وهي لا تزال تجلس على كرسيها، وتُحرّك لسانها بشكل ينذر بالسوء، ثم قالت: "لقد قابلت الجميع، للتعرف إلى أعضاء الفريق، ولكن لم تتح لنا الفرصة لنتحدّث، لأنك كنت مشغولةً بقضية كالاساتاما، ولكن الآن...". شدّت قبضت راحة يدها اليسرى، ثم أعادت فتحها، فتبيّن أنها تضع في أحد أصابعها خاتمًا رفيعًا مصنوعًا من الفولاذ أو الذهب الأبيض، وقد بدا واضحًا أن بساطته الصارخة متعمدة، كما طوّقت معصمها ساعة ذكية ضخمة..

قالت لها: "سمعت أنك كنت قريبةً بشكل خاص من المشرف ميكسون الذي عملت معه طوال... كم سنة عملتما معًا؟".

عندما سمعت جيسيكا اسم إرني استرجعت شكل وجهه المتورد، ولحيته الرمادية، وعينيه اللطيفتين، ولهجته المميزة والساخرة في آن، ورائحة السجائر التي لا تزال تعبق في مكتبه حتى بعد وفاته.

بعد برهة أجابتها، كما لو أنها كرّست كل تلك الثواني الحاسمة لإحصاء السنوات التي تقاسمتها مع إرني بصفتهما زميلين: "ثمانية أعوام".

قالت هيلو: "سمعت أيضًا أنك كنت تعرفينه قبل الانضمام إلى الوحدة، هل كنتما صديقين؟".

أجابت جيسيكا: "نعم، كنا صديقين".

نظرت هيلو إلى وجه جيسيكا وكأنها تحلّل ملامحها، لكشف المزيد من المعلومات بشأن العلاقة التي تربطها بمديرها السابق.

علّقت هيلو قائلة: "بالتأكيد كانت وفاته مؤلمة، فالأصدقاء الأوفياء نادرون".

ردّت قائلة: "نعم، بالطبع".

قالت: "السرطان... إنه مرض لعين".

ردّت قائلة: "صحيح".

قالت هيلو: "ما دفعني إلى أن أذكر علاقتك بإرني، وأفتح جرحًا لا أظنّ أنه سيندمل بشكل تام، أننا سنعمل معًا عن قرب، بخلاف سائر المحققين في الوحدة".

لعقت جيسيكا شفتيها الجافتين، وانتظرت أن تتابع المشرفة حديثها.. ولكنها لم تستطع أن تكبح جماح نفسها.

فسألتها هيلو: "هل سنعمل عن قرب؟".

بدت هيلو خائبة الظن، لأنها توقّعت أن تكون جيسيكا قد فهمت ما ترمي إليه.

تنفّست بعمق، وقالت لها: "اسمعي، أعلم أنك محققة ماهرة، يا نيمي، فالجميع يشيدون بأدائك، وليس لدي مبرر للشك في قدراتك، ولكنني سمعت بأنه خلال عملك تحت قيادة إرني كان لديك ميل إلى تجاهل بعض التعليمات الموجهة إليك بين الحين والآخر".

بذلت جيسيكا قصارى جهدها لتحافظ على هدوئها، إلا أنها شعرت بأن يدها المصابة بدأت تنبض أسفل المكتب، وهي بحاجة إلى تناول المسكنات، بأسرع وقت ممكن. ردّت قائلة: "حسنًا".

تابعت هيلو: "لم تردني هذه المعلومات من زملائك المحققين، بل من السلطات العليا".

ردّت قائلة: "أعتقد أنه كان يتحتّم عليكِ قول ذلك".

قالت لها: "أودّ أن أتأكّد إن كان اتباعك هذا النمط يعود إلى علاقة العمل الطويلة والوثيقة، التي جمعت بينك وبين إرني، أم أن ذلك متجذر في طبيعتك، فأنت تدركين أن الفارق بين الأمرين كبير"، ابتسمت ابتسامة خفيفة قبل أن تتابع كلامها، وتقول: "إن كان الاحتمال الثاني هو المرجّح، فهذا يعني أنه يتحتّم عليّ أن أكون مستعدة إلى دفع النار بالنار، لأنني لا أسمح بتجاوز أوامري، كما أنني لست إرني ميكسون".

لا يمكنك الوصول إلى مكانة إرني، أيتها المتذاكية.

نظرت جيسيكا إلى عينيّ المرأة اللامعتين اللتين تحدّقان إليها. في تلك اللحظات شعرت جيسيكا برغبة جامحة في القول لهيلو: أريد الاستقالة، ولتتّخذ الوحدة، التي تحتاج إلى جهودها أكثر مما تحتاج جيسيكا إلى العمل فيها، الإجراء الذي يناسبها، فلطالما كان الأمر على هذا النحو.

فجأة شعرت بهبوب رياح عاتية نتج عنها صرير مفصلات النوافذ مثير للإزعاج، على الرغم من أن الجو كان صافيًا، ولم تكن الرياح تهبّ في الخارج.

قالت جيسيكا: "كنت أعمل وإرني وفق أسلوب محدد، ولكن في بعض الأحيان تبدو الأمور أكثر دراماتيكية بالنسبة إلى الغرباء، مما تكون عليه في الواقع، ومهما كان مصدرك، فمن المحتمل أنه لم يفهم التناغم القائم بيني وبين إرني".

قالت هيلو: "حسنًا، أنت تقصدين أنكِ لا تواجهين أي مشكلة في تنفيذ المهام وفق طريقتي؟".

ردّت جيسيكا: "لا أستطيع أن أحسم الأمر الآن، فأنا لم أتعرّف إلى طريقتك بعد"، توقّعت أن تستفزّ إجابتها هيلو، وهذا ما حصل بالفعل، لأن المشرفة ضربت الطاولة بقوة أرعبت جيسيكا، ثم أصدرت صوتًا مدويًا يضاهي صوت الجرس الذي يرافق علامة إكس الحمراء الكبيرة التي تظهر على الشاشة في برامج المسابقات.

قالت لها: "إجابة خاطئة، يا نيمي".

ردّت جيسيكا: "ما أردت أن أقوله إنك إذا سعيت لتحقيق إصلاح شامل، فسيثير ذلك مشاعر سلبية، ومقاومة عنيفة ضد التغيير، ولن أكون وحدي فقط، بل ربما الجميع سيثورون، فلطالما حقّقنا نتائج عظيمة تحت قيادة إرني، فلماذا سيتوجّب علينا الخضوع لإصلاح أوضاع ليست بحاجة إلى...".

قاطعتها هيلو بهدوء قائلة: "نيمي، أنتِ الآن تثيرين مسألة لا أودّ أن أناقشها".

ردّت قائلة: "حسنًا...".

تابعت هيلو كلامها قائلة: "في الواقع عزّزت هذه المحادثة الصورة التي سبق لي أن كوّنتها عنك".

ردّت قائلة: "لا أريد أن أكون...".

قالت هيلو: "سنعاود الحديث في الأمر مجددًا عاجلًا أم آجلًا، وآمل في أن يكون الدافع إلى ذلك أنني أقرّ بقدرتك على التكيف مع الظروف الجديدة".

قالت جيسيكا بوهن، وهي تنهض عن مكانها: "دعينا نأمل في ذلك".

صاحت غاضبة: "نيمي".

إن ناديتني باسم عائلتي مرة أخرى، فسأسحبك من شعرك الأشيب القبيح.

ردّت جيسيكا: "نعم؟".

قالت لها: "لم ننهِ حديثنا بعد".

جلست جيسيكا مجددًا، وهي تعدّ بصمت إلى الرقم عشرة.

قالت هيلو وهي ترطّب طرف إصبعها بلسانها: "سأُطلعك على معلومات تتعلّق بقضية وصلت إلى قسم الشرطة، وقد تكون مهمة بالنسبة إليك، هل يمكنك التعرف إلى هذين الوجهين؟".

سحبت هيلو نسخة مطبوعة من بين كدسة أوراق، كانت عبارة عن لقطة شاشة لغلاف صحيفة التابلويد، فالتقطت جيسيكا الورقة، وتفحّصت صورة تعود إلى شاب وشابة. بدوا ساحرين وعصريين، ولم يكن اكتشاف حبهما للحياة وإقبالهما عليها صعبًا.

إنهما صانعا الأناقة والموضة، وخلال الثماني والأربعين ساعة الماضية شاهدت جيسيكا الصور مرات عديدة، ثم قالت: "إنهما مدونان".

ردّت هيلو: "بالضبط".

ليزا ياماموتو وجيسون نيرفاندر، يعتبران من مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، ومدوني نمط الحياة الأكثر متابعة في فنلندا، وخلال اليومين الماضيين انهمرت الاتصالات على الشرطة معبرة عن القلق الشديد لاختفائهما، إذ يبدو أن أيًا منهما لم يرجع إلى منزله ليلة السبت الماضية بعد حضور حفل إطلاق ألبوم لمغني راب فنلندي.

وضعت جيسيكا النسخة المطبوعة على المكتب، وقالت: "هل سنحقّق في هذه القضية؟"

لقد خطر لها بالفعل احتمال أن ينتهي بها الأمر إلى التحقيق في القضية التي قد ترى ملفها قريبًا على مكتبها،

وربما أملت في ذلك، فبشكل عام كانت قضايا المفقودين أكثر إثارة للاهتمام من التحقيق في جرائم القتل العادية، إذ إنها تشبه عروض الأوبرا التي يتحتّم عليها أن تعثر فيها على الجثة قبل الاستراحة، وإذا عُثر على المفقودين أحياء، فلا يكون من ضرورة لتقديم عرض آخر، ولكن في بعض الأحيان لا يتمّ العثور عليهم على الإطلاق.

قالت هيلو: "حتى الأمس لم يكن من مبرر للشك في أنها كانت حيلة من نوع ما، لأنهما يعرفان بعضهما، كما أن عدد متابعيهما ارتفع كثيرًا بمجرد أن شاع خبر اختفائهما، ولكن أمرًا مفاجئًا طرأ هذا الصباح جعلنا نشتبه في وقوع جريمة".

سألتها جيسيكا: "ما الذي حدث؟".

ردّت هيلو، وهي تضع نسخة مطبوعة أخرى أمام جيسيكا: "ظهرت صورة جديدة على صفحة الإنستغرام الخاص بليزا ياماموتو"، كانت لقطة لمنشور عبر صفحة الإنستغرام، وهي صورة منارة شاهقة مبنية من الحجر المصفر.

قالت جيسيكا: "ما هذه؟".

ردّت هيلو: "إنها منارة سودرسكار، أرخبيل بورفو، يمكنك أن تقرئي التسمية التوضيحية".

نظرت جيسيكا إلى أسفل الرمز الذي يشير إلى آلاف الإعجابات، ولجزء من الثانية تخيّلت أن الرطوبة التي تشعر بها في أسفل ظهرها ليست مجرد عرق يتصبّب منها، بل طبقة رقيقة تجمّعت على سطح أوراق القيقب تعود إلى الشعور بالبرد، وتخترقها نزلة برد شديدة.

أعمق البحار، أعمق قبر

أميرة تنام تحت الأمواج

سيتجمّد البحر قريبًا، وسيكسوه الجليد

ولن يكتشف أحد مكان قبرها.

4

سمعت جيسيكا صوت طلقة نارية، ثم تلاها صوت طلقة أخرى، وبعد برهة سُمعت أصوات ثماني طلقات متتالية بوتيرة متسارعة، وقد تبعت كل طلقة سابقتها بسرعة قصوى إلى أن فرغ مخزن الذخيرة الذي يحتوي على الطلقات العشر، بقيت الشريحة في موضعها، بينما فاحت رائحة البارود اللاذعة.

أزالت جيسيكا واقي أذنيها، وقالت: "إنك سريعٌ جدًا، ولن تضطرّ أبدًا إلى أن تواجه موقفًا يجبرك على إطلاق عشر طلقات متتالية بهذه السرعة الفائقة".

أزال يوسف مخزن المسدس، ثم وضعه على المنضدة، وشدّ أصابع يديه، ليفتحها، وقال، وهو يسير في اتجاه الهدف متململًا: "لكنني أصبتها كلها".

يقع ميدان الرماية في مقر الشرطة الرئيسي بعيدًا عنهما، وبخلاف ما يظهر في المسلسلات الأميركية، لا يحتوي على أهداف تنزلق عند الضغط على الزر، بل يحتوي على أهداف متحركة ومتناوبة، ويمكن تعديلها لتناسب الغاية من التمرين، ربطت جيسيكا شعرها، وهي تتبع يوسف، وتتأمّل عضلات ظهره، فلطالما كان يوسف رياضيًا، ولكنه في الأشهر الأخيرة أمضى وقتًا أطول في صالة الألعاب الرياضية، وكان الدافع إلى جدول تدريبه القاسي والنشط هو الإجازة المرضية التي استمرّت من أواخر شباط وحتى نيسان، بعد أن وصلت علاقته الطويلة الأمد إلى طريق مسدود.

بدا يوسف منعزلًا عن الجميع منذ عودته إلى العمل، وربما حصل ذلك بسبب الانفصال، أو بسبب ما حدث في كولوساري في شباط، عندما خُدّر وكاد أن يُقتل على يد مجموعة من القتلة، ولكن على الأرجح أن السبب يعود إلى الأمرين معًا، بالإضافة إلى أمر آخر.

قال يوسف، وهو يتناول لفة صغيرة من الملصقات البنية من جيبه، ويبدأ بترقيع ثقوب الرصاص: "انظري، رأس، رأس، صدر، رأس، صدر، رأس...".

العفوية التي أشار بها يوسف إلى أماكن اختراق الرصاص قطعة من الورق المقوى على شكل جذع بشري، جعلت جيسيكا ترتجف، فهي تدرك أن يوسف الذي يقف أمامها، لم يعد الشخص الذي تعرفه، كما أنه لم يعد يعير العمل الاهتمام الذي كان يوليه في السابق، ما من شك أنه يستطيع أداء واجباته كاملة، وإطلاق النار بمهارة، ولكنه ليس هو نفسه الذي كان يتجوّل في أروقة مقر الشرطة، وتغمر ضحكته التي لا تقاوم المكاتب المفتوحة على بعضها، وهذا ما أشعر جيسيكا بالحزن بسبب التغييرات التي طرأت عليه خلال السنة الماضية، ولكن على الرغم من ذلك بقيت كثير من الأمور على حالها.

رحل إرني وميكائيل فقط، وكلاهما ماتا، الملاك والشيطان.

تعود جيسيكا ويوسف ببطء إلى خط النار، يضع يوسف نظارته الواقية وواقي الأذنين ويجلس القرفصاء لالتقاط مقذوفات رصاصات 9 ملم متناثرة على الأرضية الإسمنتية، وقد تلألأت المصابيح المتوهجة في السقف باللون الوحيد الذي يعرفانه، وهو اللون الأبيض الشبيه بمصابيح المستشفى.

سألها قائلًا: "ما الأخبار، يا جيسي؟".

هزّت جيسيكا رأسها، وردّت عليه قائلة: "إنه صباح غير اعتيادي، فقد هاجمني رجل مخمور في الحديقة، بينما كنت أتّجه إلى العمل".

بدا القلق على وجه يوسف، وهو يسألها: "يا إلهي! هل أنت بخير جيسي؟".

رفعت جيسيكا يدها اليمنى، فظهرت براجمها، وكأنها قشطتها على جدار من الطوب، ثم قالت له: "إنني على ما يرام، ولكن يجدر بأسنانه الأمامية التي فقدها أن تجعل التعرف إليه أمرًا سهلًا".

قال يوسف من دون أن يرفّ له جفن: "يا للهول!".

كرّرت جيسيكا كلامها قائلة: "إنني بخير، ولن يستغرق العثور عليه وقتًا طويلًا".

سألها يوسف: "هل أتيت إلى هنا من أجل الرماية؟".

سمعا صوت إغلاق باب ثقيل في مكان قريب منهما، ثم رفعت جيسيكا شعرها عن جبينها، وقالت له: "كلا، فقد أنهيت للتو اجتماعًا مع هيلو".

همهم يوسف قائلًا: "المشرفة لابي. كان إرني مصابًا بالسرطان، لكن هذه المرأة هي السرطان بحد ذاته".

ردّت جيسيكا قائلة: "نعم، ويبدو أنني لا أُعجبها كثيرًا".

قال لها: "لا أعتقد أن أحدًا قد يثير إعجابها".

هزّت جيسيكا رأسها، وقالت له، وهي تبتسم: "أظنّك محق".

سألها: "ماذا طلبت منك؟".

قالت له: "إنها تتأمّل مؤخرتك في كل مرة تمشي فيها، أو تنهض فيها من مقعدك، ويبدو أن الجميع يعرفون أنك تستمرّ بالوقوف كثيرًا لهذا الغرض".

سألها: "هل فاتني أمر ما؟ ألديها زوج؟".

ردّت قائلة: "الغبي يبقى غبيًا".

قال يوسف وهو يمسح العرق المتصبب على صدغيه: "لا بأس دعيها تنظر إليها، فأنا أبذل قصارى جهدي"، اندفعت العضلة ذات الرأسين مع عروق ظهرت مؤخرًا نتيجة اتباع برنامج تدريبي قاسٍ، ونظام غذائي صارم، إلا أن جيسيكا كانت تأمل في ألا يفرط في هوسه، فيلجأ إلى نظام يتخلله عدد كبير من التمارين القاسية، إذ تبدو البنية الرشيقة، والعضلات الخفيفة، تلائم يوسف أكثر من الكتفين العريضتين وعضلات الذراع المنتفخة.

سألته جيسيكا: "هل أنت مشغول هذه الفترة؟".

سألها: "مشغول؟".

أجابته: "أعني أنك لا تعمل على أي قضية في الوقت الحالي".

ردّ قائلًا: "ظننت أنك عثرت على امرأة من أجلي، لكن لا... أنا لا أعمل على أي قضية في الوقت الحالي، فقد كنت أساعد نينا في إعادة بناء مسرح جريمة خاص بمحاولة قتل غير متعمّد".

نظرت جيسيكا إلى المسدس الموضوع على المنضدة، وتساءلت ما إذا كان يوسف ينوي إفراغ مخزن ذخيرة آخر على الأهداف.

سألها يوسف عندما لاحظ المصنّف الموجود تحت ذراعها: "ما الذي في حوزتك؟". انزلق أحد المقذوفات من قبضته إلى الأرض، وتدحرج بعيدًا، فنظر يوسف إلى قطعة النحاس التي سقطت من يده، وقد بدت ملامحه مثل ملامح راعٍ فقد قطيعه.

قالت جيسيكا: "إنهما المدونان".

أشرق وجه يوسف، وهو ينظر إلى جيسيكا، وقال لها: "لا بد أنك تمازحينني".

سألته: "هل اطّلعت على القضية؟".

أجابها: "بالتأكيد، ويعتقد الجميع أنها حيلة دعائية".

قالت جيسيكا ليوسف، وهي تناوله هاتفها: "هل سمعت بهذا أيضًا"، كانت قد فتحت صفحة الإنستغرام الخاصة بليزا ياماموتو البالغة من العمر 25 عامًا، ثم أشارت إلى صورة المنارة، وهي تقول: "اطلع على آخر مشاركة"، نقر يوسف على الصورة، وفي تلك الأثناء راقبت جيسيكا ردود أفعاله، فتوقّعت أن تلتقط الشرارة المألوفة في عينيه، ولكن الصدمة التي ظهرت على وجهه، لم تكن ما أملته جيسيكا، فقد أرادت أن تصدّق أن يوسف لم يصبح غير مبالٍ، فلابد أنه يعاني من الإرهاق المزمن، وفي كلتا الحالتين، يبدو الأمر، وكأن بعض الألوان تلاشت من اللوحة التي كانت تظهر تعبيرات وجهه الأوضح والأنقى.

"... *سيتجمّد البحر قريبًا، وسيكسوه الجليد*

ولن يكتشف أحد مكان قبرها. ما هذا التعليق بحق الجحيم؟"، ثم أعاد إليها هاتفها.

أجابته: "بعيدًا عمّا يحدث، كان يمكن أن يكون ذلك التعليق مجرد مزحة من النوع الخارج عن المألوف، أو جزءًا من حيل العلاقات العامة التي تهدف إلى نيل

الاهتمام، تمامًا كما سبق وقلت، ولكن ذلك ليس كل شيء، بل يبدو الأمر أكثر جنونًا".

أظهرت جيسيكا ملف ليزا الشخصي، والذي يُظهر جميع مشاركاتها، فأشارت إلى وصف الملف الشخصي، وقالت له: "تحقّق من هذا".

ليزا ياماموتو

شخصية عامة

مدونة مؤثرة

لترقد بسلام

2019–1994

5

بدت غرفة الاجتماعات قاتمة، ومصابيح السقف مطفأة، لا لجعل الصورة المعروضة على الشاشة أكثر إشراقًا، بل لأنه لم يكن لدى أحد الطاقة للنهوض وإشعالها.

قال راسموس سوسيكوسكي: "ليزا ياماموتو؟"، وسعل بعد أن غطّى فمه بقبضة يده، ثم وضع كلتا يديه على الطاولة متخذًا وضعية الصلاة كعادته، وهي الوضعية التي تنطلق منها جميع الإيماءات والحركات الراسموسية، ومن بينها حك الأنف، وقضم الإبهام.

إذا كانت هناك فئة لعضلات الجلوس، فسيكون راسموس بطلها في وحدة الجرائم العنيفة بلا منازع بصفته خريج كلية الحقوق، فهو يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، ولا يزال يعيش في علية والديه، فهو لم يكن اجتماعيًا، ولكنه اتّسم منذ ولادته بفطرة سليمة، وذاكرة قوية. تشير بطاقة راسموس الشخصية إلى أنه موظف مدني في مقر الشرطة، ولطالما تساءلت جيسيكا حول كيفية عمل راسموس في مقر الشرطة، وتحديدًا في وحدة الجرائم العنيفة، فربما كان أحدهم استدعاه للعمل فيه، أو أنه محاولة تلميذ تعرّض للتنمر لتحطيم حلقة الشر، أو أي سبب آخر من هذا القبيل.

قالت جيسيكا، وقد عرضت صورةً جديدة: "إنها نصف يابانية".

جلس يوسف في مقدمة الطاولة، وهو يطقطق أصابعه متجاهلًا الصورة التي عرضتها جيسيكا.

سألها راسموس: "إلى أي فئة من المشاهير تنتمي؟".

"مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي".

قال لها: "لم يسبق لي أن سمعت بها".

سألته جيسيكا، وهي تواصل النقر على الصور المصغرة، والتي انفتحت على الشاشة الواحدة تلو الأخرى: "هل لديك حساب إنستغرام؟".

ردّ راسموس، وقد ارتسمت على وجهه ملامح السطحية المطلقة: "أنا؟ كلا، ولكن لديّ حساب فيسبوك...".

قالت جيسيكا: "حتى ولو كان لديك حساب إنستغرام، ربما ما كنت ستعرفها، لأن ثمانين في المئة من متابعي ياماموتو من الشابات، والعشرة في المئة الآخرين من الشبان، وأعتقد أن الباقين غير أسوياء أو حساباتهم مزيفة".

ضحك يوسف، وقال لها: "حسنًا، يندرج راس ضمن الفئة الأخيرة، وبكل تأكيد لا أقصد الحسابات المزيفة".

قال راسموس: "أنا غير نشط...".

ألقى يوسف نظرة حادة على زميله، وقال له: "راس، أراهن بمئة يورو أن لديك حسابًا تستخدمه للتقرّب من الفتيات، يدعى فاسموس نوسيكوسكي أو أي اسم آخر قريب منه".

في البداية بدا أن راسموس قد احمرّ خجلًا، ولكن ظهرت بعد ذلك ابتسامة خفيفة على وجهه، فعلى الرغم من انطوائه، يبدو أنه يتمتّع بمكانة راسخة باعتباره هدفًا لإطلاق الدعابة القاسية في الوحدة، وعلاوة على ذلك يتقن يوسف ممازحة زملائه من دون أن يبدو خبيثًا، وذلك من خلال اللجوء إلى وكزات خفيفة، أو لكماتٍ مضحكة من دون مبالغة، حتى لا يشعر الآخر بالانزعاج، فهو على العكس تمامًا، يُضحك الشخص المستهدف بالنكتة، كما يبرع في شق طريقه بين حقول الألغام، حتى ولو بدت تعليقاته، وكأنها تهدف إلى التنمّر على الآخرين، ثم تابع يوسف كلامه قائلًا: "حسنًا، يا راس، أهي المؤخرة التي تثير اهتمامك أم أنهما الثديان؟".

تنهّدت جيسيكا، ولكنها لم تستطع كبح ابتسامتها، ثم قالت لهما: "يكفي، يا يوسف".

ولكنه تابع كلامه قائلًا: "أم أنهما الساقان؟ يبدو أنك تفضّل الساقين، لتنطلق إلى...".

قال راسموس بتلقائية: "إذا كان يتحتّم عليّ الاختيار، أعتقد...".

قاطعتهما جيسيكا غاضبة: "حسنًا، يكفي مزاحًا، أيها الرفيقان، وركّزا على العمل".

تبادل يوسف وراسموس الابتسامة، ثم نظرا إلى الشاشة الكبيرة على الحائط، التي عرضت الصور، بينما كانت جيسيكا تتصفّح مئات المنشورات، وقد ظهرت ياماموتو في معظمها أمام الكاميرا وحدها، فكانت تلك الصور عالية الجودة، والموضوع الذي تناولته هو ارتداء ملابس مصممة على أحدث الموضة، أو أن الصور قد استحضرت أجواء ودودة وغير رسمية بنجاح، ومن الواضح أن بعض اللقطات التقطت في الخارج، والعديد منها يفسح المجال لمجموعة من الأصدقاء الظهور في ظلال أشجار النخيل أو في ساحات أوروبا الوسطى. لقد صمّم الملف الشخصي والعلامة التجارية الشخصية الخاصة بياماموتو ببراعة، وعلى الرغم من تغيير الملابس، وتسريحات الشعر، والإعدادات، ومجموعات الأصدقاء، فإن الصور كانت تعبّر عن مزاج وأسلوب موحدين، فإذا نقرت على *متابعة*، فأنت تعلم بالضبط ما الذي سيظهر أمامك.

نقرت جيسيكا على الماوس، وقالت: "أبلغت زميلة ليزا ياماموتو في السكن الشرطة عن اختفائها، ولكنها لم تكن قادرة على تقديم أي معلومات حول مكان وجودها، أو برفقة من يمكن أن تكون".

سأل يوسف: "ماذا عن المفقود الآخر... جيسون نيرفاندر؟".

أجابته: "يعيش والداه في لابلاند، ولا يبدو أنه مقرب منهما، وقد أبلغ صديق مقرب منه عن فقدانه، وهو قس من أبرشية كاليو".

سألها: "وماذا قال ذاك القس؟".

أجابت جيسيكا: "إنه لم يرَ جيسون منذ يومين وحسب".

قال: "وبعبارة أخرى لا تفسير لا شكّ فيه لاختفاء أي منهما؟".

قالت: "يتحتّم علينا أن نبدأ من الصفر".

أسند يوسف مرفقيه إلى الطاولة، وقال: "حسنًا، اللعنة".

سأل راسموس: "من أعضاء الفريق؟".

ردّت جيسيكا بتلقائية، ومن دون تردّد: "نحن الثلاثة فقط".

قال يوسف متلعثمًا: "هاه؟ ولا حتى نينا أو...".

قالت جيسيكا وهي تفرك عينيها: "شدّدت هيلو على أنه حتى لو اشتبهنا في وقوع جريمة قتل، فليس لدينا أي أدلة كافية حتى الآن، لذا يتحتّم علينا أن نبدأ بجمع الأدلة، ويمكننا أن نتوقّع تقديم المساعدة بمجرد التأكد من مقتل أحدهما على الأقل، ولكننا سنحصل فورًا على مساعدة بعض التقنيين لكي نغربل البيانات".

سألها راسموس فجأة، وهو يحدّق إلى يدها المصابة التي تضعها على الطاولة: "ماذا حصل ليدك؟".

لم تجب جيسيكا على الفور، بل نظرت إلى يدها المتورمة، وهزّت كتفها باستهجان، ثم قالت: "إنها إصابة عمل"، ثم أسندت ظهرها إلى الكرسي، وشبكت ذراعيها، وقد دسّت أصابعها تحت إبطها.

حدّقت جيسيكا إلى الصورة المعروضة على الشاشة، وهي تظهر ليزا ياماموتو تقف وسط المياه الفيروزية التي تصل حتى ركبتيها، وقد أدارت ظهرها إلى الكاميرا، وهي تنظر إلى الشلال الذي ينبعث صوته من الخلفية، وكان الماء يقطر من شعرها الأسود إلى رقبتها وكتفيها السمراوين، فكان يمكن أن تسمع جيسيكا صوت تدفق الماء الظاهر في الصورة بقوة، وبعيدًا عن تدفّق مياه الشلال، كان يلمع سطح المياه تحت أشعة الشمس من دون أن تظهر أي حركة.

صاح يوسف موقظًا جيسيكا من أفكارها: "جيسيكا؟".

أجابته: "ماذا تريد؟".

سألها: "ما المهام الموكلة إلينا؟".

مرّت ثوانٍ قبل أن تبدأ جيسيكا بتكليفهما بالمهام، ثم قالت: "راس، أريدك أن تخترق حسابي الإنستغرام الخاصين بهما بمساعدة بعض التقنيين، لترقب أي أمر مريب قد يلفت انتباهك".

سألها: "هل تقصدين رصد التعليقات؟".

أجابته: "نعم، التعليقات تحتلّ المرتبة الأولى، ويليها المتابعون المشتبه بهم...".

أكمل راسموس كلام جيسيكا قائلًا: "...من بين أربعمائة ألف قد نعثر على اثنين منهم".

نظرت جيسيكا إلى راسموس، فبدا وكأن ملاحظته كانت احتجاجًا على المهمة المكلف بها، ومع ذلك لم ترتسم ملامح التحدي والتمرد على وجهه، مع أن المهمة بدت صعبة، وأشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش.

قالت جيسيكا، وهي تغلق حاسوبها: "ابدأ من التعليقات، وإذا كانت الحقيقة كما أتوقّعها، فذلك يعني أنه إذا قتل أحد المجانين ليزا وجيسون، واخترق حساب ليزا عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي، فلا بد من أن يظهر ذلك في حسابها، أما أنا ويوسف فسنذهب للتحدث إلى رفيقة ليزا في السكن".

سأل يوسف: "ماذا عن تلك المنارة اللعينة؟".

قالت له: "تدعى سودرسكار، وقد طلبنا مساعدة الشرطة المحلية، وبحسب ما أبلغتني هيلو، سيحضر محققان من بورفو على متن قارب لإلقاء نظرة عليها، وقد يعثران على دليل ما".

سألها: "أتتوقّعين أن يعثرا على جثتين؟".

ردّت قائلة: "أشك في أن لديهم غطاسين للبحث في عمق المياه".

سأل يوسف، وهو يقلب بين الأوراق المتناثرة أمامه: "ألا يجدر بهم القيام بذلك؟ *أميرة تنام تحت الأمواج/ سيتجمّد البحر قريبًا، وسيكسوه الجليد...* يتحتّم عليهم أن يستخدموا بعض معدات الغوص إذا أرادوا العثور على أي دليل".

قالت جيسيكا، وهي تنهض من مكانها، وتسحب معطفها: "أفترض أنهم يعرفون ما يفعلونه، إنهم يمتلكون المعلومات نفسها التي في حوزتنا، تحرك، يا راس، باشر بمهمتك." ثم أضافت قائلة: "أما بالنسبة إليك، يا يوسف، فلنذهب لمقابلة زميلة ليزا في السكن".

مكتبة
t.me/soramnqraa

6

تحوّلت الأضواء إلى اللون الأخضر، وحوّل يوسف السيارة من فيتوريتي إلى نوردنسكيولدنكاتو، فنظرت جيسيكا إلى معصمها للتحقق من الوقت. لمعت ساعة كارتييه ليدي بانثير فاندوم، ولا شك في أن ساعة جيسيكا المصنوعة من الذهب عيار 18 قيراطًا، والتي ورثتها من والدتها، تبرز التناقض الصارخ في نمط حياتها المتحفظ، ولكنها في الواقع لم تكن باهظة الثمن، فقد بحثت جيسيكا ذات مرة عن قيمتها عبر الإنترنت، وإذا قرّرت بيعها، فيمكنها الحصول على مليونين مقابلها، ويرجع ذلك في الغالب إلى قدمها، وربما تُباع بمبلغ أكبر من ذلك، إذا كشفت عن اسم مالكها الأساسي، إذ ترفع أسماء المالكين الأساسيين المشهورين أسعار الساعات. فقبل عامين بيعت ساعة رولكس دايتونا التي تعود إلى بول نيومان بحوالى ثمانية عشر مليون دولار في المزاد، ولكن والدة جيسيكا لم تكن مشهورة مثل بول نيومان، ومع ذلك لا تزال حتى الآن أشهر ممثلة فنلندية لمع اسمها في سماء هوليوود.

بطولة تيريزا فون هيلينز.

شمّت جيسيكا سترة يوسف الجلدية، فدلّت رائحته على أنه جديد، بينما كانت تجتازهما سيارة تشيفي كامارو قديمة الطراز، وهي تسير بسرعة فائقة.

قال يوسف، وهو يحبس في داخله كمًا من الشتائم: "يا إلهي! إنه يقود بسرعة فائقة، وعلى الأرجح من دون إطارات للثلج، ولو كان لدينا رادار وبعض الوقت الإضافي فقط...".

قالت جيسيكا: "أراهن على أنه كان يقود بسرعة 137 كيلومترًا في الساعة".

قال لها: "ماذا؟".

تجاهلت جيسيكا تعليق يوسف، هل هو حقًا لا يعلم بما تتحدّث عنه؟ ثم أضافت قائلة: "ألا تتذكّر 137 كيلومترًا؟ عندما كانت السرعة المحددة لفرض محضر مخالفة 137 كيلومترًا في الساعة؟ ولسبب ما كانت السماء تمطر دائمًا؟".

هزّ يوسف برأسه.

ابتسمت جيسيكا، وقالت له: "الرادارات الجديدة كانت تلتقط السرعة من خلال ماسحات الزجاج الأمامي، وهي دائمًا 137 كيلومترًا في الساعة، وكان هؤلاء المساحون السبب في ارتكاب جرائم كبرى، ونشر الفساد، وانتهاك عدالة الطرق السريعة".

انفجر يوسف ضاحكًا وقال لها: "يا إلهي!".

وقفا أمام ممر المشاة، وقد لفّت جيسيكا ساعتها، بينما كان أطفال الحضانة الذين يرتدون السترات المضيئة يعبرون الواحد تلو الآخر مثل فراخ البط.

قال يوسف: "يسعدني أننا نعمل معًا، طالما أنه لن يتكرّر ما حدث في المرة الأخيرة".

انتظرت جيسيكا ريثما يمرّ الأطفال الذين اجتازوا منتصف ممر المشاة، بينما كان المعلمون يحيطون بهم بعناية. هؤلاء الصغار الذين لا تتزعزع ثقتهم في البالغين وعدالة الحياة، ستمضي سنوات طويلة قبل أن تشقّ الآلام التي تسيطر على العالم المجنون طريقها إلى ذوي القبعات التي تغطّي آذانهم المرنة، وسوف تنفجر فقاعات الأمان الخاصة بهم.

سألها يوسف، وهما ينتظران تحوّل الضوء إلى اللون الأخضر: "هل أنت بخير؟".

سألته بدورها: "هل أنت بخير؟".

أجابها قائلًا: "لا بد أن أعترف بأنني... في الربيع الماضي مررت بأوقات عصيبة".

تجاهلت جيسيكا كلامه، ونظرت عبر نافذة الراكب، فكان الحديث عن الأوقات الصعبة التي مرّ بها في الربيع الماضي، من دون فائدة في فصل الصيف، ولا تزال من دون جدوى حتى الآن. فقد نجحت عصابة السحرة القاتلة في تحقيق أمر ما

كان يجب أن تحقّقه، وزحفت إلى قلب التحقيق مثل الثعبان السام، وغرزت أنيابها السامة في كل واحد منهم. وعلاوةً على ذلك، تمكّنت من الفرار.

رنّ هاتف جيسيكا، فكان المتصل راسموس، قال لها: "مرحبًا، هل وصلتما إلى منزل ليزا؟".

تنهّدت جيسيكا بعمق، ثم قالت: "لقد غادرنا المقر للتو، يا راس".

أحكم يوسف قبضته على المقود، وسأله: "هل افتقدتنا بهذه السرعة؟".

ضغطت جيسيكا على مكبر الصوت في هاتفها، بينما تحدث راسموس بسرعة أكثر من المعتاد، وذلك يعني أنه كان متحمسًا: "أردت فقط الاتصال على الفور، لأنني اكتشفت أمرًا مثيرًا للاهتمام في حساب الإنستغرام الخاص بليزا".

سألته: "أبهذه السرعة؟".

أجابها: "نعم، لم نكن قد بدأنا بجدية، ولكن...".

قالت: "أخبرنا بما لديك في الحال".

قال: "يتعلّق الأمر بأحدث منشور لليزا ياماموتو...".

سألته: "أهو المنارة؟".

أجابها: "بالضبط، لقد تلقّت تعليقات أكثر بكثير من مشاركاتها الأخرى، وهي تقارب الألف تعليق، ومعظم التعليقات عبّرت عن الصدمة والاستغراب، وأعتقد أن متابعيها قد قرأوا القصيدة الصغيرة الواردة في التسمية التوضيحية، ورسالة *لترقد في سلام* في تعريف الملف الشخصي، ومعظمهم عبّروا عن ذعرهم، ومنهم من قدّموا تعازيهم...".

توقّف يوسف عند إشارة حمراء أخرى، ثم نظر إلى جيسيكا باستغراب.

فسألت جيسيكا راس: "ما الذي وجدته، يا راس؟".

أجابها: "لفت انتباهي هذا التعليق عندما كنت أتصفّح التعليقات الواردة على صورة المنارة، إنه الوحيد الذي لم يكن بالفنلندية أو بالإنكليزية، بل باللغة اليابانية، مستخدمًا أحرف كانغي...".

سألته: "ماذا يقول؟".

أجابها: "لقد ترجمت الكلمة من خلال استخدام مترجم غوغل، واكتشفت أن كلمة *ماسايوشي* تعني العدالة".

سألته: "العدالة؟".

أجابها: "نعم".

سألته: "هل قصد الشخص الذي نشر التعليق أن ما حدث لليزا كان عادلًا؟ هل يعني أنها حصلت على ما تستحقّه؟".

سعل راسموس بعيدًا عن الميكروفون، وأجابها: "هذا ما خطر في بالي".

سألته: "من نشر التعليق؟".

أجابها: "اسم الحساب هو أكيفومي 2511946، وهو ملف شخصي خاص، ولكن صورة ذلك الملف الشخصي، تبدو وكأنها صورة شاب ياباني".

قالت له: "أرسل إليّ الرابط".

أجابها: "حسنًا".

ما إن أنهى راسموس المكالمة، حتى عاودت السيارة التحرك، وفي تلك الأثناء كانت جيسيكا تحدّق بصبر نافد إلى شاشة هاتفها.

شغّل يوسف المساحات، وقال لها: "انظري، إنها تثلج".

رفعت جيسيكا رأسها، فرأت ندف الثلج الكبيرة تتحوّل إلى ماء، وهي تصطدم بالزجاج الأمامي. وعلى الرغم من سوء الطقس، فقد فقد أقيم سوق للسلع المستعملة أمام قاعة الجليد، وقد اكتظت المدرجات بحشد كبير، ومعظم الناس كانوا يغطون رؤوسهم بالقبعات. أشارت لوحة الإعلانات إلى أن فريق رفاق الجمعية الرياضية في هلسنكي سيواجه على أرضه نادي إلفيس في تامبيري هذا المساء، فعادت جيسيكا بذاكرتها إلى التسعينيات، عندما كان جوكريت تلعب مبارياته على أرضه في الملعب القديم، وكان والداها بالتبني يأخذانها بانتظام لمشاهدة فريقي الهوكي في هلسنكي، وهما يتنافسان. أدركت جيسيكا منذ فترة

طويلة أن تلك السنوات التي قضتها في طفولتها كانت الفترة الطبيعية الوحيدة، أما قبل ذلك فكانت طفولتها المبكرة، بما تحتويه من منازل ضخمة وسائقين، وبيل إير، وأشجار النخيل، والرياح الجافة التي تهبّ من الصحاري الداخلية، كل ذلك عاد إلى حياتها بعد السنوات الرائعة التي قضتها مع عائلة نيمي في مرحلة البلوغ، والثروة الهائلة التي ورثتها من والدتها عندما بلغت سن الرشد، ووفاة والديها بالتبني. وكأن المال كان سبب كل تلك الآلام التي عانت منها، وكأن لعنة ألقيت على الثروة المودعة في حساباتها.

استدارت جيسيكا نحو زميلها وقالت له: "يوسف؟".

أجابها: "نعم؟".

سألته: "هل فكّرت يومًا في إنجاب الأطفال؟".

ارتسم الذهول على ملامح وجه يوسف عندما ردّ على سؤالها بسؤال: "ماذا؟ لقد انفصلت حديثًا عن آنّا... وأعتقد أن الأمر سيستغرق بعض الوقت".

قالت: "نعم، أعلم ذلك، أعتذر إليك".

سألها: "لماذا تسألين؟".

أجابته: "لا أعلم، في الوقت الحالي يبدو الأمر، وكأن إنجاب أي شخص طفلًا لن يكون منصفًا، لأن العالم مكان خطير".

في تلك اللحظة ظهرت على شاشة هاتفها رسالة نصية مرسلة من راسموس.

7

كان عدد الأماكن المتاحة لركن السيارة أمام مبنى ليزا ياماموتو قليلًا، فحاول يوسف قدر المستطاع أن يركنها في أقرب مكان من الباب الأمامي.

سحبت جيسيكا سحابها لتجنّب وصول الرقائق الرطبة المتساقطة إلى رقبتها العارية في أثناء ترجّلها من السيارة. لقد طلي المبنى الذي يقع عند الناصية، والمؤلف من ستة طوابق باللون الأخضر الفاتح الذي ذكّر جيسيكا بالحديقة الصغيرة الواقعة خارج منزلها، وكانت مساحة ضيقة خارج الباب الأمامي مغطاة بالعشب، وتزيّن وسطها شجرة وحيدة وعارية من الأوراق، وخلف المبنى امتدّ شارع توبليوكسنكاتو الضيق، وقد تحوّل الآن إلى ساحة معركة، تبعث الغضب في نفوس المارة على امتداد الطرق بسبب طابور السيارات الذي بدا لا نهائي.

أغلق يوسف الباب، وهو يقول: "سبق لي أن عشت في هذا المكان".

استدارت جيسيكا فرأت يوسف يشير مرة أخرى إلى التقاطع الذي مرّا به للتو، فسألته: "أين؟".

قال لها: "عند التقاء شارعي مينا كانثين كاتو وميسنيوكسنكاتو".

سألته: "حقًا؟ متى كان ذلك؟".

أجابها: "قبل عشر سنوات، عندما انتقلت أنا وآنّا من الريف إلى المدينة".

وضع يوسف يديه في جيبي سترته، بعد أن ترك سترته الجلدية الجديدة في السيارة، ربما لأنه لم يحبّذ أن تبتلّ، ثم هزّ رأسه، وهو يحدّق إلى ماضيه بحنين واضح، فلم تكن جيسيكا متأكدة إن كان يحاول البدء بالتحدّث عن علاقته الفاشلة بآنا أم لا، فقرّرت ألا تثير معه ذلك الموضوع.

سألته: "ما الرمز؟".

في الوقت الذي كانت تتحدّث فيه إليه، شعرت بحركة على الجانب الآخر من زجاج الباب، ثم خرج رجل مسن، وأمسك بالباب ليفسح المجال لجيسيكا ويوسف، ثم قال لهما بصوته القوي بالمقارنة إلى عمره: "يبدو أن فريق الصيانة لم يصلحه بعد؟".

سأله يوسف: "ماذا؟".

توقّف الرجل العجوز الذي لم يبدُ أنه منزعج من الطقس الرطب، ولوّح معترضًا، وهو يقول: "الجرس، لقد حان الوقت لإصلاحه".

في الوقت الذي دخل فيه المحققان، أشار الرجل العجوز إلى بطاقتي التعريف اللتين تتدلّيان من عنقيهما، وسألهما: "هل أنتما شرطيان؟".

أومأت جيسيكا إليه برأسها دليلًا على صحة ما توصل إليه.

اخترقت قطرة ماء معطف الرجل العجوز.

ثم سألهما: "هل حضرتما من أجل الضوضاء؟".

سألته جيسيكا: "أية ضوضاء؟".

قال: "لقد عاود أحدهم الطرق على الجدران".

سألته: "متى؟".

أجابها قائلًا: "إنه الضجيج اللعين الذي أحدثه ليلة السبت نفسه".

اندفع الهواء المثقل بالماء بقوة عبر الشقة، فرغبت جيسيكا في فتح النافذة، بينما كانت تتدفق المياه عبر الأنابيب الممتدة إلى أسفل المبنى، بعد أن انبعث صوت دورة المياه صاخبًا بشكل مُشتت للذهن في حمام تلك الشقة. فخلال تلك الاستجوابات، من المسلم به أن يسود المكان الصمت المطول، والسماح للمستجوبين بالذهاب والإياب بحرية، واحترام حقوقهم، كما أنه في تلك الأثناء تكون أي ضوضاء منبعثة من ذلك واضحة وضوحًا تامًا.

مالت جيسيكا إلى حافة النافذة، وذراعاها مشبوكتان على صدرها، وقالت: "أخبريني بالقصة كاملة من البداية بأسلوبك الخاص".

لم تكفّ المرأة الشابة الجالسة على الأريكة عن تمشيط شعرها الأشقر، وقد بدا واضحًا أن ذلك كان وسيلة إلهاء تهدف إلى تحويل الشعور بالعجز إلى شعور بالقوة. وبينما كانت جيسيكا تنتظر الرد، تأمّلت غرفة الجلوس التي تبعث في النفس الراحة والإحساس بالمتعة، والمطبخ الفسيح وذا المظهر العملي، وقد بدت الشقة بشكل عام أنيقة تمامًا، كما يتوقّع المرء أن يكون منزل شابتين متحضرتين، وهي تتألّف من غرفتي نوم، غرفة لكل مستأجرة.

قالت إيسي بهدوء: "ذهبت ليزا إلى حفلة يوم السبت قرابة الساعة السادسة".

سألتها جيسيكا، على الرغم من قراءتها تقرير المفقودين مرتين: "من دعاها إلى تلك الحفلة؟"، بينما كان يجلس يوسف على الأريكة البعيدة عن إيسي.

أجابتها: "إنها حفلة إطلاق ألبوم تيم".

سألتها: "من يكون تيم؟".

أجابتها: "تيم توسي، إنه مغني الراب، المعروف أيضًا باسم كيكس مايس".

نظرت جيسيكا بحدة إلى يوسف، إذ إن اسم كيكس مايس بدا مألوفًا بالنسبة إلى أي شخص في فنلندا، فهو لم يكن يعيش تحت صخرة، ومعظم الشابات ينجذبن إلى موسيقاه، وكلمات أغانيه المؤثرة التي تمجّد الثقافة الأميركية، وبالطبع ينجذب بعض الرجال إلى موسيقاه أيضًا، فعلى سبيل المثال فوبو الذي كانت جيسيكا لا تزال على علاقة به حتى وقت قريب، كان من ضمن هؤلاء الرجال، إلا أن ذوق فوبو في الموسيقى لم يكن هو الذي دفعهما إلى اتخاذ القرار بالانفصال، بل لأنه لم يبذل الجهد الكافي لتحسين العلاقة التي ساءت بينهما.

سألها يوسف: "هل تعرفينه؟".

نظرت إيسي بعينيها اللامعتين إلى يوسف، وكأن الإجابة بدت واضحة، وقالت: "تيم؟ نعم، بكل تأكيد".

سألتها جيسيكا: "حسنًا، لماذا لم ترافقيها؟".

أجابتها إيسي، وهي تضع فرشاة الشعر على الطاولة: "لم أرغب في الذهاب، فقد كنت أعاني من الإصابة بنزلة برد".

قالت جيسيكا: "حسنًا"، وهي تحلّل ردات فعل الشابة ذات العشرين عامًا، فإيسي فتاة شقراء جميلة، شعرها متموج، وأنفها دقيق وجميل، وعيناها بنيتان كبيرتان توحيان بالحزن.

ضغطت إيسي على شفتيها، فشكّلتا خطًا مستقيمًا، وهي تقول: "سمعت صوت صرير الباب الأمامي عندما كنت أستحمّ قرابة الساعة التاسعة أو العاشرة مساء، فاعتقدت أن ليزا عادت من الحفل، ولكنني لم أجد أحدًا، فظننت أنني كنت أتوهّم، ولكن الآن يبدو كل شيء غريبًا جدًا...".

سألها يوسف: "أيمكن أن يكون أحدهم قد دخل الشقة؟ هل لاحظتِ فقدان أي غرض ثمين؟".

هزّت إيسي برأسها نافية، وقالت: "استيقظت في صباح اليوم التالي قرابة الساعة الثامنة تقريبًا، وعندما اتّجهت إلى المطبخ، لاحظت أن باب غرفة ليزا كان مفتوحًا، ولأنها اعتادت على أن تغلقه دائمًا في الليل، ألقيت نظرة خاطفة عليها، فلاحظت أنها لم تلمس أغطية سريرها، وهذا يعني أنها لم تنم في غرفتها... حينذاك تأكّدت من أنها لم تعد إلى المنزل في تلك الليلة، لأنني كنت سأستيقظ بالتأكيد لو كانت قد عادت أو خرجت في ذلك الصباح".

سألها: "هل يحدث ذلك كثيرًا؟ أعني أسبق أن أمضت ليزا الليل في مكان آخر؟".

أجابته: "في بعض الأحيان، ولكنها كانت ترسل إليّ رسالة عندما تضطرّ إلى قضاء الليلة خارج المنزل، لذلك لم يكن من داعٍ لشعوري بالقلق لغيابها، وقد حرصت دومًا على إبلاغي بذلك".

سألها مستغربًا: "أمتأكدة من أنها كانت تحرص دومًا على إبلاغك بقضائها الليلة خارج المنزل؟".

أجابته: "حسنًا، في بعض الأحيان قد تخرج الأمور عن السيطرة، كأن ينفد شحن بطارية هاتفها، أو كما تعلم فقد يطرأ أمر ما بشكل مفاجئ... ولكنني شعرت هذه المرة بأن خطبًا ما قد ألمّ بها".

سألها: "وهل اتّصلت بها؟".

أجابته: "في البداية أرسلت إليها رسالة، ولكن بعد أن مرّت ساعة، ولم أتلقَّ ردًا منها عبر الواتساب، اتصلت بها، فكان هاتفها مغلقًا، وربما لم تصلها رسالتي أبدًا".

سألها يوسف: "حسنًا، هل اتّصلت بالشرطة عند الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد للإبلاغ عن اختفائها؟".

قالت: "اتّصلت أولًا بكل أصدقائنا، ولكن لم يكن أحد منهم يعرف متى غادرت، أو إلى أين ذهبت بعد انتهاء الحفل، أو على الأقل بعد انتهاء حفل تيم في أولانلينا، الذي أنا متأكدة أنها حضرته على الأقل".

سألت جيسيكا: "هل تعرفين جيسون نيرفاندر؟".

تنهّدت إيسي، وقالت بصوت مرتجف: "بالتأكيد، فما كان يجري بينهما جنونيٌ للغاية...".

انتظرت جيسيكا ريثما مسحت إيسي أنفها، وألقت نظرة على هاتفها قبل أن تتابع كلامها، ثم سألتها: "هل تعلمين إن كان جيسون حضر تلك الحفلة؟".

ردّت قائلة: "لا أعلم، ولكن لا أظنّ ذلك، لأن جيسون لا يحبّذ التسكع وسط الحشود".

أدارت جيسيكا الأريكة ببطء في اتجاه المطبخ الصغير، وسألتها: "هل تعتقدين أن ليزا وجيسون تعمّدا أن يتواريا عن الأنظار معًا؟".

كانت تغطّي رسوم المانغا المؤطرة جدران غرفة الجلوس البيضاء، وقد أعادت العيون الواسعة والأنوف المسطحة إلى الأذهان الرسوم المتحركة لهاياو ميازاكي أو سيلفر فانج أو بوكيمون.

تمخّطت إيسي مرة أخرى، ولكن هذه المرة بقوة أكبر، فانبعث صوت مزعج يشبه صوت نهيم فيل صغير صاخب، ثم سألتها: "هل تقصدين أنهما يختبآن معًا في مكان ما بإرادتهما؟".

أجابتها: "نعم".

توقّفت جيسيكا أمام إحدى الرسوم التي تظهر فتاة ذات عينين واسعتين ترفع سيفًا يطلق برقًا أزرق في اتجاه السماء.

قالت إيسي وهي تنظر باضطراب إلى خارج النافذة: "كان ذلك ممكنًا من الناحية النظرية، ولكن بعد ظهور ذاك المنشور على صفحة حسابها الإنستغرام، يبدو ذلك مستحيلًا، فلا تنشر ليزا صورة من هذا النوع، حتى ولو كانت كذبة أول نيسان...".

قالت جيسيكا بهدوء: "لنعد إلى الحديث عن جيسون، ما مدى علاقته بليزا؟".

قالت: "كانت تجمع بينهما علاقة ما".

يبدو واضحًا أن ما قالته لفت انتباه يوسف، فسألها: "هل تقصدين أنهما كانا على علاقة غرامية؟".

أومأت إيسي إليه، وقالت: "جمعتهما علاقة قبل عام، ولكنهما لم يعلنا عنها، في ذلك الوقت أقام جيسون لوقت طويل في شقتنا".

سألتها: "هل لا تزال علاقتهما مستمرة؟".

أجابته: "لا أظنّ ذلك، لأن الانفصال كان مؤلمًا جدًا".

انتقلت جيسيكا من تأمّل الفتاة التي تشهر السيف إلى الرسم التالي، ثم سألتها: "ما الذي تقصدينه بمؤلم؟".

قالت: "لقد خدع جيسون ليزا، وكذب عليها عندما سألته عن تلك العلاقة، ثم هجرته بعد أن تأكّدت من خيانته، كما أن ليزا كانت ستخبرني لو أنها عادت إليه".

قال يوسف: "مع ذلك يفترض معظم الأشخاص الذين يعرفونهما أنهما اختفيا معًا".

أجهشت إيسي بالبكاء، وهي تقول: "لا أحد يعلم شيئًا، فهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يجري... ولكن معظم الناس لا يعرفون حقيقة ليزا، فهم يرون بعض صورها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ما يجعلهم يظنّون أنهم يعرفون كل شيء عنها".

قالت جيسيكا بهدوء شديد، وهي غير متأكدة من أنهما سمعاها: "لقد فهمت ما تقصدينه".

توقّفت جيسيكا أمام رسم يدوي لفتاة زرقاء العينين، ترتسم الابتسامة على وجهها، وكان إكليل من الورود الحمراء يحيط بشعرها الأبيض، وهي ترتدي ما يشبه الزي المدرسي الياباني المؤلّف من جاربين يبلغان الركبتين، وتنورة قصيرة زرقاء داكنة، وقميص بحارة أبيض له ربطة عنق حمراء، وعلى الرغم من ارتباط ليزا بالكتب الهزلية، إلا أن جيسيكا لم تلحظ ما يوحي بالبهجة في تلك اللوحة، التي تفتقر إلى الشعور بحس الفكاهة والمرح والسخرية.

لفتت العينان الكبيرتان انتباه جيسيكا للحظات وجيزة، فغمرها إحساس غريب بأن تينك العينين تخفيان أمرًا مروعًا، فقد سبق لجيسيكا أن شعرت بذاك الشعور، وبقيت تحدّق إلى الوجه المرسوم لفترة طويلة، وسرعان ما بدأ يفقد شكله، مثل أي كلمة يردّدها المرء إلى أن تفقد معناها.

في تلك الأثناء شحبت بشرة الفتاة السمراء، وتلوّن شعرها الأبيض بعدة ألوان قبل أن يتحوّل في النهاية إلى اللون الأسود، وأصبحت عظام وجهها هشة، مثل ورق الشمع الذي يُترك في الفرن لفترة طويلة، ثم يتفكّك عند لمسه، وبدأ السائل الأحمر القاني بالتدفق من أعلى الرأس إلى الحاجب، ومن الأنف إلى الفم، ومن خلف الأذنين إلى الخدين، وقد بدت صلبة العين[1] وصف الأسنان البيضاء جزرًا وسط الجلد القرمزي، وخلال ذاك التحول سمعت جيسيكا صوتًا مزعجًا، كما لو أن آلاف بيوض العنكبوت تفقس دفعة واحدة في أذنيها، ثم تزحف تلك العناكب الصغيرة إلى دماغها.

---

(1) الصلبة: غشاء العين الخارجي الصلب الأبيض.

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما، تلألأت عينا الفتاة الكبيرتان، وعاد لون شعرها أبيض مرةً أخرى، فارتجفت أطراف أصابع جيسيكا، ولابد أن إيسي قالت لها أمرًا ما، ولكنها لم تسمع أي كلمة مما نطقت به، فقالت لها: "أعتذر، فلم أسمع ما قلته"، ثم غضّت طرفها لتجنب الاتصال البصري بالفتاة التي تظهر في الرسم، ثم لاحظت أمرًا فاتها، فقد ورد توقيعٌ على الحافة السفلية، وهو عبارة عن حرفين وتاريخ رسم تلك اللوحة ملصقة على الرسم، ل.ي 2018.

قالت: "إنها موقعة باسم ل.ي، هل يعني ذلك ليزا ياماموتو؟".

أومأت إيسي إليها برأسها، ثم تنحنحت لتنظف حلقها، وقالت مشيرةً إلى اللوحات المعلقة على الحائط كلها: "ليزا رسمت كل تلك اللوحات، وهناك الكثير منها في غرفتها، فالجدران مغطاة بها، ومعظمها مؤطرة، ولكن بعضها لم تكمله بعد".

وبعد أن خيّم الصمت عليهما للحظات وجيزة، سأل يوسف: "هل تتحدّث ليزا اللغة اليابانية؟".

أجابت: "نعم، فقد سبق لي أن سمعتها تتحدّث اليابانية".

سألها: "إلى من كانت تتحدّث؟".

أجابته: "إلى والدها في أغلب الأوقات، كما زارها رجل ياباني منذ مدة قصيرة، وطلب منها أن ترسم له لوحةً ما".

تبادلت جيسيكا ويوسف النظرات، ثم سحبت جيسيكا هاتفها من جيبها، واتّجهت نحو إيسي، ونقرت على شاشة الجهاز، فظهرت عليها الصورة المكبرة التي أرسلها راسموس إليها، وهي صورة شاب ياباني يقف أمام خلفية باهتة، ويُدعى أكيفومي، فربما تكون الصورة حقيقية، وربما أُخذت من الملف الشخصي لشخص آخر، كما يمكن أن تكون مأخوذة من معرض صور، وليس لصاحبها أي علاقة بالشخص الذي نشر التعليق، وربما التعليق نفسه ليس له أي علاقة بالقضية، ولكن في الوقت الحالي كان الدليل الوحيد لديهم.

سلّمت جيسيكا الهاتف إلى إيسي، وسألتها: "هل هذا هو الشاب؟".

نظرت إيسي إلى الشاشة لثانية، وهزّت برأسها قائلةً: "لا أعلم...فلم أرَه مطلقًا، فقد سمعتهما وحسب، بينما كنت في غرفتي عندما جاء لزيارتها، وكان بابي مغلقًا".

سألتها: "ولكنك سمعتِ ما يكفي لتخبرينا بأنهما تحدّثا اليابانية".

أجابتها: "حسنًا، في البداية بدا حديثهما غريبًا نوعًا ما، ويُثير الريبة، لذا وقفت أمام الباب، واسترقت السمع بدافع الفضول".

سألتها: "هل أوحى لك صوته بأنه يافع؟".

قالت: "لا أعلم، ربما كان يافعًا لأنه استخدم عطر ما بعد الحلاقة أو شيئًا من هذا القبيل... وقد ظلّت غرفة الجلوس تفوح برائحة عطره القوي بعد مغادرته".

سألتها: "أي نوع من عطور بعد الحلاقة؟ هل تستطيعين تحديده؟".

بدا أن إيسي فكّرت للحظات قبل أن تقول: "كلا، ربما كانت تلك الرائحة التي فاحت نوعًا من السكرين، لأن رائحته بدت قوية حقًا".

دوّنت جيسيكا كلمة *السكرين* في دفتر ملاحظاتها.

قال لها يوسف: "هل كانت محادثتهما هادئة؟".

أجابته: "لم يبدُ عليهما الاستياء، أو أي شعور آخر من هذا القبيل، إذا كان هذا ما تعنيه".

سألتها جيسيكا: "حسنًا، متى حصل ذلك اللقاء؟".

أجابتها: "ربما قبل أسبوع".

سألها يوسف: "هل يمكنك تحديد وقت دقيق قدر الإمكان؟ فربما كنت ترسلين رسالة نصية عبر الواتساب إلى أحدهم، أو تراسلين شخصًا ما عبر البريد الإلكتروني في أثناء زيارته، هل هناك أي نقطة مرجعية يمكنك الرجوع إليها للتحقق من التاريخ وتحديد الوقت بدقة؟".

أجابته: "بالتأكيد، ولكن لماذا؟ هل تعتقد أنه...".

أعادت جيسيكا هاتفها إلى جيب الجينز، وقالت: "نحن لا نفكّر في أي أمر محدد، ولكننا نرغب في التحدث إليه، ذكرت أنهما كانا يتحدّثان اليابانية، لذلك لم تتمكّني من فهم ما الذي تحدّثا عنه، أليس كذلك؟".

قالت: "هذا صحيح".

سألتها: "حسنًا، كيف عرفتِ أن الأمر يتعلّق بلوحات ليزا؟".

أجابتها: "أخبرتني ليزا بذلك بعد مغادرته".

سألتها: "هل اشترى إحدى لوحاتها؟".

أجابتها: "نعم، ولكن بعد أن أوكل إليها مهمة رسم تلك اللوحة".

سألتها: "هل أنهت ليزا تلك اللوحة؟"

أجابتها: "على ما يبدو".

سألتها مجددًا: "هل كان ذلك الأمر شائعًا؟ أعني، هل كانت ليزا تبيع الكثير من لوحاتها؟".

أجابتها: "نعم، فقد أعلنت عن بيع لوحاتها عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، وبين الحين والآخر كان يشتريها الناس".

كان الجدار الفاصل بين غرفة ليزا وغرفة الجلو مغطى بالطوب المزخرف، وكانت لفافة من الورق البني الواقي على الأرض، بالإضافة إلى كيس من الجبس ومجرفة، وعلبة طلاء أبيض اللون، وبجوارها أسطوانة طلاء، وقد تكدّس الطوب المتبقي بترتيب على الأرض.

سألتها جيسيكا: "هل كنتما تغيّران الديكور مؤخرًا؟".

أومأت إيسي إليها، وهي تشير إلى المكان الذي تلتقي فيه غرفة الجلس بالمطبخ الصغير، وقالت: "كانت ليزا تغيّر ديكور الشقة بنفسها، فهي ماهرة في كل ما يتعلّق بترتيب الشقة وتزيينها، وقد هدمت جزءًا من الجدار الذي كان قائمًا في ذلك المكان، حتى يتوسّع أكثر، وقد فعلت كل ذلك بنفسها".

نظرت جيسيكا إلى المطرقة الموجودة في الزاوية، والمقبض الخشبي الذي يصل إلى ركبتيها، وقالت: "إنه عمل شاق".

قالت إيسي: "هذا ما يميّز ليزا، فقد يخلّف حساب الإنستغرام الخاص بها انطباعًا لدى الجميع، أنها تعيش برفاهية مطلقة، ولكنها في الواقع لا تخشى أن تُلطخ يديها بالطين، كما لا تحتاج إلى استدعاء عامل بناء للقيام بتلك الأعمال الشاقة"، ثم تلاشت ابتسامتها التي تحّولت إلى عبوس، وكأنها تذكّرت اختفاء صديقتها مجددًا.

قالت جيسيكا: "هل تمانعين إذا ألقينا نظرةً على غرفة ليزا؟".

نظرت إيسي إلى جيسيكا بعينيها اللامعتين، وأخيرًا أومأت إليها بالموافقة، ثم رفعت كوب قهوتها إلى شفتيها، وقالت: "سأخرج لأدخّن سيجارة".

قالت لها: "لقد تذكّرت أمرًا، يا إيسي، وأشك في أن له علاقة بليزا، ولكن أودّ أن أتأكّد منك...أخبرنا رجل عجوز التقينا به في الطابق السفلي بأنه سمع ضوضاء عالية في أسفل السلم ليلة السبت، وأن الصوت نفسه قد تكرّر هذا الصباح، وهو أشبه بالقرع، هل سمعته؟".

ارتدت إيسي معطفها، وقد التقطت السيجارة بين السبابة والأصبع الوسطى، وقالت: "نعم، بما أنك ذكرتِ ذلك، لكن ليس لدي أي فكرة حول مصدر الضجيج، لأنه لم يُسمع سوى لثانية واحدة".

8

غطّت الرسومات المؤطرة واللوحات الزيتية جدران غرفة ليزا، كما كانت تصطفّ عشرات الدمى والشخصيات الخيالية من طراز المانغا على خزانتها.

صفّر يوسف بصوت خافت، وقال: "إنها جنة المانغا".

ثم سمع وجيسيكا صوت إغلاق الباب الأمامي تلاه صوت الباب الأجوف الملحق ببوابة المصعد القديمة.

قالت جيسيكا: "إنها مانغا زائفة".

نظر إليها يوسف نظرات استغراب.

فأضافت قائلة: "تبدو مثل المانغا، ولكنها ليست يابانية، فهي مانغا زائفة".

سألها: "هل هي مزيفة حقًا؟".

ردّت: "لا يمكنني الادعاء بأنني خبيرة فيها".

أنارت جيسيكا المصابيح من خلال الضغط على مفتاح الكهرباء المجاور للباب، فلمحت زوجًا من النعال البيضاء المنفوشة تحت السرير المرتب بشكل أنيق، ومجلدًا أصفر على المكتبة، قرأت على حافته بول أوستر بحروف دقيقة، وبالقرب من المكتبة كانت صورة مؤطرة تظهر فيها ليزا إلى جانب ثنائي لا بد أن يكونا والديها، إذ إن الأب ياباني، والأم فنلندية، وقد بدا أن كليهما يبلغان الستينات.

كان يتحتّم أن يُستجوبا بأسرع ما يمكن، ولكن الشرطة علمت أنهما يمضيان الإجازة في البرازيل، ولن يعودا قبل صباح اليوم التالي.

قال لها: "لقد تسمّرت في مكانك، وأنت تحدّقين إلى تلك الفتاة".

استعادت جيسيكا وعيها، وقالت له: "ماذا تقول؟".

لمس يوسف دمية لها عينان واسعتان تتطلّعان إليها بعينيها الزرقاوين، وقال: "لقد حدّقت إلى الفتاة التي ظهرت في الرسم لفترة طويلة".

التفتت جيسيكا إليه، وقالت له: "كنت أتفحّص الأحرف الأولى من التوقيع".

للحظة جالا بعيونهما في أرجاء الغرفة، فكان المكتب بين السرير وخزانة الملابس، وفي أحد طرفيه يظهر جبل من مساحيق التجميل ومن بينها ظلال العيون بالقرب من مرآة الزينة الدائرية.

قال يوسف بهدوء: "يا للهول!".

سألته قائلة: "ماذا؟".

قال: "هل شعرت يومًا... ما أحاول قوله... إنه من الغريب أو بالأحرى من المخيف أن أقيم في غرفة كان يقيم فيها شخص اختفى فجأة، أو على نحو أدق كانت تقيم فيها فتاة تجلس على كرسيها، وتضع مكياجها، وهي لا تزال تتنفّس، وتقوم بروتينها اليومي جاهلةً تمامًا أن العالم بأسره سيبحث عنها عما قريب".

سحبت جيسيكا الكرسي الخشبي الأبيض إلى المكتب، وقالت: "إنني أفهم ما ترمي إليه"، ثم جلست على الكرسي، وما إن لمحت عينيها في المرآة، حتى أشاحت وجهها عنها.

استند الحامل الخشبي إلى المكتب، ولم يتخلّل الجزء الخلفي منه أي قطعة قماش، وكانت كدسة من أوراق الرسم الكبيرة الحجم، ودفاتر الرسم، وصناديق حلوى تحتوي على ألوانٍ زيتية، وعشرات أقلام التخطيط المختلفة الألوان، وزيت التربنتين وزيت بذور الكتان، وخلفها نصف دزينة من البرطمانات الزجاجية التي تحتوي على مساحيق زاهية الألوان، تصطفّ على الحائط.

سألها يوسف: "ما كل هذا؟".

أشارت جيسيكا إلى زجاجة الزيت، وهي تقول: "إنها أصباغ متنوعة الألوان، ويمكنك مزجها بزيت بذر الكتان لصنع طلائك الخاص".

مشى يوسف في اتجاه النافذة، وقال: "انظري إلى نفسكِ، أيتها السيدة ويكيبيديا المتحركة".

حُشر عدد من الفراشي في وعاء زجاجي في الجزء السفلي، يحتوي على كمية يفترض أنها مادة التربنتين، وهي تؤدّي إلى سحب الطلاء من شعيرات الفرشاة، وكان لون السائل رماديًا غامقًا، والطلاء الجاف على اللوحة يتدرّج ضمن درجات مختلفة من اللون الرمادي.

قالت جيسيكا: "يبدو ذلك غريبًا".

سألها: "ما الغريب في الأمر؟".

ردّت قائلة: "جميع رسومات ليزا مفعمةٌ بالحيوية، وتضجّ بالألوان المشرقة... وما يظهر باللون الأسود هو الخطوط العريضة، وشعر بعض الشخصيات فقط".

سألها: "ما الذي تريدين قوله؟".

أجابته: "إن آخر ما رسمته ليزا كان رماديًا".

أخذت جيسيكا كدسة من أوراق الرسم، وتصفّحت الأوراق الواحدة تلو الأخرى، ثم تفحّصت كل رسم من رسومات المانغا على حدة، وكل عمل لم يكتمل حتى الآن.

لم يكن بعضها أكثر من رسم تخطيطي بقلم الرصاص، وبعضها الآخر كان عبارة عن قطع مصقولة شبه مكتملة رُسمت بمهارة بواسطة قلم التخطيط، وتمثّل الأعمال التي رسمتها كل مراحل العملية الإبداعية، وهي تُظهر دقة احترافها بصفتها فنانة، ورسومها الثابتة للفتيات المبتهجات، أو النساء اللواتي يتّسمن بالحيوية، تمثّل لعبة الملابس المتوهجة مع قوالب نمطية ترمز إلى البراءة.

سألها يوسف: "هل أنتِ التي وجدتها؟".

ردّت قائلة: "كلا".

سألها: "حسنًا، لا بد أن تكون هذه اللوحة التي كُلّفت برسمها؟".

قالت جيسيكا بتمعّن، وهي تعيد الكدسة إلى أسفل المكتب: "كنت أفكّر في ذلك أيضًا، فتلك الفتاة تجيد الرسم حقًا".

همهم يوسف، وهو يسحب الستائر ملاحظًا أن السماء الرمادية كانت تمتصّ الحياة إلى درجة أنها تكاد تكون رهيبة حقًا، ثم قال: "لنأمل في أن يكون الرجل قد طلب من ليزا أن ترسم له صورة".

قالت: "سيكون ذلك بلا شك مثل الفوز في الجائزة الكبرى في اليانصيب".

قال: "يبدو لي أنه ينتابك شعور بأن الرجل الياباني مرتبط بطريقة ما باختفائها".

ردّت قائلة: "لا أعلم، ولكن يبدو غريبًا أنه طلب منها رسم لوحة ما قبل اختفائها بوقت قصير".

قال لها: "بالتأكيد، ولكن رغم ذلك... ربما أراد ذاك الشخص أن ترسم له لوحة عادية فقط، وربما طلب معتوه ما صورةً لفتاة ترتدي زيها المدرسي، تمكنه من الاستمناء، بينما يخدش حلماته بورقٍ خشن".

قالت: "أوه، أهكذا تقضي ليلة السبت إذًا؟".

أجابها: "بل أقضي عطلة نهاية الأسبوع كلها".

هزّت جيسيكا رأسها، وتناولت دفترًا أحمر من درج المكتب، وبدأت تتصفّحه.

قالت له: "لقد ظننت في البداية أن زائر ليزا الياباني هو الشخص نفسه الذي رصده راس عبر الإنستغرام"، كانت صفحات دفتر الملاحظات تمتلئ بالكتابات المتنوعة، والأفكار المتعلقة بمدونات الفيديو، وما يُفترض ملاحظته في الاجتماعات التي يعقدها مقدمو تلك المشاريع.

تناول يوسف حاسوبًا رفيعًا من حافة النافذة، وهو يقول: "هل يجدر بنا أن نأخذه؟".

لم تجبه جيسيكا، وهي لا تزال تقلّب صفحات دفتر الملاحظات، إلى أن وصلت إلى منتصفه، ثم إلى الصفحة الأخيرة التي لا بد أنها تحتوي على ملاحظات

مهمة، فجأة اشتعلت حواسها على الفور، وبدت كما لو أن تيارًا ذا توتر عالٍ قد صعقها، فأوهن قواها، وأضعف قدراتها.

قالت بهدوء: "يوسف...".

قال: "نعم".

أدارت جيسيكا دفتر الملاحظات ليتمكّن يوسف من رؤية ما أذهلها، وأثار مخاوفها، وقالت له: "ألقِ نظرة على هذه الصفحة".

اقترب يوسف منها بحذر، كما لو أن دفتر الملاحظات حيوان متقلب المزاج، وقد ينقض عليه في أي لحظة، فكان يتحتّم عليه أن يمسكه برفق من دون أن يثير غضبه، ثم همس إليها: "اللعنة".

إنه ليس رسمًا مكتملًا، بل إنه شبه رسم مخطط بقلم الرصاص، ويفتقر إلى تخطيط الملامح، وإضفاء الحركة الناتجة عن اللون، وقد انتشر على سطح تلك الصفحة فتات الممحاة الوردية، بعد أن لطّخته الخطوط الممسوحة.

تفحّصت جيسيكا الرسم، وهي تحدّق إلى فتاة مهيبة ترتدي زي تلميذة، تقف في منطقة صخرية، وتظهر خلفها منارة تكاد تلامس السماء الكئيبة.

9

رفع المحقق غامي هارغولا ياقة معطفه الشتوي المصنوعة من الفراء، وتأمّل البحر لحظة متخيلًا أنه في فصل الصيف، وأن الرمال تحت وقع حوافر الفرس ليست صخرية صلبة وبنية اللون، بل صفراء ذهبية وناعمة، وأن الهواء لطيف ومنعش، والشمس المشرقة تختبئ خلف حجاب من الغيوم، وأن ابنتيه اللتين تبلغان من العمر ثماني سنوات تصرخان، وهما تركضان إلى الماء بعد أن نهضتا عن المنشفة الضخمة التي سبق لسيني أن مدّتها على الرمال، ورائحة واقي الشمس، ونعيق طيور النورس، وابتسامات الرضى المرتسمة على الوجوه، والإحساس بدفء البشرة السمراء التي لوّحتها حرارة الشمس الساطعة، والتي يشبه تأثيرها الوقوع في الحب إلى حد كبير، في الأيام التي كانت فيها لمسة الشخص الآخر رقيقة ومثيرة.

لكن لا يمكن أن يكون شهر تشرين الأول الحالي أكثر اختلافًا عن الشهر الذي يتساقط فيه برد جليدي من السماء التي تتلبّد فيها الغيوم الرمادية، وتضرب موجات المياه المتجمدة الشاطئ ضربات عنيفة، بعد أن جعلت الرياح العاتية أمواج البحر هائجة، فبدا وكأن القشعريرة قد انتابته من شدة البرد.

قال المحقق التقني الذي انتهى لتوه من مسح المنطقة: "هارغولا!"، يبدو أن شخصًا ما قد توفّي في مكان آخر، وبعد أن أُلقي به في مياه البحر، جرفت الأمواج والتيارات القوية الجثة إلى هذا الشاطئ. نادى المحقق التقني سيارة الإسعاف التي حضرت لنقل الجثة، وقال: "نحتاج إلى عربة!"، إذ انجرفت الجثة إلى أسفل الكورنيش في الموقع الصيفي لجناح الآيس كريم. وكان المسعفون المستجيبون للنداء قد توجهوا منذ فترة طويلة إلى مكان آخر حيث يمكن إنقاذ حياة مريض. هزّ هارغولا برأسه، وقد بدا شارد الذهن، وقال: "حسنًا".

استدار وهو يمشّط المنطقة المجاورة، فرأى الفضوليين يتجمّعون عند طرفي المتنزه، وقد حاول عناصر الشرطة ببسالة إبعادهم عن الجثة الملقاة على الشاطئ قدر استطاعتهم.

يمكن الاعتماد دائمًا على الفضوليين لنقل آخر الأخبار، وما يبدو مقنعًا للغاية بوقوع المأساة بنظر الناس هو مشاهدتها بأعينهم، فهم يقتربون بما يكفي لكي يتمكّنوا من توثيق الحدث من خلال التقاط الصور، وتصوير مقاطع الفيديو، كما قد يودّ بعضهم التقاط صور السيلفي بالقرب من مسرح الحدث، والطريقة التي يستغلّ بها الناس حوادث الموت من خلال استخدام شاشات هواتفهم، تجعل هارغولا يرغب في التقيؤ.

إنها ظاهر مؤسفة يصادفها بشكل متواتر في أثناء تأديته عمله، كما أن وميض الهواتف الذكية عبر نوافذ السيارة التي تمرّ بمسرح الحوادث، والتوهج المنبعث من مصابيح شرفات الشقق، يحوّل لون الدم السائل على الأسفلت إلى اللون الأحمر الغامق ما يجعله يشبه مشهدًا من الأفلام القديمة، وعندما يتعلّق الأمر بالموت يبدو البشر طفيليين، وهم يبحثون عن المآسي التي ستكسر رتابة الروتين اليومي.

لا يعني ذلك أن هارغولا ليس مذنبًا مثلهم، فهو يمتلك دوافع مهنية بحتة بالطبع، ومع ذلك غالبًا ما يتساءل عن السبب الذي يدفعه عامًا بعد عام إلى الاستمرار بالتعامل مع الأموات، وفي بعض الأحيان عندما يتوجّه إلى عمله صباحًا، يشعر وكأنه يفضّل العمل مع الموتى على الأحياء، وأن هذا الموت له الأولوية على أي أمر آخر. في هذه اللحظة بالذات كانت سيني ترافق الفتاتين إلى مركز هيوريكا للعلوم، وتشكّل تلك الزيارة جزءًا من رحلة ميدانية مدرسية، وكان يفترض أن يرافقهن في يوم إجازته، ولكن هيلينا لابي قرّرت أن يكون يومه إجازته يوم عمل، عندما أبلغ أحدهم مركز الشرطة بالعثور على جثة امرأة ميتة منذ ساعة تقريبًا.

شدّ هارغولا قفازيه الجلديين بإحكام، ومشى ببطء إلى جانب الجثة الملقاة على الشاطئ، والتي أُخرجت من الماء بواسطة عبّارة أحد المارّة.

نظر إلى جثة المرأة المتجمدة والمستلقية على الرمال، فكانت ترتدي ثيابًا خفيفة للغاية، ما جعله يتيقّن أنها نُقلت من مكان مغلق، ثم ألقيت مباشرة في مياه البحر، وربما سقطت عن ظهر قارب، أو قُتلت على اليابسة، ثم ألقي بجثتها في الماء من أحد الجسور، إلا أنه لا جسور تربط بين كالاهدينيمي وأوتيلا، ما جعله يستبعد ذاك الاحتمال على الفور.

خلع هارغولا قبعته القطنية الصغيرة، وفرك جبينه المهتاج، بعد أن بدا أن سبب الوفاة عمل إجرامي، ولكن لم يكن من مؤشر إلى إصابة المرأة بأي أذى، إذ لا تظهر عليها أي علامات تدلّ على العنف أو الخنق أو تلقّي ضربات ظاهرة في أي مكان على جسدها، كما لا تظهر آثار إطلاق النار أو طعنات آلات حادة، ولا حتى عضّة قرش، فبدا أن ذلك الطرح مروع، ما جعل هارغولا يهمهم فور طرح تلك الفكرة، كما شعر بالذنب على الفور.

قال له المحقق التقني وهو يلوّح له بيده: "أراك لاحقًا".

رفع هارغولا يده ردًّا على تلويحه له، ثم اعتمر قبعته الصغيرة مرة أخرى من دون أن ينظر إلى الخلف، وخلع قفازه الأيمن، وبدأ يلتقط بضع صور إضافية للضحية عبر هاتفه من عدة زوايا مختلفة.

لم يستطع رؤية أي أثر على جسدها، لم يسبق له أن رآه خلال النصف ساعة التي قضاها في مكان الحادث، ومع ذلك شعر بأن الجثة تناديه حتى يكتشف أمرًا ما يبدو غامضًا. يعرف هارغولا جيدًا أن سبب الوفاة الأكثر ترجيحًا في هذه الحالة، هو حادث، لا ارتكاب جريمة قتل، وأن غالبية حالات الغرق لا تندرج ضمن جرائم القتل، ولكن أمرًا غريبًا كان يدعوه إلى الشعور بالريبة بشأن هذه الجثة.

ربما يكون ذلك بسبب ما ترتديه تلك الشابة، فزي تلميذة المدرسة يبدو على جسد امرأة بالغة مثيرًا ومبتذلًا، كما أنه يبدو منحرفًا نوعًا ما، ومن غير الممكن أيضًا أن تدخل أولغا بيلوسوفا الأوكرانية الجنسية، والبالغة من العمر 22 عامًا وفقًا لبطاقتها الشخصية رسميًا إلى الأراضي الفنلندية، بعد أن جاء التأكيد للتو من الحرس الحدودي.

تنهّد هارغولا ووضع هاتفه في جيب معطفه، بعد أن حان وقت العودة إلى مقر الشرطة، آملًا في أن يظهر سبب الوفاة قريبًا بعد تشريح الطبيب الشرعي تلك الجثة.

انتظر لحظة.

لفت نظر هارغولا شيء ما على الذراع البيضاء، وهي علامة سوداء مستديرة، وبالكاد أمكنه رؤيتها تحت الكم الأبيض.

إنه وشم.

جثا هارغولا بالقرب من الجثة، والتقط غصينًا كان ملقى على الرمال، ورفع الكم الأبيض بما يكفي لرؤية العلامة بوضوح، فرأى علامة أخرى، ثم ظهرت علامات أكثر، وقد شكّلت معًا دائرة شبه كاملة على مرفق المرأة، فبدت تلك البقع السوداء عن مسافة قريبة مثل علامات الحروق، ووفقًا لحجمها، يبدو أنها آثار إطفاء أعقاب سجائر مشتعلة، ولكنها تبدو متماثلة للغاية، ولا تفاوت بين أحجامها، لذا لا بد أن ما أحدثها أداة حادة وصلبة، وعلى الأرجح أن المعدن كان ساخنًا.

سحب هارغولا هاتفه من جيبه، والتقط صورة أخيرة، بينما كان يسمع وقع أقدامٍ تقترب منه من الخلف، إنهم الرجال الذين أتوا من أجل نقل الجثة.

كانت موسومة.

تأمّل هارغولا البحر، فذكّرته الأمواج المتلاطمة بعائلته، ما جعله يتساءل حول ما إذا كان مركز العلوم لا يزال يحتفظ بالديناصورات، التي كانت السبب الوحيد في رغبته في ارتياد ذلك المكان عندما كان طفلًا.

10

ألقى راسموس سوسيكوسكي نظرة على الباب الموصد، وعندما لم يتمكّن من سماع أي صوت صادر من الممر، سحب كرة الغولف من حقيبته، ووضعها بعناية على الأرض، ثم خلع حذاءه، ووضع قدمه على الكرة، فكانت حركة التدحرج مؤلمة، ولكن المعالج الفيزيائي نصحه بالتدرب على تلك الرياضة لأنها تفيده، ففي السنوات الأخيرة بدأ راسموس الذي قضى وقتًا طويلًا منحنيًا فوق الشاشة، يعاني من تيبس العضلات، وضعف في الحركة، والتطور التدريجي للكتل المنتشرة في كافة أنحاء الجسم بسبب الجلوس الدائم أمام الحاسوب، وهذا ما اقترحه الطبيب الساحر الذي شخّص المشاكل التي يعاني منها بسهولة تامة، حتى إنه لم يستطع تذكر آخر مرة واجه فيها مثل هذه العضلات المشدودة، وهو أمر غير مألوف نظرًا إلى أن راسموس لم يكن يمارس أي تمرين تقريبًا، ولطالما كانت فكرة كرة الغولف الموضوعة تحت باطن القدم والتي تعمل على تخفيف توتر الجسد بمثابة لغز بالنسبة إلى راسموس، ومع ذلك فإن ذلك التمرين بسيط للغاية، ويسهل القيام به، ما يجعل تجاهل تعليمات المعالج الفيزيائي، إذا لم يكن منهمكًا بعمل آخر يتحتّم عليه إنجازه، استخفافًا برغبة والدته التي شجّعته على البدء بالعلاج ودفع تكاليفه، *ثلاث دقائق لكل قدم، ومرتين في اليوم.*

قال له صوتٌ انبعث من بعيد: "إلى غرفة الاجتماعات"، فقفز راسموس من مكانه، والتقط الكرة من الأرض، ثم انتعل حذاءه بسرعة، ومع ذلك كان يبدو كالبطة بين زملائه في العمل الذين يرون أنه يدلّك نفسه باستمرار، إلى جانب ذلك كانت رائحة قدميه كريهة حتى بالنسبة إليه.

قالت له هيلو، وهي تدخل إلى غرفة الاجتماعات: "ها أنت ذا".

أومأ راسموس إليها برأسه، وحرّك حاسوبه المحمول قليلًا في اتجاه وسط الطاولة، واستخدم جهاز التحكم عن بُعد لتشغيل آلة عرض الفيديو المتدلية من السقف، ثم سأل مترددًا: "هل نحن على وشك البدء بالاجتماع؟".

قالت هيلو، وهي تمسّد شعرها القصير بيدها، وقد جلست مقابل راسموس: "نعم، على أن يكون موجزًا وسريعًا"، وعلى الرغم من تصرفها بشكل رسمي أكثر من إرني في معظم النواحي، إلا أنها كانت تقلّل من اعتمادها على السلطة الرمزية، كما أنها على عكس إرني، لم تجلس أبدًا إلى رأس الطاولة في غرفة الاجتماعات، ناهيك عن المقصف، وقد فضّلت بدلًا من ذلك الجلوس أينما اتفق بين مرؤوسيها، والآن قد يكون ذلك بمثابة مراسم، أو إشارة واضحة إلى التودّد إليهم، ولكن التفسير الأكثر ترجيحًا هو لجوء هيلو إلى الأسلوب الحسابي للتأكد من أنها ليست محور أي ردات فعل متمردة يستهدفها بها الآخرون، أو التعرض لإلقاء النكات التي تسخر منها همسًا. ربما كانت في حياتها السابقة معلمة، دفعها الطلاب الذين يتبادلون التعليقات الساخرة، والانتقادات اللاذعة إلى حافة الجنون، وإذا كان ذلك واقع الحال، فقد يكون إرني ببساطة أكثر شجاعة وكفاءة من خليفته، ويستحقّ وحده ذلك المنصب.

سأل راسموس، بعد محاولته الفاشلة في تجنب نظرات رئيسته: "من سيحضر الاجتماع؟".

قالت له: "نينا".

سألها مستغربًا: "نينا؟".

تجهّم وجه هيلو، وسألته: "هل يسبّب حضورها أي مشكلة بالنسبة إليك؟".

غضّ راسموس طرفه، فنينا لم تعد تتصرّف على سجيتها منذ أحداث شباط الماضي، مع أن التغيير غالبًا ما يحصل لعناصر الشرطة، عندما يوشكون أن يفقدوا حياتهم في أثناء أداء واجبهم، إلا أن الموت المبكر بعنف ووحشية هو أحد مخاطر العمل في الشرطة، ولكن مكالمة واحدة فقط قادرة على أن تدلّنا على مدى قرب

ذاك الخطر. ولا يعني ذلك أن راسموس يشكّك في قدرة نينا على أداء واجباتها بطريقة مثالية، بل إنه يبدو مثيرًا للحيرة ما حدث بين جيسيكا وميكي.

لكن كيف استطاعت نينا وسط كل تلك الفوضى، أن ترى أن زميلتها في العمل، يمكن أن تخرّب علاقتها بصديقها، وهو زميل وصديق أيضًا.

ما الذي كانت تفكّر فيه جيسيكا بحق السماء؟

أجابها راسموس: "بالطبع لا"، وقد تفاجأ من نفسه لأنه لم يتأتئ في تلك اللحظة، ثم دخلت نينا الغرفة، وأغلقت الباب خلفها، فقالت هيلو وهي تفتح حاسوبها المحمول: "اجلسي".

لم يستطع راسموس منع نفسه من النظر إلى الذراعين الصلبتين والمدربتين تدريبًا قاسيًا، والرقبة القوية التي تبرز من قميصها الأسود. فلطالما كانت مثالًا للقوة من الداخل والخارج، ولكن لسبب ما، لا يعيرها الكثيرون اهتمامًا، بينما حصلت جيسيكا على مكانة الأنثى المتسلطة والمرأة الجذابة في مقر الشرطة بفضل روح الدعابة التي تتّسم بها، أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد. ولكن بالنسبة إلى راسموس، لطالما كانت نينا فتاة أحلامه وشريكته الرشيقة والجبارة، فقد تمكّنت من طرحه على الأرض، وخنقه بوسادة لعشرات الثواني بفضل التدريب الذي أتاح لها الحصول على الحزام الأسود في الجودو، فبدت الفكرة بالنسبة إليه مخيفة ومثيرة في آن.

طقطقت هيلو أصابعها، وقالت متفاجئة: "راسموس، ألا تزال تعمل في القسم؟!".

ردّ قائلًا: "بكل تأكيد".

ما إن أدخلت هيلو كلمة السر إلى حاسوبها المحمول، حتى أصدر صوت نغمة الويندوز المألوفة، ثم قالت: "لديّ اجتماع سيبدأ بعد وقت قصير في الطابق العلوي، لذا لننتهِ من هذا الاجتماع بأسرع وقت ممكن، فقد مضت أيام خلت من العمل، وها نحن نعمل تحت ضغط كبير، كما أود أن أبلغكم بأنه عُثر على جثة فتاة على الشاطئ في فوساري".

سألها: "أهي شابة؟".

لقد فهمت هيلو ما يرمي إليه راسموس، فأكّدت كلامه قائلة: "نعم، ولكنها ليست ليزا ياماموتو، بل إنها فتاة أوكرانية، وقد وجدوا بطاقتها الشخصية في حقيبة ظهرها". أبعدت هيلو عينيها عن الشاشة، ثم غطّت وجهها بيدها، فبدا أنها تتجشّأ بصوت خافت قبل أن تتابع كلامها، ثم قالت: "حسنًا، لنعد إلى موضوعنا، تشكّ جيسيكا ويوسف في أن الشخص الذي علّق على مشاركة ليزا ياماموتو باليابانية عبر الإنستغرام، هو نفسه من زارها قبل أسبوع".

سأل: "هل اكتشف أحد هويته؟".

حكّت هيلو شفتها العليا، وقالت: "لا أحد يعرف من يكون سوى ليزا ياماموتو، ولكن رفيقتها في السكن سمعت صوته، ويبدو أنه يافعًا، ويمكن أن يكون... دعني أرَ مجددًا"، طقطقت هيلو أصابعها مشيرةً إلى راسموس كي يعرض ملف أكيفومي 2511946 الشخصي على الشاشة المعلقة على الحائط عبر حاسوبها المحمول، فأظهرت صورة الملف الشخصي رجلًا آسيويًا له رقبة سلحفاة سوداء، وقد ظهر ما بدا غريبًا في ملامح الوجه، كما لو أنه عُدّل في الصورة بعد وقوع الحادثة.

قال راسموس، وهو يتطلّع إلى نينا منتظرًا الحصول على إيماءة بموافقته في الرأي: "لكننا لسنا متأكّدين ما إذا كان ذلك الرجل الظاهر في الصورة له أي علاقة بالقضية"، ثم أردفت قائلة باقتضاب، كما لو أنها تشكّ في ضرورة التحقق من هويته: "أو ما إذا كان قد وقع حادث مأساوي".

قال لها: "أظنّ ذلك".

سألت هيلو، وهي ترفع نظارتها بظهر يدها: "ما الذي يظهر في الخلفية هناك؟ أهو معرض لوحات؟".

قال: "إنها جدران بيضاء، ويمكن أن تكون الصورة قد التقطت في معرض فني".

تفحّص راسموس الصورة وقال: "صحيح"، ظهر في الصورة طرفي لوحتين خلف الرجل، وربما تكون تانك اللوحتان زيتيتين، وقد تلقّتا ضربات فرشاة ألوانها

زيتية زاهية، تستخدم عالميًا، ولكن كان يصعب تحديد ذلك بدقة.

سألت هيلو: "هل نملك أي وسيلة للوصول إلى بيانات ملفه الشخصي؟".

أجابها: "على الأرجح، فمن الناحية النظرية يمكننا الحصول على اسمه، ومعلومات حول بطاقة الائتمان الخاصة به، وعناوين بريده الإلكتروني، وعناوين بروتوكول الإنترنت لعمليات تسجيل الدخول والخروج الأخير من دون أمر استدعاء، ولكننا نحتاج إلى ترجمة الوثائق إلى الإنكليزية من أجل المحكمة، ومذكرة تؤكّد إجراء تحقيق أولي...".

هزّت هيلو برأسها قائلةً: "بالله عليك، حسنًا، سأحضر لك كل تحتاج إليه، ما المدة التي سيستغرقها إرسال الطلب؟".

أجابها: "لا أعرف، ولكنني سأرسل الطلب من خلال نموذجٍ عبر الإنترنت، ويمكن أن يصل الرد بسرعةٍ كبيرة إذا أطلقنا عليه اسم تحقيق في جريمة قتل".

نهضت هيلو من مكانها، وقالت: "سوف أرى ما يمكنني فعله، أطلع نينا على المشروع، ولنجتمع هنا الساعة الرابعة ما لم يحدث أمر جنوني آخر".

11

وضعت جيسيكا يديها في جيبي معطفها، وحدّقت إلى الأسفلت الرطب تحت قدميها، بعد أن توقّف الرذاذ عن التساقط، وللحظة أصبح الهواء منعشًا ونقيًا، حتى أشعل يوسف سيجارة، فانتشر الدخان في المكان بأسره.

نفث يوسف الدخان، وهو يقول: "كان الموعد يوم الأربعاء الماضي بين الخامسة والسادسة"، هذا ما قالته إيسي لهما للتو، وقد تزامنت مكالمتها مع مكالمة والدتها عبر سكايب، وقد حدّدت من خلال تلك المكالمة الإطار الزمني للزيارة التي قام بها الرجل الذي اشترى اللوحة من ليزا.

امتنعت جيسيكا عن الرد، وحدّقت إلى ميسنيوكسنكاتو، وقد تخيّلت عودة الرجل الذي اشترى اللوحة، فظهر منحني الظهر قليلًا، وياقته مقلوبة، مثل عميل سري في فيلم تجّسس قديم، ولكن ذلك الرجل قد اختفى، ولا يعرفون عنه شيئًا، باستثناء أنه تحدّث إلى ليزا باليابانية، وكان يضع عطرًا قويًا.

قال يوسف: "يمكننا أن نستدعيه إلى مقر الشرطة".

قالت جيسيكا بهدوء: "إذا كان متورطًا في اختفاء ليزا، فلن يردّ على ذلك الاستدعاء العلني الموجّه إليه".

إنها تتذكّر التقائها بفتاة المدرسة ذات الشعر الأبيض التي ظهرت في اللوحة التي رسمتها ليزا، ومدى سرعة انبعاث الحياة فيها، وموتها أمام عينيها.

قال يوسف: "المعضلة الأبدية".

حاولت جيسيكا دراسة الصورة التي تظهر رسم المنارة، وقالت: "تلك الألوان الرمادية... استخدمتها ليزا لرسم المنارة، وهي مطابقة تقريبًا للصورة المنشورة عبر الإنستغرام، باستثناء فارق وحيد، وهو أنه في الخلف تقف فتاة مهيبة

الطلعة أمام المنارة، فالمنظور والمسافة البارزان في رسم المنارة في الأساس يشكّلان الأمر نفسه".

أطفأ يوسف عقب سيجارته، وقال: "ربما تكون ليزا قد رسمت اللوحة استنادًا إلى صورة أرسلها إليها الشخص الذي كلّفها برسمها، وطلب منها أن ترسمها بالطريقة نفسها تمامًا، ولكنه أضاف إليها الفتاة وحسب".

قالت: "هذا يعني أن الصورة المنشورة عبر الإنستغرام عمرها أسبوع على الأقل".

ردّ قائلًا: "وربما تكون مأخوذة من بنك الصور في غوغل".

سألته: "ولكن ما علاقة ذلك بليزا؟"

ردّ قائلًا: "ربما ليس لها علاقة بها".

قالت: "لا أستطيع أن أُصدّق ذلك، لا بد أن هناك سببًا وراء رغبة الرجل في رسم ليزا تحديدًا تلك المنارةً، فهي ليست فنانة محترفة، ثم إن منشور الإنستغرام، والقصيدة الصغيرة، وجملة لترقد بسلام، عناصر تثير الشك والريبة".

قال يوسف، وقد عجز عن التفكير، والتفوّه بأي كلمة أكثر من قوله: "تبًا".

مشى وجيسيكا نحو السيارة وفي أثناء ذلك تابع القول: "ربما أنهت ليزا تلك اللوحة، وقد يكون أخذها الرجل... عندما لم تكن إيسي في المنزل... أو أن ليزا سلّمتها إلى الرجل باليد".

قالت: "ليس بالضرورة، فربما استخدمت رسولًا لإيصالها إليه، أو استعانت بخدمة التوصيل"، بينما كانت تتحدّث وردتها رسالة نصية، ففتح يوسف باب السائق في الوقت الذي كان يقول فيه: "صحيح، ولكن يمكننا تقصّي تلك المعلومات، كما يمكننا التواصل مع كبرى شركات التوصيل على الفور للتأكّد من ذلك الاحتمال".

حدّقت جيسيكا إلى هاتفها، وتنهّدت بعمق، ثم أعادته إلى جيبها.

سألها يوسف، وهما يغلقان بابي السيارة: "ما الأمر؟".

ردّت عليه قائلة: "لقد عُثر على جثة شابة تبلغ عشرين عامًا تقريبًا في أورينكولاهتي، وهي تطوف على سطح الماء على الشاطئ".

سألها: "ربما تكون...".

ردّت قائلة: "كلا، إنها تحمل بطاقة شخصية في حقيبة ظهرها، وهي أوكرانية الجنسية".

شغّل يوسف مُحرك السيارة، ثم أسند رأسه إلى مسند الرأس، فتنهّدت جيسيكا مرة أخرى، وقالت: "هذا مقيت للغاية".

ردّ قائلًا: "بالفعل، ومن يدري، ربما سنحقّق في قضيتها أيضًا".

قالت: "أو قد نحقّق في قضيتها فقط، ما لم نتوصّل إلى أدلة أكثر منطقية بشأن هذين المدونين، فالجثة هي جثة، ولكن الشخص المفقود ليس أكثر من شخص مفقود".

في الوقت الذي بدأ فيه يوسف بالانطلاق بالسيارة، حدّقت جيسيكا إليه، ثم نظرت فجأة إلى الباب الأمامي لمبنى ليزا.

قالت له: "انتظر".

أوقف يوسف السيارة وسألها: "ماذا؟".

أشارت جيسيكا إلى لوائح الأسماء والأرقام بجوار باب المدخل الأمامي، وهي تقول: "ألم يقل ذلك الرجل العجوز بأن الجرس قد أُصلح للتو؟".

ردّ قائلًا: "بلى".

سألت: "هل تعتقد أنه كان معُطّلًا يوم الأربعاء الماضي؟".

قال لها: "ربما، وماذا يعني ذلك؟".

قالت: "إذا كان معطلًا، يعني أنه تحتّم على الرجل الياباني الاتصال بليزا للدخول إلى المبنى".

12

توقّف يوسف في مكانه عندما توهّجت إشارة المرور باللون الأحمر، ثم رفع صوت الموسيقى قليلًا، فبدأ إيقاع أغنية لاهدن سينينن لفرقة إس.إم.سي هودراتس بطيئًا وساحرًا، ولكن جيسيكا لم تحرّك ساكنًا، إذ نادرًا ما تثير إحدى أغاني يوسف اهتمامها، لأن قوائم التشغيل الخاصة به تكون مغايرة لذوقها، وتشكيلة يوسف عبر سبوتيفاي غنية بالألحان الموسيقية التي لم يتمّ تشغيلها كثيرًا في قوائم الأغاني التجارية الإذاعية، فهي ليست موسيقى الراب الفنلندية على الإطلاق، وهناك متسع كبير لنمط البانك والفن البديل.

قالت جيسيكا ليوسف: "يستحسن أن تضع لحنًا من ألحان موسيقى البوب".

ردّ عليها قائلًا: "يمكنك أن تضعيه بنفسك".

فقالت له: "ولكنها سيارتك الخاصة".

همهم يوسف: "بالضبط".

تحوّل ضوء إشارة المرور من الأحمر إلى الأخضر، فانضمّا إلى طابور طويل من السيارات التي توزّعت على أربعة مسارب بجوار حديقة سيبيليوس. حدّق يوسف إلى النصب التذكاري العائد إلى الموسيقي المشهور، فرأيأيأ السائحين يتهافتون إلى رؤيته عن قرب، إذ كان يُفترض أن الحافلات التي نقلتهم إلى هذا المكان، قد ركنت في ميريكانونتي، وستتابع طريقها إلى كنيسة تيمبيلياوكيو. كما كان يجلس متشرد على مقعد الحديقة الأقرب إلى الطريق، بينما كانت تتراقص الأغصان المتعرية من الأوراق فوقه، كلما هبت الرياح.

نظر يوسف إلى جيسيكا التي كانت تنظر بدورها إلى النصب التذكاري أيضًا، ولكنها في الواقع كانت تحدّق بصمت عبر النافذة غير مبالية بما تراه في الخارج،

وهذا ما تفعله دائمًا في أثناء التحقيق في القضايا التي تتسلّمها، فتكون شاردة الذهن، وهي تنظر إلى واقع آخر حتى تومض في ذهنها بعض الأفكار المبتكرة، بعد أن تغوص في العالم من خلال تأمله باهتمام واستفاضة، وهذا ما جعل يوسف يجد ذلك الأكثر جاذبية فيها.

لكن جيسيكا لم تتفوّه بالكثير من الكلام اليوم، بل اكتفت بالتأمّل عبر الزجاج الأمامي، وهي تتنهّد بعمق وحسب.

سألها يوسف: "هل أنتِ على ما يرام؟".

تجهّم وجه جيسيكا، وقالت: "ما رأيك؟".

لم يكن لديه إجابة على سؤالها، ففكّر في ما يمكن أن يردّ عليها بحيث لا يبدو ما يقوله تنازلًا عن كرامته.

لم تستطع جيسيكا تحمّل اختبار الكبرياء، فقالت له: "هل أمورك على أفضل ما يرام؟".

في تلك الأثناء رنّ هاتف يوسف، فتردّد صوت الرنين عبر مكبرات صوت السيارة، فأظهرت الشاشة الصغيرة على لوحة السيارة اسم *نينا روسكا*. نظر يوسف إلى جيسيكا نظرة حيرة واضطراب، وعندما لم يجد تبدلًا في تعابير وجهها، أجاب قائلًا: "مرحبًا، نينا".

ردّت بصوت هادئ خالٍ من اللهفة، وهو الانعكاس الأمثل للمزاج السائد في الوحدة في هذه الأيام: "أهلًا، هل أتّصل بك في وقت غير مناسب".

أجابها: "كلا، ولكننا في السيارة".

سألته: "هل تتحدّث إليّ عبر مكبر الصوت؟".

ازدرد يوسف لعابه، وألقى نظرة أخرى على جيسيكا، إذ لم تكن العلاقة بين المرأتين قائمة على الود تمامًا منذ أن تبيّن أن جيسيكا كانت على علاقة غرامية قصيرة الأمد، أو على نحو أدق علاقة دامت ليلتين فقط مع زميلها ميكائيل، الذي كان صديق نينا في ذلك الوقت. وحقيقة أن ميكائيل تحوّل في النهاية إلى فئة القتلة لم

تحدث أي فرق، لأن الخيانة تبقى خيانة بغض النظر عن الصفة التي يتّسم بها ذلك الشخص.

قال، وهو يضغط على شفتيه معًا: "نعم".

لم يبدُ أنها تريد إلقاء التحية على أحد سواه، وفي النهاية شبكت جيسيكا ذراعيها، وأغمضت عينيها قائلة: "إنني هنا أيضًا".

لكن لغة جسدها، أشارت إلى أنها لم تكن تودّ أن تكون طرفًا في تلك المحادثة، وبعد دقيقة من الصمت، قالت نينا من خلال المكبر: "أهلًا بك في القضية".

سألتها: "أتعنين قضية الإنستغرام؟".

أجابت مؤكدة: "نعم".

سألتها: "لكن... ألم يُعثر اليوم على جثة فتاة في أورينكولاهتي؟".

ردّت قائلة: "وماذا يعني ذلك؟ هل تقصدين أنكم لستم بحاجة إليّ، أيها الرفيقان؟".

انحنى يوسف انحناء حادًا ليبدّل محول التروس، وهو يقول: "بالطبع، لا".

إنها عادة متأصلة تنتقدها جيسيكا باستمرار.

قالت جيسيكا: "لقد افترضت أن هيلو ستسلّم القضية لكل من يكون متاحًا للتحقيق فيها".

قالت نينا: "حسنًا، سأنضمّ إليكم في هذه القضية، على الأقل في الوقت الحالي".

يمكن لجيسيكا ويوسف سماع نقر الأصابع على لوحة المفاتيح والعطس الخفيف غير الواضح في الخلفية، وعلى الأرجح أنه عطاس راسموس، مع أن الأمر لا يصدّق. كيف يمكن أن يكون ذاك الشاب البالغ من العمر 34 عامًا يعاني دومًا من البرد المزمن، ولا يزال يلتقط أي جرثومة منذ وجوده على هذا الكوكب.

سعل يوسف بعد أن غطّى فمه بقبضة يده، وقال لها: "حسنًا، هذا جيد".

شعر بأنه وسيط يتدخّل لحل شجار يوشك أن يقع. لماذا عليه أن يتحمّل كل ذلك؟ لماذا عليه أن يخسر أية واحدة منهما، في الواقع لقد مرّت شهور عديدة منذ أن خذل أي إنسان.

تابعت نينا كلامها قائلة: "أيًا يكن الأمر، فقد حصلت على بيانات أولية عن بُعد، تتعلّق بأوقات وأماكن إجراء اتصالات كلا المفقودين".

قال: "أطلعينا عليها في الحال".

أضافت قائلة: "أولًا، وفقًا لبيانات المركز الأساسية، وصل نيرفاندر إلى فينيكس، وحاول الاتصال بياماموتو عدة مرات بين الساعة 6:01 و7:32 مساء، ثم توقّف هاتفاهما عن تلقّي الاتصالات بين الساعة الثانية والثالثة والنصف من صباح يوم الأحد، وتظهر الشبكة أن آخر إشارة التقطها هاتف ياماموتو كانت في كامبي، فينيكس".

سألها: "وماذا بالنسبة إلى نيرفاندر؟".

ردّت قائلة: "التقطت آخر إشارة من هاتف جيسون نيرفاندر عند الساعة 2:04 صباحًا في فوساري، وكل ما علينا اكتشافه الآن هو ما كان يفعله على الجانب الآخر من المدينة".

سألها: "علامَ حصلت إضافة إلى ذلك؟".

أجابت: "لا شيء مهم، ولكن آخر مرة سُحب مبلغ من بطاقة ياماموتو الائتمانية كان عند الساعة 1:23 صباحًا في فينيكس، كما استعمل نيرفاندر بطاقته في محل البقالة الواقع في الطابق الأرضي من مبنى سكنه عند الساعة 12: 16 مساءً".

قال لها، وهو ينظر إلى جيسيكا: "حسنًا، شكرًا لك نينا، إننا في طريقنا الآن إلى فينيكس لإلقاء نظرة على لقطات كاميرا المراقبة، فقد قيل لنا إن حارسًا واحدًا على الأقل يتذكّر أنه رأى ليزا وجيسون في تلك الليلة". فجأة اعترضت طريقهما سيارتا إطفاء كانتا تتسابقان في عرض الطريق، وهما تطلقان صفارات الإنذار والأبواق، سألها: "هل حصلت على قائمة كاملة بالمكالمات التي أجرياها أو تلقياها تلك الليلة؟".

ردّت: "ليس بعد، ولكن راس سيجهّزها قريبًا".

سألها: "هل يمكنك مشاركتها معنا فور حصولك عليها من فضلك؟ فقد تتضمّن دليلًا مثيرًا للاهتمام".

ردّت قائلة: "سأفعل فور وصولي إلى حاسوبي المحمول".

في أثناء قيام جيسيكا بتوجيه الشكر بلطف، كانت نينا قد أنهت المكالمة بالفعل.

مرّت لحظة من دون أن تنطق جيسيكا أو يوسف بأي كلمة، وقد عكس الأسفلت الرطب الأضواء البرتقالية المتوهجة والمنبعثة من المصابيح المنتشرة على الطريق الذي سلكاه، ما سمح لها بالتسلّل إلى داخل السيارة أيضًاياضام.

كان المثقاب الضخم خلف مركبات البناء مثبتًا على طرف ذراع هيدروليكي هائل، وهو يحفر وسط الشارع بسهولة كما لو كان الإسفلت خبزًا يابسًا، وقد بدا على معظم العمال الذين ينتشرون حول الآلات الضخمة حالة خمول وتكاسل، *هيا يا رفاق، أنهوا امتدادًا واحدًا من الطريق على الأقل قبل أن تأخذوا استراحة التدخين.*

علّق يوسف قائلًا: "عامل واحد يعمل، والآخرون يشرفون عليه"، ثم اجتازت عدة سيارات الطريق الذي يقود إلى المسرب الذي تسدّه الأعمال الجارية في الطريق، وما إن لاحظ يوسف أن تعليقه لم يصل إليها، قال لها: "جيسيكا؟".

ردّت قائلة: "ماذا؟".

قال: "سيكون كل شيء على ما يرام، تحتاج نينا إلى القليل فقط...".

نظرت جيسيكا إلى يوسف وسألته بشكل مفاجئ: "لماذا انفصلت عن آنّا؟".

سألها: "ما علاقة هذا الموضوع بما أخبرك به؟".

ردّت قائلة: "لأنه لم يسبق أن أخبرتني عن سبب انفصالكما".

قال لها: "لا أودّ تناول تلك المسألة، على الأقل ليس الآن".

عاودت جيسيكا النظر إلى الأضواء البرتقالية، وقالت له: "حسنًا، دعنا ننسَ أمر نينا وآنّا، ونركّز على القضية".

توقّف يوسف أمام ملهى تافاستيا الليلي في أورهو كيكوسن كاتو، ففتحت جيسيكا الباب قبل أن يركن السيارة.

سألها يوسف، وهو يرفع الكابح اليدوي: "هل أنت مستعجلة إلى هذا الحد؟".

أجابته مؤكدة: "ليس لدينا الكثير من الوقت".

خرج يوسف من السيارة حاملًا محفظته، وقال لها: "يمكنك أن تسبقيني إلى الملهى، وسوف ألحق بك، بعد أن أشتري السجائر من المتجر".

قالت له: "لا تتأخّر كثيرًا".

انطلق يوسف في الاتجاه المعاكس مهرولًا، بينما دسّت جيسيكا يديها في جيبي معطفها، واجتازت الشارع، ثم وقفت أمام أبواب مركز التسوق الذي يقع عند الناصية، وعندما انفتحت الأبواب الزجاجية، دخلت الممر الدافئ وانتظرت عودة يوسف.

عندما اقتربت الحافلة من المحطة القريبة من مركز التسوق، أصدرت هسيسًا هيدروليكيًا قويًا، فلاحظت جيسيكا ذلك الشكل الغريب الذي ينتظر في محطة الحافلات، يشبه غرابًا مرعبًا يغوص في الحقل، فخفق قلب جيسيكا بسرعة، ولجزء من الثانية تخيّلت أنها ترى كائنًا سبق لها أن رأته عدة مرات من قبل، وعندما رفع ذلك الشكل بصره عن الأسفلت الرطب، بدا أن أبواقًا طويلة ومنحنية تبرز من رأسه، وبعد ذلك حجبته الحافلة المتوقفة قرب الرصيف عن نظرها، وعندما تحرّكت مرة أخرى اختفى كليًا.

مسحت جيسيكا الحافلة بعينيها في أثناء مرورها، ولكنها لم ترَ أي راكب فيها.

13

فتحت هيلينا لابي تطبيقًا عبر هاتفها يمكنه أن يجمع البيانات وينسقّها، والتي سبق أن جمعتها بواسطة متعقب نشاطها الصحي، فهي تراقب تطوّر حالة جسدها منذ ستة أشهر، وقد شهدت تحسنًا في مختلف المجالات التي يتطلّب الحذر منها، وقد انعكس ذلك إيجابًا على صحتها، فأصبح نومها منتظمًا، وارتفع مستوى التعافي الذي يظهر كل صباح أنه يتحوّل تدريجيًا من اللون الأصفر إلى اللون الأخضر، ولكن معدل ضربات القلب اللعينة لاتزال منخفضة بشكل غير طبيعي، وهذا يقودها إلى الجنون.

دخل نائب رئيس الشرطة، جينس أورانين، إلى مكتبه وتقدّم بخفة إلى منضدته قائلًا: "صباح الخير، يا هيلينا". يختلف مستوى مكتبه وكرسيه القابلين للتعديل كهربائيًا عن كرسي هيلو ومكتبها المتواضعين، فمكتب أورانين أكبر من مكتبها الذي يقع أسفل مكتبه بطابقين، كما تلازم نائب الرئيس امتيازات تُخلّف انطباعًا خاصًا يفيد أن أفضل أيامه قد ولّت، ومن دون زيه الأزرق الأنيق، وخاصة بعد ارتدائه الآن سترته البيج الفضفاضة، وبنطاله الجينز الأسود، يمثّل صورة أب ينتظر بدء مباراة الهوكي المسائية، وهو يمسك جهاز التحكم بإحدى قبضتي يديه وزجاجة الجعة باليد الأخرى.

سألها من دون أن يشيح نظره عن هاتفه: "كيف حالك؟".

قالت له: "بدأنا اليوم بالتحقيق في قضية ياماموتو".

أبعد أورانين نظره عن هاتفه، ثم تجهّم وجهه، وهو ينظر إلى هيلو، ويهزّ رأسه قائلًا: "يتصدّر ذلك الخبر كل الصحف".

قالت له: "أعلم ذلك".

أومأ نائب الرئيس إليها برأسه، ثم أسنده إلى ظهر الكرسي، وهو يلقي بالهاتف بشكل عرضي على المكتب، وقال: "يسعدني أن فريقك يحقّق في تلك القضية".

قالت له: "إننا نأمل في أن نحلّ تلك القضية بأقصى سرعة".

ردّ قائلًا: "هذا ما أتوقّعه بالضبط".

قالت هيلو، وهي تشكّ في احتمال سحب البساط من تحت قدميها: "حتى ذلك الحين سيظلّ احتمال ارتكاب جريمة قتل أمرًا مشكوكًا فيه إلى حد ما".

قال: "ولكنك لم تُجرِ كثيرًا من التحقيقات حتى الآن، أليس كذلك؟".

ردّت قائلة: "كلا، باستثناء ظهور ضحية أورينكولاهتي".

قال أورانين، وهو مشتّت الذهن: "حسنًا"، ثم استعاد هاتفه مرة أخرى، وحدّق إليه لفترة طويلة من دون أن ينبس ببنت شفة.

تململت هيلو في مقعدها، ونظرت إلى ساعتها، وقالت: "ماذا أستطيع أن...".

وضع أورانين هاتفه على المكتب وقال لها: "جيسيكا نيمي".

خفق قلب هيلو بسرعة، وسألته: "ماذا بشأنها؟".

أرجع أورانين ظهره إلى الخلف مجددًا، وتأمّل هيلو مطولًا، فبدا مثل جراحٍ غير متأكد من كيفية إبلاغ مريضته بأنه نسي مقصًا في بطنها، وأخيرًا سألها: "كيف تبدو علاقتك بنيمي؟".

أجابته: "على أحسن حال، بالتأكيد".

تململت هيلو، فهي في الواقع لا تستطيع تحمل تصرفات نيمي السيئة، وتخشى أنها لا تستطيع كبح جماح مرؤوستها، وهذا ما جعلها تكزّ على أسنانها، فقد عرف سلفها إرني ميكسون جيسيكا عن ظهر قلب، وتحكّم في دوافعها إلى التمرد، ما جعله يُطلق أفضل ما لديها، وإذا لم تفعل هيلو الأمر نفسه، فستكون فاشلة في أعين الجميع عندما يقارنونها بإرني، وسيضحك الإستوني الذي طرحه إدمانه على المخدرات في قبره في كل مرة تتساءل فيها السيدة نيمي الوقحة حول السلطة التي سعت هيلو إلى كسبها.

واصل أورانين التحقيق معها قائلًا: "هل أنت متأكدة من ذلك؟".

أوضحت هيلو وهي تحاول إظهار أكبر قدر ممكن من الثقة بالنفس: "لا أواجه أي مشكلة مع نيمي، لكن لماذا تسألني عن ذلك؟".

همهم أورانين كما لو أنه يعرف جيدًا أن هيلو توشك أن تنهار.

قال لها: "اسمعي، أنا لا أعرفها جيدًا... ولكنها شرطية متميزة بشكل استثنائي، وهي بارعة حقًا في التحقيق في جرائم القتل، إلا أنها شخصية معقدة، كما عرفت، ولكن غالبًا ما يكون الأفضل غريب الأطوار بعض الشي، فهي مُبادرة، وذكية، وفوق كل ذلك تحسن التعاون مع المجموعة، ويبدو أن زملاءها يكنّون لها كثيرًا من الاحترام".

اكتفت هيلو بإيماءة خفيفة برأسها، بعد أن صوّر جيسيكا نيمي، وكأنها شخصية عظيمة في فيلم يعشقه النقاد، ولكن هيلو نفسها لا تستطيع أن تتحمّل تصرفاتها.

مرّت الثواني ثقيلة، بينما كان أورانين ينسّق بحذرٍ عباراته التالية، إلا أن الفضول دفع هيلو إلى أن تسأله بشكل مفاجئ: "ما الذي يجري؟".

نظر نائب الرئيس إليها باهتمام، وشفتاه تكادان أن تنطقا بما يُخفيه، ثم قال: "لقد فكّرت مطولًا في أن أشاركك ما أعرفه، وقد تردّدت كثيرًا في إبلاغك به، ولكن بما أنك المديرة الجديدة... ولم تتح لك الفرصة حتى الآن لتوطيد علاقاتك مع أي فرد في الوحدة، افترضت أنك ستكتمين ما سأطلعك عليه عن أي شخص في هذا القسم".

قالت له: "بالطبع، لا".

قال: "لقد جرت الكثير من الأحداث السيئة هذا العام، وفي وحدتك على وجه التحديد، ولكنني أجهل كيف يمكنني صياغة ما سأخبرك به، فبعد وقوع سلسلة غير متوقعة من التقلبات والمنعطفات استطعت أن أكتشف معلومات حساسة إلى حد ما. كان مكتب التحقيقات الفيدرالي يحاول السيطرة على جرائم القتل الغامضة في

الربيع الماضي، وقد بدا الوضع برمته يشبه السحر، بعد توظيف ميكائيل كارينيمي، واحتلال جيسيكا نيمي مكانة رفيعة جعلتها محور اهتمام الجميع...".

قاطعته هيلو قائلة: "عن أي معلومات تتحدّث؟"، لماذا قد يجبرها الآن نائب رئيس الشرطة على التسول إليه والنواح مثل طفل يبلغ السادسة من عمره للحصول على قطعة حلوى من المحل الذي تقف أمامه مباشرة؟

زفر أورانين مطولًا، وقال لها: "نظرًا إلى تاريخ جيسيكا نيمي الطبي، لا يبدو واضحًا إذا كان ينبغي لها أن تكون شرطية".

شعرت هيلو بتسارع نبضها وانخفاض معدل ضربات قلبها، فسألته: "لم أفهم ما الذي تقصده؟".

قال لها: "هذه المعلومات، بالطبع، سرية للغاية، ومن المفترض أن المستندات التي في حوزتي أصلية، على الرغم من أن المعلومات التي تحتوي عليها لم تُدخل إلى قاعدة البيانات، وأشكّ في وجود أي أثر لها في سجلات نيمي الطبية".

ارتسم حاجبا هيلو وشفتاها على شكل خط ثابت، وقالت: "ما الذي تتحدّث عنه بالضبط؟".

قال لها: "اسمعي، يا هيلو، أريد أن أؤكّد على أن تلك المعلومات سرية للغاية، وأننا بحاجة إلى الحذر، إذا قرّرنا المضي قدمًا، كما أننا بحاجة إلى تطوير استراتيجية سليمة، وإلا سينفجر الوضع وينعكس علينا سلبًا جميعًا، وهذا ما لا نريده، أليس كذلك؟".

ردّت قائلة: "بالطبع لا، لكن...".

قال: "أنت تعلمين أن الشرطة العسكرية تجري تحقيقًا أوليًا لجميع المتقدمين إلى كلية الشرطة".

قالت له: "بالطبع".

قال: "حسنًا، منذ عدة أسابيع، طلبت التقصّي حول الموضوع بتكتم، وإجراء تحقيق سري حول نيمي، فتبيّن أن كمية كبيرة من المعلومات قد حذفت إما عن

قصد أو عن غير قصد، من تقرير الشرطة العسكرية الذي سُلّم عام 2007، ولم تكن تلك المعلومات بالضرورة ستُعرقل توظيف نيمي، ولكن تأثيرها ما كان سينعكس إيجابًا عليها ولو على الورق، وقد أدّى إرني ميكسون دورًا كبيرًا في إخفاء تلك المعلومات، ففي ذلك الوقت كانت له يد في الشرطة العسكرية، وقد نجح في أن يزيل العوائق التي يمكن أن تعترض طريق نيمي".

سألت هيلو التي بدت متفائلة أكثر مما تكون عليه عادة: "هل تستّر ميكسون على جرائم قديمة ارتكبتها نيمي؟".

هزّ أورنين برأسه قائلًا: "لا جرائم، بل إنه يتعلّق بأمر آخر، فأنت على وشك الحصول على معلومات سرية للغاية"، ثم دفع ملفًا إلى المكتب، وهو متجهّم الوجه، وقال: "ما يهمّ في الأمر، والغريب أن..."، صمت لبرهة، ثم تابع كلامه قائلًا: "المعلومات التي وصلتني تشير إلى أن نيمي تعاني من مرض نفسي منذ سنوات طويلة".

شعرت هيلو بالصدمة الممزوجة بالبهجة في الوقت نفسه، أخيرًا أصبح لديها سلاحٌ يمكن أن تستخدمه ضد نيمي، فسألته: "مرض نفسي... ما طبيعة ذلك المرض؟".

أجابها: "إنه نوع من الفصام".

14

سمعت نينا روسكا صفارات الإنذار عبر الخط، وهي تبعد الهاتف عن أذنها، ثم لمست رمز إنهاء المكالمة الأحمر، فتوارى اسم يوسف عن الشاشة، ثم نظرت عبر مكتبها إلى راسموس الذي كان يعمل بجد، وقد اخترقت يده كرة من الشعر كانت تغطّي فمه، فسألته نينا وهي تفتح غطاء زجاجة الماء: "هل لديك نزلة برد؟".

أجابها راسموس بهدوء: "كلا، لماذا؟".

ربما كان راسموس ينام بالفعل وذيل قطة في فمه، فنظرت نينا إليه ثم هزّت رأسها قائلةً: "لا تعر كلامي اهتمامًا".

سألها: "هل كان المتصل يوسف؟".

أجابته: "نعم، وهو يتوجّه وجيسيكا إلى ملهى نافاستيا لمشاهدة لقطات كاميرات المراقبة في فينيكس".

قال راسموس قبل أن يعاود النظر إلى شاشة حاسوبه: "حسنًا"، ثم أغمضت نينا عينيها، وانحنت إلى الأمام، وتركت أناملها تغرق في عضلات رقبتها، فلا تزال تشعر بآثار صخب ليلة السبت على جسدها. فقد كان الأسبوع الماضي حافلًا للغاية، ما لم يترك لها مجالًا لزيارة صالة الألعاب الرياضية، حتى ولو لمرة واحدة، وبدلًا من ذلك ذهبت إلى الحانة لثلاث ليالٍ على الأقل بعد انتهاء دوام العمل، وبطريقة ما انعكس ذلك على المرآة صورة مشوهة لروتينها المعتاد، بعد أن كانت تمارينها الرياضية حدثًا يوميًا.

كما أنها لم تفرط في الشرب كل ليلة، بل كانت تحتسي بضع أقداح صغيرة يوم الأربعاء، ومثلها يوم الخميس، ونصف دزينة من الجعة يوم السبت، ما كان يمنحها الشجاعة لركوب سيارة الأجرة إلى جانب طبيب حسن المظهر، وفي نهاية المطاف

فقد السيطرة على أعصابه، ودفع بخجل خاتم زفاف إلى إصبعه الأيسر أمام باب نينا الأمامي، *لا أستطيع أن أفعل ذلك بنينا.*

يا له من موقف عظيم! أنا سعيدة للغاية، لأنك اكتشفت الأمر أمام عتبة بابي، اغرب عن وجهي، أنت وضميرك الحي.

ناداها راسموس بصوت هادئ عندما انتهى من القرصنة موقظًا إياها من أحلام اليقظة: "نينا؟".

أجابته: "ماذا؟"، وقد أصابتها نوبة سعال بعد أن ارتشفت من الزجاجة رشفات متتالية سدّت بالخطأ مجرى تنفّسها.

عدّل راسموس نظارته، وقال لها: "إنني أقرأ وصف غامي هارغولا للمنطقة التي عُثر فيها على الجثة، وقد تبيّن أن المرأة لم تكن ترتدي أي ملابس خارجية، كما لا تظهر على جسدها علامات واضحة تدلّ على العنف، وقد ظلّت في الماء لبضعة أيام".

قالت نينا في الوقت الذي سعلت فيه، وهي تغطّي فمها بقبضة يدها: "ما علاقة ذلك بـ..."، المياه التي علقت في مجرى قصبة نينا الهوائية جعلتها تفكّر في احتمال الغرق، فالعجز الذي يشعر به المرء عندما لا يستطيع أن يسعل في عمق الماء، وشقّ المياه طريقها إلى الرئتين دافعة الأوكسجين إلى الخارج، جعلاها تفكر في أن ذلك ما حدث للسيدة في أورينكولاهتي، يا لها من طريقة مروعة للموت!

ضاقت عينا نينا، وقد هدّأت قليلًا من روعها قائلةً: "راس، هل تعتقد أنه يتحتّم علينا أن نركّز على هذه القضية؟ دع المحقّق المسؤول عن تلك القضية يحلّها".

قال: "لكن لا يمكنني الكف عن التفكير في حقيبة الظهر...".

سألته: "ما علاقة حقيبة الظهر؟".

ردّ قائلًا: "عُثر على البطاقة الشخصية للمرأة داخل حقيبة ظهرها التي كانت تحملها".

سألته: "وماذا يعني ذلك؟".

أجابها: "حسنًا، لم تكن ترتدي معطفًا، ومع ذلك كانت تحمل حقيبة ظهر، ألا تجدين ذلك غريبًا، بالنظر إلى أن درجة الحرارة التي كادت أن تصل إلى درجة التجمد؟".

مسحت نينا عينيها الدامعتين بطرف إبهامها، وقالت: "هل تلك المسألة تثير الفضول؟ نعم، ولكن هل هي تعنينا؟ بالتأكيد لا".

قال لها: "لماذا قد ينتهي الأمر بأحد ما إلى الغرق في البحر في شهر تشرين، وهو يحمل حقيبة ظهر، ولكنه لا يرتدي معطفًا؟".

ردّت قائلة: "ربما سقطت عن سطح سفينة سياحية".

قال: "لقد تحقّقت بالفعل من قوائم ركاب شركات النقل الكبرى... ومن خفر السواحل...".

قالت نينا متوسلةً: "راس..."، لم تعد تمتلك الطاقة الكافية للصد والرد عليه، فلديها ما يكفي من التعقيدات التي يتحتّم عليها حلّها بالنسبة إلى حادثة اختفاء يامامو تو ونيرفاندر.

تبيّن أن راسموس لم يكن ينوي الاستسلام، فقال لها: "اسمها لم يظهر في أي قائمة، وعلاوةً على ذلك، لم تُبلّغ الشرطة باختفاء أي راكب من أي سفينة، أكانت صغيرة أم كبيرة، وإذا أجرينا تحقيقًا حول السفن التي تنقل الركاب الراسية قبالة سواحل هلسنكي، فيمكننا أن نستبعد ذلك الاحتمال، كما أن الجثة بدت في حالة جيدة عندما عثر عليها و..."، رمقت نينا راسموس نظرة حادة، كالتي تنظر بها إلى الذين تنوي إسكاتهم، ولا سيما الرجال غير الواثقين بأنفسهم، كراسموس، وقالت له: "يكفي، يا راس، ظننت أنك منشغل بتفقد حساب الإنستغرام الخاص بأكيفومي".

قال لها: "إنني أتفقّده بالفعل، ولكن...".

ردّت قائلة: "ولكن ماذا؟".

قال لها: "ورد في التقرير أنها كانت ترتدي جوربين يصلان إلى الركبتين وتنورة قصيرة خزامية وقميصًا أبيض وربطة عنق".

"وماذا يعني ذلك؟".

أدركت نينا الآن أن الشك المرتسم على وجه راسموس جعله مصممًا على المضي قدمًا في المسألة، فهو ينظر إليها كما لو أنها أغفلت أمرًا أساسيًا لا يمكن إغفاله، فسألته: "ما الذي تحاول أن تخبرني به، يا راس؟".

أزاح حاسوبه حتى يتمكّن من رؤية وجه نينا بشكل مباشر، وقال لها: "ألا يعني بالنسبة إليك شيئًا أنها ترتدي جوربين يصلان حتى الركبتين، وقميصًا أبيض، وتنورة قصيرة خزامية، وربطة عنق، وحقيبة وردية؟"، كانت تظهر القشرة التي تراكمت على كتفي سترته بشكل واضح من مسافة مترين.

أخيرًا أدركت ما الذي يحاول أن يخبرها به، فقالت: "اللعنة، يا راس، هل تقول...".

قاطعها قائلًا: "يبدو الأمر كما لو أنها خرجت مباشرة من مجلة مانغا".

15

سمعت جيسيكا صوت وقع أقدام خلفها فتنحّت جانبًا، لتمرّ امرأة تضع وشمًا، وهي تدفع عربة يدوية تكدّست عليها صناديق الخمر، إنه وقت الغداء، ولكن الاستعدادات لليلة القادمة جارية على قدم وساق، فتردّد صدى ثرثرة الموظفين في الملهى الليلي، وانبعث من الزجاجات التي تنتقل من الصناديق إلى الثلاجات في أسفل البار جدارًا صلبًا من الأصوات المدوية.

فتح الرجل الذي يرتدي جينزًا وسترة بابًا كُتب عليه *للموظفين فقط*، وقال باللغة الإنكليزية: "يمكن استخدامها بهذه الطريقة". قدّم المدير العام للملهى الليلي نفسه قبل النطق بتلك العبارة متبعًا أسلوب جيمس بوند في التعريف عن نفسه: *دومينيس، فرانك دومينيس.*

سأل وهو يبعد خصلات شعره الأسود الطويل والمجعد عن جبهته: "هل تعرفون، يا رفاق، كيفية استخدام هذه؟".

ألقت جيسيكا نظرة سريعة في أرجاء الغرفة، فبدت مليئة بالإيصالات والمجلدات، والمكتب الوحيد في الغرفة كان عليه حاسوب وعدد من الشاشات، وقد دُفعت أريكة جلدية سوداء رخيصة مقابل الحائط، وقد بدت مرقطة مثل جلد النمر تحت توهّج الضوء الأبيض.

تشتهر هذه الأماكن بأنها تشهد أحداثًا كبيرة، فقد قام العشرات من أعضاء الأندية بلا شك ببسط أرجلهم في هذه الغرفة، كما دخل إليها كبار الشخصيات.

تخطّى يوسف جيسيكا، وجلس إلى المكتب قائلًا: "أنا متأكد من أنه يمكننا التصرف بحرية مطلقة".

ثم أضاف قائلًا: "يمكنك ضبط الإطار الزمني هنا، واختيار الكاميرا هناك، فلدينا كاميرتان عند الباب الأمامي، وواحدة في المصعد، وواحدة في غرفة تسليم المعاطف وواحدة في البار...".

ابتسم يوسف لدومينيس ابتسامة باردة، وقال له: "شكرًا، فرانك، أعتقد أنني سأتولّى الأمر".

"بالطبع، أيها المحققان".

طوى دومينيس ذراعيه أمام صدره، وابتسم لجيسيكا ابتسامة غامضة، فبدت نظرته حادة ومثيرة، إذ إنه معروف بأنه زير نساء ومحترف إلى درجة أنه لا يُظهر نظراته الفاحصة إلى جسد المرأة، ليكشف عن أجندته في وقت قريب جدًا، ومن الواضح أن دومينيس من الرجال الذين تُحسب براعتهم السطحية بحذر، ولهذا السبب تقدّم بشكل مستقيم إلى الأمام، وسألها: "يبدو وجهك مألوفًا حقًا، هل زرت هذا المكان من قبل؟".

شعرت جيسيكا بتيار هوائي منبعث من شفرات مروحة السقف، كان يتلاعب بشعرها المنسدل على كتفيها، فردّت عليه بفتور: "كلا".

لكن الحقيقة هي أنها لا تمانع المزاح، فدومينيس يشبه قليلًا هانك مودي بطل مسلسل كاليفورنيكيشن، وتلك السنوات التي قضاها في العمل حتى وقت متأخر من الليل، منحته كاريزما كتلك التي لدى رئيس جمهورية، وعلى الرغم من جدية الاجتماع، يبدو أنه ممتع ومسلٍ.

أصرّ دومينيس عليها قائلًا: "يمكنني أن أقسم إنني رأيتك في هذا المكان سابقًا".

قالت جيسيكا بأسلوب لبق، وهي تنتظر أن يفتح يوسف ملفات الفيديو: "ربما حصل ذلك قبل عشر سنوات".

قال لها، وقد كشفت ابتسامته عن أسنانه المتناسقة والبيضاء: "ربما تكرّرين الزيارة في عطلة نهاية الأسبوع بعد مرور عشر سنوات، فالأحداث قد تتغيّر دومًا".

شعرت جيسيكا بأنه يبدو في بعض النواحي نسخة متألقة ومنفتحة من إرني، قالت: "لقد فهمت أننا سنكون قادرين على التحدث إلى الحارس".

قال دومينيس بلطف، وهو يشير برأسه نحو الباب المفتوح، الذي ظهر منه رجل ضخم يتصبّب عرقًا، ويرتدي سترة فضفاضة: "صاحب...".

مدّ الحارس يده نحو جيسيكا معرفًا بنفسه: "صاحب عالم".

نظرت جيسيكا إلى مظهر عالم المتناقض، وهي تلقي عليه التحية: كان رأسه حليقًا، وله أذنا ملاكم زهريتا اللون، وعينان رقيقتان وعميقتان، وقد قبضت أصابع يده الشبيهة بالمخالب على يدها بحذر شديد، كما لو كان يخشى إيذاءها.

قالت له قبل أن يُفلت يدها: "المحققة نيمي".

قال لها: "طلب مني فرانك الحضور".

نظرت جيسيكا إلى الرجل المحترم ويوسف الذي يركّز على شاشة الحاسوب، وقد أصبحت الغرفة ضيقة قليلًا بوجود أربعة أشخاص في داخلها.

أومأت جيسيكا إلى النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف، والشرفة الزجاجية خلفها، وقالت: "أقدّر قدومك، أيمكن أن نجلس هناك؟".

طلب دومينيس إعلامه إن احتاجوا إلى أي مساعدة، ثم توجّه إلى الملهى، وبينما كانت جيسيكا تتقدّم في اتجاه النوافذ، ألقت نظرة أخيرة خلفها على مدير النادي، وهو يدخل خلف البار مع باقي الموظفين.

16

سحب عالم علبة معدنية من جيبه، وأشعل سيجارة، في الحال شمّت جيسيكا رائحة البيوتان قبل أن تنطفئ الولاعة، ويضعها في جيبه المبلل بالعرق، وقد شحذ تسلسل الحركات، من خلال تكرارها آلاف المرات، وهو مظهر بسيط وأنيق بالنسبة إلى شخص مدخن.

قالت جيسيكا: "هل تعرف ليزا ياماموتو؟".

ردّ قائلًا: "لا أعرفها معرفة شخصية، وإنما تعرّفت إليها من خلال عملي في هذا الملهى".

سألته قائلة: "هل ترتاد الملهى كثيرًا؟".

سحب عالم سحبة من سيجارته، وقال: "لقد عملت حارسًا أمام باب هذا الملهى في نهاية كل أسبوع على مدار خمس سنوات، ولكن كيف يمكن أن أصيغ ذلك؟ لقد اعتادت ليزا أن ترتاد الملهى في معظم الأوقات، ولكنها لم تعد تزوره كثيرًا في الآونة الأخيرة، وأيًا يكن الأمر أعتقد أن كل العادات تصبح قديمة مع مرور فترة من الزمن"، نفث الدخان في اتجاه السخانات في السقف، والتي تعمل بالأشعة تحت الحمراء، فتبدّد مع ضباب مظلل يميل إلى الحمرة.

سألته جيسيكا: "هل رأيتها يوم السبت؟".

ردّ قائلًا: "نعم".

قالت له: "حدّثني عنها كما تراها بأسلوبك الخاص".

سألها: "أتريدين أن أتحدّث عن ليزا؟".

قالت له: "بل حدّثني عن حفلة كيكس مايس التي أُقيمت في تلك الليلة، هل لفت نظرك أمر مريب أو تناهي إلى سمعك ما يعدّ خارجًا عن المألوف ويمكن أن

يكون له علاقة باختفاء ليزا في ذلك الحين؟".

بينما كان عالم يسحب سحبة طويلة من سيجارته، لاحظت جيسيكا الوشم على يده وبراجمه، بينما كان دخان التبغ يتصاعد في الجو ويمتزج مع عطور ما بعد الحلاقة التي تعيد والأوشام الذاكرة إلى زمن بعيد يعود إلى وقت طويل مضى.

استعادت ذكرى رؤيتها عن قرب، وهي مبطوحة على السرير، وتشعر بهزة الجماع المدمرة، وبعد ذلك تتمزّق الروح، ولكن اليد التي جلبت لها السعادة العارمة، سبّبت لها ألمًا لا يمكن تصوّره؛ فلم تكن تخصّ حارسًا يُدعى صاحب عالم، بل كانت تخصّ شخصًا مختلفًا تمامًا، يعيش حياة مختلفة، شخصًا قابلته في غرفة خلفية في مكان يُقيم الحفلات الموسيقية في البندقية.

أغمضت جيسيكا عينيها للحظة، فتبخرّت الذكرى بسرعة أكبر من الوقت الذي استغرق استحضارها.

ثم نظر عالم إلى أعلى أسطح المنازل، فقالت له: "هل رأيت شيئًا غير مألوف ...؟"، قال لها: "ليس تمامًا، فقد جاءت ليزا إلى الحفل بمفردها، وغادرت قبل أن نغلق الملهى".

سألته: "هل غادرت بمفردها؟".

أجابها: "يصعب عليّ أن أجزم ذلك، فقد كان ينتظرني طابور طويل، يضمّ مئة شخص تقريبًا يريدون أن أسلّمهم معاطفهم، وأتذكّر على نحو مبهم أنها كانت تطلب مني إعطاءها أغراضها، ولكنني لا أتذكّر من كان يرافقها".

سألته: "هل كنت طوال الوقت في غرفة المعاطف؟".

أجاب: "نعم، كما قمت بجولتين في حلبة الرقص، وفي نهاية الليلة أيقظت رجلًا فقد وعيه على تلك الأريكة هناك".

سألته: "أهذا يعني أنك لا تتذكّر مع من كانت تتسكع؟".

تململ عالم، وهو يدسّ إبهاميه في جيبيه، بينما كان الدخان يتصاعد من السيجارة من بين أصابعه، فقال باللكنة الفرنسية: "يستحيل أن أتذكّر، ولكنني متأكد

من أنك سترين في لقطات الكاميرا، ما يمكن أن يجيب عن تساؤلاتك، على الأقل بما يتعلّق بمغادرتها بمفردها أو برفقة شخص ما".

لم يتفوّه عالم بأي معلومة تستحقّ التدوين حتى اللحظة، ما جعلها تضع المفكرة في جيب معطفها.

سألته جيسيكا: "هل تعرف جيسون نيرفاندر؟".

همهم عالم قائلًا: "كما أنني لا أعرف ليزا، لا أعرف جيسون أيضًا، ولكنني أعرف أنه شخصية مشهورة".

مكتبة
t.me/soramnqraa

سألته: "هل حضر الحفل يوم السبت؟".

أجابها: "كلا".

نظرت جيسيكا إلى الحارس مستغربة، وقالت: "ألم يحضر الحفل؟ فهمت من مديرك العام أنك رأيته في الملهى في ذلك اليوم".

أطفأ سيجارته عن طريق لفها في منفضة سجائر يصل ارتفاعها إلى حدود خصره، ثم فرك يديه معًا، كما لو أن ذلك سيخلّصه من الرائحة المتشبثة بيديه، وقال لها: "لقد رأيته بالفعل، ولكن جيسون لم يحضر الحفل لأنني لم أسمح له بالدخول، ففي بداية وردية عملي، تلقّيت قائمة بأسماء المدعوين، وكان يتحتّم عليّ التأكّد من ورود اسم كل من حضر، ما جعلني أطلب إبراز بطاقة هوية كل شخص لم أتعرّف إليه".

"كانت التعليمات الصادرة عن شركة كيكس للتسجيلات واضحة، وهي ألا يدخل أحدًا إلا إذا كان اسمه مدرجًا في القائمة، ولا استثناءات لا من أجل الرئيس، ولا حتى من أجل فرقة فينتلجينس".

سألته: "حسنًا، ألم يرد اسم جيسون نيرفاندر في القائمة؟".

هزّ عالم برأسه قائلًا: "كلا، لم يرد في القائمة".

سألته: "هل حاول الدخول على الرغم من معرفته أنه غير مدعو؟".

تنهّد عالم بعمق، والتفت إلى جيسيكا، وقد شبك ذراعيه أمام صدره، وقال: "لقد وقف أمامي ينتحب، ويقول إنه يعرف كيكس وفرانك وغريتا ثامبرج حق

المعرفة، ولكنني أبلغته بأن حظه سيئ، وأن القائمة هي القائمة".

أمسكت جيسيكا السياج بإحدى يديها، وقالت: "هل اعتقد جيسون أن اسمه كان مدرجًا في القائمة؟" في هذه الأثناء، بدأت قطرات المطر تهطل على سطح الشرفة الزجاجي.

هزّ عالم كتفيه وقال: "أظنّ ذلك، ولكنني لا أعرف ما الذي جعله يتوقّع أنه مدعو".

سألته: "ما الذي تقصده؟".

أجابها: "في الحقيقة، إنه من مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، ولكنه مختلف تمامًا عن طاقم كيكس، فلا يكنّ أي فرد من هؤلاء الرجال احترامًا لجيسون، لذا لم يكن مستغربًا ألا يُدعى للحفل، ولا حتى من أجل العلاقات العامة، ولا بد أنه كان يعرف ذلك تمامًا".

سألته: "متى حاول جيسون الدخول؟".

أعاد عالم يديه إلى جيبيه، ورفع ذقنه بشكل شبه خفي، فبدا كما لو أنه أراد أن يُظهر لجيسيكا مصداقيته بشكل جلي، وقال لها: "سيظهر التوقيت بوضوح على المشاهد التي التقطتها كاميرا غرفة المعاطف، قد يكون حضر بعد ساعة أو ساعة ونصف من بدء الحفل، أي في الساعة السابعة والنصف تقريبًا؟".

سألته: "هل غادر من دون إثارة ضجة عندما أخبرته بأنه لا يمكنه أن يدخل إلى الملهى؟".

قال: "لقد سخر من الحفل ومن كيكس وفرانك لدقيقة، ثم حاول الاتصال بشخص ما عدة مرات، وعندما لم يتلقَّ ردًا صرخ بحدة، وقال لي *فليذهب كيكس وفرانك إلى الجحيم*، وبعد ذلك استقلّ المصعد، ولم أره منذ ذلك الحين".

ألقى عالم نظرة على الساعة التي يمسكها براحة يده، وهي مصنوعة من فولاذ مقاوم للصدأ، وكبيرة الحجم، ولامعة.

سألته: "أذكر جيسون اسم ليزا؟ هل سألك إن حضرت؟".

هزّ عالم رأسه نافيًا، وسعل وهو يغطّي وجهه بقبضته، ثم بدأ المطر ينهمر بغزارة، والرياح تلطم الزجاج بقوة.

راقبت جيسيكا طائرًا يطير عبر الشرفة إلى أن توارى عن الأنظار، وأصبح خارج الرادار تمامًا مثل ليزا وجيسون اللذين كانا في الملهى قبل أيام قليلة، والآن لا أحد غير الله يعرف مكانهما، فربما اتّصل جيسون بليزا من غرفة المعاطف، فكان يائسًا إلى درجة أنه أراد التحدّث إليها ليطلب منها إدراج اسمه في قائمة المدعوين، ولكن ليزا لم ترغب في الرد على اتصالاته، والآن كلاهما مفقودان.

قالت جيسيكا: "أنت تعلم أنك ربما تكون آخر من رأى جيسون نيرفاندر قبل أن يختفي".

هزّ عالم كتفيه، بينما ظلت يداه مدفونتين في جيبي بذلته، وقال: "نعم، وهذا مؤثّر، ولكن القائمة هي القائمة، كما أنه رجل بالغ، وينبغي له أن يكون قادرًا على الاعتناء بنفسه، وليس لدي النية أن أقلق بشأنه بتاتًا".

استجمعت جيسيكا أفكارها بعد سماع أصوات القرع على الزجاج، فلمحت يوسف، وهو يشير إليها أن تأتي، وقد ارتسمت على وجهه ملامح لم ترَها منذ فترة طويلة، وهي ملامح الحماسة والبهجة.

17

سألته جيسيكا متعجبة: "ما الذي حصل؟"، فتح عالم لها باب الشرفة منتظرًا مرورها، كما لو أنه على رأس عمله المعتاد، وجيسيكا من رواد النادي.

خطا يوسف خطوات حثيثة في اتجاه مكتب الرجل المحترم برفقة جيسيكا، ثم قال لها: "تعالي، وألقي نظرة"، شُغّلت الموسيقى الراقصة عبر مكبرات الصوت التي تصمّ الآذان ما إن يفتح النادي أبوابه، فاندفع يوسف نحو المكتب بالقرب من مكبرات الصوت، وأمسك بالماوس، فاندفعت جيسيكا خلفه، ثم فتح يوسف نافذة في الأعلى تعرض لقطات بالأبيض والأسود، وقال لها: "هذه اللقطات من الغرفة الرئيسية، في اتجاه مقدمة حلبة الرقص".

قالت له: "حسنًا".

أشار يوسف إلى رجل يقف أمام النوافذ، وسألها: "هل ترين ذاك الرجل؟ كان من أوائل الواصلين، وقد سأله الحارس عن اسمه، ثم شطبه من القائمة، وهو الضيف الوحيد الذي لم يصعد لالتقاط الصور عندما استُدعي".

قالت له: "حسنًا، قد يكون آسيويًا، ولكنه أكبر سنًا من أكيفومي بكثير".

كبّر يوسف الصورة المتدنية الدقة، وقال لها: "لم أقل أبدًا إنني ظننت أنه أكيفومي".

سألته جيسيكا وهي تقضم أظافرها: "من يكون إذًا؟ أهو الرجل الذي اشترى اللوحة من ليزا؟".

أجابها يوسف بحماسة: "بالضبط، تحقّقي من المقطع"، قدّم بعض مقاطع الفيديو بسرعة كبيرة، فتسابقت الدقائق في أسفل الشاشة مثل الثواني.

"هل لاحظتِ ذلك؟ لقد مرّت خمس وأربعون دقيقة، ولم يتحرّك من مكانه بتاتًا، بينما الملهى يغصّ بالرواد، والناس يتخالطون، وهم يتنقّلون من مكان إلى

آخر، ولكن هذا الرجل لا يزال متسمّرًا في مكانه أمام النافذة، مثل التمثال، باستثناء إلقاء نظرة خاطفة على هاتفه عدة مرات، ومن الواضح أنه لا يعرف أحدًا، كما أن لا أحد يقترب منه ليلقي عليه التحية".

قالت جيسيكا: "إنه ينتظر حصول أمر ما".

سحب الرجل الذي ظهر في تلك اللقطات التي بدت بالأبيض والأسود هاتفه من جيبه، ونقر عليه، ثم رفعه إلى أذنه عندما أشارت الساعة إلى 18:41:12 كما وردت في الجزء السفلي من الشاشة، وقال: "بالضبط، ثم... انظري، مع أنه يتّصل بأحدهم، إلا أن فمه ظلّ مغلقًا".

قالت له: "لأن من يتّصل به لا يردّ على اتصاله".

قال: "صحيح، فهو انتظر لحظة، ثم أنهى المكالمة، وأعاد الهاتف إلى جيبه".

رفع يوسف اللقطات من كاميرا غرفة المعاطف بسلاسة، وقال لها: "وفي هذا المقطع تترك ليزا أغراضها في غرفة المعاطف، وهي تنظر إلى هاتفها".

سألته: "والوقت هو...".

أجابها: "18:41:18، ولا أعتقد أنه يمكن ألا يشكّ أحد في أنه كان يتّصل بليزا".

قالت له: "ولكنها لم تردّ على اتصاله".

علّق قائلًا: "ربما لم تكن تعلم أنه كان ينتظرها في الداخل، وأنها ستصطدم به مرة ثانية، سواء أأرادت ذلك أم لم ترده".

عرض يوسف لقطات الرجل ذي الوجه البارد الذي يقف أمام النافذة مرة أخرى، على الرغم من أن المقاطع لم تكن عالية الدقة، إلا أنه كان من السهل التعرف إلى وجهه بشكل واضح، فبدا كما لو أنه نُسخ من لوحة وأُلصق بمقطع عالي الدقة يختلف كليًا عن المقطع الأول".

قالت جيسيكا: "تجاوز تلك المقاطع بسرعة حتى دخول ليزا الصالة".

نقر يوسف على زر التقديم السريع، وقد تسارع الوقت الظاهر في الجزء السفلي من الشاشة مرة أخرى، وبعد لحظات وجيزة رأى هو وجيسيكا أن ليزا تظهر بفستان مذهل، وحين ضغط يوسف على زر التشغيل العادي، ظهرت ليزا في تلك

اللقطات تتحدّث لفترة وجيزة إلى امرأة في منتصف العمر تبدو مراسلة صحفية، ويقف خلفها مصور، ثم توقّفت في مكانها، وعانقت شخصًا ما.

في النهاية صعدت إلى الجدار بمفردها، فأومضت الكاميرات، وهي تقف أمام المصورين.

أشار يوسف إلى الرجل الذي لا يزال يقف في المكان نفسه، وسألها: "هل رأيت كيف يحدّق إليها؟".

همست جيسيكا إليه قائلة: "يبدو مثل زومبي لعين أو شبح".

قال يوسف بهدوء: "إنه يبدو حقًا كالشبح".

تناولت ليزا كأسًا من الشراب، وعيناها تجولان في الصالة.

قال لها: "والآن، شاهدي هذا المشهد".

لم تُظهر الكاميرا عيني ليزا، ولكنها عندما التفتت إلى النافذة، كشفت لغة جسدها عن أنها لمحت ذاك الرجل، وتعرّفت إليه.

قال يوسف بهدوء: "لقد حصل على ما يريد".

تبادل الرجل وليزا النظرات للحظة، ثم حجبت مجموعة من الشابات ليزا عن الأنظار، بعد أن شكّلت جدارًا يفصل بينها وبين النافذة، ثم أمسك أحدهم بمعصم ليزا، وبدا أنه يجرّها في اتجاه حشود رواد النادي.

ألقت ليزا نظرة أخيرة على الرجل قبل أن تختفي بين الحشود، وما لبث أن توارى الرجل أيضًا عن الأنظار.

قالت جيسيكا: "نعم، لقد عرفا بعضهما".

قالت له: "من الواضح أنهما عرفا بعضهما وما الذي حدث بعد ذلك؟".

أجابها: "أحتاج إلى مشاهدة الأشرطة كلها طوال الليل، فربما سيظهران، وهما يتحدّثان في مقطع ما".

ربتت جيسيكا على كتف يوسف قائلة: "ابدأ من المقاطع الملتقطة في غرفة المعاطف، واعرف هوية من غادرت ليزا برفقته، وإن غادر شبحنا في الوقت نفسه برفقة أحدهم أم بمفرده".

قال لها: "سيستغرق ذلك لحظات وجيزة".

قالت له: "إن كان سيستغرق الأمر لحظات، فسأتّصل براس، وأطلب منه بيانات اتصال ليزا، فيهمّني بشكل خاص الرقم الذي اتّصل بهاتف ليزا عند الساعة السابعة والدقيقة العشرين من تلك الليلة".

قال لها: "لنأمل ألا يكون قد ألقاه في سلة مهملات مشتعلة"، ثم مدّ ذراعه قبل متابعة كلامه قائلًا: "وبعد ذلك نحتاج إلى نسخة من قائمة المدعوين".

سارت جيسيكا في اتجاه باب مكتب المدير، فرأت الحارس يقف في الشرفة، وهو يشعل سيجارة أخرى، فتمتمت مبتسمة: "لا أتوقّع أن نواجه أي مشكلة من أجل الحصول على نسخة، فالقائمة هي القائمة".

18

وضع عالم حزمة من الورق المُدبَّس على المنضدة، دُوّنت عليها مئات الأسماء في عمودين، وقد دخل فرانك دومينيس إلى المكتب مرةً واحدة ليستفسر عن سير الأمور، ويؤكّد على ضرورة الحفاظ على السرية المطلقة بشأن قائمة الضيوف.

ذهب عالم إلى الحانة، وسألهما: "هل تريدان أن تشربا مشروبًا ما؟".

ألقت جيسيكا نظرةً خاطفة على المدخل المؤدي إلى نقطة تسليم المعاطف خلف الستائر، حيث كان دومينيس يتحدّث إلى امرأةٍ شابةٍ تضع الوشوم على كامل جسدها من رأسها إلى أخمص قدميها، وقد بدا وجهها شبيهًا بوجه البطة وذلك يعود إلى حقن مادة البوتوكس في أنسجة جلدها، والطريقة التي تلمّست أصابع دومينيس كتفها توضح أمورًا كثيرة.

قالت جيسيكا: "أودّ الحصول على القليل من الماء من فضلك"، وقد أشار إليه يوسف ليجلب له الطلب نفسه.

سأله يوسف: "لقد أشرت إلى أنك تتذكّر شكل الرجل، ولكنك لا تتذكّر اسمه، أليس كذلك؟". لقد عرضوا على عالم تسجيلات الكاميرا التي تظهر الملهى وغرفة المعاطف، فتفحّص الرجل اللقطات باهتمام، وكأنه يحاول أن يمنحها فرصة ثانية.

شعرت جيسيكا بأن هاتفها يهتزّ، فسحبته من جيبها، وقرأت الرسالة النصية مرتين، لتتأكد من أنها استوعبت محتواها بشكل صحيح.

ما الذي يحدث بحق الله؟ يتحتّم عليها أن تتحدّث إلى يوسف.

أمسك عالم بكوبين، وملأهما ماء من الخرطوم الطويل، وقال: "أتذكّر بأنه كان أول الواصلين إلى الملهى، ولم يكن اسمه فنلنديًا...".

أعادت جيسيكا الهاتف إلى جيبها مرة أخرى، وسألته: "هل كان يتحدّث الفنلندية؟".

أجابها: "تبًا، لا أتذكّر، ولكنني أعتقد أنه ذكر اسمه وحسب، مثل كافة الأسماء التي لم أستطع التعرف إليها".

تنهّدت جيسيكا بعمق، وأخذت تتصفّح القائمة مرةً أخرى، ثم قالت: "يمكنني القول إنه لم يرد أي اسم ياباني في القائمة سوى اسم ياماماتو".

انفجر يوسف مقهقهًا، وقال: "رائع، لقد ضيق ذلك الاحتمالات إلى حدٍ ما، إذ يمكن أن يكون اسمه فنلنديًا".

قالت جيسيكا بعد اختفاء عالم خلف البار: "بالتأكيد، ولكن إذا كان من الجيل الثاني أو من جيل الفنلنديين الثالث، فلماذا لم يتحدّث إلى ليزا بالفنلندية حين زارها ليكلّفها برسم اللوحة في منزلها؟".

هزّ يوسف بكتفيه، وتناول جرعة كبيرة من الماء.

ظهر الحارس حاملًا صندوقًا من المشروبات الغازية، فسأله يوسف: "أفترض أنك لم تطالب بالتحقق من هوية أحد؟".

ردّ قائلًا: "تحقّقت من الذين لم أكن أعرفهم، أو بدوا صغار السن، ولكن الرجل الذي تسأل عنه كان في الأربعين من العمر على الأرجح".

سألته جيسيكا باستياء: "حسنًا، ألا تتذكّر على الإطلاق؟".

هزّ عالم رأسه، وابتسم لها ابتسامة خفيفة، وهو يفتح علبة كوكا كولا زيرو قائلًا: "كان المكان يغصّ بالناس، ولم يكن الوقت متاحًا للتفكير، والروتين بسيط للغاية؛ قل مرحبًا، ثم اسأل عن الاسم، واشطبه من القائمة إن كان من المدعوين، ثم خذ معطفهم وأعطِهم الرقم. وكانت ترد أسماء الضيوف وفقًا لترتيب اسم العائلة الأبجدي، وأعتقد أن اسمه كان إنكليزيًا".

قالت جيسيكا وهي تعود إلى الأوراق المدبّسة: "هناك عدد هائل من تلك الأسماء في القائمة، ألقِ نظرةً أخرى عليها بأكملها، وحاول أن تتذكّر، نريد اسم هذا

الرجل، ويمكنك أن تشطب الأسماء التي لا تعرفها معرفة شخصية، بعد أن تنتهي من تفحّصها، سنطلب من دومينيس القيام بذلك أيضًا، وهكذا سنحدّد الاسم الذي سيظلّ عالقًا من بينها"، دفعت جيسيكا القائمة نحو عالم، وأخرجت قلم حبر جاف من جيبها.

ارتشف عالم رشفة من الكولا، وقال: "حسنًا".

شدّت جيسيكا برفق كمّ سترة يوسف، وقادته إلى باب الشرفة.

سألها يوسف بمجرد أن ابتعدا عن مجال السمع: "ما الأمر؟".

قالت له: "لقد راسلني راسموس".

سألها: "أبشأن بيانات الاتصال؟".

حدّقت جيسيكا خلف كتف يوسف لتتأكد من أنهما لا يزالان وحيدين، وقالت: "كلا، اسمع، لقد عثر ونينا على صلة محتملة بين هذه القضية وقضية المرأة التي عثر عليها في أورينكولاهتي".

قال مستغربًا: "ماذا؟".

ردّت عليه قائلة: "يبدو أن ضحية أورينكولاهتي، امرأة أوكرانية تبلغ من العمر 22 عامًا، وكانت ترتدي، أو ربما شخص ما أجبرها على أن ترتدي زي فتاة مدرسة".

سألها: "زي فتاة مدرسة؟".

ردّت قائلة: "يبدو الأمر وكأنه مقتبس من إحدى قصص مانغا المصورة".

قال مستنكرًا: "ما هذا الكلام الهراء؟".

قالت له: "حدّثني عنها، أعتقد أن امرأة المانغا من أورينكولاهتي تجعلنا ندرك أن الأمر برمته جريمة قتل واضحة، وهذا ليس كل شيء، فالموقع الذي عُثر فيه على الجثة، هو بالضبط المكان الذي التُقطت فيه آخر إشارة لهاتف جيسون نيرفاندر".

حكّ يوسف رأسه، وقال: "أنا بحاجة إلى أن أُدخّن سيجارة".

أومأت جيسيكا إليه برأسها نحو الشرفة، وقالت له: "يمكنك أن تدخّن في الخارج".

استجمعت جيسيكا أفكارها في الوقت الذي كانت تراقب فيه خروج يوسف إلى الشرفة، ثم التفتت إلى الستائر المفتوحة، وقد ظهرت غرفة المعاطف وراءها، فرأت دومينيس يقف في مكانه، وهو يحدّق إليها، والهاتف على أذنه، فبدا أنه أنهى المكالمة على عجل، ثم ابتسم إليها، واختفى خلف الستائر.

19

ضغطت هيلينا لابي على الزر الدائري فانغلقت الأبواب، وبقيت وحدها في مكتبها، ونبضات قلبها تتسارع، وهي تضمّ المستندات التي سلّمها إياها نائب رئيس الشرطة إلى صدرها، ما جعلها تشعر بالقوة تتغلغل داخل جسدها، فإذا كانت تلك المعلومات دقيقة، وتبيّن أن لدى جيسيكا نيمي سجلًا طبيًا، ولو كان يحتوي على أبسط المشكلات النفسية حقًا، فستصبح الأمور أكثر تعقيدًا، بعد أن يتّضح أن نيمي المدللة والمتمردة على الأوامر غير مستقرةٍ نفسيًا، ما سيفسّر سلوكها المتقلّب، ويقدّم لهيلو سببًا للتخلص منها.

شدّد جينس أورانين على ضرورة إجراء مراجعة شاملة للملف بسريّةٍ تامة، وبعد ذلك إذا كانت النتيجة تفرض القيام بإجراء بحق جيسيكا نيمي، فينبغي إعفاؤها من الخدمة بسرية تامة، من دون أن يصل إلى وسائل الإعلام خبر إلحاق مريض نفسي بالشرطة، وتسليمه مسدسًا وشارة لمدّة طويلة من الزمن. بالطبع قد يكون القول أسهل من الفعل، ولكن من وجهة نظر هيلو، لا نتائج سلبية للسيناريوهات المحتملة، ومن بينها السماح لنيمي بالبقاء في الخدمة، ولكن نظرًا إلى أنها تخشى التعرض إلى انكشاف أمرها، فإنها سترقص بخنوع على أي نغمة تختار هيلو العزف عليها، والسيناريو الثاني يستدعي أن تتخلّص هيلو منها بهدوء لمرة واحدة وإلى الأبد، أما السيناريو الأخير، والذي يخشاه كبار الضباط، فيكمن في إنهاء خدمتها بشكل علني بحيث يتحوّل الأمر إلى سبق صحفي من شأنه أن يسلّط الأضواء غير المرغوب بها بالنسبة إلى بعضهم، ولكنه سيجعل هيلو تبدو وكأنها تُبلّغ عن مخالفات كبيرة، ولا بد أن يلقى ترحيبًا حارًا، كما سيدمّر عصر إرني ميكسون الذي وصل أخيرًا إلى نهايته، بعد أن يتّضح أن كل المشاكل القديمة كان

يتستّر عليها بدلًا من حلها، بينما هبّت المشرفة لابي مثل ريح قوية بعد أن تسلّمت المنصب وما إن اكتشفت تلك المخالفات، حتى اتخذت إجراءً فوريًا.

انفتحت أبواب المصعد في الطابق الثالث، فتقدّمت هيلو نحو مكتبها، وفي طريقها إليه سمعت صوتًا ذكوريًا منخفضًا، جعله احتساء كمية كبيرة من الشراب يبدو مبحوحًا، وكان يناديها قائلًا: "المعذرة، يا هيلينا..."، إنه غامي هارغولا، المحقق الذي أرسلته هيلو للتحقيق في حادثة الشابة التي عُثر عليها على الشاطئ، فمن بين مرؤوسي هيلو الجدد في وحدة الجرائم العنيفة، يبدو واضحًا أن هارغولا الطويل القامة، كان أكثر من تقبلها، كما يسهل التعامل معه في الإدارة، إذ يحترم السلطة، وفوق كل ذلك، كان وحده، من بين المحققين الذين يعملون في وحدتها، ليس على وفاق مع جيسيكا نيمي. لهذا السبب وحده، رغبت هيلو في إبقائه قريبًا منها.

توقّفت هيلو، وانتظرت أن يلحق بها هارغولا، وقالت: "هارغولا"، لقد نادته *هارغولا*، بينما كان كل فرد آخر في العمل يُدعى باسمه الأول أو بلقبه، ما عدا غامي هارغولا، فكان يُدعى باسمه الأخير، تمامًا كما كان الحال في الجيش، حيث كانت هيلو هي العريف لابي بالنسبة إلى الجميع.

قال هارغولا مشيرًا إلى الطبيبة الشرعية السيئة السمعة سيسي سارفيلينا: "تسلّمت س.س جثة الشابة من أورينكولاهتي"، إنها تبدو دائمًا على أهبة الاستعداد، ما إن يتسلّم رجال الشرطة جثة ما، والمضحك في الأمر أن سيسي سارفيلينا تشير في تقويمها إلى جرائم القتل القادمة قبل شهر من وقوعها حتى لا تفوّت أي فرصة لتشريح الجثث.

استرقت هيلو النظر إلى الملف الذي تسلّمته منه، وقالت له: "حسنًا"، يحمل المصنف البلاستيكي كنزًا لا يمكن تقدير قيمته، إنه ذكاء لا يُقدّر بثمن، ثم سألته: "هل توصّلت إلى نتائج مهمة في تلك الحادثة؟".

فتح هارغولا إحدى الصور على شاشة هاتفه، أبرزها لهيلو قائلًا: "ربما لديها وشم ناجم عن حرق حديث في ثنية ذراعها اليمنى، وهو عبارة عن عدة حروق شكّلت دائرة".

سألته: "ماذا يعني ذلك؟".

أجابها: "لا أملك أدنى فكرة".

ألقت هيلو نظرة على هارغولا، ثم تصفّحت الصور التي التقطها على الشاطئ.

توقّفت للحظات عند صورة يظهر فيها كامل الجسد، فبدت الضحية شابةٌ جميلة، وهي تستلقي على الرمال بشعرها الأشقر المضفّر، ولم يبدُ جلدها مزرقًا، بل مائلًا إلى البياض الناصع، ويتكوّن زي فتاة المدرسة من قميصٍ أبيض وربطة عنق وتنورةٍ قصيرة، يغطّي الجاربان اللذان يبلغان الركبة جزءًا ضئيلًا من الفخذين اللذين تركتهما التنورة القصيرة مكشوفين، وهناك شرائط من القماش الوردي على جانبي الصدر، ويفترض أنها أشرطة حقيبة الظهر. شعرت هيلو بوخز في صدرها، فمن المؤكد أن المزاح الجماعي حول جرائم القتل وضحاياها يحدث باستمرار، ولكن رؤية صور الجثة غالبًا ما يشكّل صدمة للجميع.

في النهاية سألته: "أهو وشم ناجم عن حرق؟ ألا يمكن أن يكون ذلك نوعًا من الرموز؟".

أجابها: "هذا بالضبط ما كنت أفكّر فيه".

قاست هيلو طول مرؤوسها الشاهق، بينما كانت يداه على خصره تحت أضواء الفلورسنت الساطعة، وقد غطّاها ظله بالكامل، فسألته: "هل أريت راسموس سوسيكوسكي؟".

سألها مستغربًا: "سوسيكوسكي؟ لا، لماذا؟".

قالت هيلو وهي تعيد إليه الهاتف: "انظر إلى الملابس التي ترتديها، فتلك المدونة التي يبحث عنها فريق نيمي، ليزا ياماموتو، هي فنانة مانغا".

قال هارغولا: "اللعنة".

راقبت هيلو أصابعه الطويلة النحيلة، وهي تمسك بالهاتف، وقالت له: "حسنًا، أبلغ نيمي بأنك انضممت إلى فريقها".

بدا هارغولا متشككًا في رغبته الانضمام إلى فريقها، ما جعل هيلو تشعر بشعور رائع بشكل لا يوصف، إذ لا شكّ في أن غامي هارغولا سيكون حليف هيلو، ما دفعها إلى أن تبتسم له ابتسامة غير متوقعة.

قالت وهي تنظر إلى ساعتها: "دعنا نجعل جيسيكا تقود التحقيق هذه المرة، فعلى الرغم من أنك كنت أول من حقّق في مكان الحادث في أورينكولاهتي، إلا أنه يتحتّم عليك ألا تقلق، فسأحرص على أن يتوفّر في حوزتك كل ما تحتاج إليه، وإذا واجهت أي مشكلة، فأريدك أن تبلغني بها شخصيًا".

20

جلست جيسيكا أمام الحاسوب ووضعت ساقها فوق ركبتها، بينما كان يوسف يدخّن على الشرفة في الخارج، وبما أن الشاشة في مكتب المدير كانت لا تزال قيد التشغيل، فقد تناولت جيسيكا الماوس، وكبّرت وجه الرجل الواقف أمام النافذة، ثم سحبت هاتفها، وعلى الرغم من أن الدقة لم تبدُ عالية، إلا أنها التقطت لقطة لشاشة الحاسوب. تفحّصت الصور عبر هاتفها، وأملت في أن يعثر يوسف على زاوية أخرى أكثر وضوحًا، تظهر تفاصيل وجه الرجل على مسافة أقرب.

فجأة حلّ اسم راسموس محل صورة الوجه الظاهرة على شاشة هاتفها.

ردّت قائلة: "مرحبًا، يا راس".

قال لها: "أهلًا، لقد جهّزت كل بيانات الاتصال الآن، فالرقم...يبدأ بـ +81، لذا فهو رقم ياباني، وقد أجرى صاحبه عدة مكالمات، كما تلقّي مكالمات من رقم ياماموتو عدة مرات على مدار أيام قليلة".

سألته: "ماذا يتحتّم علينا أن نفعل الآن؟ هل الهاتف لا يزال قيد التشغيل؟".

ردّ قائلًا: "لا، فآخر مرة كان قيد التشغيل بالأمس، وتشير بيانات المحطة الأساسية إلى أن أحدث إشارة له كانت عند الساعة 3:10 مساء في تولو الواقعة على بعد ثلاثمائة متر فقط عن شقة ليزا".

تناولت جيسيكا قلمًا من المكتب، وورقةً من درج الطابعة، وقالت: "اللعنة، متى أُجرت ليزا المكالمات إلى الرقم؟ ومتى تلقّت الاتّصالات منه؟".

ردّ قائلًا: "بالإضافة إلى الوقت الذي حدّدته... كانت الساعة 5:15 و5:56 مساء في اليوم نفسه، إلا أنها لم تجب يوم السبت على أي من المكالمات الثلاث، ولكنها في اليوم السابق اتصلت بذاك الرقم عند الساعة 9:30 صباحًا، كما اتصلت

عند الساعة 8:12 صباحًا، وقد تلقّت المكالمة الأخيرة أو على نحو أدق الأولى بحسب التسلسل الزمني في 20 تشرين الثاني الساعة 5:12 مساءً".

تمتمت جيسيكا، وهي تنظر إلى التقويم المعلّق على الحائط: "اليوم هو الأربعاء في العشرين من الشهر، وقد أخبرتنا زميلة ليزا في السكن أن رجلًا يتحدّث باليابانية زارها في الشقة يوم الأربعاء بين الخامسة والسادسة مساء".

قال لها: "لقد استمرّت المكالمة خمس ثوان فقط".

ردّت قائلة: "هذا منطقي، لأن جرس باب المبنى كان معطلًا، ولذلك اتّصل بليزا من الطابق السفلي، ما يجعلنا نرجّح أنه الشخص نفسه الذي ظهر في اللقطات التي سجّلتها كاميرات المراقبة في الملهى الليلي".

قال راسموس: "رائع، ولكنني أظنّ أن الرقم غير مفعّل في اليابان، سأراسل السلطات في طوكيو للتأكّد من تلك المسألة، وإذا سارت الأمور على ما يرام، فسنعرف المزيد عن مالك الخط الذي أجرى الاتّصال عبر هاتفه قريبًا".

سألته: "هل هناك أي رسائل نصية؟".

أجابها: "لم ترد أية رسائل نصية إلى هذا الرقم".

قالت: "حسنًا، اطلب من مزودي خدمة الهاتف المحمول الحصول على خريطة تحدّد الأماكن التي أُجريت من خلالها الاتصالات عبر ذلك الهاتف، ثم أرسل إليّ بيانات هذه المكالمات على الفور"، أوشكت جيسيكا على إنهاء المكالمة، ولكنها سرعان ما رفعت الهاتف إلى أذنها، وقالت: "راس".

ردّ: "نعم".

قالت له: "إن عملك دقيق ومتقن، شكرًا لك".

كادت جيسيكا أن ترى خجل راسموس مرتسمًا على وجهه، وهو يقول لها: "لم أقم بأمر عظيم، ولكن عليك أن تشكري نينا أيضًا، فهي...".

أنهت جيسيكا المكالمة، إذ *لم نصل إلى هذه المرحلة بعد.*

تفحّصت التواريخ والأوقات التي دوّنتها على الورقة، والتي جرت على الشكل التالي: التقت ليزا بالشبح يوم الأربعاء، ثم اتّصلت به يومي الخميس والجمعة، ويوم السبت حاول الشبح الوصول إليها، ولكنها لم ترد على مكالماته، وحقيقة أن الشبح لم يحاول الاتصال بها ولو لمرة واحدة بعد ليلة السبت يشير إلى أنه كان يعلم بأنها لن تستطيع أن تردّ عليه.

ما إن وضعت جيسيكا القلم على المكتب، حتى سمعت طرقاتٍ خفيفة على الباب، وعندما نظرت إلى الأعلى، رأت صاحب عالم يقف أمام المدخل حاملًا كدسة أوراقٍ في يده.

سلّم جيسيكا الأوراق، وهو يضع أحد إبهاميه في جيب سترته، فلاحظت جيسيكا عصبة سوداء على سبابته، والتي يُفترض أنها إحدى تلك الحلقات الذكية المزودة بأجهزة استشعار، والتي تثير الغضب، قال لها: "لا يزال هناك عدد قليل من الأسماء التي لم أتعرّف إليها أنا وفرانك، وربما يتحتّم عليك الاتصال بكيكس أو بالعاملين في شركة التسجيلات الخاصة به، لربما كانوا يعرفون كل الضيوف، أو على الأقل يتعرّفون إلى أسمائهم".

نظرت جيسيكا إلى الأوراق المكدسة في حجرها، وقد شُطبت أسماء معظم الضيوف.

نظرت إلى الأسفل، ولكنها استطاعت أن تشعر بأن عينيّ الحارس ما زالتا تحدّقان إليها، فنظرت إليه وسألته باستغراب: "حسنًا، أتريد شيئًا آخر؟".

ابتسم عالم، وسألها: "بل يتحتّم عليّ أن أسألكِ إن كنت تريدين شيئًا آخر، كونك من طلبتِ مني الحضور".

ردّت قائلة: "هناك شخصان مفقودان، ولست متأكدةً من أن الطلب يعدّ أفضل طريقة للوصول إلى الهدف".

ألقى عالم نظرة على ساعته الضخمة وقال لها: "غالبًا، لا".

تفحّصت جيسيكا بذلته الخالية من التجاعيد، وحذاءه الأبيض النظيف، فبدا أنيقًا بأسلوبه الخاص، أو على الأقل بدت عاداته المنزلية مثالية.

قالت له: "دع هاتفك قيد التشغيل".

نقر عالم بأصابعه على عضادة الباب، وقال لها، وهو يغادر الغرفة: "حاضر، سيدتي".

بعد لحظة، لحق به يوسف، وملأ الفراغ الذي تركه عالم، فاستبدلت رائحة السجائر القديمة برائحة السجائر المدخنة حديثًا.

سألها يوسف وقد شبك ذراعيه أمام صدره: "هل تركته يغادر؟".

قالت له: "في هذه القائمة لدينا عشرة أسماء تقريبًا ينبغي التحقق من هوياتهم، كما سأحقّق مع مايس، وإذا لزم الأمر فسأحقّق مع الموظفين في شركة التسجيلات الخاصة به كلهم".

سألها باستسلام: "أسوف تحقّقين معهم جميعًا؟".

قالت له: "يتحتّم عليك البقاء هنا، إلى أن تشاهد الأشرطة كلها، وسأرسل إليك أحدهم لنسخها حتى تتمكّن من متابعة المشاهدة في الوحدة إذا لم تنهِ عملك هنا باكرًا".

هزّ يوسف رأسه، لا احتجاجًا على فرض جيسيكا سلطتها عليه، ولا رد فعل تلقائي، بل بدافع التساؤل حول اختياره لهذه المهنة الشاقة.

سألها يوسف: "كيف تبدو القائمة؟"، أعطته جيسيكا حزمة من الأوراق، وبدأ يتفحصّها، وهو يشتم، ويقول: "إنه ليس أيّ واحد من بين كل هؤلاء، اللعنة".

قالت له: "اتصل راسموس للتو، وقد تبيّن أن رقم هاتفه ياباني".

ردّ قائلًا: "رائع، هل أنا مخطئ في افتراض أن السلطات اليابانية لم تتوصّل إلى معرفة صاحب الخط حتى الآن؟".

قالت له: "كلا، لكن حقيقة أن أحد المفقودين نصفه ياباني، قد تساعد في تسريع العملية".

سألها: "متى نتوقّع الحصول على المزيد من المعلومات؟".

هزّت جيسيكا كتفيها، ثم استندت إلى الطاولة وهي تنهض من مكانها، وفجأةً سيطر عليها إحساسٌ غريب يشبه حلم اليقظة، كما لو كانت في هذا المكتب في السابق.

ظهر دومينيس أمام المدخل بالقرب من يوسف، وقال: "هل أنتما مغادران؟".

أجابته جيسيكا، وهي ترتدي معطفها: "سأغادر وحدي، ولكن يوسف سيبقى".

ربت دومينيس على صدره، وقال لها: "يا للأسف!".

سألته قائلة: "علامَ تتأسّف؟".

غمزها دومينيس قائلًا: "كنت أتمنّى أن يحصل العكس"، ثم عاد مسرعًا إلى المرأة ذات الوشوم، بينما كانت جيسيكا تراقبه متململة.

اللعنة، يا له من رجل لعوب!

21

تراقصت أغصان الأشجار الباسقة العارية من أوراقها في حديقة كابتينينبويستيكو مع هبوب الريح، واتّكأت امرأة على مقعد خشبي، وهي توبّخ ثلاثة كلاب صغيرة، تشابكت ألجمتها، وقد بدا جليًا أنها مستاءة للغاية.

فتحت جيسيكا باب المطعم المتاخم للحديقة، فوقفت وجهًا لوجه أمام بواب يرتدي بذلة داكنة.

إن ترك المعطف في غرفة المعاطف أمر إلزامي في مطعم سي هورس، ولو حضر الزبون وقت تناول الغداء، ويعدّ ذلك الإجراء جزءًا من قواعد المطعم التي جعلته مطعمًا متميزًا في هلسنكي، فلهذا المكان عادات غريبة في مجالات أخرى أيضًا، كما أصبح الحي المحيط به أكثر حيوية وعصرية على مدار عقد، ولكن يبدو أن ديكور المطعم لم يتغيّر منذ أن فتح المطعم أبوابه للمرة الأولى في العام 1934، كما قال يوسف ذات مرة، *سي هورس مطعم قديم لهذا يعدّ محبوبًا جدًا*.

أظهرت جيسيكا بتكتم بطاقتها التي تشير إلى أنها شرطية، ثم تجاوزت البواب من دون أن تخلع معطفها، فوجدت أن خدمة تناول طعام الغداء على أفضل حال، كما كان المطعم يغصّ بالزبائن، وقد جذبت رائحة اللحم الموضوع على مائدة البوفيه أنف جيسيكا، وقد حُضّرت صينية مليئة بالطعام على البار، يُفترض أنها في طريقها إلى مجموعة من السادة الجالسين إلى الطاولة الأولى.

شقّت جيسيكا طريقها في اتجاه الجزء الخلفي من المطعم، حيث كان الباب مفتوحًا، وقد كتب على لافتته بلاك هورس، وكان يحرس الطريق المؤدّي إلى غرفة الطعام الخاصة شاب لطيف غطّت الوشوم جسده، يجلس إلى طاولة صغيرة، وهو حارس مايس الشخصي.

أبعد عينيه عن الصحيفة، ونظر إلى البطاقة التي تتدلّى من عنق جيسيكا، ثم رحّب بها بإيماءة خفيفة، فبدا كما لو أن جيسيكا بحاجة إلى إذنه لتدخل الغرفة، فلحق بها إلى غرفة الطعام الخاصة عندما اقتحمتها.

كانت طاولة طويلة قد وُضعت في الخلف، يجلس إليها شاب يرتدي سترة داكنة وجينزًا أبيض، ويعتمر قبعة سوداء، وهو ينقر على هاتفه الذكي، وعندما رأى جيسيكا، ألقى عليها تحية ودية، ثم وضع الهاتف على مفرش المائدة الأبيض، ونهض عن مكانه ليصافحها. لقد حظي مغني الراب المعروف باسم كيكس مايس باهتمام إعلامي كبير في السنوات الأخيرة إلى درجة أن وجهه بدا مألوفًا بالنسبة إلى كل الفنلنديين. مع ذلك فإن صوته يختلف قليلًا عما تتذكّره جيسيكا، فهو ليس الصوت نفسه الذي يغنّي كلمات أغانيه، أو حتى الصوت الذي يستخدمه عندما يجري مقابلة عبر الراديو أو التلفاز.

قدّمت جيسيكا نفسها إليه، بعد أن عرضت بطاقتها مرة أخرى ليدقق فيها الفنان.

قال لها: "تيم توسي"، فاعتبرت جيسيكا تقديم نفسه إليها باسمه الحقيقي لفتة لائقة، فلطالما رأت أن المشاهير الذين لا يكلّفون عناء تقديم أسمائهم الحقيقية يثيرون غيظها.

قال توسي، وهو يبتسم ابتسامة خفيفة ولطيفة: "إن هذا البواب وحشٌ بالنسبة إلى ما يتعلّق بالمعاطف، فهو لا يسمح سوى لأفراد الشرطة بالدخول إلى المكان، وهم يرتدون معاطفهم".

جلست جيسيكا على الكرسي المقابل لمغني الراب، فقال ممازحًا: "يعرف العالم بأسره الآن أنني على علاقة بالسيدة لو".

ألقت جيسيكا نظرة خاطفة على عينيّ توسي، فهو على الرغم من هدوئه السطحي، إلا أن علامات القسوة والغضب تبدو جلية في أغوار نفسه، فكانت القبعة السوداء التي يعتمرها تحمل شعار فرقة أوكلاند رايدرز، وقد طوّقت رقبته قلادة ثخينة من الذهب الأبيض.

أومأت جيسيكا إليه في اتجاه الباب، وسألته: "هلّا منحت حارسك الشخصي استراحة لتناول القهوة".

قهقه توسي، وقال: "إنه صديقي، وقد طلبت منه مغادرة الغرفة حتى نتمكّن من التحدث على انفراد".

قالت جيسيكا بسخرية جعلت بريق عينيّ توسي يتلاشى: "يبدو لافتًا أن يكون لديك أصدقاء".

حدّقت جيسيكا إلى مغني الراب، فلفتها وجهه الزاوي، وفكاه القويان، وعيناه الزرقاوان والصافيتان، واللتان توحيان بأنهما جديرتان بالثقة، وكأنه مزيجٌ من رجل يقطن في الجوار ورجل ذائع الصيت، إذ يعدّ كيكس مايس شخصًا غير اعتيادي بين المشاهير الفنلنديين، فهو استطاع أن يتفوّق على كل زملائه الفنانين، ولطالما شكّل صورة تعكس النجومية العالمية منذ البداية، فلديه السائقون والحراس والمروحيات. وبحسب الصحف سافر مع أصدقائه إلى ستوكهولم على متن طائرة خاصة العام الماضي لمشاهدة إيمينيم[1] في إحدى حفلاته الموسيقية، ومع ذلك لا يبدو أيقونة البوب عن قرب نجمًا ساطعًا، بل إنه أشبه برجل عادي لا يزال يعاني من آثار ما بعد الكحول على الرغم من مرور عدة أيام على الاحتفال.

قالت له جيسيكا، وهي تضع ساقها فوق ركبتها: "أشكرك على مقابلتي بهذه السرعة، وأودّ أن أطرح عليك عدة أسئلة حول ليزا ياماموتو".

فور سماع توسي الاسم، قال بجدية: "يا لها من فتاة مجنونة! ولكن ليس لديّ أدنى فكرة عن مكانها، يا عزيزتي".

فجأة بدأ شخص ما برمي الزجاجات والأكواب في صندوق إعادة التدوير، فانبعث صوت صرير الزجاج من خارج النافذة الكبيرة مسببًا ضوضاء تصمّ الآذان، وقد دام ذلك لدقيقة واحدة فقط، ولكن صوت احتكاك الزجاج المكسور استمرّ يصرّ في أذني جيسيكا.

---

(1) مغني راب أميركي.

قالت له: "أخبرني بما حدث ليلة السبت، يوم إطلاق ألبومك، هل تحدّثت إلى ليزا في تلك الليلة؟".

تجهّم وجه توسي، ونظر إلى النافذة، وقال لها: "نعم، لا بدّ أننا تحدّثنا، فنحن صديقان، ولكن إذا كنت تسألين عما إذا أخبرتني بأي موضوع من شأنه أن يفسّر ما فعلته..."، ثم هزّ رأسه، وتابع كلامه قائلًا: "لا، فأنا لا أتذكّر أنها حدّثتني بخصوص ذلك الموضوع مطلقًا".

سألته: "لقد أكملت الاحتفال مع رفاقك في الطابق العلوي من منزلك بعد مغادرة فينيكس".

ردّ قائلًا: "نعم، لقد عدنا إلى منزلي مباشرة بعد انتهاء الحفل في فينيكس".

سألته: "هل كانت ليزا برفقتكم؟".

تشتّتت نظرات تيم، وهو يحدّق إلى النافذة فالسقف، ثم إلى جيسيكا، وفي النهاية نظر إلى براجم أصابعه التي كان يضربها بأصابع يده الأخرى، ثم قال لها: "بصراحة لست متأكّدًا من ذلك، يا صديقتي".

سألته مستغربة: "ألست متأكدًا من حضورها الحفل الذي أقمته في منزلك؟".

أجابها: "لو رافقتنا لأضاءت المكان، كنا ربما عشرين... ولكن لا، لا أعتقد أنها رافقتنا، لأنني عندما فكّرت في الأمر، تذكّرت أنني قرأت خبر اختفائها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ما دفعني إلى أن أسأل بعض الأصدقاء عمّن حضر إلى منزلي في ذاك الوقت، ولكن لم يتذكّر أحد أنه رآها".

سألته: "هل يمكنك أن تسدي إليّ معروفًا، فتجلب لي قائمةً بكل من حضر الاحتفال الذي أقمته في منزلك بعد حفل فينيكس؟ أريد أن أتأكّد إن كانت ليزا قد أكملت سهرتها في هذا المنزل أم لا".

أجابها: "حسنًا، ولكنني متأكدٌ بنسبة خمسة وتسعين في المئة من أنها لم تحضر، على الأقل ليس لوقت طويلة".

نقرت جيسيكا على هاتفها لفتح لقطة شاشة مكبرة من لقطات كاميرات المراقبة في الملهى، ثم أدارتها نحو توسي حتى يتمكّن من رؤيتها بوضوح.

سألته: "هل تعرف هذا الرجل؟".

حدّق توسي باهتمام إلى صورة الشبح، ثم سمع صوت صرخات تتردّد خلف الجدار، ويبدو أن مشروب موسكو ميولز قد بدأ مفعوله.

أخيرًا قال لها: "لا".

سألته: "ألا تتذكّر أنك رأيته؟".

وبدلًا من أن يجيب عن سؤالها، سألها بدوره، وقد بدت عليه الحيرة: "أين تقصدين؟ أفي حفل إصدار الألبوم؟ لا...".

كان الشبح أول الأشخاص الذين وصلوا إلى الملهى، ولكنه رفض التقاط صورة إلى جانب كيكس مايس الذي أمضى أول خمس وأربعين دقيقة بالقرب من حائط الصور، في أثناء ذلك الوقت غصّ الملهى الليلي بالضيوف، ومن المنطقي أن يكون كيكس والشبح لم يتبادلا سوى نظرات خاطفة.

فتحت جيسيكا معطفها قليلًا، وأخرجت كدسة من الأوراق من جيب قميصها العلوي، وقالت له: "حسنًا، أودّ أن تلقي نظرة على الأسماء التي لم تكن قد شُطبت بعد".

في أثناء قراءة توسي الأوراق بسرعة، تلقّى هاتفه الصامت وابلًا من الرسائل، فلم تستطع جيسيكا فِهم كيف يمكن للشهرة أن تحوّل أحدهم إلى شخص أحمق.

سأل توسي جيسيكا، وهو ينظر إليها: "حسنًا، ما الذي تودّين معرفته بشأن تلك الأسماء؟".

سألته: "هل تعرفهم جميعًا؟".

أجابها: "نعم، أعرف الجميع".

همهمت جيسيكا متفاجئة، كيف يمكن بحق السماء أن يكون ذلك ممكنًا؟ قال يوسف إن لقطات كاميرا المراقبة تظهر بوضوح أن عالم شطب اسم الشبح من

قائمة الضيوف فور وصوله، ومع ذلك فاسمه ليس من بين الأسماء الواردة في هذه القائمة، لا بدّ أن أحدهما يكذب.

ضغطت جيسيكا بأصبعها على الشاشة، وسألته: "وهذا الرجل ألم يكن أحد الضيوف؟".

كان يتحتّم عليها أن تطرح السؤال عدة مرات، ففي معظم الأحيان تعتمد تحريات الشرطة على تذكير الناس بالسؤال المطروح عليهم، وتحفيزهم على تذكر التفاصيل البسيطة التي يسهل تفويتها، ما لم يجبرهم أحدهم على النظر إليه.

نظر توسي إلى ساعته، وقال لها: "كما قلت لك، ليس لديّ أي فكرة حول هوية هذا الرجل، واسمه ليس واردًا من بين هذه الأسماء بالتأكيد".

بذلت جيسيكا قصارى جهدها لإخفاء إحباطها، وقالت له: "حسنًا"، ثم قلبت قوائم الضيوف الثلاث للتأكد من أن توسي لم يفوّت اسمًا، ولكن لا شكّ في أن كل الأمور بدت مخيبة للآمال، لأن ما أخبرها به لم يوضح لها شيئًا.

أعادت جيسيكا القائمة مرة أخرى إلى جيبها، وسألته: "ما الذي تعرفه عن جيسون نيرفاندر؟".

تكدّرت ملامح وجهه، ثم سألها: "ما الذي تودّين معرفته عنه؟".

سألته: "هل لديك أي فكرة عن الأماكن التي قصدها قبل أن يختفي؟".

أجابها: "يا إلهي، لم أرَ ذلك اللعين منذ وقت طويل".

وضعت جيسيكا يديها على الطاولة، ثم تذكّرت كلمات عالم، *هؤلاء الرجال لا يكنّون أي احترام لجيسون*، واستنادًا إلى رد فعل توسي، فإن تقييم عالم يبدو دقيقًا.

أحنت جيسيكا رأسها مستغربة، وقالت له: "هل لديك أي شيء ضده؟".

نظر توسي إلى الباب، كما لو أنه يتأكّد من أنه وجيسيكا لا يزالان وحدهما في الغرفة الخاصة، وللتأكد من أن حارسه الشخصي لا يزال واقفًا أمام الباب أيضًا.

أجابها: "بالطبع، لدي شيء ضده، فقد أساء معاملة ليزا".

سألته: "كيف فعل ذلك؟"، ولكنه تنهّد بعمق هذه المرة قبل أن يجيب عن سؤالها.

تدرك جيسيكا تمامًا أن التحدث إلي الشرطة قد يكون صعبًا، خاصة عندما يتعلّق الأمر بما ارتكبه الآخرون، وقد يكون التحدث صعبًا بالنسبة إلى بعضهم، بينما يمكن أن يكون خطيرًا بالنسبة إلى بعضهم الآخر إن كان ذلك يخالف مبادئهم، ولكن كيكس مايس وموسيقاه لا يمثّلان مدرسة الهيب هوب الواعية اجتماعيًا، والتي تتجاهل السلطة والأنظمة التي تدعمها، وبالنسبة إلى شخص جنى الملايين مثل كيكس، فلا يمكن أن يعتبر الشرطة عدوته.

قال توسي: "كانا يتسكّعان معًا ربما قبل عام، ولكن ذلك القذر جيسون..."، ثم صمت فجأة، فتذكّرت جيسيكا أن إيسي أخبرتها بأن جيسون خدع ليزا، ولكن بحسب سمعة توسي السيئة، فإن مغني الراب الذي يحكم على أخلاقيات شخص آخر، تعتبره جيسيكا منافقًا ومبتذلًا تمامًا.

بعد برهة قال توسي: "لقد ضربها".

تنبّهت جيسيكا على الفور، إلى أن إيسي لم تُشر إلى ذلك الأمر، فسألته: "هل ضرب جيسون ليزا؟".

ابتسم توسي ابتسامة ماكرة، ثم ما لبث أن ارتسم الحزن على وجهه، وقال: "أنظري، أدرك أنني لست قديسًا، وأعلم ذلك، ولكن عندما اكتشفت ليزا خيانته لها، وواجهته بها، فقد السيطرة على أعصابه، وضربها بعنف، وأعتقد أن ذلك حدث عدة مرات قبل أن ينفصلا، ويقضي على كل السبل التي قد تسمح بمصالحتهما"، بدا توسي فجأة أشبه بمغني الراب العام نفسه، وربما يكون كيكس مايس أكثر من مجرد اسم فني، فربما يكون شخصًا مجبولًا على الغرور، إلا أنه في بعض الأحيان يعبّر عن إنسانيته بصوت عالٍ.

سألته جيسيكا: "هل أبلغت ليزا الشرطة عنه؟"، على الرغم من أنها كانت تعلم أنها كانت ستعرف بإساءة جيسون إلى ليزا، لو أبلغت عنه أو وجّهت إليه أي اتهام بضربها.

هزّ توسي كتفيه ورأسه نافيًا.

قالت جيسيكا وهي تريه صورة أخرى على شاشة هاتفها: "أودّ سؤالك عن أمر أخير"، أرته لقطة شاشة نسختها من صفحة عبر الفيسبوك، وهي صورة التقطت تحت ضوء الشمس لأولغا بيلوسوفا، تلك الشابة التي ترقد على طاولة التشريح الآن، بينما كانت تقف في الصورة على سطح زورق صغير معتمرة قبعة القبطان، ويشير طابع الموقع إلى أن المدينة في الخلفية هي أوديسا، أوكرانيا.

نظرت جيسيكا إلى توسي بثبات، كما تنظر دائمًا عندما تحاول اكتشاف أدق التفاصيل من خلال ردات فعل الشخص الذي تستجوبه، وذلك عندما تشعر بأنه لا يطلعها على كل ما يعرفه، سألته: "هل سبق لك أن رأيت هذه الشابة؟".

جاءها الرد السلبي بسرعةٍ كبيرةٍ هذه المرة، كما لو كان توسي متعطشًا إلى النطق بالإجابة التي جهّزها مسبقًا.

سألها، وهو يعيد إليها الهاتف: "كلا، من تكون؟".

رمقت جيسيكا مغني الراب باستخفاف، ثم انتصبت واقفة، وقالت له: "أرجو أن تتّصل بنا إذا تذكّرت أي معلومات أخرى، أي معلومات على الإطلاق، كما أودّ أن تجلب لي تلك القائمة من فضلك".

أومأ توسي إليها برأسه، وشبك ذراعيه على صدره، ولكنه لم يبدُ متحديًا، بل بدا وكأنه محبط.

خرجت جيسيكا من الغرفة الخاصة، ونظرت إلى حارس كيكس مطولًا باستخفاف، ثم قالت له: "يا لك من كلب مخلص!"، وقد التقطت رد فعله المذهول من طرف عينيها.

بينما كانت تسير بجوار المقاعد المصطفة في اتجاه الباب الأمامي، بدت جيسيكا مقتنعة بأن الفنان الفنلندي الأكثر شهرة كان يكذب.

22

مشت جيسيكا من كابتينينكاتو في اتجاه محطة سيارات الأجرة التي تقع بجوار المنتزه، فهي غالبًا ما تستقلّ سيارة أجرة عندما تكون في الميدان وحدها وهي في طريقها إلى المنزل، كما كانت تستقلّها في بعض الأحيان صباحًا لتصل إلى العمل في الوقت المحدد، إلا أنها كانت تتجنّب أن تترجّل من سيارة الأجرة أمام مقر الشرطة، لأن القيام بذلك يثير شكوك زملائها، إذ سبق لها أن أنفقت أموالها الخاصة في بعض الأحيان على المصادر باعتبارها حافزًا سخيًا لتوفير المعلومات، فبضع خمسينات إضافية تدفئ الجيب لا تضرّ أبدًا بالنسبة إلى بعض الوشاة.

في بعض الأحيان كانت جيسيكا تشعر بتأنيب الضمير بسبب الطريقة التي تنفق بها ثروتها الكبيرة، كما أن إخفاء ثرائها عن زملائها في العمل بدا مرهقًا، إذ يتطلّب بذل جهد كبير.

لا أحد يعلم من زملاء جيسيكا أن الاستديو القذر الذي تقيم فيه في تولو ليس إلا مجرد واجهة، وأن منزلها الحقيقي يقع في الجوار مباشرةً، وهو يتألّف من طابقين، وتبلغ مساحتهما عشرة أضعاف حجم الأستوديو، وهو مليء بالتحف والأعمال الفنية التي لا تقدّر بثمن، وأن قيمة الاستثمارات التي ورثتها من والديها بلغت ذات مرة عشرات ملايين الماركات الفنلندية، والرقم بات أكبر الآن، على الرغم من تحول العملة إلى يورو.

في المناسبات النادرة التي دعت فيها جيسيكا زملاءها المحققين إلى شقتها لتناول المشروب قبل قضاء ليلة في المدينة، تفحصّت الأستوديو بدقة لتتأكّد من أنه يحتوي على كل الحاجات الضرورية، ولكن تخطيطها لم ينجح دائمًا.

ذات مرة أشار يوسف إلى الرائحة الكريهة التي تفوح من مصرف الحمام، خاصة وأنها لم تستخدم الدش منذ أكثر من شهر، ومنذ ذلك الحين حاولت جيسيكا قضاء بضع ساعات في الشقة الصغيرة قبل وصول ضيوفها، لتؤكّد لهم أنها تُقيم فيها، وفي بعض الأحيان كانت تتساءل حول جدوى تلك التمثيلية؛ هل سينظر زملاؤها إليها بشكل مختلف إذا أعلنت عن ثرائها؟ هل سيضع يوسف حدًا لصداقتهما لو علم بحجم ثروتها الطائلة؟

كان إرني الوحيد المطلع على خلفية جيسيكا، ومصير عائلتها المأساوي، والثروة الطائلة التي ورثتها، كما عرف إرني أيضًا أنها محطمة، ولكن تلك الأسرار دُفنت معه في نيسان الماضي.

رنّ هاتف جيسيكا، فأجابت قائلة: "مرحبًا".

سألها يوسف: "أين أنتِ؟".

أجابته: "لقد غادرت مطعم سي هورس منذ لحظات، وقد أكّد ذلك المغني أن الفتاة لم تحضر الجلسة التي تلت الحفل، كما أنه تعرّف إلى جميع الأسماء المتبقية في القائمة، لذلك لا بدّ أن الشبح دخل خلسة من دون أن يكون مدعوًا أساسًا".

ردّ قائلًا: "هذا غريب، لأن اللقطات تظهر أن عالم شطب اسمه بالتحديد من القائمة".

قالت له: "صحيح، هل حصلت على أي معلومات أخرى من خلال مشاهدة لقطات الكاميرات؟".

أجابها: "تحدّثت ليزا والشبح قرابة الثامنة والنصف لبضع دقائق في إحدى زوايا الملهى، ثم غادر".

سألته: "هل تقصد غادر المكان؟".

أجابها: "نعم".

سألته: "متى غادرت ليزا؟ وبرفقة من؟".

أجابها: "عندما تواصلنا آخر مرة مع باقي أفراد الطاقم الأساسي صعب علينا معرفة ذلك، لكن الأمر الإيجابي هو أن ساحة نارينكاتوري وكامبي مكشوفة بالنسبة إلى كاميرات المراقبة، وليس هناك الكثير من النقاط العمياء، ما يعني أننا سنتمكّن من ملاحقتها إلى مسافة بعيدة، على الأقل حتى تستقلّ سيارة أجرة".

قالت: "اتّصل براسموس، واطلب منه أن يجلب الأشرطة المتعلقة بالقضية من المدينة".

ردّ قائلًا: "حسنًا".

نظرت جيسيكا إلى ساعتها، ثم قالت له: "يوسف، إنها الساعة الواحدة تمامًا، فلنذهب لإلقاء نظرة على أولغا، هل يمكنك الوصول إلى المختبر خلال خمس عشرة دقيقة؟".

أجابها قائلًا: "لن أستطيع الوصول قبل نصف ساعة"، فأضافت جيسيكا قائلة، قبل أن تنهي المكالمة: "أراك بعد قليل".

كانت على وشك عبور الشارع، وهي تحدّق إلى هاتفها، عندما اصطدم بها شخص ما، وكاد أن يطرحها أرضًا.

تمتمت جيسيكا: "ما الذي..."، وحين نظرت إلى الشخص الذي واصل المشي، وكأن شيئًا لم يحدث، رأت أنها سيدة عجوز، استدارت إلى الوراء قليلًا، ما أتاح لجيسيكا رؤية نصف وجهها، فبدت مألوفة للغاية، ولكنها فكّرت في أنه من المستحيل أن تكون... عندها شعرت بالدوار، فأغمضت عينيها، وعندما فتحتهما مجددًا، كانت العجوز قد اختفت.

23

فتحت سيسي سارفيلينا الصندوق الخشبي، وأخرجت منه علبةً صغيرةً شفافةً من العسل، وأذابته في كوب من الماء الساخن، ثم دسّت أصابعها الطويلة مجددًا في الصندوق، وفتحت علبة أخرى، وأذابت محتوياتها في الماء أيضًا، وبعد ذلك ضغطت على أسفل سلة المهملات وفتحتها بقدمها، ثم رمت العلبة البلاستيكية الفارغة في سلة النفايات،

حرّكت المشروب الذي أعدّته بملعقة صغيرة، وقالت: "عندما تعتاد على كل ما حولك، تزداد قدرتك على التحمل".

فتبادلت جيسيكا ويوسف نظرات غامضة.

تابعت سارفيلينا كلامها قائلة: "في السابق كانت علبة واحدة تكفيني، يا عزيزتي، أما الآن فأنا بحاجة إلى علبتين، وبعد مدة قصيرة سأحتاج إلى ثلاث علب".

أومأت جيسيكا إليها برأسها، وابتسمت لها ابتسامة خفيفة، فبعد لقائها بالمرأة العجوز، بدت هذه المحادثة بمثابة بلسم لأعصابها المتوترة، ما شاهدته للتو يتوافق تمامًا مع السمعة السيئة لطبيب التشريح. قد يغرف شخص آخر العسل من البرطبان مباشرةً، ولكن ذلك سيجعل تقدير الكمية صعبًا من خلال ملء الصندوق الخشبي بحزم صغيرة، ربما لا يمكن العثور عليها في سوبر ماركت عادي، وقد أدركت سيسي سارفيلينا مرة أخرى حاجتها إلى السيطرة على الأمور، فربما استولت عليها من عربة التقديم على متن طائرة، أو من بوفيه الفطور في أحد الفنادق.

سألت سارفيلينا وهي ترفع الكوب إلى شفتيها: "هل تستخدمين العسل؟"، أوشكت جيسيكا أن تردّ عليها، لكن طبيبة التشريح أجابت بالنيابة عنها قائلة: "أحتفظ دائمًا بكمية منه منذ أن كنت طفلةً".

بدت طريقة سارفيلينا في احتساء المشروب مثيرة للدهشة، ناهيك عن ابتلاع السائل، الذي كان يغلي في الغلاية الكهربائية قبل دقيقةٍ واحدةٍ فقط.

تابعت سارفيلينا كلامها من دون أن يرفّ لها جفن: "لطالما كنت أعتبر ذلك أمرًا مفروغًا منه، أعني الإمداد الدائم بالعسل، منذ فترة قرأت أن نحلة واحدة تنتج اثنتي عشرة ملعقة صغيرة من العسل طوال حياتها، هل يمكنكِ تخيّل ذلك؟".

قال يوسف: "يا لها من طبيعة ساحرة!".

قالت سارفيلينا بازدراء قبل أن ترتشف رشفة أخرى: "أترى أن الطبيعة ساحرة؟ تحتوي كل من هذه العبوات على خمسة وعشرين غرامًا من العسل، وأنا أشرب ماء العسل الساخن مرتين في اليوم، وأذوّب كبسولتين في كل كوب، وهذا يعني أنني أستهلك مئة غرام من العسل يوميًا، أليس ذلك صحيحًا؟".

قالت جيسيكا، وهي تضع يديها في جيبي معطفها: "لم أكن بارعة في الرياضيات، ولكن ذلك يبدو صحيحًا"، إنها لا تتذكّر أن سارفيلينا كانت ثرثارة إلى هذه الدرجة، كما أنها لم تتوقّع أن يكون موضوع محادثتهما الأولى غير متعلق بالعمل، ويتناول النحل والعسل.

قالت: "يتطلّب استهلاكي اليومي مئتي ألف زيارة للأزهار، وثمانية آلاف كيلومتر من الطيران، وأداء خمسةٍ وسبعين نحلة منتجةٍ للعسل".

سألتها: "إلى متى سنتحدّث عن النحل...؟".

أجابتها سارفيلينا بفظاظة، كما لو أن جيسيكا ويوسف هما من تطرّقا إلى موضوع النحل في المقام الأول: "حسنًا، ألا يتحتّم علينا أن نبدأ بالعمل؟ إننا لا نريد تبديد أموال دافعي الضرائب".

وضعت سارفيلينا كوبها على مكتبها، وتنقّلت بين يوسف وجيسيكا، ثم اتّجهت إلى الطاولة المعدنية حيث يستلقي الجسد تحت غطاء بلاستيكي.

لم ينطق أحدهم بكلمة للحظات، فأصغت جيسيكا إلى صوت هدير التكييف المنبعث من السقف، والذي يمتصّ رائحة الفورمالديهايد المسبب للصداع، ما

يؤدّي إلى تقليص انتشارها فوق الحد المطلوب.

سألتها: "ما الذي توصّلت إليه حتى الآن؟".

أجابتها قائلة: "سأضطرّ إلى إحباطك في هذه المرحلة".

نقرت سارفيلينا على أسنانها بظفرها، فتجهّم وجه جيسيكا.

تابعت سارفيلينا الحديث وهي ترتدي قفازيها: "إن سبب الوفاة في هذه الحالة، لا يشكّل أي مشكلة، ومع ذلك يشير تحليل الدياتوم إلى أنها لم تمت غرقًا".

نظرت سارفيلينا إلى جيسيكا، وكأنها تتحقّق من استيعاب المحققة ما تشير إليه، وبالطبع فهمت جيسيكا أن تحليل الدياتوم تطوّر مؤخّرًا في فنلندا، وهو طريقة موثوقة بشكل مدهش لاكتشاف ما إذا كانت الضحية ماتت غرقًا أو أن المياه غمرتها بعد الموت، والفكرة الأساسية تكمن في أنه إذا مات الشخص غرقًا، فإنه يستنشق الدياتومات أو الطحالب الدقيقة من الماء، والتي تشقّ طريقها بعد ذلك من الجهاز التنفسي إلى الدورة الدموية، حيث ينتشر في جميع أنحاء الجسم بسرعة البرق. وفي أثناء التحليل المناسب تؤخذ العينات من الدماغ والرئتين والقلب والكبد والكليتين، ويؤكّد وجود الدياتومات في هذه الأعضاء أن سبب الموت هو الغرق. علاوة على ذلك ونظرًا إلى وجود الملايين من أنواع الدياتومات، يتيح التحليل أيضًا معرفة إن كانت الضحية قد غرقت في المكان الذي عُثر عليها فيه.

قالت جيسيكا: "حسنًا، أي أنه لم تمتلئ الرئتان بالماء إلا بعد الموت، أليس كذلك؟"، أومأت سارفيلينا برأسها،

وبعد أن ساد الصمت للحظات، تابعت الطبيبة الشرعية كلامها قائلةً: "تظهر العلامات الوحيدة للإصابات الخارجية في عظم الصدر والأضلاع كسورًا صغيرة".

سألها يوسف: "أهي تعود إلى محاولات الإنعاش؟".

ابتسمت سارفيلينا بفتور قائلةً: "استنتاجك مثير للاهتمام".

سحبت الغطاء البلاستيكي، وأظهرت البقع الداكنة على صدر أولغا بيلوسوفا، وقالت: "كما ترون، حصلت محاولة لشقه، ولكن لم يحصل ذلك هذا الصباح بالطبع، بل قبل أن تغمرها المياه".

سألتها جيسيكا: "هل تعتقدين أنها كانت عملية قانونية؟".

هزّت سارفيلينا بكتفيها قائلة: "غالبًا ما تحدث مثل تلك الإصابات عند الضغط الشديد على الصدر، حتى إن قام بها محترفون مدربون ومحنكون، ومن المستحيل تحديد ما إذا كان ذلك عمل منقذ متمرس أو عمل أحد الهواة، ويمكن للمرء بالطبع، أن يفترض أن الإنعاش لم يحقّق النتيجة المرجوة، وإلا لما كانت صديقتنا مستلقية في مختبري".

دارت سارفيلينا حول الطاولة، ودسّت أصابعها عبر الغطاء الذي يغطّي أطراف أولغا السفلية، لطالما اعتبرت جيسيكا أن أطباء التشريح تربطهم علاقة غير عادية بالموتى، وهي علاقة لا تتميّز باللامبالاة أو بغياب العاطفة، كما يعتقد الكثيرون، بل على العكس تمامًا، فهم يعاملون الأجساد مثل الرفاق، وكأن الموت لم يفرق بينهم، وبعد كل شيء نحن جميعًا نسير على الدرب نفسه، والشيء الوحيد الذي يفرّقنا هو توقيت النهاية، *أنتم السابقون ونحن اللاحقون، يا أولغا.*

تابعت سارفيلينا كلامها، وهي تنظر إلى الساعة المرئية أسفل رداء المختبر: "مع ذلك، هناك أمر واحد جدير بالملاحظة، وهو أنها عانت من جفاف شديد، ولا أقصد النوع الذي يقضي فيه المرء فترةً طويلة من دون تناول السوائل، بل الجفاف السريع الظهور، فقد تقيّأت بغزارة قبل وفاتها، وهذا يؤكّد العثور على بقايا في الفم والمريء أيضًا، وتُظهر اختبارات الدم الأولية ارتفاع حجم الهيموغلوبين والكريات الحمراء، وهذا يشير إلى الجفاف".

سألتها جيسيكا بهدوء: "تقيّأت بغزارة... هل هذا يعني أن سبب الوفاة مرتبط بطعام مسموم قد تناولته؟".

ردّت قائلة: "هذا محتمل، لأنني لم أجد أي علامات لجروح عميقة، وقد أُرسلت عينة من محتويات المعدة إلى قسم السموم، وكذلك عينة من الدم".

سألها يوسف: "متى...؟".

قاطعت سارفيلينا سؤال يوسف بنظرةٍ حادة، وقالت له: "سنردنا النتائج عندما ينتهي التحليل"، بدا أنها تحاول النظر إلى شيء ما في الجزء الخلفي من الغرفة، فجأة قالت، وكأنها تذكّرت حدثًا قديمًا: "أنت يوسف، أليس كذلك؟".

هزّ يوسف رأسه، وهو يبسط يده إلى جنبه: "يوسف بيبل".

قالت له: "اسمع يا يوسف بيبل، هل يمكنك أن تجلب لي ماء العسل الساخن؟ أعني الكوب الذي يحتويه".

رمقها يوسف بنظرة حادة، ثم أشارت بإبهامها في الاتجاه الذي اقترب منه الثلاثة من الجثة، وقالت: "بعد إذنك طبعًا، فأنا لا أحبّ لمس الأشياء، وأنا أرتدي هذين القفازين".

استدار يوسف لإحضار الكوب، بينما أومأت جيسيكا برأسها إلى ثنية ذراع الضحية قائلةً: "ماذا عن هذه الآثار؟".

ردّت قائلة: "إنها حروق من الدرجة الأولى، ولا شك في ذلك، وهو إجراء مؤلم بلا شك إن كانت واعية، وقد أخذتُ خزعات من الأنسجة المحترقة، يمكن أن تقودنا إلى دليل ما، وربما تحتوي على آثار للمواد المستخدمة في إحداث علامات الحروق".

عاد يوسف وهو يحمل الكوب في يده، ثم مرّر ماء العسل إلى سارفيلينا، التي ابتسمت ممتنة له، وقالت: "شكرًا لك يوسف بيبل، الآن ألقِ نظرة على هذا"، لمست سارفيلينا النتوء البارزة من الجلد حول الحروق بأطراف أصابعها التي يغطّيها القفاز، وقالت: "تعرّض الجلد لإصابة لا تفسّرها الحروق وحدها، وأظنّ أنها استجابة التهابية".

سألها: "ما سبب ذلك؟".

أجابته: "ربما كانت مادة متسربة إلى الجروح".

سألتها جيسيكا: "متسرّبة؟".

ارتشفت سارفيلينا رشفة أخرى، ولعقت بعض قطرات الماء عن شفتيها، وقالت: "صبرًا، يا نيمي، سنعرف المزيد من قسم السموم".

سألتها: "هل لديك أي أمر آخر؟".

رفعت سارفيلينا الأصابع البيضاء للمرأة الميتة بلطف، وقالت: "هناك بعض التلون على الأصابع، وقد استخرجت القليل من المادة اللزجة السوداء التي يُفترض أنها المادة نفسها التي تحت الأظافر، وأُرسلتها إلى المختبر، ويمكن أن نصل إلى أمر ما، كما يمكن ألا نصل".

مكتبة
t.me/soramnqraa

سألتها: "هل حدّدت وقت الوفاة؟".

ردّت قائلة: "أظنّ أنها ماتت منذ ثلاثة أو أربعة أيام".

استعادت جيسيكا بصمت، وفاة أولغا في وقت متأخر من ليلة السبت أو في وقت مبكر من صباح الأحد، وإثبات أن جيسون نيرفاندر كان في مكان قريب من مكان الوفاة وفي الوقت نفسه.

سأل يوسف: "هل لديك فكرة عن الموعد الذي نستطيع فيه استلام نتائج التحاليل؟".

ارتسمت ابتسامة مفاجئة على وجه سارفيلينا، وقالت وهي تحتسي شرابها: "لدي إجازة لمدة أسبوعين تبدأ من يوم الجمعة، فسأزور بالي، إذ يقولون إنها رائعة، وأيًا يكن الأمر، أودّ الحصول على هذه النتائج قبل أن أغادر، لذلك سأضغط قليلًا على المختبر لتسريع إصدار النتائج، ولسبب ما تثير هذه القضية اهتمامي، ليس بسبب ملابسها وآثار الحروق تلك، يا إلهي، ما كل هذا الغموض؟!".

نظرت جيسيكا إلى ساعتها، وقالت: "رائع"، يصعب عليها تخيّل شكل طبيبة التشريح في أي مكان مشمس، وهي تظنّ أن سيسي سارفيلينا من النوع الذي يجلب السحب الماطرة إلى الصحراء.

خلعت سارفيلينا قفازيها، وذهبت إلى حوض الغسيل المصنوع من الكروم، ورمتهما في سلة المهملات، ونظرت حولها، ثم هزّت رأسها قبل أن تعدّل الغطاء الأخضر الذي يحمي شعرها.

تتّصف سيسي سارفيلينا بالطول والنحافة، وبالجمال الكلاسيكي، مع أنها مخيفةٌ بعض الشيء، كما أن ملامح وجهها وبشرتها البيضاء ونظراتها الحادّة لا تجعلها تتّصف بالجاذبية أبدًا.

قالت، وهي تفرك يديها: "لا أتذكّر آخر مرة قضيت فيها إجازة لمدة أسبوعين، إن جلَّ ما يشمّه المرء في هذه الغرفة، هو رائحة الموت الذي تأقلمت معه منذ مدةٍ طويلة، ولكن على الرغم من أنني سأكون غائبة لمدة أسبوعين عن هذا المكان، فما زلت أخشى أن أصاب بالمرض المهني لأطباء التشريح: *الرغبة في الجثث*".

سألها: "ما هذا؟".

كشفت سارفيلينا مرة أخرى عن أسنانها المزروعة في لثتها الضخمة ذات اللون الأحمر وشرحت قائلة: "الشوق للموتى".

24

خلع راسموس سوسيكوسكي نظارته، ونظر إلى انعكاسه الضبابي في مرآة غرفة الرجال، ثم فرك جانبي أنفه بطرف إبهامه، وشعر بالحافة غير المستوية لعظم الأنف، التي تشوّهت خلال مشاجرة حدثت في المدرسة الابتدائية منذ فترة طويلة، كانت تلك الاعتداءات بريئة، يعاملها القانون بشكل مختلف عن الاعتداء في مرحلة الشباب إذ يُعتبر المعتدي حينها من الجناة. يتذكّر راسموس أنه نظر إلى قبضات أيدٍ عديدة خلال سنوات دراسته إلى درجة أنه لن يستطيع تذكّر كل من لكمه، ومتى حصل ذلك، وربما لن يستطيع حتى أن يتذكّر الأسباب حينها، ولكن هناك أمرًا واحدًا مؤكدًا، وهو أنه كان بشكل عام سبب اندفاع زملائه العنيف، الذين تهجّموا عليه حتمًا إما لأنه نطق بكلام لم يجدر به أن يقوله، أو لأنه لم ينطق بكلام كان يجدر به أن يقوله، فعلى سبيل المثال، قدّم رأيه عندما لم يطلبه أحد، أو تجمّد في مكانه عند طلب منه أحدهم منه توضيح بعض التعليقات التي أدلى بها:

ماذا قلت أيها الشاذ؟ أعطِني سببًا واحدًا وجيهًا لعدم ضرب وجهك اللعين في الوقت الحالي.

رفع راسموس نظارته إلى الخلف وتنهّد بعمق، إنه ليس الأنف المعوج الذي جعله قبيحًا، ولنكون أكثر دقة، ليس الأنف المعوج وحده ما يجعله قبيحًا. لا جدال في أنه شخص قبيح وبغيض، وإلا فلماذا يعيش في علية منزل والديه، وفي غرفة تنظّف والدته ملاءاتها كل ثلاثاء؟ بين الحين والآخر يشعر راسموس بأن كل ما يحتاج إليه هو لكزة صغيرة في صدره، أو التربيت على ظهره، للحصول على بعض الدعم من والده ووالدته، وبغض النظر عن مدى عدم ملاحظته، ولكن لا يبدو أن والديّ راسموس يثقان بقدراته، ويبدو الأمر كما لو أنهما يعرفان دائمًا أن جناحي

ابنهما ليسا قويين، وأنه غامر بترك العش الآمن، وانطلق إلى التحليق بين الصخور التي تسبّبت في كسر رقبته.

إنه عالم قاسٍ، يا راس، قاسٍ جدًا، ما مشكلة الإقامة هنا؟

عاد راسموس إلى الواقع بشكل متقطع، عادة كان يجهش ليلًا بالبكاء، ويصرخ في الوسادة، أو يُشهر سيفه الصدئ، ثم يكنس كل الفضلات البلاستيكية عن الأرفف والأرضية، وبعد تنظيف الفوضى بالمكنسة الكهربائية بشكل مُبالغ فيه، كان يحزم حقائبه، ويهرب بعيدًا قدر الإمكان، إلى الجانب الآخر من هلسنكي على الأقل.

لكن هذا ليس راسموس سوسيكوسكي حقًا، لقد قام دائمًا بما طلبته منه والدته ووالده، فحسّن ألفاظه، وخفّف من غضبه، وأثار إعجابه أن القليل من الأمور تسير في الحياة بالطريقة التي يريدها، وأن الشكوى لن تجعله يحصل على الكثير في أي مكان، *فقط دعهم يضربوك، يا راس، وليضحكوا، فإنهم يشعرون بالغيرة في أعماقهم، وطالما أنك تعلم ذلك، فستكون بخير.*

ما الذي يغارون منه بالتحديد؟

انفتح باب الحمام، وكاد قلب راسموس يقفز في صدره، عندما دخل رجلٌ طويل ونحيف وغريب المظهر تمامًا، وتتدلّى أصابعه الرفيعة من يديه الكبيرتين، واللتين تكادان تبلغان حجم اللوحة التي تحيط بسلة كرة السلة إن أردنا تشبيهه.

أومأ راسموس برأسه، فاتجه غامي هارغولا إلى إحدى الكابينات، ثم عاد فجأة، وتقدّم نحو راسموس باسطًا ذراعيه إلى جانبيه، وسأله قائلًا: "مرحبًا سوسيكوسكي، ما قضية المانغا هذه؟".

رفع راسموس رأسه، ثم أخفضه عندما بدت نظرات الرجل الطويل حادة وشديدة القسوة، ثم قال: "لا أحبّ حقًا...".

قاطعه هارغولا وهو يضحك ضحكة لطيفة، وقال: "أعني، هل تعتقد أن هناك ترابطًا بين القضيتين؟".

أخذ راسموس بعض مناديل التجفيف، وجفف أصابعه جيدًا، ثم دوّت الأنابيب داخل الجدار في الوقت الذي تدفّقت فيه المياه في مرحاض غرفة السيدات.

قال: "نعم، لا شك في ذلك".

تفحّص هارغولا راسموس للحظة، ثم أشاح وجهه عنه، ومن المؤكد أنه لم يقدم على تلك الخطوة بسبب الحرج، فهارغولا هو أحد المحققين القلائل الذين لا يستغلّون وجودهم المادي ليشغلوا المساحة في أروقة الوحدة، ومن المحتمل أن يكون غرور هارغولا، أكثر وضوحًا في المنزل من غروره في أوقات الدوام، ومع ذلك شعر راسموس بأنه صغير جدًا في حضور ذاك الرجل الطويل.

سأل هارغولا: "هل هناك دليل يدعم افتراضك، بخلاف ما كانت ترتديه أولغا بيلوسوفا عندما عُثر عليها؟".

رمى راسموس المناديل المبللة في القمامة، وقال: "سوف تكتشف ذلك في الاجتماع الذي سيُعقد، بعد خمس عشرة دقيقة من الآن".

ما إن أمسك راسموس بمقبض الباب، حتى اعترض هارغولا طريقه فجأةً، ولكن لا بد أنه لاحظ أن ردة فعله لم تكن ضرورية، لأنه تراجع من تلقاء نفسه خطوة إلى الوراء، وقال: "حسنًا، لا أقول إنني لا أصدّق كلامك، لأنني أجهل ما توصّلتم إليه في تلك القضية، ولكنني أودّ أن أطلب منك أمرًا مختلفًا تمامًا، يتعلّق بشخص تعرفه أكثر مني بكثير".

سأله: "من؟".

ردّ قائلًا: "نيمي".

شعر راسموس بأن نبضه يتسارع، وسأله مستغربًا: "جيسيكا؟".

قال: "نعم، جيسيكا، سبق لي أن عملت معها...".

تمتم قائلًا: "أعملت تحت إشرافها؟!"، ندم راسموس على ما تفوّه به، وتذكّر نفسه في فناء المدرسة، خارج العربات، وهو يتفوّه بكلمات سخيفة على مسمع زملائه الأطول منه.

لكن غامي هارغولا لن يضرب راسموس بالطبع، بل سيكتفي بالتذمر من تعليقه.

قال وهو يحكّ ذقنه: "بالضبط، عملت تحت إشرافها في تلك المرة وحسب، ومن الواضح أنك عملت تحت إشرافها في أكثر من قضية".

ردّ قائلًا: "نعم... كنت أفكّر...".

نظر راسموس نظرة استجواب إلى هارغولا، *مهما كانت الخطة التي توصّلت إليها للتخلص من جيسيكا، فيمكنك استبعادي.*

زمّ هارغولا شفتيه في خطٍ ثابت، وهو ينظر إلى أبواب الكبينة للتأكد من أنهما وحدهما، ثم فتح شفتيه ليسأل سؤالًا آخر، ولكنه تراجع عن ذلك، في النهاية ضحك وهزّ رأسه.

قال له: "انسَ الأمر يا سوسيكوسكي، إنه خطئي، فأنا مجرد ثرثار، أراكَ في الاجتماع".

25

صعدت جيسيكا الدرج درجتين درجتين، كما كانت تصعده عندما كانت طفلة صغيرة، فشعرت بانحصار البول في مثانتها، وهي توشك أن تصل إلى الطابق الرابع، مع أن أربعة وثلاثين عامًا لا تعدّ تقدمًا كبيرًا في السن، ولكنها لا تعتبر أيضًا صغيرة السن، فربما ينبغي لها أن تستريح من الجري، بعد أن خرجت الأمور عن السيطرة في الآونة الأخيرة، خاصة عندما تتوفّر فرصة الوقوع فريسة نزوات المهووسين بليلة عيد الميلاد في الغابة.

صعدت جيسيكا الدرجات الأخيرة، وفتحت باب وحدة الجرائم العنيفة بواسطة بطاقتها الخاصة، فمرّت بالقرب من المكاتب التي يجلس إليها أفراد الوحدة الذين تتدلّى شاراتهم من أعناقهم، رنّ هاتف أحدهم من دون توقف، بينما كانت عشرات الأصابع تنقر على لوحات المفاتيح، فعادةً كانت تجتمع مجموعة من الأشخاص خلف ظهر شخص ما للتفكير في بعض المسائل المتعلقة بالعمل، أو ربما للضحك على مقطع فيديو ساخر حول القطط، ولكنها لم تشاهد أي تجمع اليوم حتى التجمع الدائم أمام مبرد المياه في المكاتب المفتوحة التي جلس أفرادها أمام حواسيبهم. وعندما شاهدوا جيسيكا التي أدركت في النهاية أن الجميع لاحظوا حضورها، رفعوا رؤوسهم وألقوا عليها التحية.

إنها تدرك تمامًا أنها تلفت الانتباه دائمًا بما تمتلكه من صفات متميزة، وعلى الرغم من بذل قصارى جهدها للانغماس في أجواء المجموعة، إلا أن الاهتمام غير المعتاد الذي يُبديه لها زملاؤها الذكور ليس بسبب السمات اللافتة للنظر في مظهرها الخارجي، بل بسبب أسلوبها المتميز الذي يحفّز الآخرين على التقرّب منها ودفعهم إلى الانجذاب إليها من دون أن تتعمّد اللجوء إلى ذلك الأسلوب. *إنها*

محطمة القلوب ولكنها لطيفة، ما لا يدركه هؤلاء الحمقى أنها تعرف تمامًا ما يقولونه ما إن تغلق باب غرفة تبديل الملابس.

لكنها لسببٍ ما، لا تثير مشاعر سلبية لدى زميلاتها، كما يمكن أن تثيرها الفتاة التي تتلقّى اهتمام الذكور الجماعي في معظم أماكن العمل، لذلك أصبح واضحًا السبب الذي جعل هيلو تكرهها، أما بالنسبة إلى نينا ويل، فهي لديها المبرر الأكبر لكي تكرهها.

بمناسبة الحديث عن الشياطين.

نقرت هيلو على ساعة يدها الذكية فور دخول جيسيكا الغرفة، وقالت: "لقد تجاوزت الساعة العاشرة"، وقفت نينا إلى جانب هيلو، بعد أن انسلّت إلى غرفة الاجتماعات من دون أن تنطق بكلمة واحدة.

ردّت قائلة: "لقد وصلنا للتو...".

سألتها: "أين يوسف؟".

قالت لها: "إنه يركن السيارة في المرآب، وسينضمّ إلينا في غضون ثوانٍ".

أومأت هيلو إلى جيسيكا لتجلس مكانها، وقالت لها: "لن ننتظره أكثر".

لطالما كانت غرفة الاجتماعات محبطةً، ولكن إذا دخلت جيسيكا وهي مغمضة العينين، فستشعر بأنها في مخبزٍ في بلدة صغيرة، وكالعادة كانت تُقدّم القهوة واللفائف الحلوة قبل بدء المناقشة حول التحقيقات، فلم يكن اليوم استثناءً، ولكن الجرس لم يرنّ عند وصولها، كما لم يرحّب بها أي صوت دافئ، فلا شيء يمكن أن يحوّل هيلينا لابي إلى سيدة ودودة ولطيفة، وهي تقف خلف صندوق زجاجي وفي يدها كيس ورقي.

قالت جيسيكا: "مرحبًا"، من دون أن تخصّص أحدًا محددًا بتحيتها.

كان راسموس، ونينا، وهارغولا يجلسون إلى الطاولة بالقرب من بعضهم، بينما جلست هيلو بين الأخيرين، وهي تتناول لفة هال.

يا له من فريق مميز! يجعلك تشعر وكأنك تدخل إلى عرين الأسد.

ردّ راسموس بأسلوبه المعتاد: "أهلًا"، وهو يذكّر جيسيكا بغبي يجثم تحت الأرض تفاديًا لوقوع أي انفجار نووي، ولكن حضور راسموس في الوقت الحالي كان مهمًا جدًا، فهو الوحيد الذي يستلطف جيسيكا من بين الرباعية الجالسة إلى الطاولة، أو أنه ربما يحاول جاهدًا أن يستلطفها، على الرغم من اضطراباته الشخصية.

أما بالنسبة إلى غامي هارغولا، فعلى الرغم من كل ما يكنّه لها من مشاعر سلبية، إلا أنها تجده شرطيًا بارعًا ورجلًا إنسانيًا، وربّ عائلة مثاليًا، وذا عقل راجح، ولكن لسبب ما لم ينسجما معًا، فهي تشعر بأنه يستطيع أن يسبر غورها، ويخمّن كل ما يجيش في أعماقها حقًا، وقد حذّرها إرني منه منذ سنوات طويلة قائلًا: *انتبهي إلى تصرفاتك مع هارغولا، يا جيسيكا. إنه يُشبه كلبًا ذكيًا مدربًا ببراعة، فهو ليس سيئًا، ولكنه يخلص لسيد واحد فقط، وهو النظام.*

أما نينا روسكا فهي الفتاة اللطيفة والجميلة، التي فقدت ثقتها بجيسيكا في الربيع الماضي، لأنها خرّبت علاقتها بحبيبها لمرتين. اتّضح لاحقًا أنه مجرمٌ يرتكب جرائمه بدمٍ بارد، كما كان فردًا سيئًا في عمله في الوحدة، وعلى الرغم من ذلك لم تتخلَّ نينا عن حبها له.

لم تستطع جيسيكا نسيان ما جمع بينهما من ذكريات الماضي، فكيف يمكنها أن تنسى وجه نينا المشرق والمبتسم على الدوام، وزجاجات عصير الليمون الطازج، التي قدّمتها نينا إلى الجميع بمناسبة عيد الميلاد الماضي، والبطاقات البسيطة والمصممة بعناية، وهي تُظهر مشاهد الشتاء الطبيعية والتي صنعتها بإتقان؟ لقد أنقذتها جيسيكا من الوقوع في فخه، ولكنها لم تعد تستطيع أن تنظر إلى أي منهما، ومع أنها كانت تُحبّ مذاق شراب الليمون الطازج وهو في صندوق الثلج، إلا أنها تعلم أنها لا تستحقّه.

على الرغم من ذلك لم تكن مقربة من نينا البتّة، إلا أنه لم يكن يُفترض أن يعلم أحد بطبيعة علاقتهما، بل كان ينبغي أن تسير الأمور بالطريقة التي سارت عليها سابقًا، وبالنسبة إلى جيسيكا كانت مجرد علاقة جنسية عابرة لا معنى لها،

وقد دفعتها إلى إقامتها الشهوة الجارفة التي تغذّي الفكر العقلاني، وغالبًا ما يتبعها الندم خاصة عندما ينتهي الأمر إلى جرح مشاعر الآخرين. كان كل ما حصل خاطئًا بالطبع، وما كان عليها أن تفعل ما فعلته، ولا جدال في ذلك، ولكن الأوان قد فات الآن لتصحيح ما ارتكبته من خطأ وإصلاح ما انكسر بينهما.

عقدت جيسيكا ذراعيها أمام صدرها، وسمعت حفيف الكيس الورقي، وهي تشاهد لفائف الهال تختفي في بطون المجتمعين.

هيلينا لابي هي نسخة من زوجة الأب الشريرة في أفلام ديزني، فهي مزيجٌ من آني ويلكس وسيرسي لانيستر في فيلم واحد، المرأة التي تبدو حذرة وغيورة على منصبها كما لو أنها تقيم معه علاقة جديدة من دون أن تدرك أن عائلتها المتشابكة الأصول والفروع تضمّ ابن زوجها إلا بعد فوات الأوان، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية، فشبح إرني يلاحقها في كل مكان. إن احترام ذكرى إرني وافتقاده يبدوان واضحين جدًا في المقر الرئيسي، فهو الرجل المرح والذكي والمحبوب الذي تنتشر صوره من جدار الشرف الخاص بالوحدة إلى جوار مبرد الماء، فلا يزال أعضاء الوحدة يشعرون بالحنين إلى نكاته وذكرياتهم الحلوة التي قضوها برفقته، كما لا يزال بعضهم يذرف الدموع لرحيله بين الحين والآخر، فإرني هو مثال القائد الذي ارتقى منصبه بفضل قوة جاذبيته وإنسانيته التي تفوّق بها على الجميع، وقد حقّق مكانة أشبه بمكانة القديس في مركز عمله.

يريد أعضاء الوحدة أن يتذكّروه باستمرار، بينما تريدهم هيلو أن ينسوه نهائيًا، إلا أن ما لا تستطيع هيلو أن تتجاهله بالنسبة إلى إرني، هو أنه ما دامت الابنة لا تزال تعيش في القصر، فإن زوجة الأب الشريرة لن تحصل أبدًا على ما تريد الحصول عليه من اهتمام أعضاء الوحدة واحترامهم.

قال يوسف وهو يقف خلف جيسيكا: "آسفٌ لتأخري".

عندما أغلق الباب، شعرت جيسيكا بأن قلقها بدأ يتبدّد، فلحسن الحظ لا يزال يوسف إلى جانبها، وهو آخر حليف لها في الوحدة، والذي يعدّ صديقها الحقيقي.

26

أسندت هيلو ظهرها إلى الخلف، ونظرت إلى الغرفة، فبدت كما لو أنها قبو مصرف يتمّ التخطيط لسرقته، فشعرت جيسيكا بأنها تجيد تحليل نفسية رئيسها في العمل. ثم مرّت لحظات، من دون أن تكفّ هيلو عن التحديق إلى وجهها، لقد تكرّرت تلك اللحظات عدة مرات اليوم.

أخيرًا قالت هيلو، وهي تضغط على ساعتها الذكية: "حسنًا، هل حضر الجميع؟"، هل هي تقيس نبضها في أثناء الاجتماع فعلًا؟

أزالت هيلو السكر من يدها على طبقٍ ورقيٍ صغير، ومالت إلى الأمام في كرسيها، بينما كانت تطحن أضراسها لفة الهال بشكل كامل، ثم قالت فجأة: "إنكم تنظرون الآن جميعًا إلى أفراد فريق التحقيق، كما يمكن أن نستعين بمن يقدّم إلينا يد العون إن احتجنا إلى مساعدته".

نظر غامي هارغولا إلى الآخرين بحسب ما علّقت هيلو، حسنًا، فلنضف عنصرًا آخر إلى الوصف، يوضح أنه بعد امتلاك "*عقلٍ راجح استقرّ فوق كتفيه*"، صار مدعيًا البر.

رمقت هيلو جيسيكا بنظرة حادة، وقالت: "ستتولّى جيسيكا قيادة فريق التحقيق".

تنهّدت جيسيكا بعمق، فقد ظنّت قبل بضع دقائق، وهي تركب سيارة يوسف، أن هيلو ستعيّن هارغولا قائد التحقيق بدلًا منها، بعد أن كلّفته بالتحقيق في حادثة الشابة التي عُثر عليها في أورينكولاهتي، فكانت تلك الجثة الرابط الوحيد بالقضية التي يعمل عليها الفريق الذي انضمّ إليه حديثًا، ولكن عندما بدأت تفكّر في الموضوع، اتّضح لها الأمر، فقد استغلّتها هيلو لتكون بمنزلة جاذب صواعق،

ففرصة جيسيكا بصفتها قائدة تحقيق أكبر للفشل وارتكاب الأخطاء، وستبدو حمقاء، حتى ولو حلّت القضية. وبالطبع تفضّل هيلو أن تحلّها، لأنها جريمة القتل الثانية خلال فترة ولايتها بصفتها مشرفة عليه، ولكن من يعلم؟ فقد تكون الخطة الأساسية هي التضحية بجيسيكا، وبالتالي سيكون فشل القضية التي لم تُحلّ يعود إلى جيسيكا *رغمًا عنها*.

قالت: "كما تعلمون جميعكم الآن، أننا نتعامل مع تحقيق استثنائي، يربط بين ثلاث قضايا منفصلة عن بعضها، وأصبحنا نعلم الآن حقيقة ما آلت إليه نتائج واحدة منها وحسب، ألا وهي موت فتاة شابة، وليس ضروريًا أن يكون سبب موتها ارتكاب جريمة قتل، كما أنه من بين القضايا الثلاث قضية اختفاء ليزا ياماموتو وجيسون نيرفاندر التي تربطها بقضية أولغا بيلوسوفا صلة قوية، ولكن تلك الصلة بالمرأة التي عثر عليها في أورينكولاهتي، هي ظرفية حتى الآن، وتعتمد على الملابس التي كانت الضحية ترتديها عند العثور على الجثة وحسب، ومع ذلك قرّرتُ أن أجمع بين هذين التحقيقين، لأنني وبصفتي المشرفة لا أؤمن بالصدف".

فتحت هيلو حاسوبها المحمول، فبدأ جهاز العرض بالطنين، وبعد لحظات ظهر مربعٌ مضيءٌ على الحائط الأبيض.

قالت: "تشير بيانات المحطة الرئيسية إلى أن جيسون نيرفاندر كان في أورينكولاهتي في الوقت الذي توفّيت فيه بيلوسوفا، وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد التقنيون إحدى لوحات المانغا في منزل ليزا ياماموتو، والتي اتّضح أن محتواها يظهر فتاة تطابق ملابسها ملابس المرأة الأوكرانية تمامًا".

نقرت هيلو فوق شريحة ما فظهرت صورتان جنبًا إلى جنب، وهما لوحة المانغا التي عُثر عليها في منزل ليزا، وجثة أولغا بيلوسوفا الملقاة على ظهرها على رمال الشاطئ المجمدة، ويتطابق شكل الملابس في كلتا الصورتين، وصولًا إلى حقيبة الظهر.

همس راسموس قائلًا: "يا إلهي!".

قالت: "نحن لا نعرف سواء أكانت ليزا ياماموتو قد رسمت أولغا بيلوسوفا أو أنها استوحت رسمتها من ملابس بيلوسوفا، فأيهما كان أولًا، الدجاجة أم البيضة؟".

قال يوسف: "ولكن الفتاة الظاهرة في الرسم ليست أولغا بيلوسوفا".

تفحّص الجميع الصورتين، كما لو أنهم يتأكّدون من أنهما مختلفتان.

دفعت هيلو لفات الهال نحو هارغولا قائلةً: "كلا، لكنني أشكّ في أن ذلك قد يغيّر حقيقة أي حدث من الأحداث"، *تناول قطعة من الحلوى، يا بولي، وانطق بما يجعل رئيسك يبدو بصورة تليق بمكانته.*

انزعجت جيسيكا من الإضاءة المعكوسة على جبهتها، ثم نظرت إلى نينا التي كانت تحدّق إلى الصور المعروضة على الحائط، فبدت قاعة المؤتمرات مثل برميل بارود على وشك أن يتشظّى.

قالت هيلو قبل أن تعاود الانشغال بساعتها الذكية مجددًا: "حسنًا يا جيسيكا، الساحة لك".

عدّلت جيسيكا من طريقة جلوسها على كرسيها، وجمعت راحتي يديها معًا على الطاولة، وقالت: "في البدء، أرجو منك، يا راس، أن تبلغنا بما جمعته من لقطات كاميرات المراقبة توضح المسار الذي سلكته ليزا بعد مغادرتها فينيكس".

ردّ قائلًا: "لقد غادرت سيرًا على الأقدام في اتجاه محطة مترو كامبي، وتظهر الكاميرات دخولها محطة انتظار سيارات الأجرة لمدة زمنية محددة، ولكن يبدو أنها تعبت من الانتظار، فمشت في رونيبيرجينكاتو، في اتجاه تولو".

سألته: "أكانت متجهة إلى منزلها؟ هل ظهرت في كاميرات أخرى على امتداد الطريق الذي سلكته؟".

ردّ قائلًا: "كان الأمر صعبًا بعض الشيء، إذ لم تتوفّر الكثير من كاميرات المراقبة على امتداد طريق إيتو- تولو".

قالت: "من فضلك تابع البحث".

ثم حوّلت جيسيكا حديثها إلى المجموعة، بعد أن دفعت ورقة مطبوعة إلى وسط الطاولة، وقالت: "عندما يتعلّق الأمر بالمشتبه بهم في هذه المرحلة، فلدينا أدلة واضحة على أن هذا... وهو رجلٌ من أصلٍ آسيوي، يبلغ ما يقارب 45 عامًا، وهو متوسط الطول وليس ضخم البنية، ويستخدم عطرًا قوي الرائحة بعد الحلاقة، متورطٌ في اختفاء ليزا ياماموتو، إن لم يكن متورطًا في أكثر من ذلك".

بدت الدهشة على ملامح وجه هيلو، وقالت: "أيستخدم عطرًا قوي الرائحة بعد الحلاقة؟ من أين حصلت على تلك المعلومة؟".

ردّت قائلة: "أعلمتني بها إيسي، زميلة ليزا في السكن، قالت إنه زار ليزا في الشقة، وإن رائحة عطره فاحت في الشقة حتى بعد رحيله".

ضحك هارغولا، وقال ساخرًا: "حسنًا، كل ما نحتاج إليه الآن هو كلب لابرادور ريتريفر مدرب".

ردّت جيسيكا بجفاء: "ولكن ليس لدينا أي روائح مرجعية".

ردّ هارغولا بنبرةٍ دفاعية: "لقد كانت مجرد مزحة".

لم تعره جيسيكا أي اهتمام، بل تابعت كلامها قائلة: "هذا الرجل الذي نلقّبه بالشبح حتى هذه اللحظة، كلّف ليزا برسم لوحة المنارة، والتي يفترض أنها سلّمته إياها قبل أن تختفي، واستنادًا إلى رسم عُثر عليه في غرفة ليزا، فإن الصورة مطابقة تقريبًا للصورة المنشورة عبر حساب الإنستغرام الخاص بها هذا الصباح، والفرق الوحيد بينهما أن فتاة تظهر في لوحة ليزا إلى جانب المنارة، في حين أن الصورة المنتشرة عبر الإنستغرام، لا تحتوي سوى على المنارة وحدها".

سألتها هيلو: "من الفتاة الظاهرة في اللوحة؟".

أجابت: "لا نعلم".

للحظة، لا يمكن سماع أي أصوات في الغرفة عدا أصوات مضغ الكعك، وشرب القهوة.

سحبت جيسيكا تقريرًا مطويًا من جيبها، وقالت: "أما بالنسبة إلى ما يتعلق بموت أولغا بيلوسوفا، فقد التقيت للتو أنا ويوسف بسارفيلينا، والمعلومات التي أطلعتنا عليها حتى الآن هي أن بيلوسوفا لم تمت غرقًا، وأنها ماتت إما في وقت متأخر من ليلة السبت أو في وقت مبكر من صباح الأحد بحسب رأيها".

سألتها: "ما سبب الموت؟".

أجابتها: "غير محددٍ حتى الآن، كما أنها استنادًا إلى التشريح الأولي للجثة، عثرت على بعض الإصابات الداخلية، ولكنها لم تكن خطيرة بما يكفي للتسبب في الوفاة، فهما ضلعان مكسوران بالإضافة إلى كسر في القفص الصدري".

سألتها هيلو: "هل تعرّضت للضرب؟".

ردّت قائلة: "لا، ولكن ترى سارفيلينا أنها تبدو أكثر انسجامًا مع إصابات الإنعاش الكلاسيكية، إذ يبدو أنه جرت محاولة إنقاذ حياة أولغا من خلال الضغط بقوة على صدرها، ويفترض أن ذلك الإجراء تسبّب في حدوث كسور".

قال هارغولا: "إن هؤلاء الأشخاص يجهلون حسن التصرّف".

هزّت جيسيكا رأسها مؤيدةً، وقالت: "إصابات الإنعاش شائعة للغاية، وهي تظهر إصابات مماثلة في جثتين من أصل ثلاث جثث أجريت لها محاولات إنعاش، وليس فقط في الحالات التي يقدّم فيها هواة الإسعافات الأولية، بل أيضًا عندما يقدّمها موظفو المستشفى غير العاملين في قسم الطوارئ، وأفترض أن موظفي قسم الطوارئ يتمتّعون بخبرة أكبر، وهذا هو سبب ندرة الإصابات فيها".

سألها هارغولا: "هل كان توقّف القلب السبب في موتها؟".

ابتسم يوسف ساخرًا، وقال: "ألا نموت جميعًا عندما يتوقّف قلبنا؟".

قال هارغولا وهو يبذل جهدًا كبيرًا لكبح نفسه، وضبط أعصابه، والمحافظة على هدوئه: "بالله عليك، أعني أنه لم يظهر على الضحية أي علامات للعنف، وأنها توقّفت عن التنفس فجأة".

عضّت جيسيكا على شفتها، وقالت: "نعم، هذا ما تشير إليه محاولة الإنعاش، ولكن سارفيلينا لا تستطيع حتى الآن إخبارنا بسبب توقّف القلب".

قال هارغولا وهو يتناول لفة الهال: "قد تكون جرعة مخدرات مفرطة، أدّت إلى إصابة أحدهم بالذعر، ما دفعه إلى إلقاء الجثة في البحر".

قالت له: "بالطبع، لا يمكننا استبعاد هذه الفرضية، ولكن إذا كان الأمر على هذا الحال، فلا بد أنها تناولت بعض العقاقير، ولكن لا يظهر ذلك على جثة أولغا، فعروقها سليمة، كما لم يُعثر على آثار للكوكايين أو مواد أخرى في الأغشية المخاطية للأنف والفم، وإذا عُثر على أي سموم في معدتها، فسوف نعلم بذلك فور استلام نتائج التحاليل، ومع ذلك فقد تقيّأت كثيرًا، وسارفيلينا تتقصّى أسباب ذلك أيضًا".

سألتها هيلو: "متى؟".

قالت لها: "لم أفهم ما تعنينه؟".

أردفت قائلة: "متى نتوقّع استلام نتائج كل التحاليل؟".

قالت جيسيكا: "*في أسرع وقت ممكن*"، يضحك يوسف بتكتم، ولكن لا أحد سواه ضحك، إذ إن هذه العبارة مأخوذة من ذخيرة موانع التوتر التي طوّرها يوسف لاستخدامها في الميدان، في آي بي مهم جدًا، آر آي بي ارقد في سلام، وما إلى ذلك.

نقرت هيلو على الشريحة التالية، فبدت لقطة مقرّبة للنقاط السوداء في انحناء ذراع بيلوسوفا.

قالت جيسيكا: "الآن سترون ما يثير الاهتمام".

سألتها هيلو: "ما الذي ننظر إليه؟".

أجابتها قائلة: "للوهلة الأولى بدا وكأنه وشم، ولكن تلك العلامات كانت ناتجة عن حرق في الجلد، وليس عن حقن الحبر".

بدا هارغولا مزهوًا بنفسه، من الواضح أنه يشعر بالفخر لأنه أول من لاحظ علامات الحروق.

سألتها هيلو: "هل هو رمزٌ ما، أم أنه شعار إحدى العصابات؟".

ردّت قائلة: "لا يمكننا استبعاد أي احتمال مما ذكرته، وأيًا يكن الأمر فقد وُسمت العلامات بعناية، فشكّلت الدوائر الصغيرة حلقةً متناغمة، وفي هذا الصدد يشبه الوشم المصمم والمنفذ بعناية، وليس هناك ما بدا عشوائيًا في هذا النمط، فعلى سبيل المثال، حرق الجلد بسيجارة، لن يترك مثل هذه العلامات المتناسقة، التي تشتبه سارفيلينا في أن آلة صلبة قد وسمتها، وربما تكون من المعدن الساخن".

سألها هارغولا: "هل أشارت الطبيبة الشرعية إلى وقت وسم علامات الحروق تلك؟".

أومأت جيسيكا برأسها، وقالت: "إنها حديثة جدًا، وتفترض أنها وُسمت يوم وفاتها".

قالت هيلو: "لذلك لا بدّ أنها مرتبطة بطريقةٍ ما بسبب وفاتها".

ردّت قائلة: "هذا محتمل".

التفتت هيلو إلى الرجل الواقف إلى جانبها، وقالت له: "إن كل الأدلة تدعم نظريتك، يا هارغولا".

بدا هارغولا مزهوًا بنفسه.

سألته جيسيكا وهي تضغط على ظفر إبهامها: "ألديك نظرية ما؟ هل ترغب في أن تشاركنا إياها؟".

ابتسم هارغولا بخبث وعجرفة، وقال: "حسنًا، إنه مجرد افتراض... وقد خطر على بالي في المرة الثانية التي رأيت فيها الجثة على الشاطئ، وهو احتمال أن تكون بيلوسوفا ضحية الاتجار بالبشر، وقد هربت إلى داخل البلاد، ثم خدّرت ووُسمت".

قالت هيلو: "هذا من شأنه أن يفسّر أمر الجرعة الزائدة".

قالت جيسيكا: "حتى الآن، ليس هناك ما يشير إلى أنها تناولت جرعة زائدة، بل على العكس تمامًا"، تطلّب تذكير جيسيكا الهادئ الموجودين بما استنتجته نظرة حادة من رئيستها.

ارتشف هارغولا رشفة كبيرةً من القهوة، وقال: "ماذا لو نُقلت عبر مركب إلى أحد المرافئ بالقرب من أورينكولاهتي أو إلى مكان آخر في شرق هلسنكي... وإذا كان المركب كبيرًا نوعًا ما، فمن الممكن أن يبحر مباشرة من إستونيا، وعلى الرغم من أن البحر كان هائجًا ليلة السبت، إلا أنه لم يكن الإبحار مستحيلًا، وقد تأكّدت من ذلك".

قالت هيلو مشجعةً: "تابع عرض نظريتك".

أضاف قائلًا: "علامات الحروق حديثة، لذا ربما وُسمت أو عذّبت على متن المركب، ثم حدث خطأ ما، أدّى إلى إلقاء الجثة في البحر".

قالت جيسيكا: "الحروق لم تكن ملتهبة، ولا أعتقد أنه سيكون من الممكن فعل ذلك لأي شخص حيّ يستطيع المقاومة، حتى ولو ثبّتها أربعة رجال ضخام الجثة".

خيّم صمتٌ مؤقتٌ على الغرفة.

ثم قال هارغولا: "لذلك كانت فاقدة الوعي، فكما قلت قد تكون خُدّرت...".

ردّت جيسيكا على هارغولا بتحدٍّ، وهي تقول له: "هل ماتت فجأة من دون أي سبب؟".

قال يوسف: "ماذا لو أن شخصًا أحمق يعيش في منزل كبير مطلّ على الشاطئ، طلب امرأة لم تكن ترتدي زيا مثيرًا فحسب، وقد فقدت الوعي لاحقًا؟".

نظرت نينا بتركيز إلى الأعلى، وقالت: "إنها متلازمة الأميرة النائمة"، نظر الجميع إليها، فكانت تلك المرة الأولى التي ينظرون فيها إليها خلال هذا الاجتماع، فتابعت كلامها قائلة: "إنها متلازمة حقيقية، وهي تسمّى سامنوفيليا".

نظر يوسف بحذر إلى هيلو، ليرى ردّ فعلها على فظاظة ما سيتفوّه به، وسألها: "من قد يرغب في ممارسة الجنس مع شخص فاقدٍ للوعي؟"، لو كان إرني لايزال حيًا، لوبّخه على تعليقه مع التربيت على رأسه.

لكن يبدو أن هيلو لم يزعجها أسلوبه، بل أخذت تفسّر ما قالته نينا: "مثل دمية الزمبرك؟"، لسبب ما، بدت الكلمات مبتذلة عندما نطقت بها، كما لو أن جدتك أو ماري بوبينز[1] قد تلفّظت بكلمة بذيئة.

هزّت نينا برأسها نافية، وقالت: "كلا، إن هواة الدمى مختلفون، بينما ينطلق مفهوم سامنوفيليا من ممارسة الجنس مع كائن حي ضد إرادته بالطبع، ولكن بحسب استنتاجي، فإن المثير في الأمر هو استياء الطرف الآخر، وعدم قدرته على المقاومة".

قال يوسف: "حسنًا، ببساطة هو مغتصبٌ يسعى إلى أن يُسهّل الأمر على نفسه".

ردّت قائلة: "من الناحية الفنية، نعم... كما يمكنك أن تتخيّل على الأرجح أن هذه المتلازمة تتّخذ أشكالًا جديدة، وتتطوّر بسهولة إلى أن تصل إلى مجامعة الأموات، وكما أفترض أنه مفهومٌ مألوف بالنسبة إلى الجميع".

تبع ذلك صمت اخترقه راسموس بسكب المزيد من القهوة من الترمس.

ثم سأل هارغولا جيسيكا: "هل تعرّضت أولغا لأي عنف جنسي؟".

حملت جيسيكا التقرير، وقالت على مهل استفزّ هارغولا: "كلا، لو حصل ذلك لكنت أشرت إليه سابقًا".

قالت هيلو: "حسنًا، من الواضح أن المسار الذي يمكننا سلوكه واعد حقًا".

لكن جيسيكا هزّت رأسها محتجّةً على تعليقها، فحدّقت هيلو إليها، كما لو أنها تنوي تجاهل الاحتجاج الصامت وإنهاء الاجتماع، ثم جمعت يديها على الطاولة، ونقرت بلسانها عدة مرات، وقالت: "يبدو أن نيمي لا توافقني الرأي".

نظرت جيسيكا إلى يدها لتجد أن ظفرها ينزف، وقالت: "هناك ثغرات في تلك النظرية".

قال هارغولا الذي بدا الاستياء في نبرة صوته: "ماذا تقصدين من كلامك؟".

---

(1) شخصية جسدتها جولي أندروز في أحد أفلام ديزني.

تنفّست جيسيكا بعمق، وقالت: "لا تسيئوا فهمي جميعًا، ولكنني أجد أن معظم هذا السيناريو قد يكون منطقيًا، وهو أن شابة جميلة هُرّبت من أوروبا الشرقية إلى فنلندا، وهي ترتدي زي تلميذة، وقد خُدّرت على متن مركب، ليسهل على الزبون اغتصابها إما في منزله الذي نُقلت إليه مباشرة من المركب، أو على متن المركب، ولكن بعد تناولها جرعة زائدة، لفظت أنفاسها الأخيرة، فتوتّر المهربون، وذعروا، وحين أسعفوها بالإسعافات الأولية على متن المركب، ولم تستجب، فألقوا بجثّتها في البحر تحت جنح الظلام، وبعد فترة طفت الجثة، فدفعتها الرياح القوية إلى أقرب شاطئ".

نظرت هيلو إلى هارغولا لتجد ملامح الفخر قد ارتسمت على وجهه، فعلّقت قائلة: "يبدو ذلك منطقيًا".

يعرف يوسف جيسيكا أكثر من أي شخصٍ آخر من بين الذين يجلسون إلى الطاولة، فقال من دون أن يرفع رأسه: "لكن...؟".

تابعت جيسيكا كلامها قائلة: "لكن في المقام الأول، ليس لدينا أي دليل على أن الشابة كانت على متن مركب، فلم تكن هناك مراكب ترسو في المرسى القريب، وثانيًا، لا أعتقد أن الأشرار سيرمون في تلك الليلة شابة جلبوها منذ وقت قريب من بلدها في البحر، أو ربما كانوا سيكتبون أيضًا رقم هاتفهم على جبهتها لتتمكّن الشرطة من الاتصال بهم".

قال هارغولا: "بالله عليك، إنك تبالغين في تخيلاتك، فالعلامة التجارية أو أي رمز آخر مهما كان، قد يكون غير مألوف بالنسبة إلى الشرطة، ولن يقودنا تلقائيًا إلى الجناة، لأننا حتى الآن لا نملك فكرة عما يعنيه".

شبكت جيسيكا يديها خلف رقبتها وقالت: "حسنًا، ثالثًا، أيمكن أن توضح لنا سبب وجود جواز سفر بيلوسوفا في حقيبة ظهرها، ألا يتمّ عادة تجريد ضحايا الاتجار بالبشر من جوازات سفرهم حتى لا يتمكّنوا من الهروب منهم؟"، خيّم الصمت مجددًا على الغرفة، حتى إن جهاز العرض المُثبَّت في السقف، لم تهيمن

تهيمن خرخرته الخفيفة على الأصوات المنبعثة في الغرفة، كما كانت تنبعث من الجهاز القديم الصاخب، فالتفتت جيسيكا إلى هيلو، واستنادًا إلى ملامح وجهها، فقد بدا أن الهدير الخافت الذي يمكن أن يخترق الصمت في الغرفة يمكن أن ينطلق بسهولة من أذنيها.

27

وضعت جيسيكا إصبعها النازف تحت الماء البارد حتى يتوقّف النزيف بالكامل، ثم ملأت زجاجة الماء من الصنبور، وأخرجت مسكنًا للألم، وتناولته مع القليل من الماء، فقد تسبّب السكون في غرفة الاجتماعات في ازدياد خفقان قلبها، وقد أملت في أن يمكّنها الإيبوبروفين المضغوط على شكل حبة بيضاء من الاسترخاء والشعور بالراحة.

نظرت جيسيكا إلى انعكاس صورتها في المرآة، فبدا شعرها الأسود مشدودًا إلى الوراء على شكل ذيل حصان، ووجهها الخالي من المكياج شاحبًا، وقد برزت حديثًا بثرة على خدها الأيمن، وتحتها مباشرة الخدش الذي يُفترض أن يكون تذكارًا تركه العراك الذي وقع في ذلك الصباح في أثناء ممارستها رياضة الركض، وفوق كل ذلك كان الألم يخترق مفاصل كفّها، لذا كان يجدر بها حقًّا زيارة الطبيب.

ثم انفتح الباب خلفها.

قالت هيلو: "نيمي".

أغمضت جيسيكا عينيها، وهي تشعر بالتوق الشديد إلى تلك الأيام التي كانت تستطيع فيها الابتعاد عن رئيسها من خلال الذهاب إلى الحمام، ومع تولّي هيلينا لابي منصب القيادة، انتقل هذا الامتياز إلى الرجال، ما لم تقرّر هيلو التي أعمتها السلطة أن تجعل الحمامات في الوحدة مختلطة، عندها لن يشعر أي أحد بالأمان.

بدأت جيسيكا بغسل يديها بالماء الدافئ، ثم ردّت قائلة: "نعم".

وقفت هيلو خلفها، ووضعت يديها على وركيها، وقالت: "ما الذي تفوّهت به منذ قليل بحق الجحيم؟".

سألتها: "ما الذي تعنينه؟".

ردّت هيلو على سؤالها بسؤال: "لماذا كنت وقحة إلى هذا الحدّ مع هارغولا؟".

جفّفت جيسيكا يديها بمنديلٍ ورقي، والتفتت إليها، فدنت منها هيلو أكثر مما ينبغي ما أثار إزعاجها، مع الأخذ بعين الاعتبار المفاهيم الفنلندية للمساحة الشخصية والمسافة الاجتماعية.

ردّت قائلة: "هل وجدتني وقحة؟ ولكنني لم أتفوّه إلا بما فكّرت فيه وحسب".

قالت لها: "لقد كنت وقحة، اللعنة"، بدت الطريقة التي نطقت بها هيلو *اللعنة* تثير الضحك، *هل كنت وقحة لعينة حقًا؟ اللعنة*.

ردّت قائلة: "هل كنت كذلك؟ ولكنني لم أقصد أن أكون وقحة".

قالت هيلو بهدوء وصرامة: "أتوقّع منك، بصفتك قائدة الفريق، أن تُظهري موقفًا أكثر ليونة مع الآخرين، ومن الآن فصاعدًا أريدك أن تستمعي إلى آراء جميع أعضاء الفريق من دون الردّ عليهم بفظاظة بشكل فوري، فعلى الأقل حاول هارغولا تقديم صورة شاملة، والأمر نفسه ينطبق على أعضاء الفريق كلهم"، بدا أن نوعًا من ثقافة "حاضر سيدي" قد تطوّرت في الوحدة. في السابق كان ميكسون يتكلّم، وكذلك نيمي، وبين الحين والآخر يتمتم راسموس ببعض الكلمات أيضًا، بينما يروي يوسف فكاهة تزيل الغم والضيق عن النفوس.

رغبت جيسيكا للمرة الثانية خلال أقل من أربع وعشرين ساعة في أن تظهر لهيلينا لابي المعنى الحقيقي *للوقاحة*، فهي لم *ترَ الوقاحة* الحقيقية حتى الآن.

لكنها أومأت برأسها، واكتفت بالقول: "فهمت، سأحاول أن أضبط انفعالاتي في المرة القادمة، هلا عدنا إلى قاعة الاجتماع للمتابعة"، رمت المنديل الورقي المجعد في سلة المهملات، وتخطّت هيلو، واتّجهت نحو الباب.

قالت لها: "نيمي".

تنفّست جيسيكا بعمق، ثم التفتت إلى رئيستها.

قالت لها: "كان يمكن أن أجعل هارغولا قائدًا للفريق".

لما لم تفعلي ذلك؟ اللعنة.

ردّت جيسيكا: "أعلم ذلك".

وقفت المرأتان متقاربتين، وللمرة الأولى انتبهت جيسيكا إلى جذور شعر هيلو السوداء التي بالكاد تظهر بين خصلات شعرها المشقر، كما لو كانت تصرخ لجذب الانتباه إليها.

تخطّت هيلو جيسيكا، وفتحت الباب، وقالت لها: "لا تجعليني أندم لأنني لم أفعل ذلك".

28

دخلت جيسيكا إلى غرفة الاجتماعات، في الوقت الذي جلست فيه هيلو في مكانها، في الوقت الذي كان فيه راسموس وهارغولا ونينا يعبثون بهواتفهم الذكية، أما يوسف فوقف أمام النافذة ممسكًا بحبل الستارة، وهو يتأمّل الظلام الذي بدأ يحلُّ، وقد غمرت أنوار المصابيح سوق تريبلا التجاري والمناطق المرتفعة التي تحيط به، وتوهّجت بشكلٍ مشرق تحت قبة السماء الرمادية.

أبعد الآخرون أعينهم عن أجهزتهم، أما يوسف فلم يبارح مكانه، وقد شبك ذراعيه بالقرب من صدره، ثم قالت جيسيكا: "عذرًا على المقاطعة، ولكنني أعتقد أن الأمور ستتّضح عندما نحصل على المزيد من المعلومات حول سبب وفاة أولغا بيلوسوفا، وحتى ذلك الحين دعونا نحاول البحث عن الصلة بين أولغا وليزا".

سألت هيلو بجدية، وكأنها تُجري مقابلة عمل: "ما الذي تقترحينه؟"، لم يسبق لجيسيكا أن شعرت بالغربة إلى هذا الحدّ في العمل، فركّزت على راسموس، الذي يحدّق إلى السقف، وهو يزدرد لعابه.

قالت له: "راس".

أجابها: "نعم".

أردفت قائلة: "لقد اخترقتِ حساب الإنستغرام الخاص بليزا، واطّلعت على الصور المنشورة عبر صفحتها، ألديك ما تخبرنا به؟".

تحرّك راسموس، وقد أخفى يديه تحت الطاولة، وقال: "حسنًا"، ثم توقّف لبضع ثوانٍ لإحداث تأثير درامي، وتابع قائلًا: "لقد بدأت بالاطّلاع على البيانات الوصفية لصورة المنارة التي حُمّلت عبر حساب ياماموتو...".

قال يوسف من دون أن يتحرّك من مكانه أمام النافذة: "أخبرنا باللغة الفنلندية، من فضلك".

سأله راسموس بهدوء، بينما كانت عيناه تطوفان في القاعة: "أتريدني أن أشرح لك ما معنى *البيانات الوصفية*؟"، لم يسبق لجيسيكا أن سمعت أي شخص يتحدّث برضوخ واستسلام أكثر منه.

أومأ يوسف إليه برأسه قائلًا: "نعم."

قال راسموس: "إن البيانات الوصفية هي المعلومات التي تصف الملف، فكل ملف يُحمّل عبر الإنترنت أو عبر أي منصة رقمية أخرى، سواء كان صورة أو فيديو أو نصًا، يحتوي على قدر كبير من المعلومات المتاحة، وبالنسبة إلى الصور، فهي تتضمّن عادة جميع أنواع البيانات، ومن بينها البيانات التي لا تمتّ إلى التحقيق بصلة كبيرة، كالشكل، والحجم، والدقة، ومواصفات الألوان، وحقوق الطبع والنشر، ولكنها تتضمّن أيضًا معلومات مفيدة بشكل لا يمكن تخيّله، مثل الوقت المحدد لالتقاط الصورة، والعلامة التجارية، وطراز الجهاز الذي التقطت منه".

فتح راسموس حاسوبه المحمول أمامه على الطاولة، ونقر عليه بحدة، وبعد لحظة تغيّرت الصورة المعروضة على الحائط، فقالت هيلو بأسلوب يوضح مدى اتساع اطلاعها على الموضوع: "لقد فهمت أنه لم يعد حفظ الصور المنشورة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ممكنًا من أجل استعراض التحليلات".

قال مؤكدًا: "لقد حظّر الإنستغرام وفيسبوك وتويتر حفظ الصور التي حُمّلت عبرها من أجل حماية الخصوصية".

نظر راسموس إلى المشرفة، كما لو كان ذلك من أكثر الادعاءات سخافة في العالم، ثم قال: "لقد تعذّبت بالتأكيد للحصول عليها، ولكن كل ما تحتّم عليّ فعله للتغلب على الحظر، كان نسخ رابط الصورة إلى وسيلة أكثر تطورًا"، واصل راسموس النقر، وبعد لحظة تحوّل الجدار الخلفي لغرفة الاجتماعات إلى اللون

الأسود، ثم ظهرت عشرات الصفوف من النصوص الخضراء، فاستدعى المشهد حواسيب تعمل بنظام أم أس- دوز بعد أن كانت تعمل على نظام المايكروسوفت قديمًا، وها نحن الآن في أعماق عالم راسموس.

جلست جيسيكا على أحد المقاعد، وقالت: "هل يمكنك معرفة نوع الجهاز الذي استُخدم لالتقاط صورة المنارة؟".

أشار راسموس إلى العالم الرقمي الظاهر على الحائط، وقال: "نعم، ولحسن الحظ أنها كانت صورة أصلية، وليست لقطة شاشة انظري، إن الشركة المصنعة للجهاز، هي شركة آبل، وطراز الجهاز هو آيفون 8".

سألته: "يا إلهي، لماذا لم تخبرنا بهذه المعلومات من قبل؟".

أجابها راسموس: "لأن تفاصيل تلك المعلومات لا تسمح لي بأن أحصل غلى ما أريده من المعلومات، فقد بيعت عشرات الملايين من أجهزة آيفون 8 حول العالم، وكل ما نعرفه أن الصورة قد التقطها أحد تلك الأجهزة".

سأل يوسف: "حسنًا، ما فائدة تلك المعلومات بحق الجحيم؟"، لاحظ يوسف أن راسموس قد أبدى استياءه، فقال له: "أنا لا أحاول أن أكون قاسيًا، يا راس، ولكن إذا لم نتمكّن من تحديد الجهاز المطلوب...".

قالت جيسيكا: "حسنًا، ألا يمكننا معرفة رمز ماك أو أي بيانات أخرى من شأنها أن تكشف لنا صاحب ذلك الجهاز؟".

ردّ قائلًا: "كلا، ولكن عندما نحصل على المعلومات التي سترد قريبًا من اليابان بشأن اشتراك الشبح في خدمة الهاتف الخلوي، سنتعرّف إلى طراز هاتفه، وإذا كان آيفون 8، يمكننا أن نكون متأكدين نسبيًا...".

تدخّلت جيسيكا قائلةً: "من أنه الرجل نفسه الذي التقط تلك الصورة، حسنًا، أيمكننا أيضًا أن نعلم متى تمّ التقاطها؟".

ردّ قائلًا: "نعم، يمكننا معرفة الزمان والمكان، فالإطار الزمني هو 20-11-19، وبمعنى آخر كان يوم الأربعاء، الساعة 11:12 صباحًا، وهو ما أجده ممتعًا إلى حد ما".

سألته هيلو: "كيف يمكن أن يكون ممتعًا؟".

كبّر راسموس صفًا من الأرقام الظاهرة على الشاشة، ثم قال:

"60 ° 06 34 شمالًا، 25 ° 24 36 شرقًا، كانت هذه الأرقام إحداثيات مكان التقاط الصورة، وهو منارة سودرسكار، وقد دلّ ذلك على أن الصورة التي التقطت تحديدًا لهذا المخطط، كانت حديثة في البداية اعتقدت أنها صورة مأخوذة من معرض صور عبر الإنترنت أو أنها لقطة شاشة، ولكن استنادًا إلى البيانات الوصفية، فقد التقط الرجل الذي تورّط في اختفاء المدونين هذه الصورة في المنارة بنفسه".

سادت لحظة صمت قبل أن تضيف جيسيكا قائلة: "إذًا التقطت الصورة عند الساعة 11:12 قبل الظهر، وكما نعلم فقد توجّه الشبح إلى بيت ليزا بعد خمس ساعات من التقاطها، وطلب منها رسم لوحة استنادًا إلى تلك الصورة".

سأل يوسف: "هل تواصل أحدكم مع عمال المنارة؟ فقد يكونون قادرين على إخبارنا بمن زارها يوم الأربعاء الماضي".

بدا القلق على ملامح وجه راسموس عندما قال: "هناك أمر غريب يثير الريبة في المسألة، فسودرسكار تبعد قرابة 28 كيلومترًا شرق هلسنكي، وسيستغرق الوصول إليها عبر قارب عادي ساعة تقريبًا، ولم ترد أي حركة مرور مجدولة إلى الجزيرة في وقت متأخر من العام".

قالت: "حسنًا لابد أن المصور قد توجّه إلى الجزيرة في قاربه الخاص؟".

قال هارغولا: "كان البحر هائجًا للغاية طوال الأسبوع".

ردّ يوسف قائلًا: "لذلك نحن بحاجةٍ إلى معرفة ما إذا كانت بعض السفن السياحية مستأجرة أو أن إحدى سفن الصيد قد أوصلت أحدهم إلى هناك مقابل مبلغ محدّد من المال".

لقيَ اقتراح يوسف إيماءاتٍ بالموافقة.

قالت هيلو: "يمكن أن تتحقّق الشرطة المحلية من ذلك في إيتا أوسيما، وسأتواصل معهم من أجل تلك الغاية".

نظر يوسف إلى عيني جيسيكا، وقال لراسموس: "انتظر لحظة، هل طراز الهاتف مرئيٌ في لقطات كاميرات المراقبة في فينيكس؟".

قال له: "الصورة ضبابية جدًا عند التكبير، ولكنها قد تدلّنا إلى بعض المؤشرات".

سألته جيسيكا: "علام عثرت أيضًا في حساب الإنستغرام الخاص بليزا؟".

نظر راسموس إلى عينيها مباشرةً، على الرغم من أنه كان يبذل كل ما في وسعه لتجنب النظر إليهما، وقال لها: "لقد اكتشفت هوية أكيفومي".

دفعت جيسيكا كرسيها إلى الخلف بقوة، وقالت له: "ماذا؟ لماذا لم تقل ذلك على الفور؟".

ردّ قائلًا: "أعني... لم أكتشفها بالضبط، ولكنني أعلم إلى من ينتمي الشخص الظاهر في الصورة".

سألته: "حسنًا، من يكون؟".

قال راسموس: "كنا نتساءل لماذا يبدو وجهه غريبًا إلى هذه الدرجة، إذ بدا متميزًا عن باقي الصورة، فتبيّن لاحقًا أنه يضع على الأرجح قناعًا، وهو قناع سياسيٍ ديموقراطيٍ اجتماعيٍ ياباني، وقد قرأت مقالًا عبر غوغل ورد فيه أن عشرات الآلاف من الأقنعة صنعها رئيس الحزب، أكيفومي ساتو، من أجل احتجاج الطلاب".

قال يوسف: "اللعنة".

قالت جيسيكا: "هذا يعني أنه ليس لدينا أي أمل في الحصول على الكثير من المعلومات من خلال تلك الصورة".

سأل يوسف: "هل ذلك يعني أننا عدنا إلى فرضية أن الشبح الذي ظهر في الملهى، وربما زائر ليزا، وأكيفومي الذي علّق على الصورة عبر الإنستغرام هم ببساطة الشخص نفسه؟".

قالت جيسيكا: "يبدو ذلك".

نظرت هيلو إلى ساعتها، وقد نفد صبرها، فقالت: "يبدو ذلك رائعًا، دعونا نتابع عرض المعلومات، ما التالي، يا نيمي؟".

شردت جيسيكا لبرهة، وقد بدا وكأنه طُرح عليها سؤال غير متوقع في أثناء مقابلة عمل، ومجددًا سعلت بعد أن غطّت فمها بقبضة يدها لتوفر بعض الوقت لاستجماع أفكارها، وهي تنظر إلى دفتر ملاحظاتها.

أجابت قائلة: "يتحتّم علينا التحدث مجددًا إلى زميلة ليزا في السكن، لنتأكّد إن كانت تعلم بخصوص أولغا، أو إذا كانت علامات الحرق على ذراع أولغا تعني لها شيئًا".

أومأت هيلو إليها بالموافقة، ثم دوّنت ملاحظة.

قالت جيسيكا بعد أن أومأ إليها يوسف برأسه: "سبق أن استجوبناها أنا ويوسف، لذا سيكون من الطبيعي أن نعود كلانا للتحدّث إليها مرةً أخرى"، ثم أضافت قائلة: "راسموس، تابع العمل على الإنستغرام والصور، ولعل هيلو قادرة على تقديم يد العون من أجل أن تجري الأمور بوتيرةٍ أسرع".

هزّ راسموس رأسه، وخلع نظارته، فمسح العدستين بمنديل أسود اتّضح أنه عبارة عن قطعة قماش مقصوصة من ثوب ما إذا حدّق أحدهم إليها.

التفتت جيسيكا إلى الساعة، فتجاهلت هيلو النظر إليها مباشرة، ثم استقرّ نظرها على هارغولا، وقالت له: "هارغولا، ستتولّى أنت قضية موت أولغا، وسأطلب من سارفيلينا أن تتواصل معك إن استجد معها أي جديد".

نظر هارغولا إلى المشرفة بطرف عينه، وهزّ رأسه موافقًا، بينما بقيت ملامح وجهه ساكنةً خلال الاجتماع، وكأنه النسخة المذكرة من موناليزا التي تعرف شيئًا لا يعرفه أحدٌ سواها، *سُيسبّب هذا الرجل مشكلة*.

وصلت جيسيكا إلى أصعب جزءٍ من الاجتماع، فهي ونينا لم تتحدّثا منذ عودتهما من الإجازة المرضية في نيسان،

ومع ذلك قالت لها: "نينا، نحن لا نعلم إلا القليل عن تحركات جيسون نيرفاندر، فلتتولي أنتِ هذا الأمر، وحاولي معرفة ما إذا كان جيسون عنيفًا بشكل عام، أو مع ليزا فقط".

ردّت نينا من دون أن تنظر إلى جيسيكا: "حسنًا"، ثم أطبقت شفتيها، وكأن خيطًا يشدّهما بإحكام.

بدا أن الفتور بين المرأتين يُرضي هيلو، ولم يكن من شك في ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

29

إنها الساعة الثانية والربع ويكاد وقت تناول الغداء أن ينقضي، ولكن المطعم المعروف بصنع البيتزا الجاهزة كان مكتظًا بالزبائن، وقد يبدو الديكور متنافرًا وثقيلًا على البلاستيك، ولكن الأجواء بدت مألوفة وحميمة، وقد انطلقت علامات التعجب الصاخبة باللغة التركية من المطبخ، وزُوّد البوفية باللحوم المقلية للتو، وهي تصدر أصواتًا كحفيف الأفاعي، وتفوح منها رائحة الثوم، والكزبرة، والطماطم الحلوة، التي تنتشر في الجو.

احتلّ راسموس وجيسيكا مائدة تتّسع لأربعة أشخاص تقع في الخلف، ثم طلبا الكباب مع السلطات الجانبية، قبل خمس عشرة دقيقة، وجّهت جيسيكا بشكلٍ عفوي دعوة غداءٍ إلى راسموس، الذي قبلها باندفاع مفاجئ، ثم سألته وهي تملأ كأسه من إبريق الماء: "كيف الأحوال، يا راس؟".

لم يبدُ راسموس مرتاحًا، وهو ينظر إلى السجادة الفارسية المعلقة على الحائط قبل أن يفتح فمه أخيرًا، ويقول: "إنها بخير".

همهمت جيسيكا بتعاطف قائلة: "هذا رائع، مؤخرًا لم تبدُ الأوضاع على طبيعتها في الوحدة".

وضع راسموس يديه على الطاولة، وقال: "نعم، لم تكن كذلك".

قالت له: "أتمنّى أنك تشعر... بأنك قادرٌ على القيام بعملك بسلام من دون الإحساس بأنك مراقب، وآمل في أن تعرف أنك رابط أساسي في الفريق".

نظر راسموس إلى جيسيكا مستغربًا، كما لو كانا يتحدّثان بلغتين مختلفتين.

فجأة أدركت جيسيكا كم كان استجواب راسموس خاطئًا، كما لو أنه طفل صغير في بعض الأحيان يخلّف انعزاله عن الآخرين انطباعًا خاصًا، فيبدو وكأنه غير

قادر على تحليل المواقف والعواطف، والحقيقة ليست سوى التالي: ستشعر بضغوط كبيرة للعثور على مراقب لا يكلّ ولا يملّ في المقر الرئيسي، وهذا هو سبب كونه عضوًا لا يمكن الاستغناء عنه في الفريق.

سأل راسموس بقلق: "وهل أحوالك بخير، يا جيسيكا؟"، ثم حدّق إلى الحائط حتى لا يضطرّ إلى النظر إلى عيني جيسيكا، ثم هزّ رأسه وأضاف قائلًا: "إذا كنت قلقةً من ألا أكون مخلصًا لك، فلا داعي للقلق بشأن ذلك، يا جيسيكا".

غضّت جيسيكا طرفها، وهي تشعر بالخجل من البحث عن العزاء عند راسموس نتيجة غياب شعورها بالأمان، فهو يعرف أنه يحتلّ موقعًا وسطيًا ومحايدًا في الفريق.

تابع راسموس كلامه قائلًا: "وبالمناسبة، يا جيسيكا، منذ متى وأنت تهتمين بما يفكّرون فيه في الطابق العلوي؟".

جلب النادل الخبز والتزاكتزي لهما إلى المائدة، فنظرت جيسيكا إلى راسموس، وأومأت إليه برأسها إيماءة بالكاد بدت ظاهرة، وبينما كانت تشعر بأن العالم قد انقلب رأسًا على عقب، كان يساندها العازب الأكثر وعيًا في هلسنكي كلها، ويشجّعها على أن ترفع رأسها دومًا.

عندما بدأ الإحباط يتلاشى تدريجيًا، جلست بشكل مستقيم، وقالت: "شكرًا لك، يا راس".

حاولت جيسيكا أن تتذكّر موقفًا آخر أظهر مثل هذه المبادرة في بعض المواقف الاجتماعية الأخرى، بينما كان يتابع كلامه قائلًا: "علاوةً على ذلك، يعتقد الناس أن غامي هارغولا صديقٌ وفي، ولكنني أعتقد أنه مجرد مغفل كبير".

فغرت جيسيكا فمها من شدة الصدمة، وقالت: "راسموس سوسيكوسكي! هل وصفت هارغولا بالمغفل؟".

رفع راسموس إصبعه إلى شفتيه، وضحك خلسة بعد أن غطّى وجهه بقبضته، وقال: "إنه مغفل كبير".

تلاشت الابتسامة عن وجه جيسيكا، وهي تتلفّت حولها، فلمحت ثلاث نساءٍ يجلسن إلى الطاولة المجاورة، وهن يرتدين بذلات عملهن، وقد جلس برفقتهن رجل يرتدي ربطة عنق، وخلفهم جلس أربعةٌ من عمال بناء كان يتذمّرون من دون أن تبارح عيونهم هواتفهم الذكية، وقد تدلّت معاطف السلامة المشعّة على ظهور بعض الكراسي.

مرّت عربة كنس شوارع ضخمة أمام النافذة، فانخفضت موسيقى الشرق الأوسط من مكبرات الصوت للحظات.

سألته: "هل تعتقد أننا سنحصل على أي معلومات مهمة من ملف أكيفومي الشخصي؟"، ردّ قائلًا: "أنا لا أعلم، يا جيسيكا، ولكن هناك أمرًا واحدًا كنت أفكّر في ذكره في الاجتماع، ولكنه لا يزال فكرة غير مكتملة، لا أزال أتصارع معها".

سألته: "ما الفكرة التي خطرت في بالك؟".

قطع راسموس قطعة خبز طرية بأسنانه، وقال: "*ماسايوشي*، أي العدالة، وهي الكلمة التي كتبها أكيفومي على صورة ليزا، وقد أجريت البحث حولها، وكنت أرغب في معرفة إن كان يشير ذلك إلى أي شيء على وجه التحديد... ولكنه كان مجرد تخمين، ثم..."، قاطعته جيسيكا قائلة: "هل اكتشفت أمرًا ما؟".

ردّ قائلًا: "لقد وجدت موقعًا إلكترونيًا، يُدعى ماسايوشي.فاي، وهو نوع من المدونات".

قالت: "دوت فاي؟ هل هي مدونة فنلندية؟".

ردّ قائلًا: "هذا ما يشير إليه نطاقها بالطبع، ولكن ذلك ليس كل شيء...تدير تلك المدونة، ليزا ياماموتو".

استطاعت جيسيكا أن تشعر برعشة تتسلّل إلى رؤوس أصابعها، وهي تقول: "ماذا؟ ألدى ليزا مدونةٌ مرتبطةٌ بحساب الإنستغرام الخاص بها".

تابع راسموس كلامه بحذر، وهو يقول: "لكن تلك المدونة مختلفة، فقد كان الموقع فارغًا تمامًا، لا صور ولا نصوص، وردت وظيفة البحث المعتادة في جانب

الصفحة فقط، لذلك تبدو مدونة لم ينشر عبرها أي معلومات على الإطلاق، إما ذلك، أو..."، سألته بلهفة: "أو ماذا؟".

قال: "أو حذفت محتوياتها كلها".

سألته مستغربة: "لماذا لم تذكر ذلك خلال الاجتماع؟".

قال راسموس بخجل: "لأنني لم أحصل على ما يُثبت ما اكتشفته، إذ قامت ليزا بعملٍ دقيقٍ ومتقن بشكلٍ مدهش لتغطية أي مسارات تشير إلى أنها صاحبة موقع ماسايوشي.فاي، فأخفت عنوان المعرف الخاص بها، من خلال شبكة تور على الأرجح، والذي يتطلّب بحد ذاته اطلاع أعمق على أسرار علوم الخاسوب".

أسندت جيسيكا ظهرها إلى المقعد في الوقت الذي أحضر فيه النادل وجبتيهما.

يفترض أن يكون عملها على مدار سنوات طويلة في التحقيق جعلها تفهم ما يقوله لها راسموس، فشبكة تور عبارة عن برنامجٍ مجاني يخفي مستخدميه عبر تشفيرٍ متعدد الطبقات، أو توجيه أورونيون، وهو أيضًا مصدر الاسم *جهاز أونيون للتوجيه*، وبالنسبة إلى الكثيرين تستحضر شبكة تور المجرمين العتاة مغتصبي الأطفال أو تجار المخدرات أو تجار الأسلحة، ولكن لا يُعتبر تنزيل البرنامج أو استخدامه لإخفاء عنوان المعرف غير قانوني، ومع ذلك تعرف جيسيكا عددًا كبيرًا من الحالات التي ساعد فيها تور على إخفاء هوية مرتكبي الأعمال القذرة التي يعاقب عليها القانون.

قالت جيسيكا بينما كان راسموس يدفع شوكته بعيدًا: "حسنًا، يا راس، يعني ذلك أن ليزا صاحبة الموقع، وأنها واجهت الكثير من الصعوبات لإخفاء أثرها بالكامل".

قال: "صحيح".

قالت: "حسنًا، كيف اكتشفت أن ليزا هي صاحبة الموقع بحق الجحيم؟".

أشرق وجه راسموس بابتسامةٍ خجولة، وهو يضع شوكته في طبقه، فانبعث رنين مزعج، يضاهي صوت نباح كلب، واستمرّ ذلك الصوت الصادر من خلف الطاولة لمدة دقيقة تقريبًا.

قال: "سأقدّم إليكِ بعض المعلومات الأساسية، هل لك دراية بمجموعة الاختراق الجماعي أنونيموس؟".

أمسكت جيسيكا بقطعة خس بين أصابعها، وقالت، وهي تقضمها بأسنانها: "بكل تأكيد".

قال: "أنشأ اثنان من المخترقين المجهولين عام 2011 موقعًا إلكترونيًا مجهولًا في نويفولاريدو في المكسيك، ووجّهوا تهديدًا بالكشف عن معلومات حساسة حول كارتل المخدرات المحلي، ولم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن يُعثر عليهما ميتين، وهما معلقان على أحد الجسور، وكان هذان الرجلان قرصانين ماهرين غطّيا مسارهما بعناية، وما كان الكارتل ليتمكّن أبدًا من الحصول على معلومات حول هويتيهما إلا إذا كان لديه..."، قاطعته جيسيكا قائلًا: "إذا كان لديه ماذا؟".

تابع كلامه قائلًا: "لو أنهما تجنّبا الوقوع في هذا الخطأ الفادح، ولم يستخدما محلل غوغل لمراقبة حركة المرور إلى الموقع، وللقيام بذلك كانا يحتاجان إلى معرف التحليلات الذي يمكن استخدامه لمراقبة حركة المرور عبر مواقع متعددة، وأيًا يكن الأمر، فقد توغّلت العصابة في الكود المصدري للموقع حيث نُشر التهديد، ووجدت معرف التحليلات الذي استخدمه أحد المتسللين في مدونته الشخصية أيضًا، وبمجرد حصولها على المعرّف، أمكنها إجراء بحث عكسي عبر استخدام أي محرك بحث عكسي، وربط موقعين غير مرتبطين بالمصدر نفسه".

سألت: "هل لذلك السبب، لم يكن لدى العصابة مشكلة في معرفة اسم الرجل وشكله الخارجي؟".

ردّ قائلًا: "لقد جعلوا منه ومن صديقه عبرةً لكل من تسوّل له نفسه القيام بذلك".

قال: "أوجدت ليزا عبر استخدامك معرف التحليل؟".

أومأ راسموس برأسه، وعيناه تشعّان بفخر احترافي قائلًا: "أرادت ليزا أن تراقب عدد زوار كلا الموقعين، وذلك الأمر مفهوم إلى حدٍ ما، عندما يرى أحد

المدونين الذين يبيعون السلع الأساسية للعلامات التجارية أن عملهم يعدّ مرئيًا، ولكن إذا أراد الحفاظ على سرية الموقع الآخر، فإن استخدام معرّف التحليلات يعدّ خطأ فادحًا، إذ قد يكشف موقع الويب العام عن الموقع الخاص".

نظرت جيسيكا إلى راسموس، وهي تقضم قطعة كباب فاجأتها حرارتها المرتفعة، وسألت: "هل تعتقد أن هذه الحالة مشابهةٌ لما حدث في المكسيك؟".

هزّ راسموس بكتفيه قائلًا: "كان هذا الشخص يبحث عن المسؤول عن ماسايوشي.فاي، فوجد ليزا، ولا أدري إن كان قد ألحق بها الضرر، ولكن ذلك الاحتمال وارد، حتى إنني أعتقد أنه حذف محتويات الموقع".

نظرت جيسيكا إلى عاكس الضوء المصنوع من الكروم المتدلي فوق الطاولة، وقد أظهر الملصق والرمز الشريطي أنه وعاء خلط من إيكيا، وهو ديكورٌ بسيطٌ وعملي بشكلٍ مدهش، ثم سألت: "هل حدث ذلك قبل أن تختفي ليزا أم بعد اختفائها؟".

ردّ قائلًا: "لست متأكدًا، لهذا السبب أرى ضرورة التكتّم عن تلك المعلومات حتى تتكوّن لدي فكرةٌ أوضح حول ذلك".

مضغت جيسيكا طعامها بصمت محللة ما سمعته للتو، فقالت: "حسنًا، أشكرك، يا راس، ومن الأفضل أن تتناول الكباب الآن".

30

وضعت نينا روسكا بطاقتها تحت قميصها، وهي تنتظر بصبر أن يفتح المفتاح المصمم لفتح عدة أقفال والمعلق مع بقية المفاتيح في الحلقة باب شقة جيسون نيرفاندر، فعندما اتّصلت بأحد العاملين في شركة الصيانة، قال إنه سيرسل المسؤول في الحال، فتوقّعت أن تجد رجلًا بدينًا في منتصف العمر بشارب كث، وينتعل حذاء أمان سميك النعل، وقميصًا داخليًا باهت اللون، وهو يقف في أسفل السلم، ولكن بدلًا من ذلك فتحت لهاالباب امرأة بدت أصغر سنًا منها، وهي تحمل مجموعة من المفاتيح والأدوات الفردية المتدلية من الحزام عبر الجينز الضيق، فبدت تلك المشرفة رقيقة للغاية، ولكن أصابعها ملطخةٌ بالزيت.

فتحت الباب لنينا وعيناها الداكنتان تشعّان نشاطًا وحيوية، ثم أغلقته خلفها قائلةً: "ها قد انفتح الباب".

وقفت نينا بمفردها في مدخل شقة جيسون نيرفاندر، وهي تسمع وقع خطوات المشرفة التي تنزل إلى الطابق الأرضي، وفي وقت سابق من هذا الصباح أُرسلت دورية إلى هذا المكان، لذا تعرف نينا أنه لا شيء دراماتيكي حصل فيه، فلا كلاب دوبرمان تنبح غاضبة من الجوع، أو رأس رجل فجّره إطلاق أحدهم النار عليه، فارتسم دمه على الجدران، أو جثث متعفنة ملقاة على الأرض، كما يُفترض أن نيرفاندر لم يعد إلى المنزل منذ يوم السبت، ومع ذلك فإن خطوات نينا بدت حذرة، وهي تتجوّل في الشقة الفارغة، كما لو أن شخصًا ما قد يظهر أمامها في أي لحظة.

بدت الشقة المكونة من غرفة نومٍ واحدة، والتي تقع في الطابق الثاني من المبنى الواقع في زاوية في كاليو، وكأنها باردة ومسكونة، وقد أُسدلت الستائر على النوافذ، والضوء الأصفر المتسلل من الشقوق بدا ضعيفًا للغاية، ما دلّ على زهد

الشقة المتطرف، فالجدران البيضاء عارية، والأرضيات الخشبية متسخة، وقد احتوت غرفة الجلوس على أريكة جلدية سوداء ومنضدة عليها تلفاز بالقرب منها مكتبة كبيرة تحتوي على عدد قليل من الكتب ذات الغلاف المقوى، بالإضافة إلى صناديق مكدسة من الأحذية والملابس، والتي يُفترض أنها مرسلة من إحدى الشركات التي يتعامل معها، وهي تصطفّ بمحاذاة الجدران، أمضت نينا اليوم بأكمله في دراسة تحديثات مواقع التواصل الاجتماعي لنيرفاندر، ويتحتّم عليها أن تقول إن التناقض بين المشاركات المشذبة لنيرفاندر ولوحة العزوبية القاتمة تلك، لا يمكن أن يكون أكثر إثارة من الواقع الحقيقي مقابل واقع وسائل التواصل الاجتماعي.

مشت نينا نحو رفّ الكتب، وألقت نظرة على الأغلفة، ريتشارد دوكينز: *الوهم الإلهي وتضخيمه*، سام هاريس: *رسالة إلى أمة مسيحية*، كريستوفر هيتشنز: *لماذا يسمّم الدين كل ما في الحياة*.

امتلكت نينا معرفةً واسعة بالأعمال مكّنتها من أن تدرك أنها مجرد انتقادات للدين وجّهها ملحدون بارزون، وهي في واقع الأمر قرأت أحد كتب دوكينز باللغة الفنلندية، وقد أعربت عن تقديرها لمقاربة المؤلف المنطقية والبراغماتية للموضوع، وعلى أي حال، على الرغم من حجم مجموعة كتب نيرفاندر الضئيل، تكمن الغرابة في أن الصديق الذي أبلغ عن اختفاء جيسون هو راعي أبرشية في منتصف العمر، ولكن الأكثر الغرابة في الأمر، أن لدى نينا أصدقاء لا يؤمنون بالشرطة باعتبارها مؤسسة.

ابتعدت نينا عن الكتب وانتقلت عبر المطبخ إلى غرفة النوم التي كانت تفتقر بشدة إلى البهجة كباقي أجزاء الشقة، إذ لم يعلّق جيسون أي لوحةً عليها، وقد كسرت الصناديق الملونة المكدسة على الأرض، وغطاء السرير الأحمر الداكن الذي فُرش على السرير المرتب القسوة المهيمنة على المكان، كما وُضعت صفوفٌ أنيقة من منتجات العناية بالبشرة والحلاقة الجاهزة للاستعمال مباشرةً على

المكتب، فلا يعني ذلك أن الشقة فوضوية أو متسخة، إذ قد نفض الغبار عن الأسطح، وتكدّست الصناديق بترتيب، إلا أن الوضع بدا مزعجًا للغاية.

ظهر أمامها بابٌ خشبيٌ ضيق في الجدار الخلفي بجانب السرير، لا بدَّ أنه باب الخزانة، فعبرت الغرفة وأدارت المقبض، إلا أن الباب كان مقفلًا.

عندما أفلتت مقبض الباب، تنبّهت إلى أمر ما، ألم يسبق للدورية أن فتّشت الشقة بأكملها؟ حبست أنفاسها، واستعادت الأحداث المروعة التي وقعت في الربيع الأخير عندما أسرتها العصابة، وأوشكت أن تفقد حياتها.

لقد نجت، وتعافت، وأقسمت إنها لن تعرّض نفسها للخطر مرةً أخرى، فهي لم ترد القيام بمفردها بأي مهمة تشكّ في أنها محفوفة بالمخاطر، ومع ذلك ها هي تقف وحيدة في شقةٍ مظلمةٍ ومخيفة أمام باب خزانة مغلق، وحده الله يعلم ما الذي يوجد في الجانب الآخر منه.

تراجعت نينا بضع خطوات إلى الوراء، وفكّرت إن كان عليها أن تنادي المسؤولة ذات الجينز الضيق لمساعدتها، أو أن تستدعي بعض عناصر الشرطة، *اللعنة*، نظرت من خلال ثقب المفتاح، ثم استدارت، وبحثت في أدراج المكتب، فعثرت على مفتاح نحاسي قديم في أحدها، بدا *الأمر سهلًا جدًا*.

عادت إلى الباب الضيق، ووضعت المفتاح في القفل، ثم أدارته، وبعد سماع نقرة خفيفة، ضغطت على المقبض ودفعت الباب، فأنذر صريره بالسوء، فقفزت على الفور إلى الخلف، وكبتت صرخة مدوية، عندما رأت جثةً تتدلّى من السقف، ثم تململت قائلةً: "يا إلهي!"، سواء أكانت مؤمنة أم لم تكن.

31

ركن يوسف السيارة في المكان نفسه الذي سبق له أن ركن فيه، بعد أن انخفضت طوال فترة بعد الظهيرة درجة الحرارة إلى ما دون درجة التجمد، وبدأت رقاقات الثلج الصغيرة بالهطول.

فتح يوسف باب السيارة، وقال: "يبدو أن هذه البقعة مخصصةٌ لنا".

ترجّلت جيسيكا من السيارة، فرأت إيسي تحمل أكياس البقالة البلاستيكية، وهي في طريقها إلى شقتها.

أِشعل يوسف سيجارة، وقال لها: "إنه توقيتٌ رائع".

لوّحت جيسيكا بيدها لإيسي، وهي تسأل يوسف: "لماذا بحق الجحيم تستغرق شركات الاتصالات وقتًا طويلًا لجمع معلومات حول صاحب أي خط هاتفي؟ هل هاتف الشبح لا يزال مغلقًا حتى الآن؟".

ردّ قائلًا: "لقد توقّف عن العمل في تاكا-تولو أمس عند الساعة 3:10 من بعد الظهر".

امتزج الدخان المتصاعد من فتحتي أنف يوسف بالرياح، ثم تلاشى على الفور، وقال: "هل ينبغي لنا أن نسأل زميلة ليزا في السكن عن المُدونة الأخرى؟".

ردّت قائلة: "لا أعرف، أعتقد أننا بطريقة ما، نحتاج إلى أن نحسن استخدام تلك المعلومات، إذا كان ذلك ضروريًا ولا بدّ منه".

عبرت إيسي ممر المشاة، فاقترب يوسف منها قائلًا: "مرحبًا، يمكنني مساعدتك في حمل أحد هذه الأكياس".

قبلت إيسي عرضه، وقد بدت أكثر تعبًا وإرهاقًا مما كانت عليه سابقًا، وكأنها لا تزال تحت تأثير تلك الصدمة القاسية، أو ربما بسبب ازدياد خطورة الوضع تدريجيًا بشكلٍ ملموس.

مشى الثلاثة نحو المبنى، فلاحظت جيسيكا الجرس الجديد الذي كان موضع العديد من المحادثات في الوقت الذي كانت فيه إيسي تفتح الباب.

بعد لحظات وصل المصعد الضيق نوعًا ما إلى الطابق الثالث، ففتحت إيسي الباب القديم الطراز، وبعد أن قرّر يوسف صعود الدرج، التقى بهما عند باب الشقة.

وضعت إيسي المفتاح في القفل، وقالت: "يقول لي الجميع إنه يتحتّم عليّ أن أتذكّر موعد تناول الطعام، ولكن شهيتي شبه متلاشية"، راقبت جيسيكا الجلبة الصادرة عن المفتاح، فمن الواضح أن إيسي لم تكن معتادةً على استخدام ذلك القفل كثيرًا، هذا إن استخدمته أصلًا. لكن الظروف تغيّرت بشكلٍ كليّ منذ اختفاء شريكتها الغامض والمثير للريبة.

حاولت إيسي فتح القفل العادي، ولكنه لم ينفتح، فقالت متوسّلةً: "هيا افتح...".

تبادل يوسف وجيسيكا نظرات الاستغراب خلسة، بينما كانت إيسي تحاول مجددًا فتح القفل، وهي تقول: "لم أكن معتادةً على أن... الآن يتحتّم عليّ أن أقفل هذا الباب طوال الوقت..."، مرت لحظة قبل أن تحاول مرةً أخرى فتح الباب القديم، إلا أن جيسيكا لم تتقبّل فكرة ألا يوصد هذا الباب قط، وأن إيسي التي تبدو في حالة ذهول شديدة قد تتركه مفتوحًا على الرغم من كل ما تقوله.

فُتح الباب بعد طول انتظار، ودخلت إيسي الشقة، ثم وضعت أكياسها على الأرض.

قالت وهي تدخل إلى غرفة الجلوس: "لا داعي لخلع حذاءكما".

خلع يوسف وجيسيكا معطفيهما، ثم تبعا إيسي، وهما ينظران حولهما، وقد لاحظا أن الصور قد اختفت عن الجدران، فبدت غرفة الجلوس فارغة ومجردة من اللوحات التي زيّنتها في السابق.

قالت إيسي: "لقد جاء بعض عناصر الشرطة، وأخذوا كل رسوم ليزا".

أومأت جيسيكا إليها برأسها، وهي تفكّر في أن مصادرة هيلينا لابي كل لوحات المانغا، باعتبارها دليلًا في القضية، تُعدّ عملًا دكتاتوريًا بجدارة.

وضعت إيسي يديها على وركيها، ومسحت الدموع التي سالت من عينيها، وهي تقول: "الآن فقط... بعد أن أصبحت الجدران خالية، أشعر بألم اختفاء ليزا".

قال يوسف برقة: "سيعيدون لك تلك اللوحات قريبًا"، كان يعرف أن مواساته تمنحها راحة مؤقتة، لأن الجدران الفارغة ليست سبب حزن إيسي.

بكت إيسي، ثم سحبت منديلًا من العلبة، ومسحت أنفها، وهي لا تزال تجلس على الأريكة، وتنظر بعينيها الدامعتين إلى المحققين، ثم قالت: "لا يهمّني أمر تلك اللوحات اللعينة".

للحظة بدا أن إيسي ستستعيد رباطة جأشها.

فجأة تغيّرت تعابير وجهها، وتحوّل حزنها إلى حيرة وشك، وبعد لحظة تحوّل إلى ذعر واضطراب، فقد سبق لجيسيكا أن رأت تلك الملامح؛ إنه وجه امرأة شابة أصيبت بصدمة كبيرة أدّت إلى شعورها بالرعب الشديد، فلا بدّ أن إيسي تذكّرت حدثًا مهولًا.

وضعت يدها على فمها، وقالت: "يا إلهي...!".

نظرت جيسيكا إلى يوسف الذي بدا مرتبكًا ويقظًا في الوقت نفسه.

خطت جيسيكا خطوة نحو الأريكة، وسألتها: "ما الأمر، يا إيسي؟".

بدأت شريكة ليزا في السكن تلهث، وهي تهمس إليها: "إنه في الشقة".

قبضت جيسيكا تلقائيًا على مسدسها الموضوع أسفل إبطها وسألتها: "من تعنين؟".

ثم فاحت رائحة السكرين التي لم تكن تعبق في الشقة في وقت سابق من ذلك اليوم، إنه عطر ما بعد الحلاقة، إنه عطر الشبح.

في تلك الأثناء انفتح باب غرفة ليزا، وقبل أن يتمكّن أي شخص من التصدي لمقتحم الشقة، مرّ شخص ضخم بالقرب من يوسف، وأسقطه على طاولة القهوة، فهوت قوائمها الخشبية، وتحطّم سطحها الزجاجي تحت ثقله، ثم ارتفع في الغرفة صوت صرير الزجاج المكسور وصيحات إيسي اليائسة.

اندفع الشخص عبر الغرفة وخرج من الباب في الوقت الذي صرخت فيه جيسيكا: "توقّف في مكانك!".

حاول يوسف النهوض من بين شظايا الزجاج، والخشب المكسور، والدم يتدفّق من يده، فصاح قائلًا: "اقبضي عليه، يا جيسي!".

شهرت جيسيكا مسدسها وهي تركض نحو الممر، فسمعت وقع خطواته، وهو يتجّه إلى الأسفل، فركضت وراءه، وصرخت وهي تنزل الدرج: "قف! قف!"، وبالكاد لمحت رجلًا يرتدي معطفًا أسود، ويعتمر قبعةً ذات حواف من خلال الشبكات الفولاذية التي تحيط بالمصعد، بينما كان يتقدّم بسرعةٍ مذهلة إلى الطابق الأرضي استعدادًا إلى مغادرة المبنى عبر الباب الرئيسي، رأته جيسيكا وهو يركض في الردهة، ثم سمعت صوت انفتاح باب الطابق السفلي، تبعه نباح كلب كبير من إحدى شقق الطابق الثاني.

وصلت جيسيكا إلى الطابق الأرضي، وخرجت من الباب الرئيسي، لتجد زوجين عجوزين يقفان أمامه، وهما ينظران إلى المسدس الذي تشهره جيسيكا بخوف شديد، بينما كان يستند أحدهما إلى عكازيه.

سألتهما: "أي اتجاه سلك؟".

أشارت المرأة نحو الزاوية، فركضت جيسيكا بأقصى سرعة، وهي تطارده، وبعد أن عبرت البقعة المغطاة بالعشب، والتي تتوسّطها الشجرة العارية، نزلت على درج الغرانيت الذي يؤدّي إلى توبليوكسنكاتو، فكان زلقًا، ما أجبرها على أن تمسك بالسياج الفولاذي المثبت على الحائط بيدها اليسرى.

يتحتّم عليّ أن أمسك به، لقد كان يبحث عن... فجأة تلقّت ضربة قوية على الحجاب الحاجز، فشعرت في الحال بانقطاع نفسها قبل أن تنهار وتنطرح أرضًا.

رأت فجوة بحجم رجل في الجدار الغرانيتي، بينما كان الباب المعدني الذي اختبأ خلفه مغطىً بالرسوم، وهو مكان ضيق ومناسب للاختباء، فانتظرت جيسيكا أن تُركل على وجهها، أو أن تومض فوهة المسدس الذي سيضع اللمسة الأخيرة

لمطاردتها الهزلية، إلا أنه لم يحصل أي منهما، بعد أن توارى الشخص الغامض في إحدى الزوايا. التقطت جيسيكا أنفاسها، وحاولت حبس القيء، بينما كان خدها يلتصق بالأسفلت الرطب، *اللعنة... هزيمتان في يومٍ واحد*. بدأ الألم النابض في معدتها يزداد باضطراد، واندفع القيء من المريء، ثم سمعت وقع خطوات يوسف تقترب منها في الوقت الذي كانت تبصق فيه.

32

قالت نينا روسكا، وهي تركن في موقف إيتاينن بابينكاتو غرب كنيسة كاليو: "العبودية والانضباط، الهيمنة والخضوع، السادية والماسوشية، مطاطٌ أسود، سحابٌ على الفم، وبعض الأشغال".

ردّت هيلو قائلة: "أعثرت على كل تلك الأغراض في منزل نيرفاندر؟".

تراءى لنينا أنها سمعت نبرة مرح في صوت رئيستها.

قالت لها: "نعم، رأيتها على دمية كانت مقيدة اليدين إلى السقف".

سمعت نينا ضحكات هيلو بالفعل، ثم قالت: "عذرًا، نينا، لكن ذلك ليس أمرًا قد تصادفينه كل يوم".

أوقفت نينا عمل المحرك، وقالت لها: "كان لديه العديد من صناديق الأدوات السادية والماسوشية في منزله، بالإضافة إلى العديد من المجلات والكتب، وكما يبدو أن جيسون نيرفاندر مثقف حقًا وبارع في أمور عديدة أخرى".

سألتها: "لكن لا دليل على أي عمل غير قانوني أو ما يشير إلى المانغا؟".

ردّت قائلة: "كلا، بدا معظمها وكأنها أدواتٌ جنسيةٌ نموذجيةٌ للغاية، هذا كل ما في الأمر".

قالت: "حسنًا، أفترض أنك لم تخبري جيسيكا بذلك حتى الآن؟".

ردّت قائلة: "لا...".

لا يزال صوت هيلو يبدو غريبًا، كما لو أنها في حالةٍ مزاجيةٍ رائقة حتى قبل أن تتّصل نينا، قالت لها: "لم أعتقد ذلك".

قالت: "يُستحسن ألا تتّصلي بها في الوقت الراهن، فجيسيكا ويوسف يداويان جراحهما في تولو بعد أن تعرّضا للضرب".

ترجّلت نينا من السيارة، وسألتها: "من الذي ضربهما؟".

أجابتها هيلو ساخرةً: "الشبح، ولكن لا تقلقي، لقد أفلت منهما، سأكلّمك قريبًا".

شردت نينا، وهي تفكّر فيما يمكن أن يدور في خلدها، ثم تأمّلت الصرح الغرانيتي الذي صمّمه لارس سونك على الطراز الرومانسي الوطني، وإن لم تخنها الذاكرة، فقد بُني في السنوات الأولى من القرن الماضي. إن هذه الكنيسة مهيبة حقًا وهي تقع على قمة التل، ما يجعلها أعلى مبنى في وسط هلسنكي.

لقد عاشت نينا في المدينة طوال حياتها، ولكنها بدأت بتقدير جمال هندستها المعمارية في السنوات الأخيرة مثل أي مكان آخر في العالم، نادرًا ما يقدّر سكان هلسنكي روعة الفن المحلي، وبدلًا من ذلك يتعاملون معه باستهتار.

صعدت نينا على الدرج الحجري للوصول إلى ممرٍ يلتفّ حول المبنى، وواصلت طريقها على طول المسار المنحني الذي يعانق الواجهة، إلى حيث تقع مكاتب الرعية في النهاية.

لم يتسنَّ لها النظر إلى الجرس قبل أن يفتح رجلٌ مبتسمٌ ذو لحيةٍ كثة الباب وقد وضع طوقًا كهنوتيًا تحت سترته الحمراء الداكنة.

سألته: "نيكولاس بونسي؟".

أجابها: "نعم، تفضّلي بالدخول"، مدّ يده لمصافحتها، وهو يلقي عليها التحية.

كان بونسي رجلًا هزيلًا وقصير القامة إلى حدٍ كبير، ولكنها شعرت بقوة قبضة يده عندما صافحها، وبصفتها مارست مختلف فنون الدفاع عن النفس طوال حياتها، فقد تعلّمت اكتشاف القوة المخبأة داخل قشرة سطحية ببراعة، وهذا بالضبط ما ينضح به نيكولاس بونسي.

خطت نينا إلى الداخل، وهي تتبع بونسي مرورًا ببضع غرف، ثم ألقت نظرة خاطفة على موظفي الرعية من خلال الأبواب المشرعة، وعندما وصلا إلى مكتب بونسي رحّب بها بحفاوة.

قال بونسي، وهو يشير إلى نينا لكي تجلس: "هل تودّين احتساء بعض القهوة؟". أومأت إليه برأسها بلباقة، وهي تجري تحليلًا سريعًا للمكتب الصغير، فبدا مرتبًا، وتفوح منه رائحة الكنيسة المؤلفة، فاستحضرت تلك الرائحة ذكريات الكتب المتعفنة في المكتبات وتراتيل تتألّف من ألف صفحة، وقد عُلّق تمثالٌ خشبي خلف مكتب بونسي للسيد المسيح على الصليب. وعلى الرغم من أنها ليست مؤمنة، إلا أن نينا لم تعارض الذهاب إلى الكنيسة مثل القيام بالعديد من الأشياء الأخرى، إنها عادةٌ متجذرةٌ في أعماقها. وعلاوة على ذلك، لماذا قد تعارض القيام بأي عمل يمنح الناس الأمل، وخاصة أولئك الذين امتلأت حياتهم باليأس والسقم؟

قالت: "أشكرك على منحي القليل من وقتك أيها القس...".

رفع بونسي إصبعه، وهو يبتسم ابتسامةٍ خفيفة، وقال لها: "الراعي".

سألته: "أستميحك عذرًا".

ابتسم بونسي محرجًا، وقال: "لا، بل أنتِ اعذريني، فأنا أقوم ببعض الأعمال بالطبع، ولكنني أحد القساوسة المتفانين في هذه الرعية، إذ تتطلّب هذه المكانة إتمام درجة رعوية إضافية"، ضحك بونسي بشكلٍ مفاجئ، كما لو كان مستمتعًا بتفاهة ما قاله، ثم تابع كلامه قائلًا: "ها أنا مرةً أخرى، أتفوّه بالترهات، نادِني نيكو فحسب، إذ يتحتّم علينا أن نكون على وفاق تام".

جلست نينا على كرسيٍ خشبي، وقالت: "عظيم، يا نيكو"، بينما جلس بونسي على كرسي وثير، يقع على الجانب الآخر من المكتب، وحين تفحّصت وجه الراعي المستدير، كان أفضل وصف لبشرته هو الثلج المتسخ، إذ أخفت لحيته الكثيفة بعض البثور، كما بدت عيناه المعبرتان زرقاوين ومشرقتين بشكل لا يوصف، وهو يغمضهما قليلًا عندما يبتسم ابتسامة ودودة، تظل مرتسمة على شفتيه لفترة طويلة. في الوقت الذي كانت تنظر فيه حولها، لفت انتباهها صورةً مؤطرةً معلقة على الحائط، وهي تظهر مجموعة من الأشخاص أماس شعار كبير للمثليين.

سعل بونسي وهو يضع قبضته على وجهه، وقال: "إن تلك المجموعة تنتمي إلى فعالية برايد العام الماضي، وقد شاركت في أنشطة الدعوة الخاصة بالكنيسة منذ ما يقارب العشر سنوات، كما أنني أيضًا متخصص في علم الجنس، ولكن... حسنًا، تلك المسألة ليس لها علاقة بموضوعنا، اعذريني لأنني أتحدّث عن نفسي"، تنهّد بونسي وابتسم، ثم ازدادت تعابير وجهه غموضًا، عندما قال: "يمكنكِ القول، إنني متوتر، على الرغم من أنني أحاول أن أكون متفائلًا في أن يكون جيسون بخير"، رفع يديه إلى الطاولة، كما لو كان على وشك الصلاة.

أخرجت نينا مفكرةً من جيبها، وقالت: "التفاؤل مفيد للغاية، كما أن احتمال أن يكون جيسون سليمًا ومعافى كبير".

لكن الابتسامة لم تعد مرتسمة على وجه بونسي عندما سألها: "يُمكن أن يكون حيًا، ولكنني أجد أن احتمال ذلك ضئيل، أليس ذلك صحيحًا؟".

أمسك قلمًا مغروزًا في حامله، وكأنه يمسك بحبل نجاة، فحدّقت نينا إلى عيني بونسي، وانتظرت أن يتبدّد السؤال الذي طرحه، إلى جانب حاجته الملحة إلى الإجابة عليه.

أومأت برأسها إلى صورة معلقة على الحائط بالأبيض والأسود، ويرجع اهتمامها بتلك الصورة في الأساس إلى أنها أرادت بدء الاستجواب انطلاقًا من صفحة بيضاء ناصعة، فسألته: "إلى من تعود تلك الصورة؟"، إنها صورة شابٍ أشقر وسيم، ثبتت ميدالية على صدر زيه العسكري.

ضغط أنامله على قبضة يده، وقال: "إنه ويتولد بيليكي، كان محاربًا ضد النظام النازي، وعضوًا في الجيش البولندي السري، وبحسب ما أعلم، كان المقاتل الوحيد الذي سُجن طواعية في أوشفيتز لتنفيذ خطة محكمة من أجل مساعدة المقاومة في القضاء على الألمان، وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهته، فقد بقي حيًا لأكثر من عامين في ذلك المكان اللعين، حتى إنه صنع جهازًا لاسلكيًا، نقل عبره المعلومات الاستخبارية إلى زملائه خارج السجن، وإن فكّرتِ مليًا في الأمر سترين

حجم التضحية التي قدّمها، فقد نُقل الملايين ضد إرادتهم إلى معسكرات الاعتقال ليموتوا في داخله... بينما اندفع بيليكي إلى السجن مع سبق الإصرار والتصميم من أجل مساعدة الآخرين".

وجدت نينا نفسها مفتونة بذاك الرجل بشكل لا يوصف، ومن الواضح أن فجوة كبيرة بحجم بيليكي تشكّلت في المفاهيم التي تعلّمتها، سألته: "ماذا حدث له؟".

أجابها: "في أثناء وجوده في أوشفيتز، شكّل بيليكي مجموعة كان يُفترض أن تسيطر على المعسكر وتحرّر السجناء جميعهم، ولكن مع اقتراب تلك اللحظة، لم يكن الجيش البولندي السري قادرًا على تقديم الدعم المتوقع من خارج بوابات السجن، وهذا ما أدّى إلى فشل الخطة، وتضحية بيليكي بحريته، وتحمّل المعاناة والألم عبثًا".

سألته: "هل مات في المعتقل؟".

كتم بونسي ضحكته وأجابها: "هذا هو الجزء الرائع في القصة، فقد قام بيليكي بما يُشبه الخدعة السحرية التي مكّنته من أن يهرب من أوشفيتز، فمن الناحية العملية بدا الأمر مستحيلًا، ولكنه نجح في تحقيق ذلك بفضل عزيمته الثابتة، ومع ذلك لم تكن نهاية القصة سعيدة، فبعد الحرب، اعتبر الشيوعيون أن بيليكي جاسوسًا يعمل لصالح قوى الغرب، فأعدموه في صيف عام 1948، وهكذا لم يعد مثالًا يُحتذى به في تطبيق العدالة".

قالت: "يا لها من قصة رائعة!".

قال لها: "إنها رائعة حقًا، عرفت الآن سبب وجود هذه الصورة هنا... كما يمكن أن تكون صورة شخص شجاع آخر معلقة هناك أيضًا، فالتاريخ مليء بأشخاص يستحقّون تخليد ذكراهم، لأنهم يفضّلون الصالح العام على مصالحهم الخاصة، ولكن بالنسبة إليّ، يعتبر بيليكي مثالًا للقيم والفضائل التي نمجّدها في الكتاب المقدس، ولا يسعني إلا أن أرى وجهه شبيهًا..."، للحظة، ابتسم بونسي

بغموض، فأضاف الضوء الضعيف المتسلل من النافذة الإشراقة إلى بشرته الشاحبة.

سألته نينا: "بيسوع؟".

ألقى بونسي نظرة أمل على الصورة، وقال لها: "دعينا نقل إن العالم يمكنه الاستفادة من الأشخاص الذين يشبهون بيليكي".

نظرت نينا إلى مفكرتها، إذ حان وقت البدء بالعمل، بعد فترة إحماء قصيرة، جعلته أكثر استعدادًا للإجابة عن الأسئلة كلها.

سألته: "هل أنت وجيسون صديقان؟".

أومأ بونسي إليها بالقلم، وقال لها: "إنه في الأصل من روفانييمي، وعندما انتقل إلى هلسنكي... لا أذكر بالضبط متى حصل ذلك؟ ربما قبل أربع سنوات".

تحقّقت نينا من ملاحظاتها وقالت: "في خريف 2014".

قال: "هذا صحيح... كان جيسون عضوًا ناشطًا في نشاطاتنا الشبابية التي تنظّمها الرعية، وهذا يوضح كيف تعرّفنا إلى بعض، ومنذ ذلك الحين أمضينا الكثير من الوقت معًا".

قالت له: "أهذا يعني أنكما مقربان من بعضكما؟".

قال لها: "إننا مقربان من بعضنا إلى أقصى حد، فنحن نتقابل أو نتحدّث إلى بعضنا كل يوم تقريبًا".

قالت: "هل لديك فكرة حول مكان جيسون؟".

هزّ بونسي برأسه، وتنهّد بعمق، ثم نظر إلى الخارج عبر النافذة المظللة بقيقب كبير.

أردفت نينا قائلة: "هل يتبادر إلى ذهنك من قد يضمر الشر لجيسون؟".

أجابها: "لقد حاولت التفكير في ذلك، ولكن لم يخطر في بالي أحد".

سألته: "متى كانت آخر مرة رأيت فيها جيسون؟"، تعلم نينا عن تجربة أنه يُستحسن طرح أكبر عددٍ من الأسئلة في أسرع وقت ممكن من دون إظهار أي تعجرف.

أجابها: "يوم الجمعة".

سألته: "هل لاحظت أمرًا غير عادي حينها؟ هل ذكر جيسون شيئًا عن خططه لعطلة نهاية الأسبوع؟".

ظهرت نظرةٌ غامضة على وجه بونسي، وقال: "لم يكن جيسون على سجيته في ذلك اليوم، بل كان قلقًا أكثر من المعتاد، وقال إن أحدهم يسيء الحديث عنه، ويتّهمه بارتكاب أفعال سيئة".

سألته: "أي نوعٍ من الأفعال السيئة؟".

قال: "كان أحدهم يلفّق الأكاذيب، وينشر الشائعات التي تسيء إليه، ولكنني لم أشعر بأن الأمر خطير. ما أعنيه أنه وفقًا لمجريات الأحداث، لا أعتقد أن لها أي علاقةٍ باختفاء جيسون الآن، على الرغم من أنه شعر بالضيق لأن شخصًا ما كان يشوّه سمعته، إلا أن ذلك كان كل ما في الأمر، كما قال إنه سوف يحلّ المسألة مع مسبّبيها خلال عطلة نهاية الأسبوع".

قالت له: "ألم تعرف ما الذي كان يتحدّث عنه، أو مع من كان يتحتّم عليه تسوية الأمور؟".

هزّ بونسي رأسه، وأخيرًا قال: "ذكر جيسون أنه حاول التواصل مع ليزا، ولكنها لم تردّ على مكالماته".

قالت له: "هل أخبرك جيسون بسبب رغبته في التحدث إلى ليزا؟".

ظهرت على وجه بونسي نظرات الندم على تقصيره في أداء واجباته، وقال: "لم أسأله عن ذلك أبدًا".

ازدردت نينا لعابها عدة مرات، وشعرت بحرقة في حلقها، فأملت في ألا يُصيبها المرض.

كان يُفترض بها أن تعاود ممارسة الرياضة الليلة، بعد أسبوعٍ من الركود.

عاودت النظر إلى الصليب المعلق على الحائط، وتذكّرت الكتب التي رأتها في شقة نيرفاندر، فسألته: "هل جيسون متدين؟".

استعاد بونسي تركيزه، واستجمع أفكاره الشاردة، فأوحت الملامح المرتسمة على وجهه بأنه يصعب الإجابة عن ذلك السؤال، فقال لها بجدية: "جيسون منفتح على الحياة، وهو يتبنّى مفاهيم متنوعة في مختلف المجالات، وهذا ما جعله رفيقًا مثيرًا للاهتمام، فقد أجريت مع جيسون حوارات عديدة حول مواضيع عميقة، ومن أهمّها مسألة الوجود، ومعنى الحياة".

سألته: "هل لجأ جيسون إلى ممارسة النشاطات الشبابية من أجل الشعور بالراحة؟ هل كان يعاني من مشاكل محددة؟".

بدا بونسي كما لو كان ينظر مباشرة إلى الشمس، ففرك جبهته، وقال لها: "لا ينبغي أن أناقش حياة جيسون الروحية".

قالت له: "قد تكون مسألة حياةٍ أو موت، وفي واقع الأمر يُحتمل أن يكون الأمر خطيرًا، على الرغم من حقيقة أننا نأمل في ألا يكون قد ألمّ به خطب، لذا يتحتّم عليك أن تخبرني بكل ما تعرفه، إذ يمكن أن يساعدنا ذلك في العثور على جيسون".

قال: "أنا أتفهّم ذلك، لكن...".

سألته: "ما نوع العلاقة التي جمعت بين جيسون وليزا ياماموتو؟".

ردّ قائلًا: "لقد ربطتهما علاقة قوية لفترة طويلة من الزمن".

سألته: "لماذا انفصلا؟".

نظر بونسي إلى نينا نظرة انكسار، كما لو كانت الشرطة تجبره على اتخاذ موقفٍ يضطّر فيه إلى القيام بخطوة لا يريد أن يخطوها، فبدا وكأنه يسعى إلى أن يستمدّ الشجاعة والقوة من صورة بيليكي، *يمكن للأمور أن تزداد سوءًا، يا نيكولاس.*

داعب لحيته، وأخيرًا قال: "لم يكن جيسون مخلصًا لليزا"، ثم دفع كرسيه قليلًا إلى الخلف، وانحنى أسفل المكتب، وبعد لحظات اشتمّت نينا رائحة أقدام كريهة، أيها القس أو الكاهن أو الراعي، ما الذي فعلته للتو، لقد أراح قدميه بخلع حذائه.

سألته: "من كان الطرف الثالث؟".

أجابها: "لم يخبرني باسمه، وقد اكتفى بإخباري بأنه خدع ليزا وحسب".

سألته: "هل كان جيسون يتعامل مع الآخرين بعنف في الماضي؟".

أشاح بونسي نظره عن القلم الذي يحمله في يده، ثم أعاده إلى مكانه، وسألها متفاجئًا مما قالته: "لماذا تسألين عن أمرٍ كهذا؟".

ثبّتت نينا نظرها على الراعي من دون أن تجيبه عن سؤاله، فبادلها بونسي النظر إليها لبرهة، ثم قال لها: "لا".

سألته: "هل أنت متأكد من جوابك؟".

عادت الابتسامة الحزينة ترتسم على وجه بونسي، وهو يقول: "لا يمكن أن يؤذي جيسون ذبابة، فقد كان يواجه مشاكله الكثيرة بنفسه، ومنها أنه كان يفرط في احتساء الشراب، ومع أن ذلك أفقده قدرته على ضبط نفسه في بعض الأحيان، ولكنه لم يتصرّف بعنف مع الآخرين، وربما يكون القصور الأخلاقي هو سبب وقوع المشاكل في علاقاته".

لم تستطع نينا نسيان الدمية المعلقة في خزانة جيسون، فقالت له: "أنت تقصد بالقصور الأخلاقي... علاقاته الجنسية، فلطالما تميّزت حفلاته بوقوع مشاكل ترتبط بكبح أهوائه وغرائزه، والقدرة على التوقف عن تلك الممارسات". سألته: "حسنًا ألم يخبرك جيسون بأنه ضرب ليزا من قبل؟".

شبك بونسي ذراعيه بالقرب من صدره، وعضّ على شفته، وقال: "لا، لا أعتقد أنه يمكن أن يفعل ذلك".

نهضت نينا من مكانها، وقالت له: "حسنًا، شكرًا لك، أوه، صحيح، سأطرح عليك سؤالًا أخيرًا بعد، ألديك فكرة حول سبب وجود جيسون في أورينكولاهتي ليلة السبت الماضي؟".

انتصب بونسي واقفًا، ولسببٍ ما بدا أقصر خلف مكتبه مما كان يبدو عليه سابقًا، وأجابها: "ليست لديّ أدنى فكرة حول ذلك، أعتذر منك".

33

دقّت الساعة في غرفة معيشة ليزا وإيسي عدة دقات بالتزامن مع حضور هيلينا، بينما جلس يوسف وجيسيكا على الأريكة، وهما يحدّقان إليها بتركيز.

وصلت هيلينا لابي إلى المكان وفي حوزتها مسدسها، لأنها بحسب ما تقوله، إن العنف الحاصل ضد عناصر الشرطة، ولا سيما عناصر وحدتها ينبغي أن يؤخذ على محمل الجد، ولكن جيسيكا تعرف تمام المعرفة أن رئيستها تشعر بالسعادة في أعماق نفسها بسبب ما حصل لها وليوسف، وقد جاءت لتقلب الأحداث لصالحها قبل أن تعود إلى التسكع في المقر الرئيسي مع الثرثار غامي هارغولا الذي يساندها.

جلست هيلو على الكرسي، ونظرت إلى طاولة القهوة المحطمة، والدم السائل على السجاد، والشاش الأبيض الذي يلفّ يد يوسف، وقالت: اختفى، يا عزيزي، اختفى، لقد تبخّر كالريحِ في الصحراء"، بدت هيلو وكأنها تخطّط لمكيدة ما بجلوسها مسترخيةً، وهي تلقي يديها على ذراعي الكرسي، وكأنها ملكة متسلطة، لا يمكن توقع تصرفاتها، وقد تصدر في أي لحظة قرارًا بقطع رأس أحد الأبرياء.

انفتح باب غرفة إيسي، فخرج الشاب الذي أحضرته هيلو برفقتها لتقديم المشورة اللازمة حول ما حدث.

سألته هيلو بكل اتزان: "ما الوضع الحالي؟".

ردّ الشاب الذي لايزال يرتدي معطفه: "آمل أن نعثر على أدلة جديدة، كما ستأتي اليوم شركة مختصة لتغيّر جميع الأقفال، ولكن يقع على عاتق تلك الشابة تحمّل مسؤوليات كبيرة".

أومأت هيلو إليه، ثم التفتت نحو جيسيكا ويوسف ريثما يخرج محلل الجرائم من الباب الأمامي، فلمع الجزء الخلفي لبذلات الشرطة على امتداد الدرج.

سيبقى شرطي أمام باب الشقة حتى نهاية اليوم إن لم يكن لمدةٍ أطول، لإلقاء القبض على الشبح إن قرّر العودة في أي لحظة، وحماية إيسي من أي خطر محتمل.

أخيرًا سألتهما هيلو: "قلتما إن إيسي استطاعت أن تشمّ رائحته؟".

لم تعد جيسيكا تحني رأسها، وهي تقول لها: "نعم، لقد فاحت رائحته في المكان كله".

قالت لها: "إنه عطر ما بعد الحلاقة نفسه الذي وضعه... الأربعاء الماضي".

تنهّدت هيلو، وقالت: "الشبح اللعين، هل رأيتما وجهه؟".

هزّت جيسيكا ويوسف كتفيهما، فتنهدّت هيلو مجددًا، ثم نهضت من مكانها، ومشت نحو النافذة شابكةً يديها خلف ظهرها في مشهدٍ درامي، وقد غطّى الشعر الأبيض قميصها، فلاحظت جيسيكا أن طراز الجينز ذي الأرجل الفضفاضة الذي ترتديه، يعود إلى القرن الماضي.

نظرت عبر النافذة، وقالت: "هل خطر على بال أحدكما أن الشبح سوف يعود؟ وبما أنه يحتجز ليزا، فلا بدّ أن مفاتيحها في حوزته".

نظرت جيسيكا إلى يوسف، الذي بدا عليه الحزن، بعد أن واجه الكثير من المخاطر خلال اليوم إلى درجة أنه لا يستطيع أن يتجاهلها.

تنهّدت جيسيكا، وقالت: "لا أعتقد أن ذلك قد يحدث، فمن غير المعقول أن يعود الخاطف إلى منزل المخطوف، وهو يعلم أن الشرطة تتردّد إلى المكان طوال اليوم، كما أننا كدنا أن نقبض عليه اليوم...".

قالت هيلو وهي تنقر على إطار النافذة بأصابعها: "لكنكما لم تتمكّنا من إلقاء القبض عليه، اللعنة"، مشت إلى وسط الغرفة، ولاتزال يداها مشبوكتين خلف ظهرها، وسألت: "ما الذي كان يبحث عنه يا تُرى؟".

أجابتها جيسيكا: "لا أعلم، إلا أن كل لوحات المانغا وحاسوب ليزا المحمول في مقر الشرطة".

سألتها: "أتظنّين أنه فكّر في أنها لا تزال في الشقة؟".

ردّت قائلة: "أشك في ذلك، ولكنني أظنّه يبحث عن شيء ما أخفته ليزا في غرفتها".

سألتها: "هل بدا أنه يحمل غرضًا عندما هرب؟".

هزّت جيسيكا رأسها نافية.

ضحكت هيلو في سرّها، ثم نظرت إلى السقف باستسلام، وقالت: "سيأتي التقنيون لرفع البصمات مجددًا، دعونا نأمل في أن يكون قد ترك بعض البصمات الجديدة غير بصماتكما، هل لا تزال يدك تؤلمك، يا يوسف؟".

قال يوسف محاولًا أن يكون مقنعًا قدر الإمكان: "لا، كانت الإصابة طفيفة"، كالعادة يتظاهر بالشجاعة، بينما كانت جيسيكا تلقي نظرة على الشظية الكبيرة التي استقرّت في كعب إبهامه قبل أن يخرجها الطبيب من العضلة، ويخيط الجرح.

أومأت هيلو إليه برأسها، ثم ألقت نظرة خاطفة على ساعتها الذكية، وقالت: "تخيّلا، لو حالفنا الحظ واستطعنا حلّ القضية، لكنكما كنتما وحدكما ضد شخص واحد".

توجّهت صوب الباب، فابتسمت هيلو في الوقت الذي نظر فيه يوسف وجيسيكا إليها بذهول قبل أن تتابع كلامها قائلة: "اتّصلت نينا، وقد عثرت على مخزون من المعدات السادية المازوخية في خزانة جيسون نيرفاندر، وأظنّ أنها قامت بما ينبغي لها القيام به".

34

قرعت جيسيكا باب إيسي، وسمعت صوتًا ناعمًا يطلب منها أن تدخل.

رأت رفيقة ليزا في السكن مستلقيةً في السرير على جانبها وعيناها حمراوان بسبب البكاء.

سحبت جيسيكا كرسيًا وقالت لها: "أنتِ في أمان تام الآن، سيتم تغيير الأقفال في أي دقيقة، وسيراقب شرطي المبنى".

جلست إيسي في السرير، ومسحت أنفها.

نظرت جيسيكا حولها، ولاحظت أن الغرفة تختلف تمامًا عن غرفة زميلتها المهووسة بالمانغا. الجدران مطلية باللون الأزرق الداكن ومليئةٌ بمطبوعاتٍ كبيرة من الصور الأيقونية وملصقات دعائية للحرب العالمية الثانية. *حافظ على هدوئك واستمر*، أشياء من هذا القبيل.

قالت إيسي: "لقد كان هو".

أومأت جيسيكا برأسها قائلةً: "هل لديك فكرة عمّا كان يبحث؟".

هزّت إيسي رأسها.

سلمت جيسيكا هاتفها إلى إيسي وسألتها: "حسنًا. لقد عدنا في الأصل لأنني أردت أن أسألك عن هذه المرأة".

سألتها إيسي بهدوء: "تسألين عن ماذا؟".

سألتها: "هل تعرفينها؟".

هزت إيسي كتفيها وقالت: "كلا. من هي؟".

أجابتها: "تدعى أولغا بيلوسوفا. إنها أوكرانية. هل يعني لك هذا الاسم شيئًا؟".

بدا أن إيسي تحاول التركيز. إنها تُكبر الصورة بأطراف أصابعها وتقول وهي تعيد الهاتف إلى جيسيكا: "إنها جميلة".

سألتها: "لكنك لا تتعرفين إليها؟ حتى على اسمها؟".

ردّت: "كلا".

وقفت جيسيكا وقالت: "حسنًا. هناك شيء آخر... يتعلق بجيسون".

قالت: "حسنًا".

وقفت جيسيكا مؤقتًا وفكّرت بأفضل السبل لإثارة الأمر، ثم استقر رأيها على مقاربةٍ مباشرة وسألتها: "هل كان جيسون عنيفًا مع ليزا؟".

أمسكت إيسي المنديل في يدها لكنها لم تقل شيئًا.

كررت سؤالها: "هل كان يا إيسي؟ هل كان جيسون يضرب ليزا؟".

هزّت إيسي رأسها بسرعة؛ إنها سلسلة من الإيماءات المتقطعة.

همست إيسي: "أعتقد ذلك، نعم. في نهاية علاقتهما، كانت ليزا تعاني من كدمات على وجهها و... قالت إنها سقطت بعد أن ثملت في حفلةٍ ما، لكن... لا أحد يسقط على هذا النحو. كنت متأكدةً أن جيسون ضربها".

سألتها: "لماذا لم تخبرينا من قبل؟".

ردّت: "حسنًا، لأن... ليزا لديها شخصيةٌ قوية، ولا تريد أن يعرف أحد أي شيء. علاوةً على ذلك، لا يمكن أن يكون لهذا أي علاقة بما يجري، أليس كذلك؟ أعني، اختفى جيسون أيضًا... وما أطلعتكم عليه حدث منذ سنة تقريبًا".

مدت جيسيكا يدها إلى المقبض وفتحت الباب قليلًا.

وقالت: "إذا تذكرت شيئًا يا إيسي. بعد ساعة من الآن، الليلة أو غدًا. أو إذا لاحظت أن هنالك شيئًا مفقودًا، أو أن هنالك شيئًا جديدًا ظهر. فيتوجب عليكِ الاتصال بي على الفور، اتفقنا؟ أي معلومة ستكون قيمةً للغاية الآن".

أومأت إيسي قائلةً: "حسنًا".

قالت جيسيكا وهي تغلق الباب: "حاولي الحصول على قسطٍ من الراحة".

35

استقلت جيسيكا السيارة، وأغلقت الباب، وشدت حزام الأمان. أما يوسف فوقف في الخارج، يحمل سيجارة نصف مدخنةٍ بين إصبعيه، وينظر إلى الشاش الأبيض الملفوف حول يده. حل الظلام على المدينة بلمح البصر، وبدت رقاقات الثلج التي تتطاير بفعل الرياح مثل اليراع الأصفر في وهج مصابيح الشوارع. عكس الأسفلت الرطب للجانب الخالي من الرصيف السماء.

بعد لحظة، ركب يوسف السيارة وشغّل المحرك. تغمر جيسيكا رؤية مسبقة، لكن اللحظة كررت نفسها عشرات وعشرات المرات في الواقع أيضًا. فتح باب السيارة، واندفعت رائحة السيجارة التي دُخنت للتو، مع رائحة عطر ما بعد الحلاقة الخاصة بيوسف، واشتغل محرك الغولف الصغير والقوي. ملأت الموسيقى السيارة مثل سربٍ هائلٍ من الدبابير.

قال يوسف: "كانً يجب أن نخمن أنه سيعود".

تنهدت جيسيكا وقالت: "الإدراك المتأخر دائمًا ما يحظى بعلامة 20/20".

سألها: "هل تعتقدين أن الشبح هو من سمم أولغا بيلوسوفا؟".

التفتت جيسيكا إلى يوسف وسألته: "هل تعتقد أنها سُممت؟".

أجابها: "إذا لم تمت غرقًا".

ردّت: "يصعب الجزم".

شدّ يوسف حزام الأمان وقال: "فكري في الأمر: لوحات المانغا، والملابس، وعلامات الحروق، ربما نتعامل هنا مع بعض الطقوس الغريبة، وربما كانت أولغا ترتدي هذا الزي بمحض إرادتها، وربما تعاطت بمحض إرادتها بعض المخدرات التي هربها الشبح من اليابان، وربما سيحالفنا الحظ وستجد سارفيلينا أثرًا لعقار جديد في دم أولغا والذي يمكننا تتبعه".

سألته: "مثل جيمني كريكيت؟".

أجابها يوسف: "صحيح".

هزّت جيسيكا كتفيها. كان جيمني كريكيت هو الاسم المستعار لعصابة رومانية جلبت مخدرًا صناعيًا جديدًا إلى فنلندا قبل عامين؛ تمكنت الشرطة من تعقبه بعد أن تناول شاب جرعة زائدة منه. لعب التطور التقني في علم السموم دورًا كبيرًا في القضية: التحليل الافتراضي للتركيبات الجزيئية.

المتعارف عليه أن يكون لدى علم الأمراض عينة مرجعية -عينة من الدواء المعني- في متناول اليد لمقارنة العينة المأخوذة من المتوفى. عادة ما تقوم الجمارك أو الشرطة بتزويد مخبر الطب الشرعي بالعينات.

لكن خلال السنوات القليلة الماضية، تمكن علماء السموم من تطوير طريقة يمكن استخدامها للتركيب الجزيئي لأي مادة بناء على كتلتها الجزيئية. وهذا يجعل من الممكن، على سبيل المثال، تحديد مادة تمتلك البنية الأساسية للأمفيتامين، والتي أضافت الشركة المصنعة شيئًا إليها بعد ذلك.

هذا يُسهّل البحث عن كلٍ من المادة ومصدرها، حتى لو كانت المادة المحددة نفسها غير معروفةٍ للسلطات.

في الوقت الذي تحرك فيه من مكان ركن السيارات، تنهد يوسف وقال: "لا أعتقد أنهم سيجدون شيئًا في سودرسكار".

قالت: "لا، لا شيء البتة. رغم وجود غواصين يمشطون الساحل".

ردّ: "اللعنة. نواجه نهاياتٍ مسدودة كيفما اتجاهنا. أرسل راسموس رسالة نصية مفادها أن أيًا من شركات التوصيل لم تسلم أي طرود إلى عنوان ليزا خلال الشهر الماضي. رغم ذلك، تم تسليم العشرات".

هزّت جيسيكا رأسها وقالت: "أستطيع أن أتخيل. جميع المنتجات التي تريد ليزا التخلص منها، يحصل المسوقون المجانيون على...". تذكرت جبال الصناديق الفارغة الموجودة في غرفة نوم ليزا.

قال: "بالإضافة إلى ميل نيرفاندر إلى أشياء أقوى. هل تعتقدين أنها مرتبطة بالمانغا؟".

هزّت جيسيكا رأسها وقالت: "لا يوجد وجهٌ للمقارنة. لو كانت المانغا تثير نيرفاندر كانت نينا ستجد المانغا في خزانة ملابسه، وليس المطاط الأسود".

أيدها بقوله: "أظن ذلك. ماذا سنفعل الآن؟".

أجابته: "عليّ أن أستريح قليلًا وأن أفكر، هل توصلني إلى المنزل؟".

همهم يوسف بصوتٍ خشن: "بالطبع".

غابت الشمس خلف الأفق، في مكان ما خلف الغيوم الرمادية عاكسةً ضوءها الأصفر عليها. لعلها أجمل لحظة في اليوم. لمحة عن الحياة، لبدايات جديدة، قبل حلول الظلام الدامس الذي سيدوم ثماني عشرة ساعة.

36

أدخلت جيسيكا المفتاح في ثقب قفل الباب، وفتحته، ثم دخلت شقتها الصغيرة، فوجدت رسالتين وجريدة محلية مجانية ملقاة على الأرض، ثم تناهى إلى سمعها الأصوات المنبعثة من بيت الدرج، بعد أن صعد أحدهم إلى الطابق الثاني أو الثالث، ورنّ الجرس. ما إن انفتح الباب حتى ضجّ بيت الدرج بصرخات الأطفال الفرحين، وبعد إغلاق الباب، تحوّلت الأصوات إلى أصداء بالكاد يمكن سماع ترديدها.

أغلقت جيسيكا بابها الأمامي، وخلعت معطفها، ثم أحضرت البريد، واقتربت من النافذة المطلة على الفناء، فرأت المنظر المعتاد في الحي، والمؤلف من صفوف طويلة من الدراجات، وصناديق القمامة، والأعمدة المتلاصقة ببعضها، وأنابيب فولاذية لضرب السجاد، والجدران الجصية التي يعكس لونها البيج أضواء الفناء، وعشرات المنازل المضاءة، والأسطح المعدنية السوداء، والمبنية من الصفائح الملساء التي تشكّل خطرًا على سكان الحي، وهي تتلألأ بعد أن تساقطت عليها الأمطار المتجمدة، والدخان الرمادي يتصاعد نحو السماء من بعض المداخن الضخمة المغطاة بالمعادن.

وقفت جيسيكا أمام النافذة، ثم عادت إلى الأستوديو، والذي لا دور له سوى أن يكون واجهة للغرباء، وقد فاحت منه رائحة كريهة، جعلت احتمال تعفّن بعض الأطعمة في الثلاجة كبيرًا، ثم تأمّلت السرير الذي لم يستلقِ أحد عليه منذ فترة طويلة، في الواقع لم يُستخدم السرير في المرة الأخيرة من أجل الخلود إلى النوم، بعد أن توصّلت جيسيكا وفوبو إلى قرار حاسم منذ خمسة أسابيع، مفاده أن لا مستقبل لعلاقتهما معًا، فقرّرا إنهاء تلك العلاقة بعد ممارسة الجنس، فلم تكن تلك

الليلة أفضل أو أسوأ أو أكثر دراماتيكية من المعتاد، إذ لطالما كانت ممارسة الجنس مع فوبو تريحها بشكلٍ كبير، حتى عندما قرّرا أن تكون للمرة الأخيرة.

عندما استرجعت جيسيكا الماضي، بدا سخيفًا أن يزور فوبو الأستوديو عدة مرات من دون معرفة الحقيقة، وبعد مغادرته استلقت على السرير، وفكّرت في أنه بمجرد أن تتعرّف إلى شخصٍ ما، وتطلعه على أنصاف الحقائق، يصبح من المستحيل أن تكشف له عن كامل الحقيقة، حتى وإن كنت تثق به بما يكفي لإخباره بها، فليس من طريقةٍ للتأكد من أن الآخر سيستمرّ بعلاقته بك بعد سماعه الحقيقة كاملة، ما يدفعك إلى الحفاظ على السرية.

رنّ هاتف جيسيكا في جيب بنطالها الجينز، فكان الرقم محجوبًا، وقد بدت مترددة في الردّ عليه، بعد أن تعرّفت إلى عدد كبير من الأشخاص الجدد اليوم، ومن بينهم الوضيع الذي صادفته في مسار الركض، بالإضافة إلى الكائن الغريب الذي شاهدته في محطة الحافلات في كامبي، وأخيرًا اصطدمت بسيدةٍ عجوز تبدو مألوفة بالنسبة إليها، على الرغم من أنها استمرّت بالتقدّم من دون أن تلتفت إليها، إلا أنها قد تكون تخيّلت كل ذلك، وما الذي يمكن أن يحصل إن ردّت على المكالمة، وسمعت صوته يردّد تلك الكلمات مرة أخرى: *ليلة عيد الميلاد؟* ولكن بصفتها قائدة فريق التحقيق، لا يمكنها اختيار المكالمات التي تستطيع أن تردّ عليها في الوقت الراهن، فأي معلومةٍ تردها قد تكون مهمةً.

ضغطت جيسيكا على الأيقونة الخضراء، ووضعت الهاتف إلى أذنها، فانبعثت الموسيقى في الخلفية، ثم سمعت صوت رجل يتحدّث باللغة الإنكليزية إلى شخصٍ آخر.

قالت جيسيكا: "مرحبًا".

ردّ الرجل باللغة الإنكليزية قائلًا: "أعتذر، مرحبًا، أيتها المحققة"، ولم يستغرق إدراك جيسيكا أن الشخص الذي يتحدّث إليها في الطرف الآخر من الخط كان السيد مدير الفينيكس سوى ثانية.

إنه الرجل الذي نظر إليها بطريقة لا يمكن أن تنساها في وقت سابق من ذلك اليوم، وقد تكون تلك النظرات تدلّ على الشهوة بالكامل، ولكن في الوقت نفسه بدت نظرات ودودة، وكأنها نظرات صديق قديم، قال لها: "أنا فرانك دومينيس"، ثم تابع كلامه بصوتٍ جذابٍ ودافئ: "أعتذر على اتصالي من رقم النادي الخاص، بعد أن عثرت على بطاقتك على مكتبي".

وقفت جيسيكا أمام النافذة، وهي تضع الهاتف على أذنها، فلمحت تحت شقتها بطابقين رجلًا وامرأة يمارسان اليوغا في غرفة الجلوس، بينما كان يُعرض على شاشة تلفازهما فيلم وثائقي، فجلست على حافة النافذة، وزفرت زفرات طويلة، فافترضت أنه يمكنها أن تقلّص من حذرها لبعض الوقت، وأن تكون شخصًا آخر غير المحققة الباردة التي تخشى الاستسلام، وتجافي كل من تصادفهم في هذه الحياة.

قالت له: "كيف يمكنني مساعدتك، يا فرانك؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

37

لا يبعد منزل جيسيكا أكثر من مئتي ياردة عن منالا، ولكن الرياح الباردة لا تزال تجد طريقها إلى وجه جيسيكا لتلفحه، وهي تعبر الشارع بخفة.

انخفضت درجة الحرارة بضع درجات دون الصفر مع اقتراب حلول المساء، فأدّى هطول الأمطار طوال اليوم إلى تشكيل طبقة من الجليد الأسود على الأسفلت.

ضيّقت جيسيكا عينيها لتجنّب ندف الثلج الصغيرة التي تتطاير مع الرياح. وقد ركنت بعض سيارات الأجرة في المحطة، من دون أن يسمح السائقون للرياح الباردة بردعهم عن الترجل من سياراتهم للدردشة والتدخين، كما تجمّع عشرات الأشخاص حول مطعم جاسكا غريل، ليتناول بعضهم الطعام المقدّم إليهم في الشارع، بينما وقف النصف الآخر في الطابور للحصول على حصتهم من الطعام.

على الرغم من الظلام المخيم على المكان، إلا أن تلك الضوابط الإنسانية البسيطة تثلج الصدر، فهي تثبت أن سكان المدينة يمكنهم أن يتكيّفوا مع أحلك أوقات السنة وأكثرها كآبةً ناشرين فيها الأجواء الحميمة والدافئة، بعد أن تمكّنت الضحكات والأحزان والأفكار التي تغذّيها الكحول من أن تطرد الرياح المتجمدة، بالإضافة إلى ارتداء معاطف شتوية ثقيلة، وبناطيل رسمية، أو تنانير ضيقة وجوارب طويلة وانتعال أحذية ذات كعبٍ عالٍ، إنها *تسلية ما بعد العمل*، وشرارة بداية فصل الشتاء تنطلق في الأجواء، وكذلك المغازلة، والإثارة، والترقب والأمل في حلول فصل الصيف مرةً أخرى في الأيام المقبلة.

فتحت جيسيكا الباب الثقيل، ودخلت الحانة، فانبعث من المطبخ مزيج من الروائح القوية وخاصة رائحة الجبن والثوم.

ثم رأت فرانك دومينيس يجلس في الزاوية التي تقع قبالة الباب، وهو يضع كأسًا وزجاجة كولا على المنضدة أمامه، فوقف بلياقة فور اقترابها منه، وقال: "مضى وقت طويل لم أزر فيه هذا المكان، وربما كانت زيارتي الأخيرة له قبل أن يغيّروا الديكور".

خلعت جيسيكا معطفها، وعلّقته على ظهر كرسيها، وقالت له: "أنا أقيم في الجوار"، ثم جلسا على مقعديهما، وقد شُغّلت مقدمة أغنية "وين يور جون" للمغنية إيبو نورمالي عبر مكبرات الصوت.

قال دومينيس، وهو يرفع كأسه إلى شفتيه: "هذا يعني أنك تتردّدين كثيرًا إلى هذا المكان".

قالت له: "لا، لم أصل إلى هذا الحدّ".

قال دومينيس رافعًا إصبعه لجذب انتباه النادل: "ماذا تشربين؟".

"سأدفع ثمن شرابي".

نظرت جيسيكا إلى الزجاجة الفارغة على المنضدة، والكأس المملوءة بالثلج مع القليل من المشروب العسلي في أسفلها، فلاحظ دومينيس أنها تنظر إلى كأس شرابه، فابتسم ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه، وقال لها: "تجاهلي هذه، واطلبي ما تريدينه".

بدأت الابتسامة المرتسمة على وجهه تتلاشى تدريجيًا، عندما قال ما توقّعته جيسيكا قبل ثوانٍ: "منذ ثمانية أعوام، وخمسة أشهر ويومين".

سألته: "أهي المدة التي لم تحتسِ خلالها أي كأس كحول؟".

أجابها: "يبدأ برشفة فأخرى، ثم يلي ذلك ضرب، إلى أن تنفلت الأمور بعد ذلك".

نظرت جيسيكا إلى جليسها بدهشة، بعد أن راودته بعض الأفكار المبتذلة والممزوجة بالرومانسية، فكان يتحتّم على البطل أن يبلغ الحضيض حتى يدرك إمكانياته. فيحتفل الناس عادة بالفنانين والرياضيين الذين تغلّبوا على إدمان

الكحول والمخدرات، في حين أن أولئك الذين لم يتركوا الأمور تخرج عن نطاق السيطرة يُنبذون، ويظّلون على هامش الحياة، كما يتعامل الجميع مع المجرمين الذين صلحت أخلاقهم بالطريقة نفسها، وكل ما عليك أن تفعله هو صنع سيرة ذاتية فقط، لتصبح الأمور صاخبةً للغاية، *إنه لأمر رائع كيف استطعت التخلي عن حياة الجريمة وتعاطي المخدرات، لك كُل الاحترام! واسمح لي بأن ألتقط إلى جانبك صورة سيلفي.*

طلبت جيسيكا كأسًا من النبيذ الأبيض من النادل، وقد أبهرتها فكرة الماضي المظلم، وسيكون التظاهر بخلاف ذلك نفاقًا، فسألته: "هل تغيّرت الحياة بالنسبة إليك بعد الإقلاع عن احتساء الكحول؟".

حدّق دومينيس عبر النافذة، وهو يتأمل ندف الثلج المتطايرة تحت مصابيح الشوارع مقدمة عرضًا مذهلًا لا يمكن تخيّله، وقد ينتهي في أي لحظة، لذا كان يتحتّم عليه أن يستمتع بالمشهد الساحر قبل زواله.

نظر دومينيس إلى كأسه ثم إلى جيسيكا، وأخيرًا قال لها: "كلا".

ثم شمّر عن ساعديه، وتابع كلامه قائلًا: "لا شيء يتغيّر، بغض النظر عن المجموعة التي شاركتها في تناول المشروبات، فستبقى كل الأمور على حالها، من شؤون الحياة، إلى الأشخاص الذين يحيطون بك، والاحتفالات التي تقام باستمرار، والملذات، والأحزان، والدراما، والأزمات، والحروب، والخدع، والخيانات، والحبّ... والأمر الوحيد الذي قد يتغيّر هو الطريقة التي ينظر بها المرء إلى العالم".

وضعت جيسيكا كاحلها فوق ركبتها، وأخفضت يديها إلى حجرها، فهي تعرف الكثير من مدمني الكحول والمخدرات الذين سيكون الإقلاع بالنسبة إليهم هو الحل لمعظم مشاكلهم بلا شكّ، ومرةً أخرى يبدو أن الكثيرين ممن يكافحون من أجل تحرير أنفسهم من تعاطي المخدرات، يشعرون بالذهول عندما يدركون أن الإقلاع عن الكحول بحد ذاته ليس كافيًا، بل يتحتّم عليهم أن يكونوا مستعدين

لمواجهة العالم من دون أن يكونوا بحاجة إلى الأمان الذي توفّره المسكرات لتنظيم الفوضى التي أحدثوها.

بعد أن ساد الصمت لفترة وجيزة، احتسى دومينيس شرابه، وسألها: "هل تعرفين أين تقع أنكوريج؟".

هزّت جيسيكا رأسها نافية.

أشار بإصبعه إلى الأرضية، كما لو أن المدينة تقع على الطرف الآخر من الكوكب تمامًا، وقال: "أنكوريج هي أكبر مدينةٍ في ألاسكا".

عندما وضع النادل كأس النبيذ على الطاولة، طلب منه دومينيس أن يجلب له كأس كولا أخرى.

سألته: "هل انتقلت إلى فنلندا لتبقى صاحيًا أم العكس هو الصحيح؟".

أجابها: "لقد صحوت في الطائرة، بعد أن كنت ثملًا عندما استقللتها، مع أنني كنت أهرب من الكحول ومن نفسي ومن أنكوريج، وكنت على استعدادٍ إلى أن أذهب إلى أيّ مكان أشعر فيه بالاستقرار".

سألته: "حسنًا، لماذا اخترت هلسنكي؟".

ردّ قائلًا: "إذا قرّرتِ التّخلي عن كل شيء في حياتك، فستلجئين إلى مكان يتضمّن عنصرًا واحدًا مألوفًا على الأقل".

قالت له: "أتقصد الطقس؟".

أسند دومينيس ظهره إلى المقعد، وشبك ذراعيه أمام صدره، وتابع قائلًا بغموضٍ: "الطقس، والظلام".

ارتشفت جيسيكا نبيذها، فشعرت بأن الكأس الباردة كانت أدفأ من شفتيها المتجمدتين من البرد القارس".

تابع دومينيس كلامه قائلًا: "أنكوريج وهلسنكي مختلفتان بشدة، ولكن الطقس في كليهما مماثل، فهو لطيفٌ، ومشمسٌ، ومعتدل في الصيف، وباردٌ وطويلٌ وحالك الظلمة في الشتاء".

سألته: "أتشعر في الظلام بأنك في موطنك؟".

ردّ قائلًا: "دعينا نقل إنني أشعر بالظلام *الداخلي*، إلا أنه قد يكون الخارج مظلمًا أيضًا، هل فهمتِ قصدي أيتها المحققة؟".

قالت له: "نادِني جيسيكا".

شكر دومينيس النادل على إعادة ملء كأسه، وقال لها: "كما تريدين، أيتها المحققة، ولكن الناس في ألاسكا يكثرون من الشرب، ما جعل العالم يظنّ أن ألاسكا مجرد أرض يقيم فيها الجنود الضجرون، وكأنها قاعدة عسكرية سابقة، مع أن ألاسكا تعجّ بالجنود، ولكن الناس هناك يشربون للأسباب نفسها التي يشرب الناس من أجلها في بلادك، فهم يهربون من الظلام، ويحتفلون بالصيف المشرق من دون أن يملك أحدهم أدنى فكرةٍ حول الوضع عند خطوط العرض الأخرى، فيُعتبر ضوء الصيف أمرًا مفروغًا منه هناك، وأن مفهوم الظلام المطلق سخيفٌ للغاية، ولا يمكنهم تخيّله إلا إذا قرأوا روايات فرانك ميلر المصورة، أو شاهدوا مؤثرات فيلمه".

سألته: "هل التحقت بالجيش، يا فرانك؟".

انفجر دومينيس ضاحكًا، وسألها: "هل أبدو لك جنديًا؟".

ردّت قائلة: "تبدو وكأنك كنت تمارس أي مهنة قبل إقلاعك عن المشروب، وانتقالك إلى هلسنكي!".

أجابها: "سأعتبر كلامك مجاملةً".

قالت له: "ربما لا يجدر بك ذلك، فلم أكن أثني على ما كنت عليه منذ وقتٍ طويلٍ مضى".

ابتسم دومينيس من جديد، وقال لها: "بالطبع لم تقصدي ذلك".

دخل فوجٌ من المحتفلين إلى المطعم، بعد أن مسحوا أحذيتهم على السجاد.

نظرت جيسيكا إلى ساعتها، فهي تعمل على مدار الساعة، ويجدر بها أن تأخذ العمل بعين الاعتبار الآن، فقالت محاولةً ألا تبدو مهتمة بما سيطلعها عليه: "أردت

اطلاعي على معلومات تتعلّق بياماموتو ونيرفاندر".

إلا أنها في الحقيقة كانت مهتمة بشدّة، فلا تستطيع أن تكذب على نفسها، وهي تعرف الحقيقة جيدًا، ولكنها لا تريد أن يعلم فرانك دومينيس بما تفكّر فيه، لأن هذا الرجل يبدو مثيرًا للشك، مع أن الطريقة التي يكبح بها نفسه في أثناء المحادثة تبدو جذابةٌ، وتثير الانتباه بشكلٍ لا يوصف، وعلى الرغم من أنهما التقيا للتو، إلا أنه يخبرها بمعلومات كثيرة عن نفسه. لقد تعرّفت جيسيكا إلى عدد كبير من الرجال، وارتكبت أخطاء فادحة بحق نفسها، بعد أن صدّقت ما يكفي من الأحاديث الودية، حتى بلغت مرحلةً متقدمة تستطيع فيها تحديد الوقت الذي تكون فيه نقاط الضعف حقيقية أو مزيفة، بالطبع لا يكشف ذلك الحقيقة كاملة عن الآخر، إذ يمكن للضعف أن يخفي الدوافع الغامضة والنوايا السيئة أيضًا، لكن تلك المسألةٌ مختلفةٌ تمامًا.

قالت له: "كلّي آذانٌ صاغية".

بدا دومينيس متفاجئًا للحظات، وربما خاب ظنّه بعض الشيء.

تمازجت خصلات شعره الأسود الكثيف الذي يغطّي رأسه وبعض خصلات الشيب على الصدغين، وما زاد من جاذبيته تسريح شعره إلى الخلف.

قال لها مبتسمًا: "حسنًا، كنت أفكّر في أن أحتفظ بمعلوماتي إلى أن تنهي احتساء كأس النبيذ".

سألته: "ما الفائدة من ذلك؟".

ردّ قائلًا: "لأنك قد تودّين طلب كأس أخرى".

قالت له: "سأشرب كأسي الأولى في أثناء حديثك، إذا كنت لا تمانع".

ردّ قائلًا: "أخشى أن ما سأقوله لك لن يستغرق وقتًا طويلًا".

شربت جيسيكا كأسها في جرعة واحدة، فسالت بعض قطرات النبيذ على الكأس من دون أن تنتبه، وقالت له: "ولكن لا بد أن يكون مهمًا بما يكفي لتطلب مقابلتي وجهًا لوجه".

قال لها: "ولكنني أظنّ أن هناك الكثير من الجرائم التي ترتكب في العالم تعدّ أخطر مما لديّ".

لم تردّ جيسيكا، بل وضعت كأسها على الطاولة، ومسحت يدها بمنديلها.

ضجّت الصالة بالضحك، بعد أن استقرّ المحتفلون الذين دخلوا الحانة منذ قليل على بعد أمتارٍ قليلةٍ من جيسيكا وفرانك.

خلا صوت دومينيس من اللامبالاة التي استحوذت على انتباه جيسيكا في وقت سابق من ذلك اليوم، وقال لها: "ما أوشك أن أخبرك به... أرجو ألا تستخدميه ضدي، هل توافقين على ذلك؟".

أومأت جيسيكا إليه برأسها موافقة، مع أنه كان يمكنها أن تقول له كلامًا مطمئنًا حول ما تبذله دائمًا لحماية مصادرها، أو أن تؤكّد له أن التصرف بخلاف ذلك سيكون انتهاكًا لأخلاقياتها المهنية، ولكن ذلك قد يبدو في الوقت الحالي زائفًا، كما أن دومينيس قد اتّخذ القرار بإخبارها بما يعرفه من معلومات ما إن اتّصل بها وطلب لقاءها.

قال لها: "ليزا فتاةٌ لطيفة، وذكية وترتقي على كل الكلام الهراء الذي يتهامس به الجميع، كما أنها تتكيّف بسهولة مع الأجواء وتتماشى معها، فكانت تذهب إلى جلسات التصوير التي تغوص فيها، كما تغوص السمكة في الماء، ولكنها كانت تفعل ذلك من أجل البقاء فقط، وفي الواقع لم تكن تستمتع بما تقوم به، ولا تتوق إلى الاستمرار به، كما يفعل الذين يعملون في هذا المجال، ولهذا السبب أحببتها".

سألته جيسيكا بنبرة لا تترك مجالًا لأي تفسيرٍ آخر غير الفضول: "ما مدى قربك من ليزا؟".

همهم دومينيس، وهو يرتشف القليل من الكولا، بعد أن وضع مكعب ثلجٍ داخل كأسه، وقال: "أعلم أنك تفهمين مقصدي، أيتها المحققة، لكن ليزا واحدة من أصل عشرة، بعد أن فشلت علاقاتي بالفتيات التسع الأخريات".

صمتت جيسيكا، وهي ترتشف رشفةً أخرى من شرابها، فبدا استفسارها غير المباشر عن ارتباطه بليزا مشكوكًا في صلته بالقضية، وستضع نفسها على المحك إذا بدأت في التحقيق في تفاصيل الحياة الجنسية لفرانك دومينيس.

قال لها دومينيس بصوت خافت، على الرغم من الصخب المنبعث من الطاولة المجاورة، والذي طغى على صوتيهما بشكلٍ تام: "أخبرتني بأمور معينة لا يمكن أن تشاركها مع أي شخص آخر في الظروف الطبيعية...".

انحنت جيسيكا لتوفير الظروف المواتية لإجراء حديث سريّ، وقالت له: "تعني الظروف غير الطبيعية، يا فرانك".

حرّك دومينيس مكعبات الثلج في كوبه نصف الفارغ، وبدا أنه على وشك الخروج عن صمته، والإفصاح عما يعرفه من معلومات، ما يعني مغادرة المنطقة التي تشعره بالراحة، عندما كان يحتفظ بأسرار أصدقائه، ومع ذلك قال لها: "أخبرتني ليزا بأن ماضي والدها مجهول، لهذا السبب قد حزم حقائبه وغادر اليابان، وانتقل إلى مكانٍ بعيد لا يمكن أن يعثر عليه فيه أحد".

سألته: "هل كان ذلك المكان فنلندا؟".

ردّ قائلًا: "بالضبط، لقد أحضر ليزا، التي كانت تبلغ من العمر بضع سنوات فقط...".

تجهّم وجه جيسيكا، وقالت: "انتظر لحظة، ولكنني كنت أظنّ أن ليزا ولدت في فنلندا".

هزّ دومينيس رأسه نافيًا، وقال لها: "تزوّج والد ليزا من امرأة فنلندية بعد أن وصل إلى هنا، ويبدو أن والدة ليزا البيولوجية ماتت في اليابان، بعد تعرّضها لمضاعفات في أثناء ولادتها".

تذكّرت جيسيكا الصورة التي رأتها في غرفة ليزا، فأدركت الآن أنها افترضت ببساطة أن والدة ليزا فنلندية، ولكن ليزا ليست نصف فنلندية، بل إنها ليست فنلندية بالكامل، كما أن والديها يحملان الجنسية اليابانية، وتظهر المحادثة

التي تجريها الآن مع مصدرها صورة سيئة عن الشرطة، وغير احترافية على الإطلاق.

قالت له: "حسنًا، ما يعني أن والد ليزا كان يختبئ خوفًا من أن يعثر عليه أحدهم، لكن مِمّن كان يختبئ؟ هل تلاحقه الشرطة؟".

قال لها: "لا أدري، كما أن ليزا لم تكن تعرف من يلاحقه أيضًا، وكل ما أخبرك به الآن كان مجرد تخمين، لأن والدها رفض أن يطلعها على أسرار ماضيه، وسبب اضطرارهما إلى مغادرة اليابان".

سألته: "وهل حدث كل ذلك... في أواخر التسعينيات؟ أعتقد أن هذا الأمر يتعلّق باختفاء ليزا".

قال لها: "لا أعتقد... أعني، لا أعلم ما إذا كان الأمر كذلك، ولكنني أعرف أن ليزا كانت خائفةً من والدها".

سألته: "لِمَ؟"

قال لها: "يبدو أن كل شيء بدأ عندما بدأت شعبية ليزا تتزايد عبر الإنستغرام، فهي على مدار سنوات قليلة جذبت مئات الآلاف من المتابعين من فنلندا وخارجها، ولم يكن والد ليزا راضيًا بذلك، فأدّى الأمر إلى توتّر علاقتهما معًا".

راقبت جيسيكا شفتي دومينيس وهي تنطق بتلك الكلمات، ما جعلها تدرك الآن أن تلك المعلومات لها صلة بالقضية، فقالت له: "هل كان الخلاف حول شهرتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام؟ أم حول ما كانت ليزا تنشره عبر الإنستغرام تحديدًا؟".

ردّ قائلًا: "لا أدري، ولكن والدها طلب منها أن تتوقّف عن نشر القصص عبر حسابها، كما أنه هدّدها بأنها إذا لم تكفّ عن ذلك على الفور، فقد تكون نهايتها وشيكة".

هزّ فرانك دومينيس كتفيه، ثم أفرغ كأسه دفعة واحدة، وقال لها: "هذا يعني... أن والدها كان يهدّدها بهذه الطريقة من دون أي سببٍ وجيه".

ظهرت أمام جيسيكا صورة الشبح عندما كان ينظر إلى ليزا في فينيكس، هل كان يعرف والد ليزا؟ هل يُعقل أن يكون هذا كل ما في الأمر؟ قالت له بهدوء: "ثم اختفت ليزا".

وضع دومينيس يديه على الطاولة، وبدا عليه الارتياح الآن، وقد أفرغ مكنونات صدره، وقال: "ظننت أنك سترغبين في معرفة كل ذلك".

ردّت قائلة: "بالطبع، أشكرك على اطلاعي على هذه المعلومات، ولكن متى حصل كل ذلك؟ أعني، متى أخبرتك ليزا بالأمر؟".

أجابها: "حصل ذلك منذ شهرين، وكنا يومها وحدنا في النادي بعد إغلاقه مباشرة".

ارتشفت جيسيكا بقية نبيذها، وقالت له: "حسنًا".

سألها: "هل تريدين كأسًا أخرى؟".

سحبت جيسيكا عشرين يورو من جيب معطفها، ووضعتها أسفل الكأس، وانتصبت واقفة، وقالت له: "فلتشرب أنت كأسًا ثالثة من الكولا".

بدت على ملامح وجه دومينيس خيبة الأمل، وقال لها: "لقد قطعت كل هذه المسافة من لاوتساري".

حملت جيسيكا معطفها، وقالت له: "وأنا أقدّر لك ذلك، يا فرانك، ولكن ربما يمكنك الاتصال بإحدى الفتيات التسع".

ضحك فرانك ضحكةً خفيفة، تخفي وراءها نفحة حزن، ثم تلاعب بكأسه الفارغة، بينما استدارت جيسيكا استعدادًا لمغادرة المكان.

قال لها: "مهلًا، أيتها المحققة".

سألته: "ما الأمر؟".

سألها: "هل تعتقدين أن والد ليزا له علاقة باختفائها؟".

حدّقت جيسيكا إلى دومينيس للحظة، وقد أضفى الضوء الأصفر على وجهه جاذبية كبيرة، ما جعله يبدو تصويريًا.

ابتسمت له بلطف، وقالت: "أتمنّى لك ليلة سعيدة، يا فرانك".

ردّ قائلًا: "أتمنّى لك أيضًا ليلة سعيدة، أيتها المحققة".

لفّت جيسيكا وشاحها حول رقبتها، وخرجت لتواجه الرياح المتجمدة، ثم أخرجت هاتفها، وهي تعبر ممر المشاة، وقد ضجَّ رأسها بأفكار متضاربة، ومنها اعتبار أن والد ليزا الذي سيعود من البرازيل غدًا، لا يُعقل أن يكون المسؤول عن اختفائها، ولكنه هدّدها بالموت، مهما كان ما يقصده من كلامه.

أجاب يوسف بسرعةٍ مدهشة.

قالت له: "مرحبًا، حاول أن تعرف موعد وصول طائرة والديّ ليزا صباح الغد، لأننا سنذهب لكي نقابلهما في المطار، واطلب من راس أو من أي شخصٍ آخر البحث حول خلفية والد ليزا".

قال لها يوسف: "هل توصّلتِ إلى معلومات جديدة؟".

أجابت قائلة: "نعم، وسأخبرك بها غدًا".

سألها: "أين أنتِ؟".

أجابته: "إنني في طريقي إلى المنزل".

سألها: "هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين أي مساعدة؟".

تنهّدت جيسيكا، وقالت: "تصبح على خير!".

تردّدت أصداء ضحكات يوسف، وهو يمازحها عبر السماعة، ثم قال لها: "أريدك أن تتوخّي الحذر وحسب، يا جيسي، إن دومينيس رجل متوحش، ويبدو من أولئك الرجال اللعوبين...".

قالت له جيسيكا قبل أن تنهي المكالمة: "اذهب إلى الجحيم، يا يوسف".

38

حدّق يوسف إلى هاتفه، وقد اختفى اسم جيسيكا وصورتها عن الشاشة، فوضع هاتفه المحمول في جيبه العلوي، وأغلق سترته الجلدية، وهو يتنشّق هواء الغابات البارد والنقي. كان في طريقه إلى مرآب السيارات قبل خمس عشرة دقيقة، ولكنه ما لبث أن غيّر رأيه، وقرّر أن يسير على قدميه، فتوجّه إلى المقر الرئيسي نحو الجنوب على طول باسيلانرايتيو، وبعد ذلك واصل طريقه إلى وينكفيستينكاتو، ثم فانينبنجر، وأخيرًا سلك مسار الركض في الغابة. في البداية انتشرت على جانبي الطريق الأضواء المشعة، وعلت أبواق السيارات الصاخبة، ودمدمة محركاتها، واكتظّت المسالك بالشاحنات، وبعد ذلك ساد صمت مطبق، فالطريقة التي تتداخل فيها هلسنكي الحضارية مع البيئة الطبيعية تستطيع التغلب على زيف المدينة بشكلٍ مذهل. إنها تبدو عالمًا آخر، وخاصة في الظلام، أرض الغابة المسحورة في رواية *هانزيل وجريتيل*، ومنزل خبز الزنجبيل المخفيّ في أعماقها.

يشبه المسار الترابي الضيق المحفور بين الحشائش المتاهة إلى حد كبير، ففي العديد من الأماكن تصطفّ الأشجار بالقرب من بعضها ما أدّى إلى تشابك فروعها، فحكم عليها بالموت بسبب حجبها عن أشعة الشمس، إذ غطّت طبقة رقيقة من الثلوج الفروع اليابسة في تلك الليلة التشرينية، ولفترة وجيزة ظنّت أنها تزيّنت بحلةٍ بيضاء مثل سقوف منازل الأحياء.

لم يخف يوسف من هذه النزهة الليلية في الغابة، بل على العكس تمامًا، فقد نشأ محاطًا بالأشجار في قرية سودركولا، حيث كان يتصيّد الضفادع، ويرمي الذئاب بواسطة المقلاع، ويقضي الليل في كوخٍ بناه بنفسه، فيشوي قطع النقانق حتى تحترق، فيغدو شكل طبقتها الخارجية المقرمشة مثل الفحم، كما كان يبني السدود

في الجداول، بالإضافة إلى منزل خشبي على شجرتي بلوط شاهقتين إلى درجة أنه لم يجرؤ أحد من أبناء حيه على التسلق إليه.

يوسف فتى ريفي استفاد من حياة المدينة في مرحلة عابرة من حياته، وفي بعض الأحيان يتساءل إن كان من السابق لأوانه ترك صخب هلسنكي حيث يستنزف العمل بصفته محققًا طاقته كلها، وإن كان قد حان الوقت للعودة إلى أرضه واستعادة نمط حياته السابقة.

أغمض يوسف عينيه، واستنشق رائحة الأرض الترابية الدائمةِ الرطوبة، فسمع صوت الرافعات، وفجأةً عاد إلى عمر الثماني سنواتٍ مرةً أخرى، وهو يمشي على الطريق الترابي مع باس، سيبو، وجيب، وتساءل بصوتٍ عالٍ عن شكل الوحش الذي يخرجُ من الوحل كل ليلة، هل كان لونه أخضر أم بنيًا؟ هل كانت أطرافه مثل أرجل التمساح ومخالبه الحادة، أم أن له مجسات مثل الأخطبوط؟

بدأ يستعيد كل ذكريات الماضي، من نهر سيبونجوكي الذي يقسم سودركولا كالسيف، ورائحة المساحات الخضراء الرطبة التي تقود إلى مرسى قوارب التجذيف، ورائحة خشب الصنوبر المحترق، وانتشار السديم فوق سطح الماء.

فصل الربيع، فصل الأزهار والأبواغ، والمعطر الذي كانت تستخدمه والدته برائحة الورود الحمراء، وتلك الفتاة، التي اعتمر وإياها قبعة التخرّج، فبدا حينها أن العالم ملكهما وحدهما.

عاشت عائلة آنّا على بعد بضعة مبانٍ فقط من منزل يوسف، وقد عرفا بعضهما منذ الطفولة، ولكنهما لم يبدآ بالمواعدة حتى نهاية المرحلة الثانوية، إلا أن قصته لم تكن من القصص ذات النهايات السعيدة، فقد عرفا بعضهما حق المعرفة، وآمن كل واحد منهما بالآخر، لأنه لم يكن لهما أي خيار آخر، فحكما على علاقتهما بالهلاك لأن كل ما جمعهما كان مثاليًا في وقتٍ سابق لأوانه.

توقّف يوسف في مكانه، واستنشق الرائحة التي تفوح في الغابة، كما لو أنها ستكون المرة الأخيرة التي يشمّها فيها، ثم توهّجت ولاعته في الظلام، وفاحت

رائحة التبغ التي طغت على الروائح الأخرى كلها، ولعل تلك هي طريقته في قتل الحنين، ووضع حدٍّ لما يحاول أن يكون أكثر من مجرد ذكرى عابرة.

ربما سيجتمع وآنّا يومًا ما، وسيبنيان بيتهما الأبيض على ضفاف النهر، وربما سيتحقّق ذلك في وقت قريب، عندما تسمح لهما الميزانية بذلك، فينجبان الأطفال ويشاهدانهم، وهم يستمتعون بالأشياء نفسها التي استمتع بها هو وآنّا في مرحلة شبابهما، كما سيرتكبون الأخطاء السخيفة نفسها التي ارتكباها عندما كانا في مثل عمرهم. ويقود سيارته العائلية إلى السوبر ماركت لشراء الحاجيات الضرورية، ثم يشوي اللحم في الفناء الذي تظلّله شجرة البتولا الضخمة، وأمامه حوض ساونا في زاوية، وترامبولين الأطفال في الزاوية الأخرى، ربما يتحقّق حلمه قريبًا، ولمَ لا يتحقّق؟

لكنهما لن يفعلا تلك الأشياء معًا، بل سيفعلانها بشكلٍ منفصل مع شريكين آخرين لم يجتمعا بهما حتى الآن، وقد آلمه التفكير في ذلك أكثر مما آلمته الذكريات.

39

أغلق غامي هارغولا باب المرآب والتفت ليلقي نظرة على مساحة مزدحمة، فكانت الأشياء المعلقة على الجدران كثيرة، ومن بينها أدوات وحقائب إيكيا الزرقاء، والأجهزة التي تعمل بواسطة البطارية. ومن الخارج بدا كل شيء منظمًا، ولكن تراكم الأغراض يضفي الفوضى على المشهد بلا شك؛ فعلى مر السنوات جمع هارغولا عددًا هائلًا من الأدوات في ورشة عمله الصغيرة، ليس لأنه كان بحاجة إليها، بل لأن امتلاكها إلزامي بالنسبة إلى الطبقة المتوسطة.

فتح هارغولا الباب الجانبي للمرآب، وخلع حذاءه، وعلّق معطفه فور دخوله المنزل، بينما كان يهمهم غطاء محرك سيارته، ثم فاحت رائحة البصل والأعشاب الطازجة من المطبخ.

قال هارغولا وهو في ممر المطبخ: "مرحبًا"، فالتفتت إليه سيني، وهي تجفّف الوعاء الذي يقطر منه الماء، فكان يجدر بتلك النظرة الخاطفة، والابتسامة الخفيفة أن تفيا بالغرض، ولكن كما يبدو أن زمن العناق وتبادل القبلات قد ولّى، فقد كانا مقربين للغاية عندما كانت الفتاتان لا تزالا صغيرتين، وقبل أن تولدا، كانا يتعانقان ويتبادلان القبلات حينها لأنه وسيني رغبا في ذلك، وليس لأنها كانت مفروضة عليهما، ولم يتبقَّ إلا الأمل في استرجاع تلك الأيام.

قلّبت سيني اللحم في المقلاة، وقالت له: "العشاء جاهز".

دخل هارغولا إلى غرفة الجلوس، وقد أرخى يديه إلى جانبيه، وقال: "عظيم".

يعلم أنه يستطيع أن يعانق سيني، ويضمّها إلى صدره، ويقبّل خدّيها، وهو يقول لها إنه يحبّها، ولكن قوةً غامضةً تمنعه من القيام بذلك، فبدا أن إنعاش الجسم

الذي أصبح خاملًا منذ فترةٍ طويلة لا فائدة منه، على الرغم من أنه يشعر بأنه أقل استسلامًا إن حاول.

ظهر إعلانٌ على شاشة التلفاز للترويج لأريكة فخمة، بينما كانت الفتيات في غرفهن الخاصة يقمن بالواجبات المنزلية أو يعبثن بهواتفهن الذكية، ومن المحتمل أن يكون هو وسيني قد قدّما مثالًا تحتذي به هؤلاء الفتيات.

جلس هارغولا على الأريكة، وأطفأ التلفاز، ثم سمع أزيز الشحوم في المقلاة، وإغلاق باب الخزانة، وقد فاجأته نظرة فضوليّة أظهرت التناقض الحاصل في المنزل الذي يضجّ بالحياة. ولكن على الرغم من أن جميع أفراد الأسرة كانوا في المنزل، فقد شعر بأنه مهمل، وخلال دقائق، كانت سيني تضع الوجبة التي أعدّتها على المائدة في انتظار دخول الفتيات الجائعات إلى المطبخ، وبعد أن يرحّبن بوالدهن، سيجتمع الخمسة معًا حول الطاولة نفسها، وسيجلس كل واحد في مكانه، ليتشاركوا تناول طعامهم بصمت.

حرّك هارغولا جهاز التحكم عن بعد، وحدّق إلى شاشة التلفاز المطفأة، *إنها دائرة مستديمة*، لربما كان طموحه غير المحدود سبب حب سيني له، ولكنها لم تعد مهتمة بتلك المشاعر، عندما أدركت أن زوجها لن يترقّى في وظيفته، وأنه لن يصبح أبدًا أكثر مما وصل إليه الآن، وسيبقى تابع هيلو الصغير، *اللعنة*، هذا ليس التعبير الصحيح عن حالته، ولكنه الأقرب إلى الصحة، فقد ظنّت سيني أنه فقد ميزته، وهو يجلس الآن على الأريكة ينتظر عشاءه، على الرغم من تبعيته، وأخلاقيات عمله التي لا تتزعزع، ومسؤولياته الليلية التي كانت سبب تفكّك العلاقة.

متى توقف عن المحاولة؟ يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد، يحتاج إلى التوقف عن التفكير في جيسيكا.

سألت سيني هارغولا في أثناء مغادرته المطبخ، لإحضار معطفه وقبعته: "إلى أين تذهب في هذا الوقت المتأخر من الليل؟".

قال وهو يفتح باب المرآب: "سأقوم بجولةٍ في السيارة، أحبّك".

40

نظرت جيسيكا إلى ساعة يدها، فكانت التاسعة إلا خمس دقائق. أغمضت عينيها، واستمعت إلى قعقعة المصعد القديم، وهو يتّجه نحو الطابق السادس. كان المبنى مظلمًا، وهي لم تضغط على زر الإضاءة في أسفل بيت الدرج عندما دخلت، ولكن ضوء المصعد الأصفر الخافت أومض في أثناء صعوده، فانعكس على مدخل السلم المعتم.

يعدّ المبنى السكني الذي يعود تاريخه إلى القرن الماضي، والذي شهد حربين عالميتين، مستودعًا لمجموعة من المعلومات، والتجارب، والأحاسيس، والأذواق المختلفة، والروائح الكريهة، والحياة الصاخبة، وعاطفة الحب، وحالات الطلاق، والولادة والوفيات التي لا تعدّ ولا تحصى.

كان الموت حاضرًا في شقة جيسيكا أيضًا، فقد لفظ إرني أنفاسه الأخيرة في غرفة ضيوف جيسيكا، وهي تضغط على براجمه الهزيلة. ومع أنه مرّ نصف عام على موته، إلا أنه بالنسبة إلى جيسيكا يبدو وكأنه حصل بالأمس فقط، ومع ذلك يبدو كما لو أن حياةً كاملة قد مرّت بين رحيل إرني واللحظة الحالية.

تُقاس الحياة أحيانًا على جدولٍ زمنيٍ ضبابي، وهي تشعر بأن كل شيءٍ حدث للتو، فتتذكّر الرائحة التي فاحت في السيارة في ذلك الصباح الذي كانت والدتها تقود فيه في اتجاه شاحنةٍ متجهة نحوهم مباشرة، وكيف شعرت بأصابع توفي الناعمة ملتفةً حول أصابعها، وكيف صاح والدها بصوتٍ عالٍ، عندما كانت والدتها تضغط على الدواسة، وهي تقود بأقصى سرعة، لتحكم على مصير عائلتها الصغيرة بالموت المحتم.

كيف تمكّنت جيسيكا من إخبار توفي بأنه سيكون بخير، فهي تتذكّر بأنها قالت له إن كل الأمور ستكون على أفضل ما يرام، على الرغم من أنها لا تبدو متأكّدة من

صحة ذلك، وأن شقيقها الصغير لن يضطرّ إلى القلق أبدًا، لأنه سيكون معها إلى الأبد، وسيعيشان من أجل مساندة بعضهما، فكان ذلك كل ما يحتاج إلى معرفته بغض النظر عما كان سيحدث في تلك الليلة. ولكن بعد مرور ثوانٍ قليلةٍ فقط، أصبح من المستحيل لتلك الرؤية الجميلة أن تتحقّق، بعد أن تشوّه جسد توفي الصغير والبريء في الحادث المروع، وكذلك جسد جيسيكا، ولكن سُمح لها بالبقاء على قيد الحياة، لا بل أُجبرت على التمسك بالحياة، فلم يكن ذلك امتيازًا لها، وإنما كان حجر رحى ضخمًا يتحتّم عليها أن تجرّه وراءها عامًا بعد عام.

شعرت جيسيكا بدمعةٍ تتدحرج من خدها إلى ذقنها، ثم تسقط على الأرض، فبدا الأمر كما لو أن الزمن قد توقّف، عندما استقرّ المصعد في الطابق السادس، وانطفأ المصباح الضعيف، ولم تدرِ جيسيكا منذ متى وهي في مكانها.

جيسيكا.

فتحت جيسيكا عينيها، لا لأن الصوت أخافها، ولكن لأنها كانت تأمل في أن يؤدّي ذلك إلى إسكاته، كان ينبعث ذلك الصوت من عالمٍ آخر، ومن زمانٍ ومكانٍ آخرين، ولكنه يبدو أكثر من مجرد ذكرى.

ليس الآن، تدحرجت الدمعة التالية على خد جيسيكا، لتتبع سابقتها قبل أن تندفع الدموع من تلقاء نفسها إلى خديها بغزارة.

جيسيكا.

يظهر عالمها الآخر عادةً في أثناء نومها، وأحيانًا عندما تكون مستيقظة، ويسيطر التعب على جفنيها المطبقين.

تردّد صدى نباح كلب بودل من شقة السيدة العجوز الغريبة التي تعيش في الطابق الثالث، ثم حلّ الصمت المطبق من جديد.

استطاعت جيسيكا أن تشعر بأصابع والدتها على كتفيها، وهي تخترق برودة معطفها الثقيل وقميصها وصولًا إلى بشرتها، فجيسيكا تدرك أن ذلك الإحساس ليس حقيقيًا، ولكن كما هو الحال دائمًا، تغمرها الشكوك على الفور في أن شيئًا

ملموسًا ورائعًا جدًا، ومروعًا في الوقت نفسه، يمكن أن يكون من نسج خيالها.

جيسيكا.

استدارت جيسيكا ببطء حتى تتمكّن من رؤية الكائن الذي يحدّق إليها عبر مرآة المصعد، فظهر وجه والدتها جميلًا ومشرقًا من دون أن تحطّم عظامه أو تشوّه ملامحه بسبب الحادث القاتل، ولكن الومضات السريعة كشفت الحقيقة، فهي تذكّر جيسيكا بالمكان الذي يتحوّل فيه الحاجب المتقلب إلى اللون الأحمر الغامق والمائل إلى الأسود تقريبًا، وقد تجمّد الدم حيث نزف من الجمجمة المحفورة، ثم سال إلى إحدى عينيها في اتجاه الفك.

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما، رأت والدتها كما كانت جميلة للغاية.

أخشى أنهم سيأتون من أجلي، يا أمي.

لماذا عساكِ تقولين أمرًا كهذا؟

أعتقد أنني رأيتهم اليوم، أعتقد أنني رأيت كاميلا... لا تبكي يا جيسي، ستكونين على ما يرام، يا عزيزتي.

تنهّدت والدة جيسيكا بعمق، وهي تمسك بكتفيها برقة وحنان، ثم أفلتتهما، بعد أن شعرت باضطراب تنفسها، إنها مثل الرعشة الأخيرة قبل الشعور بالبرد الأبدي، ثم غادرت والدتها المصعد.

غالبًا ما تكون الحقيقة على مرأى من الجميع، يا عزيزتي جيسيكا، الحقيقة هي الملامح التي ينبغي ملؤها بالألوان، وليس ضروريًا أن تكون الألوان دائمًا زاهية، ولكنها تنتظرك على المنصدة، وفي بعض الأحيان يتحتّم عليك التغلّب على الصعاب لاستعادتها من جديد.

أنا لا أفهم...

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما كانت والدتها قد اختفت.

فُتح الباب الرئيسي في الطابق الأرضي، وبعد لحظة، أضيئت الأنوار في أسفل بيت الدرج، فمسحت جيسيكا دموعها بكمها، ثم انفتح باب المصعد.

41

دخلت جيسيكا إلى شقتها، ثم توجّهت إلى غرفة نومها، ومن دون أن تخلع حذاءها، استلقت على السرير، وأغمضت عينيها من دون أن تضيء الأنوار، وبينما كانت عيناها مغمضتين، بدا الظلام أكثر حلكة، ومع ذلك ما كان يمكن أن يتسلّل الوهج المنبعث من الفناء عبر جفنيها إلى عينيها.

شعرت جيسيكا بألم شديد، بينما كانت البرودة تخترق كتفيها، فنهضت وبلغت الباب السري.

تعالَ إلى المنزل.

فأنا قادمة.

خطت جيسيكا نحو بيت الدرج، وهي تمسك بالمفتاح.

كان الدرج المظلم الذي كان قبل قرن من الزمان مدخلًا للخدم، يشبه الفضاء الموازي الذي يفصل بين عالمين، أو البوابة التي تفصل بين واقعين، فهي تعود كل ليلة إلى المنزل بعد انتهاء دوام العمل بصفتها جيسيكا نيمي للحظات وجيزة، إلى أن تفتح الباب الذي يقودها إلى الواقع الآخر، وتندمج مع الاسم الوارد على فتحة البريد الخاصة بالسكن المجاور للشارع، *فون هيلينز*.

دخلت جيسيكا الشقة التي أمضى فيها إرني أيامه الأخيرة، وهو المنزل الذي يُشعرها بالأمان والراحة على الرغم من حجمه الكبير، وما إن نقرت على جرس الإنذار، حتى أضاءت الأضواء تلقائيًا في الردهة الكبيرة، فأغلقت الباب خلفها، ووضعت المفاتيح على طاولة البوفيه.

شقّت جيسيكا طريقها حتى آخر الردهة، ثم اتّجهت إلى غرفة الجلوس الفسيحة، حيث تتسلّل عبر النوافذ الضخمة الأضواء الساطعة من وسط مدينة

هلسنكي في مكان يقع بالقرب من متحف أموس ريكس، حيث يوجّه شعاع لامع نحو السماء، كما لو كان يبحث عن مكان القمر، ولكنه لا يعثر عليه مطلقًا.

دخلت جيسيكا المطبخ، وفتحت حاسوبها المحمول الموضوع على الطاولة، ثم ضغطت على زر الغلاية الكهربائية، فساد للحظة السكون التام.

ذكّر الصمت جيسيكا بإرني، فتخيّلت لحيته الخفيفة، ووجهه الشاحب الشبيه بالثعلب، وتجاعيده التي تضفي عليه كاريزما خاصة به، فكان يتحتّم على جيسيكا أن تتخيّل إرني بالشكل الذي كان عليه عندما كان حيًا، وليس كما أصبح عندما مات. فقد بدا هزيلًا في الربيع الماضي، إلى درجة أن التجاعيد اختفت في خديه الغائرين، كما ضمرت ذراعاه حتى إنهما ما عادتا قادرتين على التقاط أي غرض، أو أن يقودا حتى جيسيكا من الظلام إلى النور.

أغمضت جيسيكا عينيها، وانتظرت بصمت أن يسخن الماء في الغلاية، ثم سحبت كيسًا من شاي الورد من الصندوق الخشبي، ووضعته في الكوب، وعندما غلت المياه في الغلاية، أطفأتها.

تحوّل الماء إلى اللون الأحمر لحظة ركوده في قاع الكوب مثل دم شخص قرّر أن يختار اللجوء إلى شفرة الحلاقة باعتبارها الوسيلة الأمثل للموت، فسال دمه، وامتزج بالماء الذي يغمر أرض الحمام.

لا تعرف جيسيكا السبب، ولكنها كثيرًا ما تصوّرت التشابه البصري بين الظواهر، فقرّرت أن تنتحر منذ زمن بعيد، عندما ارتفعت السحب السوداء التي لا يمكن اختراقها فوق قنوات مورانو ساحبة جسدها وروحها المنهكين من الحزن والعار.

جلست جيسيكا إلى الطاولة، وأخرجت شريحة ذاكرة من جيبها، ثم أدخلتها إلى الحاسوب.

استعرضت العديد من ملفات الصور على الشاشة، ومنها صور *ليزا ياماموتو*، *جيسون نيرفاندر*، *المعدات المطاطية في الخزانة*، *الشبح في فينيكس*، *أكيفومي2511946*، *صور المنارة*، *رسم ليزا للمنارة*، *وجثة أولغا بيلوسوفا*.

كما دوّنت جيسيكا كلا عنواني الموقعين عبر الإنترنت في ملاحظة رقمية، ثم همست قائلةً: "مدونتان *www.thelisayamamoto.fi*، *www.masayoshi.fi*... وإحداهما سرية".

رنّ هاتف جيسيكا في تلك اللحظة، والرقم الظاهر على شاشة هاتفها كان قصيرًا بشكل غير عادي، فتذكّرت أنها شاهدته من قبل.

وضعت الهاتف بجانب أذنها، وأجابت: "المحققة نيمي".

قال صوت أنثوي حاد: "يبدو أنك متعبة، ومع أنني أعلم أنه ليس وقت العمل، إلا أن ذلك يفترض أن يكون أمرًا عاجلًا".

رسمت جيسيكا إشارة استفهام، واستغرق تعرّفها إلى صوت سيسي سارفيلينا المزعج دقيقة تقريبًا، وكانت تتّصل من مكتب الطبيب الشرعي.

قالت لها: "أعتذر على الاتصال في هذا الوقت".

ثم سمعت جيسيكا نقرًا وئيدًا على لوحة مفاتيح في الخلفية.

بدا صوت سارفيلينا حادًا قليلًا وخافتًا نوعًا ما، وكأنها تعضّ بأسنانها الحادة على ممحاة قلم رصاص: "تمكّنت من تسريع نتائج تشريح الجثة في المختبر، فكانت تلك النتائج مثيرة للاهتمام، إذ يبدو أن جروح الحروق سُكب عليها مادة معينة، وهي لا تزال على قيد الحياة".

سألتها مستغربة: "ماذا؟".

قالت لها: "يبدو أن المادة عبارة عن مزيج، وهو نوعٍ من أنواع الببتيد، مكوّن من الديرمورفين والديلتورفين، وكلتا المادتين تُعدان منبهين لمستقبلات الأفيون، وبعبارة أخرى تلك المسكنات تُشبه المورفين، وقد تكون أكثر فعالية منه بكثير، وبالإضافة إلى الببتيدات هناك مادة مثل ديرماسبتين وأدينوريجولين، وربما لا تعني تلك الأسماء الكثير بالنسبة إلى الإنسان العادي، ولكن جوهر مادة الببتيدات، أو البروتينات الصغيرة، يتمّ تشكيلها في صنع مادة معينة غير عادية".

سألتها: "ماذا يعني ذلك؟".

ردّت قائلة: "إنه سمٌّ يفرزه كائنٍ حيٍ صغير يسمّى فيلوميدوسا متعدد الألوان".

سألتها: "هل ميدوسا هو قنديل البحر؟".

ردّت قائلة: "إنه ضفدع يعيش في الغابات المطيرة".

ارتشفت جيسيكا رشفة من الشاي، وأدخلت المصطلح في حقل بحث غوغل، *فيلوميدوسا متعدد الألوان*".

قالت سارفيلينا عندما شعرت بأن جيسيكا لم تعد تصغي إليها: "هل لا تزالين تسمعينني، يا نيمي؟".

ردّت قائلة: "نعم، كنت أنظر إلى...".

قالت لها: "أفترض أنك تطّلعين على مقال ويكيبيديا الذي يصف طريقة استخدام قبائل ماروبو السم لتحسين حظها في الصيد... فيحرق الشامان جلد الصياد بفرع مشتعل، وما إن يُوضع سمّ الضفدع على الجرح، حتى يبدأ الصياد بالتقيؤ، كما يرمي الشامان الأطفال في النهر، وبعد أن يطفوا فوق سطح المياه، يكونون قد تعافوا بالكامل"، شعرت جيسيكا بأن كل ما في داخلها يقفز من مكانه، بينما كانت تقرأ بصوت عالٍ المقال الظاهر على شاشة حاسوبها، ثم قالت مستنكرة: "ما هذا بحق الجحيم؟".

قالت لها: "بالضبط، وما لا يذكره ذلك المقال، يا نيمي، هو أن هذه المادة تستوردها الدول الغربية باعتبارها علاجًا بديلًا عن الدواء منذ سنوات طويلة، حتى إنني أتذكّر أنني قرأت الكثير من المقالات التي تتناول تأثيرها وكيفية استخدامها بشكل مفصل"، صمتت سارفيلينا للحظات، ثم بدأت تلعن نفسها، وتقول: "اللعنة، كان يتحتّم عليّ أن أعرف ذلك منذ اللحظة التي رأيت فيها آثار الحروق على جلد الضحية، إذ يسود اعتقاد أن سمَّ الضفدع يُطهّر الجسد والروح، وتُعرف تلك الممارسة باسم كامبو".

قالت: "ماذا؟ كيف.... أعني... هل يمكن أن يكون ذلك السم قاتلًا؟".

ردّت قائلة: "كنت سأصل إلى هذا الجزء للتو، يا نيمي، بصفتي طبيبةً محترفة، فأنا أعارض هذا الوهم الخادع تمامًا، فلا دليل علمي على أي فوائد صحية ناتجة عن الكامبو، حتى وإن كانت مكوناته تبعث في نفس من يستخدمها إحساسًا

بالبهجة، فإن تلك المادة التي يفرزها الضفدع عندما يدافع عن نفسه ضد أعدائه هي مادة سامة، ولن أسمح لهذه المواد بأن تمس نظام دورتي الدموية حتى وأن دُفع لي مبلغ طائل لقاء ذلك".

بعد أن استمعت جيسيكا إلى ما أوضحته لها سارفيلينا، نقرت على كلمة كامبو في شريط بحث المتصفح، فظهرت عشرات الصور للضفادع الخضراء، والعلامات الحمراء المحترقة على الجلد بواسطة عصا صغيرة، بالإضافة إلى بعض العلامات المحترقة على شكل خط مستقيم، وبعضها الآخر على شكل دائرة.

بدا الجلد المحيط بالجروح منتفخًا ومحمرًا، مثل ذراع أولغا بيلوسوفا تمامًا، ولا شكّ في أن تلك المرأة الأوكرانية مارست تلك الطقوس الغريبة.

سألتها: "ولكن هل يمكن أن...".

قاطعتها قائلة: "هل أنت على عجلةٍ من أمرك، يا نيمي؟".

تبع السؤال الذي طرحته ثوانٍ من الصمت المطبق.

ردّت قائلة: "لا ولكن...".

قاطعتها من جديد قائلة: "الإجابة المختصرة هي أنه يمكن أن يؤدّي سم كامبو إلى الموت، وقد تمّ الإبلاغ عن حالات وفاة نتجت عن اللجوء إلى معالجة بعض الأمراض من خلال ممارسة طقوس الكامبو في جميع أنحاء العالم، وقد أصاب بعض المرضى سكتات قلبية".

قالت لها: "يبدو أن ذلك ما أصاب أولغا بيلوسوفا".

قالت: "أنا معجبةٌ بشدة بدقة تلك الإحصاءات، يا نيمي، ولهذا السبب لا أعتبر ذلك مرجحًا بنسبة كبيرة، كما أنني توصّلت إلى استنتاج يوضح ما قد يكون أصاب الضحية بالفعل، أولًا، تمّ العثور على آثارٍ لبعض المواد في الجروح، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مصدرها الضفادع، أو قنديل البحر"، سمعت جيسيكا سارفيلينا وهي تكتم ضحكة خفيفة، ثم تابعت كلامها قائلة: "المادة الأولى هي الكودين، والتي تُستخدم لتخفيف الألم، وربما أضيفت المادة إلى المزيج لتخفيف الألم الناتج عن تلك

الطقوس المؤلمة، كما أنني أجريتُ اتصالًا بزميلي في لندن، والذي أكّد شكوكي حول تأثير الكامبو وتكوينه، ولكنه قال إنه ليس أكيدًا من أن مواد أخرى قد امتزجت بالسم أبدًا، ولا حتى بغرض التخفيف من الألم، ولكن جرح أولغا بيلوسوفا تلطّخ بالكودبين، وعلاوةً على ذلك عُثر على كميات كبيرةً نسبيًا من المورفين في دمها".

سألتها جيسيكا: "حسنًا، ماذا يعني ذلك؟".

ردّت سارفيلينا: "حسنًا، هذا هو الجزء الذي سيجعل القصة أكثر إثارة للاهتمام"، ثم صمتت لفترة وجيزة قبل أن تتابع كلامها قائلة: "لقد عُثر على مادة البوبرينورفين في دمها أيضًا".

سألتها: "سوبوتكس؟".

البوبرينورفين هو العنصر النشط في سوبوتكس أو سوبو، كما يُعرف بلغة الشوارع، كما أنه مألوفٌ للغاية بالنسبة إلى جيسيكا وكل شخص آخر يعمل في الوحدة.

في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فضّل متعاطو المخدرات القوية المحليون الهيروبين، ولكن اندلاع الحرب في أفغانستان أدّى إلى إنتاج أفيون جرمي، وبعد فترة طويلة وجد مستخدموه في مادة مخصصةً في الأساس لعلاج مدمني المواد الأفيونية بديلًا عنه، وهي البوبرينورفين التي شقّت طريقها بسهولة من فرنسا إلى هلسنكي.

قالت لها: "نعم، وكما تعلمين، لا يمكن أن يتسبّب البوبرينورفين وحده في الوفاة لأن تأثيره لا يتجاوز الحد الأقصى، ولكن إلى جانب سمّ الضفدع والمورفين، أعتقد أنه يمكن أن يؤدّي إلى انهيار الجهاز التنفسي فالسكتة القلبية".

أسندت جيسيكا ظهرها إلى كرسيها، وشعرت بأن راحة يدها بدأت تتصبّب عرقًا، وهي لا تزال تمسك بالهاتف.

سألتها: "هذا يعني أن ما تسبّب في موتها عبارة عن مزيج مكوّن من ثلاث مواد أفيونية مختلفة؟".

أجابتها قائلة: "نعم".

سألتها: "لماذا قد يتمّ مزج كل تلك المواد معًا؟".

أجابتها قائلة: "لإثارة النشوة لدى متلقي *العلاج*؟".

أغمضت جيسيكا عينيها، وقالت: "أو لجعله مدمنًا".

همهمت سارفيلينا كلامًا غير مفهوم حول إدمان العسل قبل أن تنهي المكالمة أخيرًا.

عندها وضعت جيسيكا الهاتف على الطاولة، وفتحت علامة تبويبٍ جديدة، بعد أن كتبت *ليزا ياماموتو والكامبو* في المكان المخصص للبحث، وبعد تمرير عدة نتائج، وصلت إلى عنوانٍ يجمع بين الكلمتين الأساسيتين عدة مرات.

العلاج بالكامبو... الناشطة الإعلامية ليزا ماماموتو... هلسنكي البديلة للصحة والحب، فالتقطت هاتفها في الحال واتّصلت بيوسف.

ردّ قائلًا: "مرحبًا".

قالت له: "اسمع، يا يوسف، أظنّ أنني عثرت على أمر مهم، يبدو أن ليزا كانت تروّج لعلاج يدعى *كامبو* عبر صفحة الإنستغرام الخاصة بها، يتناوله الناس في مختلف أنحاء العالم عبر شبكة الإنترنت".

سألها: "كامبو؟ ما نوع هذا العلاج بحق الجحيم؟".

قالت له: "سأخبرك بعد أن تجيبني عن سؤالي، هل سمعت بمكانٍ يدعى هلسنكي البديلة للصحة والحب؟ لأن ليزا طلبت من متابعيها عبر صفحتها أن يقوموا بزيارته".

ردّ قائلًا: "لا".

قالت له: "ارتدِ معطفك، وتعالَ لاصطحابي في الحال".

أنهت المكالمة، ثم أمسكت بكوبها بكلتا يديها، ونظرت إلى انعكاسها على زجاج النافذة، الذي لم يظهر عبره في الخلفية سوى الظلام الدامس.

عصفت الرياح المتجمدة فوق المبنى مصدرة صفيرًا انطلق من مدخنة موقد المطبخ، كما لو كان صوت مزمار ضخم.

42

يقع المنزل الخشبي الأبيض الذي يبلغ ارتفاعه طابقين تقريبًا، في حي بو-كابيلا المثالي الواقع في شمال هلسنكي، والذي تطوّر في عشرينات القرن الماضي، كما كانت هناك غرفةٌ صغيرة في العلية ذات القمة الحادة حيث يتسلّل الضوء عبر النافذة الكبيرة كل مساء، وكانت تلك المساحة الواسعة التي تبعث في النفس الراحة، والبالغة خمسة عشر مترًا مربعًا هي عالم راسموس سوسيكوسكي على مدار 34 عامًا مضت.

حان وقت العشاء، فوضعت والدته الملاعق على الأطباق في الطابق السفلي، ولكن راسموس سوسيكوسكي لا يحبّذ النزول إلى الأسفل ليتحدّث مع والديه، بل يفضّل أن يصعد على الدرج الخشبي بحذرٍ شديد، وهو يئنّ تحت ثقل وزنه، حتى لا يسكب مرق حساء النقانق المغلي على أصابعه.

دفع راسموس الباب بقدمه، وفتحه، ثم دخل الغرفة ذات السقف المنخفض منحنيًا.

كانت المرة الأخيرة التي تمكّن فيها من التجول في غرفته من دون انحناء، عندما كان في الثانية عشرة من عمره.

وضع راسموس وعاء الحساء بجوار حاسوبه، ورفع مستوى كرسي الألعاب الوثير للغاية، بينما كانت القطة الجالسة تحت المنضدة تراقبه، ثم ما لبثت أن اقتربت منه، وراحت تداعب ساقيه.

إنه المكان الذي سيتناول فيه راسموس العشاء الذي طهته له والدته، مثلما يتناوله كل ليلةٍ تقريبًا، وهو محاطٌ بجدرانٍ مليئةٍ بملصقات أفلامٍ متنوعة، ورفوفٍ تكتظّ بالمقتنيات المختلفة، ومن بينها وحدة تحكم ألعاب الأتاري سوداء اللون،

وفيو ماستر بأقراصها الورقية، بالإضافة إلى مجسمات ترانسفورمرز وماستر أوف ذا يونيفرس في تشكيلٍ عسكري، وكان بعضها لا يزال محفوظًا في عبوته الأصلية، وقد جمعها للاحتفاظ بأبرز العناصر التي يهواها من يجمع الأغراض الثمينة. ويتميّز رف ألعاب اللوحة بألعاب كلاسيكية مثل كونغمان، غوست كاستل وهيرو كويست.

تثير غرفة راسموس حنين مواليد الثمانينيات وإعجابهم، ولكن المأساة تكمن في أنه على الأرجح لم يسمح بدخول أي شخصٍ ولد في الثمانينيات باستثنائه إلى غرفته.

في الواقع الأمر الوحيد الذي يميّز الغرفة عن الرحلة اللامتناهية التي قام بها عبر عقود هو مجموعة الحواسيب الخاصة به، والتي تُعدّ حديثة ومتطورة، ويتألّف أحدها من شاشتين عاليتي الدقة، مقاسهما 24 بوصة إضافة إلى دعم ج- سينك، وإحداهما مخصصة للتصفح، والأخرى لممارسة الألعاب، إلى جانب علبة أتاكس كاملة الارتفاع ذات أضواءٍ ملونة، تتوهّج خلف الزجاج، ومعالج إنتل كور آي 9- 9900 ك يرتفع تردّد تشغيله إلى 5.1 غيغاهرتز، وبطاقات رسومات آرتاكس 2080 تاي المعدلة وفق وضع سلاي، والتي يُحتفظ بها في درجات حرارة آمنة بواسطة حلقة مخصصة لها، ونظام تبريد مياه محلي الصنع. أما لمسات تتويج هذه القطعة الفنية الرائعة، والتي يمكن اعتبارها أعجوبة العصر، فهي عبارة عن زوج من أفضل سماعات الألعاب في السوق، وماوس لاسلكي مصمم للألعاب بشكل خاص، ولوحة مفاتيح ميكانيكية، وكرسي مختبر سري. وقد أنفق راسموس ثروةً صغيرة على تلك المجموعة، التي تطلّب الحصول عليها اقتصادًا مركّزًا. ومن ناحيةٍ أخرى لم يكن مجبرًا على مشاركة والديه في دفع إيجار المنزل الذي يوفّر له بالإضافة إلى المكان الآمن الذي يقيم فيه، النظافة الأسبوعية على مدار اليوم، أما وجبات الطعام ورمي القمامة ودفع تكاليف اللقاحات الإلزامية التي يحتاج إليها سكان المنزل الثلاثة فهي المصاريف الجارية التي يدفعها راسموس من جيبه الخاص.

في المقابل يدير المحامي راسموس الشؤون القانونية لشركة والده، والتي ساءت أوضاعها بشكلٍ كبير في السنوات الأخيرة.

تعتمد تجارة الشركة الصغيرة على السلع المصدرة إلى بريطانيا العظمى، وقد خفّ الطلب عليها كثيرًا منذ أن صوّت مواطنو الجزيرة لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وبين الحين والآخر يتساءل راسموس حول اليوم الذي سينفد فيه مال والديه، ويطلبان منه دفع تكاليف صيانة هذا المنزل القديم، وهو سيلبّي طلبهما بالتأكيد، ولكن كل ما عليهما أن يفعلاه الآن هو أن يطلبا ذلك منه فحسب، وحتى ذلك الحين ستخصّص أمواله لتجهيز هذا الكهف بأحدث الآلات.

يمكن لراسموس تحمّل تكاليف المعدات والألعاب بشكل أفضل إن حصل على راتب محامٍ، ولكن من غير المحتمل أن يغيّر عمله طوعًا على الأقل، فهو يعمل في الشرطة لسببين؛ الأول يعود إلى الجو الهادئ والدعم الذي يتلقّاه من المقربين منه، مع أن الوضع قد تدهور منذ وفاة إرني وتولّي هيلو زمام الأمور، كما لن يتحمّل راسموس العمل ولو لثانية واحدة في وظيفةٍ تعتمد على المنافسة والسعي إلى التفوّق على الآخرين، أو حيث يكون الأسلوب الحاد إلزاميًا للنجاح المهني. ثانيًا، لطالما كان راسموس مفتونًا بالألغاز، وخاصةً تلك المتعلقة بالغرف المغلقة، حيث لا يتعيّن على المحقق العثور على الحل وحسب، بل يتحتّم عليه محاربة العناصر التي يكرهها راسموس بشدة ولا سيما العنف والقتل، فهو يحبّ التحدي المتوازن الذي يطوّر مستوى ذكائه إلى أعلى مستوىً ممكن.

يتناول راسموس طعامه، ثم يغوص في جلسة من اللعب المكثف، ومن بين تلك الألعاب آبيكس ليغندز أو بجي أو إيسكيب فروم تاركوف أو ك.أ.د، بحسب مزاجه في تلك الأمسية، ولكنه بدا مشتت الذهن للغاية، ما لا يسمح له بالتركيز على كونه إيفرغلايزر85، بطل حرب الواقع الافتراضي العظيم، كما أن التحقيق الحالي كان ممتعًا للغاية.

نقر راسموس على أيقونة البريد الإلكتروني فاستلم رسالةً من هيلينا لابي، تحتوي على وثيقتين باللغة الإنكليزية، وهما مذكرة إحضار، ومذكرة تؤكّد القيام بالتحقيق الأولي، فكان محتوى الرسالة بحد ذاته يُعبّر عن شخصية هيلو، القصيرة القامة، والتي تتناول صلب الموضوع مباشرة، *ها هي مادة فيسبوك*.

قضى راسموس خمس دقائق في إعداد الطلب الرسمي لفيسبوك، وبما أن التحقيق في قضية جريمة قتل، فمن المحتمل أن يُعتبر الطلب عاجلًا في إيرلندا، ما سيدفع المسؤولين إلى أن يسلّموا المعلومات الخاصة بمستخدم حساب الإنستغرام المعروف باسم أكيفومي 2511946 إلى فريق التحقيق صباح الغد.

تحقّق راسموس مرة أخرى للتأكد من أنه ملأ العناصر الإلزامية في النموذج الإلكتروني، ثم نقر على إرسال، وهو يحدّق إلى الشاشة بإمعان، وبعد ذلك شرع في تناول الحساء الذي برد قليلًا، إلا أن درجة حرارته بدت مثالية لتناوله.

انطلقت صافرة الإنذار في مكان ما بعيدًا، فنظر راسموس إلى ندف الثلج، وهي تُشكّل لفات وأقبية مضطربة، وللمرة الأولى في هذا الخريف، بدا العالم خارج النافذة الكبيرة معرضًا لهبوب الهواء الشتوي البارد. لقد أحبّ راسموس الشتاء والظلام الذي يخيم على المكان طوال الوقت، وحقيقة أنه لا يشعر بالسوء للمكوث في المنزل وارتداء الثياب السميكة واللعب بألعابه الإلكترونية المتنوعة، بينما ينزع الآخرون قمصانهم خارج منازلهم، كما أنه يهوى الطقس البارد الذي يفرض عليه ارتداء معاطف وسراويل وستراتٍ سميكة، لأنه لا يضطرّ إلى إخفاء جسده البدين، كما يحصل في أيام الصيف الحارة.

مع ذلك لا يعتبر الشتاء خاليًا من المشاكل، فعندما تنخفض درجة الحرارة، تصبح غرفة راسموس أشبه بالقطب الشمالي، فقد أمضى الشتاء منذ طفولته مرتديًا بيجاما سميكة، وجاربين من الصوف، ولكنها لم تعد باردةً الآن، بل على العكس تمامًا، وذلك بعد أن جعل الحساء الدافئ فروة رأسه تتصبّب عرقًا سبّب له الحكة، *يتحتّم علي أن أتذكّر بأن أضع المزيد من مستحضري الخاص.*

وضع راسموس الوعاء على مكتبه، ونقر على حاسوبه، فظهرت صورة الشاب الياباني على الشاشة، وبعد أن كان راسموس مقتنعًا في الصباح بأن المستخدم الذي علّق على منشور ياماموتو لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتورّط في اختفائها أو اختفاء نيرفاندر أيضًا، أصبح متأكّدًا الآن بعد الاطلاع على موقع ماسايوشي.فاي من أن الأحداث التي جرت في الفترة الأخيرة هو الذي يتحمّل مسؤوليتها كلها.

أمضى راسموس طيلة الصباح، وهو يفكّر بإمعان في أهمية تسلسل العدد 2511946، للوهلة الأولى بدا أنه تاريخ ميلاد، ولكن تكرار رقم واحد أكثر من مرة جعله يستبعد ذلك الاحتمال، كما يمكن أن يكون أحد الأرقام ناقصًا، أو قد يعني 25 كانون الثاني 1946، أو ربما تكون سلسلةٌ عشوائيةٌ من الأرقام التي أراد أكيفومي استخدامها لضمان تفرّد ملفه الشخصي، ولكن لو كان الأمر كذلك، لكان من الممكن أن يحصل على عدد ملفات أقل من الذي عثر عليه، فعلى الرغم من وجود الكثير من الحسابات باسم أكيفومي، فإن أعلى رقم صادفه راسموس في بحثه هو أكيفومي 145.

اتّكأ راسموس على كرسي الألعاب المثالي وتنهّد بعمق، وقال، كلا، 2511946 ليس رقمًا تسلسليًا، كما أنه لا يمكن أن يكون رقمًا عشوائيًا، ولو كان في إمكانه معرفة محتويات موقع ماسايوشي.فاي الخاص بليزا ياماموتو قبل حذفه لاكتشف الكثير من الحقائق المخفية.

رنّ هاتف راسموس، فظهر اسم جيسيكا، فراقب الاسم، وهو يومض على الشاشة، بينما كان يقيّم المشاعر التي يبعثها الجلوس برفقتها، وهو يتناول الغداء الدسم الغني بالدهون، فجعله ذلك يحلم لفترة وجيزة بأنه إذا وثق بنفسه بما يكفي ونسي التعقيدات التي ترتبط بمظهره، فقد يصبح مثل أي رجلٍ عاديّ، فيكوّن صداقاتٍ جدية، ويخطّط لمواعيد غرامية، ويمارس الجنس، ومن يدري قد يتمكّن من تحقيق كل تلك الأحلام؟

قال: "مرحبًا".

ردّت جيسيكا: "أعتذر على الاتصال في وقتٍ متأخر".

قال: "لا بأس، لقد كنت أنظر للتو إلى صورة أكيفومي على شاشة الحاسوب".

تكلّمت جيسيكا بسرعة، فبدت منفعلة، وهي تقول: "إنك متيقظٌ على الدوام، حالنا جميعًا، هل سمعت من قبل بمادةٍ تسمّى كامبو، وهي عبارة عن سمّ يُستخرج من الضفدع، ويُحقن بالجسم بعد إحداث حروق على الجلد؟".

أصغى راسموس إلى ما تقوله جيسيكا بتمعّن، وقال: "كامبو؟ لا، هل هذا ما كنا نبحث عنه مؤخرًا؟ هل تلك العلامات على جسد أولغا بيلوسوفا...؟".

قالت له: "تشير كل الدلائل إلى ذلك، ولدينا دليل قاطع يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ليزا ياماموتو كانت تروّج للعلاج بالكامبو عبر وسائل التواصل الاجتماعي".

قال لها: "حسنًا، يبدو ذلك غريبًا من دون شك، ولكنني تفحّصت كل صورها التي نشرتها عبر حساب الإنستغرام، ولم يرد ذكر الكامبو في أي واحدة منها".

سألته: "ماذا عن قصصها؟".

ردّ قائلًا: "كنت سأخبرك بذلك للتو، فلسوء الحظ لا تبقى القصص أكثر من 24 ساعةً فقط"، وأردف قائلًا: "يمكن أن نحصل عليها إذا تمكّنا من الدخول إلى حساب الإنستغرام الخاص بها".

سألت قائلة: "كيف يمكن أن يصعب الحصول على إذن للدخول إلى حساب ليزا، يا راسموس؟ فالتحقيق يتناول جريمة قتل، لذا لا أظنّ أنه سيصعب الحصول عليه".

ردّ قائلًا: "هنالك بعض الإيجابيات بخصوص ذلك، يا جيسيكا، فامتناع السلطات عن السماح لنا بالوصول إلى كل المعلومات، يدلّ على وجود بعض الخصوصية في هذا العالم".

تناول راسموس ملعقتين من الحساء، وهو يتنظر رد جيسيكا، ثم قضم قرن فلفلٍ حار، كان يعوم فوق سطح الوعاء، ثم شعر بطعم الحر اللاذع في فمه.

قالت له: "لقد قلت لي، يا راس، إن موقع ماسايوشي.فاي خالٍ تمامًا من أي مشاركات، ما يؤكّد أنها مسحت كل ما يتعلّق بالعلاج بواسطة الكامبو، الذي نشرته عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك يعني أنها تعمّدت فعل ذلك قبل اختفائها".

ردّ قائلًا: "نعم، أو ربما يكون قد فعل ذلك أي شخص استطاع الوصول إلى هاتفها بسهولة".

قالت له: "أنا متأكدةٌ من أن موقع ماسايوشي.فاي يحتوي على معلوماتٍ تخصّ الكامبو، إذا تمكّنا من معرفة من أعطى أولغا بيلوسوفا الكامبو، فسنكتشف من كان برفقتها ليلة وفاتها".

بحث راسموس بهدوء عبر غوغل عن المصطلح، فامتلأت شاشته ذات 24 بوصة بالضفادع وعلامات الحروق، وقال: "سأبدأ بالبحث عن أي معلومات تتناول الكامبو، وعلى الأقل لا يبدو أن أحدهم أساء استخدامه، أو ارتكب أي فعل غير قانوني يرتبط بعلاج الكامبو، وإلا لكان انتشر عبر مواقع الإنترنت".

قالت: "لدينا اسم المكان بالفعل، هلسنكي البديلة للصحة والحب، ونحن في طريقنا للتحدث إلى المالك".

قال لها: "هذا رائع".

ردّت قائلة: "شكرًا لك، يا راس، ولكن على ما يبدو ستكون الليلة طويلة".

تنهّدت جيسيكا عبر الهاتف، فافترض أنها على وشك أن تقول ليلة سعيدة، ولكن راسموس سبقها قائلًا: "جيسيكا...".

مكتبة
t.me/soramnqraa

أجابته على الفور قائلة: "نعم؟".

قال لها: "أشكرك على دعوتي لتناول طعام الغداء، فقد كانت بادرة لطيفة للغاية".

ردّت قائلة: "بل شكرًا لك، يا راس، كما يتحتّم علينا القيام بذلك في معظم الأحيان".

43

توقّفت هيلينا لابي خارج المنزل الأحمر في كونالا، وسحبت كابح اليد، ثم نظرت إلى نافذة الطابق الثاني، فلمحت امرأةٍ شقراء طويلة القامة منهمكة في أعمال المطبخ. ألقت هيلو، وهي في طريقها إلى العمل في ذلك الصباح نظرةً خاطفةً على باب الثلاجة، حيث تعلّق دائمًا المتحذلقة هانا قائمة الطعام التي تعدّها للأسبوع القادم: عشاء اليوم سيكون طعامًا هنديًا، وهو يعدّ مقبولًا للغاية، ولكنه صحيّ أكثر من اللازم بالنسبة إلى هيلو، بالإضافة إلى ذلك، تدرك هيلو أنها ستستيقظ جائعةً في منتصف الليل، كما تفعل دائمًا عندما تتكوّن وجبة المساء من الحبوب فقط.

مزّقت غلاف شطيرة الهمبرغر ذات الجبن المضاعف، ورمته في حجرة القفازات، ثم فتحت حقيبة حاسوبها، وأخرجت منها مجلدًا بلاستيكيًا.

لا يزال محرك السيارة يعمل، بينما كانت ترطّب سبابتها بلسانها لتقلّب كدسة الأوراق التي بين يديها، فالفحص الأمني الأساسي الذي أجرته الشرطة العسكرية في عام 2007 موجود في الأعلى، وهو التحقيق الروتيني الذي يُجرى حول كل من يتقدّم إلى كلية الشرطة، وقد اعتُبرت جيسيكا نيمي البالغة من العمر 22 عامًا ذات خلفيةٍ خالية من أية عيوب، ما جعل قبولها في الشرطة أمرًا محسومًا.

الوثيقة التالية هي التقرير السري الذي أمر بإجرائه نائب رئيس الشرطة أورانين مؤخرًا، وهو أطول بكثير، حادث... وفاة والديها، فشعرت هيلو بدقات قلبها تتسارع، وهي ترفع المستند إلى مستوى عينيها حتى تتمكّن من قراءته تحت ضوء السيارة العلوي الضعيف.

توفّيت والدتها تيريزا فون هيلينز (260560- 1521) ووالدها أكسل كوسكي (040158- 113أ) وشقيقها كريستوفر فون هيلينز (241289-

1412) إثر حادث سيارة في 4 مايو عام 1993، ووفقًا لتقرير حادث تصادم مروري في مقاطعة لوس أنجلوس، تشير الأدلة التقنية التي جمعت من مكان الحادث وبيانات السائق وأفراد الأسرة (إن لم تثبت بشكل قاطع) أن تيريزا فون هيلينز قادت سيارتها متعمدة في اتجاه حركة مرورٍ معاكسة، بقصد قتل نفسها وأفراد عائلتها جميعهم.

تبنّاها في حزيران 1993، رايمو وبولا نيمي... وهما أبواها بالتبني...وأخت الأب أصابها مرض خطير عام 2002 وهو ورم في المخ، ثم توفّيت عام 2004 إثر تعرّضها لنوبة قلبية.

هزّت هيلو، رأسها، وقلبت الصفحة التي تشير إلى *الموت، جيسيكا نيمي، جيسيكا فون هيلينز، هل هذا هو السبب الذي جعلك تصبحين ما أنت عليه؟ لقد عانيت من ألم كبير، وخسرت حياة أفراد عائلتك في سنٍ مبكرة؟*

هل كان إرني بمثابة والدك الثالث؟ وقد فقدته أيضًا.

إنها مصابة بتلف كبير في النخاع الشوكي، ويُفترض أن تعاني في المستقبل من مشاكل في الحركة لبقية حياتها... رنّ هاتف هيلو، فكانت المتصلة هانا، وهي تلوّح لها عبر النافذة، والهاتف على أذنها.

أشارت هيلو إلى الأوراق الموجودة في حجرها، ثم أوقفت عمل المحرك، وهي تتمتم قائلة: "إنني قادمة، قادمة".

اعتادت هانا على انهماك هيلو في العمل في المنزل طوال الوقت، فربما تكون وظيفة هانا بصفتها ممرضة أكثر استنزافًا من الناحية العاطفية من وظيفة هيلو، ولكنها على الأقل ليست مضطرة إلى اصطحاب ملفات المرضى إلى المنزل في نهاية مناوبتها.

قلبت هيلو الصفحة الأخيرة في المجلد، فبدا جليًا أنها نسخةٌ مصورة لوثيقةٍ قديمة، وهي تشخيص يعود إلى عام 1998، وقد طُبع على آلة كاتبة، ووقّعه طبيب الأطفال النفسي أولي فونامو، وقد دوّن جينس أورانين في الزاوية اليمنى في أعلى

الصفحة ملاحظة، *لا تظهر في أي قواعد بيانات، وقد عرف ميكسون ذلك طوال الوقت*. كما شغلت تلك الأزمة الوجودية الصفحة بأكملها تقريبًا، فميّز أورانين بعض العبارات هنا وهناك بواسطة قلم تخطيط أصفر اللون.

قد تكون تلك مرحلة ما قبل الأعراض، وهي تتميّز بتجارب ذاتية غير عادية، وأعراض غير محددة، مثل القلق والاكتئاب... كما تشمل أعراض التفكير والسلوك المجزأ، والخلل النقابي (التفكك) والأوهام التي تتعلّق بمحيطها، على سبيل المثال، تلك التي تتعلّق ببعض الأشخاصِ المحيطين بها.

أعادت هيلو الأوراق إلى المجلد وهمست قائلة: "لقد أمسكت بك الآن، يا نيمي".

فجأةً لم يعد ذلك يبدو بهذا السوء، إلى جانب ذلك هي الآن مشحونة بطاقة عظيمة، وتأمل في أن تكون هانا في مزاجٍ جيدٍ أيضًا.

44

أحكم غامي هارغولا قبضته على المقود الجلدي، ثم حوّل السيارة إلى الوضع المحايد، فبقي المحرك في حالة دوران عند الإشارة الحمراء، حيث يتقاطع ميريبيلونتي وراسذولارينتي، ثم دوّى المحرك بقوةٍ، على الرغم من أن الصوت لم يكن متناغمًا مع شرق هلسنكي وليل تشرين الثاني، إلا أنه صُنع ليخرّ في ليالي الصيف المتوهجة، والتي يشعّ فيها الضوء في كايفوبريستو. وفي الأمسيات التي تعجّ بالسيارات الرياضية المتنوعة في ميريكاتو، حيث يصطفّ الناس للحصول على الآيس كريم وركوب الزلاجات النفاثة، وهم يتسابقون بين ليوسكالوتو وسيربالياري، إنه لأمرٌ مدهشٌ كيف يمكن أن تحتوي مدينة على وجهين متعارضين.

تستغرق الرحلة من منزل هارغولا في فارتيوكيلا إلى أورينكولاهتي عشر دقائق تقريبًا. ركن هارغولا السيارة في زاوية ساحة أورينكولاهتي على بعد مئة مترٍ من المكان الذي ركنها فيه ذلك الصباح بعد التحقّق من المكان الذي عُثر فيه على الجثة التي كانت ملقاة على الشاطئ.

حمل هارغولا مصباحًا يدويًا تناوله من مقعد الراكب، وترجّل من السيارة، وما إن لفحته الرياح البحرية حتى ارتجف من البرد، كما ظهرت صفحة الماء كسهلٍ ممتدٍ في الظلام، وقد ذكّرته رؤوس المباني البيضاء بأنه على الرغم من كل معاناته، لا يزال كوكب الأرض على قيد الحياة.

نظر هارغولا حوله، فرأى المباني البيضاء المكونة من ستة أو سبعة طوابق، والتي ترتفع في كل اتجاه، وهي مبنيةٌ على حافة المياه، وتحتوي كل واحدة منها على شرفة زجاجية. هو يتذكّر جيدًا عملية التجديد التي خضعت لها المنطقة في مطلع الألفية الثانية.

أُطلق في السابق على أورينكولاهتي اسم موستالاهتي، وكجزءٍ من التحول، تحوّل *بلاك باي* إلى *ساني باي*، وتغيير الاسم يبدو جريئًا نوعًا ما، وموفّقًا.

على الرغم من أنها الساعة العاشرة والنصف مساءً، إلا أن المصابيح كانت مضاءة في غالبية الشقق، ومع أنه يعيش في الحي أكثر من 8000 شخص، إلا أنه لم يتقدّم أحد بصفته شاهد عيان في قضية أولغا بيلوسوفا، ولا شك في أن شخصًا ما سيتذكّر إن كانت تتجوّل في الحي، وهي ترتدي زي شخصيةٍ كرتونيةٍ يابانية، لذلك كان مصير ذلك الجسد في مياه البحر.

توقّف هارغولا عند حافة المياه بالقرب من المرسى الذي يحتوي على أربعة أرصفةٍ طويلة وعلى مئة مرساة، وقد رُبطت عشرات القوارب في الممرات، ويبدو أن بعضها كان في حالةٍ سيئةٍ إلى درجة أن فرصة الإبحار عبرها في فصل الشتاء ضئيلةٌ للغاية.

يمرّ حاجز أمواجٍ بطول ثلاثمئة ياردة تقريبًا بين الحوض والشاطئ، فوجوده يحول دون احتمال أن تكون جثة أولغا بيلوسوفا أُلقيت في البحر من قاربٍ راسٍ في المرسى.

استدار هارغولا في الاتجاه الآخر، ليجد حوضًا أصغر مبنيًّا في ميناءٍ صغيرٍ، ويحميه إلى حدٍ ما حاجز الأمواج على بعد نصف كيلومتر في الطرف البعيد من الشاطئ.

أضاءت مصابيح الشوارع الكورنيش، بينما كان هارغولا يعبر الشاطئ بالقرب من خط الماء إلى درجة أن الأمواج وصلت إلى نعلي حذائه، فصعد على لوحٍ من الغرانيت في منتصف الطريق أسفل الشاطئ، وقام بمسح المناطق المحيطة به، كما لو أن ارتفاع بضعة أمتار سيوضح الحقائق كلها.

يقع المكان الذي عُثر فيه على جثة أولغا بيلوسوفا على بعد عشرة أمتارٍ من الشاطئ، ولا تزال آثار قدميه وأقدام فريق التقنيين ظاهرة على الرمال المتجمدة.

كيف انتهى بك الأمر إلى الشاطئ، يا أولغا؟

نظر هارغولا إلى شبه الجزيرة الصغيرة المغطاة بالأشجار التي تبرز بين الشاطئ والحوض الثاني، ثم أخرج هاتفه من جيبه، فرأى أن طول شبه الجزيرة يبلغ وفقًا لخرائط غوغل مئة متر، أما عرضها فيبلغ خمسين مترًا، وهي تدعى سورتيو.

ذكرت تصاريح الخبراء في وقتٍ سابقٍ من ذلك اليوم أن التيارات يمكن أن تجرف الجسم الذي يطفو فوق الماء في الخليج إلى الشاطئ الممتد بين لوح الغرانيت وسوريتو، ولكنه غير محتمل، وقد أكّد أحدهم أن الجثة إما تُركت في المكان الذي عُثر عليها فيه، أو في مكان قريب داخل خليج أورينكولاهتي، لكن إذا كان ذلك ما حصل، فلا بدّ أن شخصًا ما استطاع رؤية شيءٍ ما.

اللعنة.

استمرّ هارغولا بالمشي حتى نهاية الشاطئ، ثم توقّف عند حافة المرفأ الصغير، وقد امتدّت سوريتو في المياه الإقليمية إلى يمينه، ولا يفصل سوى عشرة أمتارٍ بين شبه الجزيرة والرصيف الأكثر اقترابًا من الماء في والحوض الأصغر، وحين هبّت الرياح، تأرجحت القوارب الراسية.

ضيّق هارغولا عينيه، وهو يفكّر في احتمال إنزال أولغا في المياه من شبه الجزيرة المشجرة، فليس بالضرورة أن يرى أحد ما جرى، ولكن كان لابد من نقل الجثة إلى هناك أولًا، إما بالسيارة أو على متن قارب.

قرّر هارغولا أن يتجوّل في سوريتو، فشعر بالصخور الصلبة تخز قدميه، ثم تفاجأ من نمو أشجار الصنوبر الباسقة في مثل هذه التربة الصخرية.

تفادى الفروع المنخفضة، وتقدّم نحو طرف شبه الجزيرة، فلاحت المياه على يمينه، وخلفها على مسافة مئة وخمسين مترًا لمح البقعة التي عثر فيها على جثة أولغا.

يشكّل الظلام الذي يتدفّق من البحر تباينًا صارخًا مع مصابيح الشوارع المنتشرة على الكورنيش، إنهما عالمان متناقضان، وبعد أن فكّر مليًا في الأمر، أيقن أنه عُثر على جثة أولغا بيلوسوفا حيث يختلط الضوء بالظلام.

فجأة شعر هارغولا بشيء تحت نعلي حذائه، فلم يكن طحلبًا ولا صخرة، وما إن رفع قدمه، حتى عثر في التربة الطحلبية على كتاب صغير، وعندما تفحّصه عن قرب، تبيّن أنه دفتر ملاحظات.

سحب هارغولا زوجًا من القفازات البلاستيكية من معطفه، ووضعهما فوق قفازيه، ثم التقط دفتر الملاحظات، وفتح غلافه، ثم بدأ يقلّب الصفحات البيضاء الناصعة البياض، والمبللةٌ والباردة للغاية.

قلب الدفتر من طرفٍ إلى آخر، فبدت بعض الصفحات الأمامية ممزقة، ولكن الصفحة الأولى الباقية تحمل ثلاثة أسماء مكتوبة بخطٍ أنيق.

45

كانت جيسيكا تجلس في مؤخرة سيارة الشرطة في زاوية تونين لينيا وكاسترينكاتو عند الخامسة إلا إحدى عشرة دقيقة، فبدا المكان مهجورًا، بينما كانت الريح تراقص أغصان الأشجار العارية من الأوراق، وقد ارتفع مسرح المدينة في البعيد بلونه الأبيض مقابل السماء الملبدة بالغيوم السوداء، وخلف الحديقة الصغيرة، انبعث من راديو سيارة الشرطة الأغنية التي تحتلّ المركز الأول بين قوائم التشغيل، وما هي تلك الأغنية سوى عنوان ألبوم كيكس مايس الجديد، سبايدرز ويب.

أعادت كلمات الأغنية جيسيكا إلى اجتماعها بمغني الراب الغامض والشديد الثقة بنفسه في سي هورس في وقتٍ سابق من ذلك اليوم.

فتحت حساب الإنستغرام، وبحثت عن ملف كيكس مايس الشخصي، فظهر إلى جانب صورة الملف الشخصي ومقبض @كيكسمايس الرمز الأزرق، وهو طابع المصداقية الذي يمنحه الإنستغرام لهؤلاء المشاهير الذي يمكن أن تُنشأ بأسمائهم أعداد لا تُحصى من الحسابات المزيفة، وتؤكّد تلك الإشارة الزرقاء للمتابعين أن هذا الملف الشخصي حقيقي.

كان عدد متابعي كيكس يتجاوز المليون، وقد نشر أكثر من ألف صورة، ومن بينها صور الحفلات، والمهرجانات، والعروض، والإجازات، ومسارات الركض، ويخوت المتعة، والمروحيات، والمنزل، بالإضافة إلى الكثير من خصائص العنكبوت، وقد كشفت نقرةٌ واحدة أن إسكوبار هو حيوان مايس الأليف الجديد، فتساءلت جيسيكا إن كان إسكوبار بمثابة مصدر إلهامٍ لألبومه، أو إذا كان الرفيق ذو الثمانية أرجل هو وسيلةٌ للتحايل على العلاقات العامة لتأسيس بيئة الألبوم الجديد.

واصلت جيسيكا التصفح، ولكنها فجأة توقّفت عن التقليب عندما ظهر وجه ليزا إلى جانب كيكس، وهما يبتسمان في صورةٍ بالأبيض والأسود، *أشهر مدونة في فنلندا، تابعوها!* @ليزاياماموتو، وقد التقطت الصورة في مكانٍ مغلق، وكانت الخلفية عبارةٌ عن جدارٍ رماديٍ داكن، كما استطاعت جيسيكا رؤية زاويةً واحدة من لوحةٍ مؤطرة، وقد نُشرت الصورة عبر الإنستغرام منذ شهرين تقريبًا، وفي شهر أيلول تحديدًا.

قال الشرطي الذي يجلس في مقعد السائق، ويرتدي الزي الرسمي، وهو يلفّ فتيلًا صغيرًا بين إبهامه والسبابة: "يبدو المكان هادئًا للغاية".

أعادت جيسيكا هاتفها إلى جيب معطفها، ثم فتحت حاجب الشمس، وتأمّلت صورتها في المرآة، فكان شعرها الأسود مربوطًا إلى الخلف على شكل ذيل حصان، وهي تعتمر قبعة نيويورك يانكيز زرقاء داكنة، وقد بدت وكأنها إحدى الشرطيات اللواتي يظهرن على شاشة التلفاز.

ثم لمحت واجهة متجرٍ صغيرة كُتب عليها هلسنكي البديلة للصحة والحب يقع في آخر الشارع بين ساحة انتظار سياراتٍ مستعملة وحانة، وكان بعض رواد الحانة يدخّنون في الخارج، وقد خلا الشارع من أي حركة أخرى.

سألها: "هل بلغنا المكان المنشود؟".

قالت له: "انتظر لحظة"، ثم أخرجت هاتفها، ونظرت إلى الشاشة في انتظار اتصال يوسف الذي توجّه الآن برفقة دوريةٍ أخرى إلى منزل خوسيه رودريغز الذي يبعد عن الشارع الذي وصلت إليه خمسمئة مترٍ فقط، وأخيرًا اتّصل بها، فأغمضت عينيها، بينما كان يوسف يقول لها بصوتٍ منهكٍ: "لا يبدو أن خوسيه رودريغز في المنزل، وقد تحدّثنا إلى أحد الجيران، فقال لنا أن آخر مرةٍ رآه فيها كانت صباح اليوم".

تنهّدت جيسيكا بعمق، وقالت له: "حسنًا".

سألها: "ألم تُصدر هيلو تصريح التفتيش بعد؟".

نظرت جيسيكا إلى براجمها الملونة بالأحمر، وهي تدرك تمامًا أن مبررات الإجراءات القسرية كعمليات التفتيش ضيقةٌ للغاية هذه الأيام، والتي يُفترض أن تكون منصفة عندما يتعلّق الأمر بالخصوصية والحقوق المدنية، ولكن في بعض الأحيان يؤدّي ذلك إلى انتظار لا طائل منه في الحالات الصعبة التي تتطلّب اتخاذ إجراءٍ سريع.

ولا يزال التصريح مُعلقًا حتى الآن، والمثير للدهشة انتشار العديد من مراكز العلاج بالكامبو في هلسنكي، ما يشير إلى أن ب.ص.ح ليس بالضرورة مرتبطًا بأولغا بيلوسوفا، فالأمر واضحٌ للغاية، ولكن إثباته صعب.

ردّت جيسيكا قائلة: "لا، لم نحصل على تصريح بعد".

سألها: "ماذا ستفعلين؟".

قالت جيسيكا قبل أن تنهي المكالمة: "سنحاول استراق النظر عبر الواجهة، ويمكنك أن تتّصل بي في حال استجدّ أمر ما".

46

إن حجم الغضب الذي تفرغه نينا روسكا من خلال آلات التدريب، بالإضافة إلى ألحان أغنية "كيلينغ ذا باين" التي تتناهى إلى مسمعها بدا شديدًا للغاية، وما إن وضعت الأوزان الثقيلة على السجادة المطاطية حتى التقطت أنفاسها، ثم نظرت إلى المرآة الكبيرة المقابلة لها، فرأت امرأة ترتدي قميصًا من دون كمين تقف في مساحةٍ تعجّ بالحديد الأبيض والجلد الأسود والأوزان الملونة، وقد انتفخت عضلات كتفيها وصدرها، واحمرّ جلدها، وبدأت تشعر بارتعاش جسدها وارتجافه.

لم يكن أحد غيرها يتمرّن في النادي، فلا بدّ أن جميع الذين يتمرّنون ليلًا يأخذون يوم عطلة من التدرب في النادي، إن سمح لهم عملهم بالتدرب، إذ يتدرّب معظم زملائها في الصباح، ولا سيما يوسف الذي يأتي في أي وقت يسنح له، وأحيانًا يحضر مرتين في اليوم، إلا أن نينا لا تستطيع فهم النهج المتسارع والعشوائي الذي يتّبعه أولئك الذين يمارسون هواية رفع الأثقال وفقًا لأهوائهم التي تقودهم إلى ممارستها. وبصفتها شخصًا واظب على التمرن لمدة عقدين من الزمان، يبدو يوسف النموذج المثالي لهذا النوع من الأشخاص، فهو رجلٌ رياضيٌ يتفاعل جسمه مع الأوزان الثقيلة من خلال تزايد نمو عضلاته السريع، إلا أن النتائج السريعة التي يحصل عليها تسرّه، ما يدفعه إلى أن يحمل وزنًا أكبر من دون الالتزام بخطة تدريبٍ معقولة، ولكن عضلاته ستتقلّص بالسرعة نفسها التي نمت بها عندما يتلاشى حماسه في النهاية، ومع ذلك كانت نينا منشغلةٌ بالإحساس المزعج بسبب قضاء أسبوعٍ من التمرين غير المنتظم، والسبب الوحيد لعودتها إلى صالة الألعاب الرياضية هو لقاء يوسف، بعد أن خاطبها شيء ما عن تحوّله، وربما يتعلّق الأمر

بوضعه المستجد بصفته عازبًا، وربما كانت تبحث عن الفريسة الضعيفة من دون أن تدرك ذلك.

أمسكت نينا بالأوزان واتّكأت على المقعد الذي ثبّت في زاوية خمس وأربعين درجة، فأشعلت الأوزان الثقيلة التي رفعتها ببطء النار في صدرها وكتفيها، وهي تكاد أن تصل إلى التمرين الأخير، *تسعة، عشرة، أحد عشر، اثنا عشر*... إنها تريد أن تدفع كل عضلةٍ في جسدها إلى بلوغ أقصى حدّ، بعد أن تقدّم كل خليةٍ كل ما في وسعها من دون تهاون أي واحدة منها لبناء تلك العضلات، فهي تستطيع رؤية الأمور بشكلٍ أكثر وضوحًا عندما تبدأ يداها اللتان تحملان الأثقال بالارتجاف من شدة الإرهاق، بينما يفرّغ الجهد الأفكار التي تدور في رأسها الذي يطارد مشتتات الذهن، ليدفع عقلها إلى التركيز على العمل.

ثلاثة عشر، إنها ترى نفسها على أرضية الطابق السفلي المظلم عاجزةً وعارية، وملفوفةً في ملاءةٍ بيضاء، ويتهافت عددٌ من رجال فريق القوات الخاصة عليها.

رفعت يدها ببطء، فشعرت بالألم الخفيف الحارق الذي كان يشتدّ في صدرها إلى درجة أن قلبها كاد أن ينفجر.

أربعة عشر.

نظرت إلى عينيك، يا مايك، وقلت أحبّك، كما اعترفت بحبك أيضًا، ولكنك لم تكن تفقه معنى الحب، أيها الوغد.

تكرار واحدٌ إضافي، ربما تكرارين، اللعنة.

خمسة عشر!

جيسيكا نيمي، لم نقل إننا كنا صديقتين، ولكننا كنا زميلتين، كان يُفترض أن نكون قادرتين على الثقة ببعضنا، اللعنة عليك، يا جيسيكا، أووه، جيسيكا المدهشة، جيسيكا المغفورة الذنوب، والتي سرقت مني ميكي، ولا يزال الجميع يكنّون لها المحبة على الرغم من ارتكابها تلك الخيانة.

شعرت نينا بانبثاق عروق جبهتها.

إلا أن وطأة الخيانة لم تخفّ على الرغم من حقيقة أن مايك تركهما كلتيهما.

ستة عشر.

اتّجهت القبضتان اللتان تحملان الأثقال نحو الأعلى، بينما أوشك جسدها على الاستسلام، وقد نفدت طاقتها تقريبًا، ولكن يتحتّم عليها إكمال هذا التمرين الأخير، لأنها قرّرت أن تقوم به حتى النهاية.

ما تحتاج إليه هو ركلةٌ قوية، وقبضة على وجهها، والوداع، أيتها الوضيعة!

سبعة عشر!

ثم زأرت نينا مثل لبؤة، بعد أن سقطت الأوزان على الأرض، فارتدّت عن السجادة المطاطية قبل أن تتدحرج بعيدًا.

أغمضت نينا عينيها، وشعرت بأن رأسها يدور، وأن يديها خدرتين تمامًا.

هزّت رأسها، وتناولت هاتفها المحمول عن الأرض، ثم التقطت صورةً لنفسها على المرآة.

بدا شكلها مزريًا، ووجهها الأحمر يتصبّب عرقًا، وعروقها بارزة بوضوح من تحت جلدها، ولكن هذا ما ينبغي أن تكون الحال عليه، وهو *ما يمكن تسميته بتمرينٍ فعّال.*

فتحت تطبيق الإنستغرام، واختارت فلتر نيويورك، ثم كتبت في الخانة #تمارين_المساء #بذل_أقصى_جهد #الجسم_المثالي_للبحر #الجسم_المثالي_للبحر01072020.

أوشكت أن تكبس على كلمة تحميل الصورة، ولكن إصبعها المرتجف جمد فوق الشاشة، وقد تطلّب الأمر برهةً حتى تستوعب إضافاتها على المنشور، على الرغم من أنها كانت بغاية البساطة، وهو أمر لم يخطر على بال أحد حتى الآن.

نزعت نينا سماعتيها وهمست قائلة: "اللعنة...".

47

راقب رواد الحانة الذين كانوا يدخّنون في الخارج الشرطيين، وهما يعبران الشارع مرتديين زي الشرطة الرسمي، بينما كانت تقود جيسيكا الطريق مرتديةً ملابسها المدنية، وقد تظاهرت بأنها لم تسمع ثرثرة الرجلين متوسطي العمر الجالسين في الشرفة اللذين لا يقدّران مثل باقي السكان ما تبذله الشرطة من مجهود للمحافظة على فنلندا آمنة، ولا سيما في هذا المكان، وفي هذا الوقت بالذات.

توقّفت جيسيكا والشرطيان أمام الباب الأمامي، فكانت ستارة الواجهة الأمامية البيضاء مسدلة عند المدخل، وعندما حاولت جيسيكا فتح الباب، كان مقفلًا، كما توقّعت، بعد أن شعرت ببرودة المقبض الحديدي على أصابعها العارية إذ نسيت إحضار قفازيها عندما غادرت الشقة بأقصى سرعة.

قدّم إليها الشرطي الأصلع ذو اللحية الكثة مصباحًا يدويًا طويلًا، وقال لها: "يمكنك استخدامه لاكتشاف ما في داخل المنزل".

أخذت جيسيكا الأنبوب المعدني البارد الذي يعمل على البطارية، وصوّبت ضوءه نحو الباب الزجاجي، فوجدت غرفةً يقارب حجمها حجم شقتها الصغيرة، تنتشر فيها نباتاتٌ منزلية، والقليل من الأكياس المصنوعة من القماش، وبعض القطع الفنية التي تُبجّل الضفادع، ومنضدة طويلة على سطحها حاسوب محمول، وقد غطّت الأرض سجادات ملفوفة لممارسة اليوغا، وبعض الشموع، والكتب، وعدةُ سلال، كما لمحت أيضًا معطفًا مطريًا أصفر اللون معلقًا على الحائط.

لفت نظر جيسيكا أمر آخر كان مرميًّا على الأرض، ومخفيًا بشكلٍ جزئي أسفل كيسٍ قماشي.

قالت لأحد الشرطيين: "تعالَ وألقِ نظرة، أهذا هاتف؟".

حمل الشرطي الأقرب إليها المصباح، واقترب من النافذة، وقال لها، وهو يلصق وجهه بالزجاج: "ربما".

قالت له: "أطفئ المصباح لدقيقة"، ثم أخرجت هاتفها المحمول، وبحثت عن الرقم الذي أعطته ليوسف منذ نصف ساعة، واتّصلت به، فمرّت ثوانٍ وجيزة، ثم بدأ الجسم الأسود المرمي على الأرض بالوميض.

شعرت جيسيكا بتسارع ضربات قلبها، فهي تعلم أن ما من سبب منطقي لوجود هاتفٍ مرميٍ على الأرض في مركز للعلاجِ بواسطة الكامبو في الساعة الحادية عشر مساءً ليلة الأربعاء، وبالأخص في مكانٍ مكشوفٍ كهذا، وإذا جاء مالك الهاتف باحثًا عنه، فلا بدّ أنه سيجده على الفور.

دقّت جيسيكا بإصرار على الزجاج، ولكن أحدًا لم يفتح، فانتظرت لحظة، ثم كرّرت المحاولة بقوةٍ أكبر، ولكنها لم تتلقّ أي استجابة، فكانت واثقة من أن خوسيه رودريغز، الذي يروّج لعلاج الكامبو، يغرق في النوم العميق بعد قضاء يومٍ شاقٍ في مركزه.

قالت جيسيكا: "يتحتّم علينا اقتحام المكان، أحضروا المعدات اللازمة".

نظر الشرطي إلى جيسيكا، ثم إلى رواد الحانة الواقفين على مقربة عدة أمتارٍ منهم وحسب، ثم إلى قفل الباب الزجاجي وهو يرفع مؤخرة مصباحه، فنظرت إليه جيسيكا باستغراب.

قال لها: "يمكن أن ندخل إلى المكان بواسطة هذا المصباح فحسب".

تنحّت جيسيكا جانبًا، وقالت له: "حسنًا، سأتحمّل المسؤولية كاملةً، قم بما ينبغي لك فعله".

تردّد الشرطي الآخر قليلًا وهو مكتوف اليدين بينما الزجاج ينكسر أمامه بواسطة الجزء الخلفي لمصباحه، في حين كان الرجلان الجالسان في الشرفة المجاورة للمركز يضحكان *ها ها! هل نسي أحدهم دفع رخصة الكلب خاصته؟ إنهم أوغادٌ أغبياء.*

نظّف الشرطي حواف الباب من شظايا الزجاج الحادة، وأدخل يده المقفزة، وفتح القفل، إلا أن جهاز الإنذار لم يكن مفعلًا، والصوت الوحيد الذي اخترق الصمت كان صوت الزجاج المتحطّم تحت أقدامهم.

شهرت جيسيكا سلاحها، كما شهر أحد الشرطيين مسدسه أيضًا، بينما راقب الشرطي الآخر المدخل.

ضغطت جيسيكا على المفتاح المجاور للباب، وما إن أنارت المصابيح، حتى فاحت رائحة البخور واللحم المحترق في المكان.

كانت ثلاثة أرففٍ على امتداد الجدار الخلفي تحتوي على أوانٍ فخارية وزجاجية، وأدواتٌ أخرى لا يمكن لجيسيكا تخمين ما هي، ولا شيء في الغرفة، لم يستطيعوا رؤيته من خلال الباب.

التقطت جيسيكا هاتف خوسيه رودريغيز عن الأرض، وضغطت على زر الصفحة الرئيسية.

12 لا ماداس بيرديداس.

12 مكالمة فائتة، لا بدّ أن الهاتف بقي على الأرض لبعض الوقت.

أشارت جيسيكا برأسها نحو بابٍ أسود في الجدار الخلفي.

وقالت بصوتٍ عالٍ: "خوسيه رودريغيز؟"، وعلى الرغم من عدم جدوى ذلك، إلا أنها أضافت قائلة: "إننا من الشرطة!"، وهي لا تزال تشهر سلاحها صوب الباب، فمدّ الشرطي يده إلى مقبض الباب.

ثم سألت: "هل من أحدٍ هنا؟"، ولكنها لم تتلقَّ ردًّا، وما إن أومأت برأسها إلى الشرطي، حتى فتح الباب. مرّت ثوانٍ قبل أن يخترق ضوء المصباح المرحاض المظلم فأُصيب الاثنان بالذهول من هول الصدمة. تلوّنت عينا الرجل المكبل باللون الأزرق الفاتح، وبدا مظهره رهيبًا، وهو يجلس بكامل ملابسه على المرحاض. يظهر أنه مر بعض الوقت على إطلاق الرصاصة بين عينيه، ما أدّى إلى الغرق في النوم الأبدي، بعد أن تناثرت أجزاء من جمجمته على البلاط الأزرق الفاتح.

48

تحقّق راسموس سوسيكوسكي من الوقت في أعلى زاوية شاشة حاسوبه اليمنى، فكانت 00:12 بعد منتصف الليل، وقد بدأ جفناه ينغلقان، ولكن ذلك لا يعني أن منتصف الليل يعدّ وقتًا متأخرًا في عالم راسموس، بل على العكس تمامًا، لأنه حتى في أيام العمل على مدار الأسبوع، لا يتوقّف عن اللعب عبر الإنترنت حتى الثانية أو الثالثة من بعد منتصف الليل، وعندما يتعلّق الأمر بالإرهاق الجسدي، فلم يكن راسموس رياضيًا، ولكنه يمتلك قوة عظمى لا تضاهيها قوة، وهي حاجته إلى الحد الأدنى إلى النوم. وبينما يتحوّل معظم أعضاء فريق التحقيق إلى كائنات تماثل الزومبي خلال الحالات الطارئة التي تتطلّب مواصلة العمل على مدار 24 ساعة، يمكن أن يمضي راسموس أسبوعًا على الأقل من دون الحاجة إلى النوم سوى لساعاتٍ قليلة، فيظلّ يقظًا وحاد التفكير نسبيًا من دون أن يحتاج إلى مشروبات الطاقة ليظلّ بكامل طاقته وحيويته، على الرغم من أنه تناول منه كمياتٍ كبيرة بشكل عام.

لكن راسموس لم يُسجّل الليلة الدخول إلى آبيكس ليغيندز أو كول أوف دوتي، وبدلًا من ذلك امتلأت شاشته بكمياتٍ هائلة من المعلومات، وصور الضفادع، ومعلومات حول الكامبو، وخوسيه رودريغيز، وملابس المانغا.

الرائحة التي تفوح في غرفته عبارة عن مزيج من مشروب الطاقة اللاذع وحساء النقانق الذي برد في الوعاء.

فجأة انبعث صوت صفيرٍ خافت من سماعتي الأذن المتصلة لاسلكيًا بالحاسوب، ففتح راسموس نافذة المتصفح التي فتحها على فيسبوك ماسنجر، ليجد رسالةً قد وصلته من نينا، فشعر بأن نبضه بدأ يتسارع، ثم نقر على نافذة الدردشة.

نينا روسكا: *هل مازلت مستيقظًا؟*

راسموس سوسيكوسكي: *نعم.*

ن. ر: *ما إن لاحظت أنك متصل بالإنترنت حتى اتّصلت بك.*

هل سمعت بما حصل لرودريغيز؟

ر.س: *نعم، فقد أرسلت إليّ هيلو رسالة لإبلاغي بما حصل.*

ن.ر: *وأنا كذلك.*

أرجع راسموس ظهره إلى الخلف، وتناول جرعة كبيرة من مشروب غازي، وهو يتساءل عن الدافع إلى منع أفراد الشرطة من مناقشة القضايا المتعلقة بالعمل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حتى من خلال الرسائل النصية الخاصة. ولكن أليس المقصود من هذه الرسائل الخاصة الحق في الحفاظ على السرية، وتجنّب اطلاع أي أحدٍ عليها أو القضاء على أي فرصة لرصدها في الوقت الحالي.

ن.ر: *كنت أفكّر في أكيفومي، وبالرقم المرافق لاسمه.*

ر.س: *2511946*

ن.ر: *اعتقدت في البداية أنه عبارة عن سلسلةٍ عشوائيةٍ من الأرقام المضافة إلى نهاية الاسم.*

سلسلةٍ طويلة، لجعل الحساب مميّزًا.

إلا أنه ظهرت الكثير من الحسابات باسم أكيفومي.

لكن يبدو أن هناك أمرًا خاصًا بالنسبة إلى هذا الأمر.

كما اتّضح لي أن فريق التمرين خاصتنا لديه الهاشتاغ الخاص به.

#الجسم_المثالي_للبحر 010720، للدلالة على أنه يتحتّم علينا أن نحصل على الجسم المثالي بتاريخ 1 تموز.

لول.

تمنّى راسموس أن يردّ على نينا، ويقول لها إنها تمتلك جسدًا مثاليًا للبحر بالفعل، ولكنه تراجع عن ذلك.

ر.س: *ماذا بعد ذلك؟*

ن.ر: *قرّرت أن أتفحّص التسلسل الرقمي عبر الإنستغرام، لأن كل شيءٍ يحدث هناك.*

ر.س: *علام عثرتِ؟*

ن.ر: *عثرت على العديد من الهاشتاغ.*

حصلت على ما يقارب العشرين من #2511946.

تفاجأ راسموس من كثرة الهاشتاغات التي عثرت عليها نينا، لـمَ لـم يفكر في ذلك من قبل؟

فتح علامة تبويبٍ جديدة على الفور، ثم أحضر المتصفح الخاص بنسخة الإنستغرام، وكتب 2511946 في خانة البحث.

ظهرت ثماني عشرة صورة مشارٌ إليها بالهاشتاغ #2511946.

بدا الأمر شيقًا أكثر من أن يتمّ تداوله عبر الدردشة، فحمل هاتفه واتّصل بنينا، وبعد لحظة ردّت زميلته المحققة بلهفة: "توقّعت أن تتّصل بي".

انتقل راسموس إلى أسفل الصفحة، وقال لها: "هل اطّلعتِ على الصور؟".

قالت له: "نعم، ولكن للوهلة الأولى لا تظنّ أنها ترتبط بأي علاقة محددة، وكأنها التُقطت في أماكن مختلفة، وقد نشرها مستخدمون مختلفون، ولكن ما أن تركّز عليها حتى تكتشف...".

قال: "هل جميعها التقطت في الحانات؟".

ردّت قائلة: "لقد التقطت في مطاعم، أو فنادق، أو نُزل، ولا يظهر فيها أي أشخاصٍ، ولكن كل واحدة منها تتضمّن معلومات ترتبط بالموقع".

سألها: "هل جميعها في...".

قاطعت نينا كلامه قائلة: "التقطت في السويد".

فاجأت هذه المعلومات راسموس بعض الشيء، فعدّل زاوية كرسي الألعاب على وضعٍ أكثر استرخاءً، وسألها مستغربًا: "السويد؟".

قالت له: "نعم، جميعها التقطت في ذلك المكان حتى أفخم الأماكن، فقد تفحّصت تلك الصور لوقتٍ كافٍ، محاولة أن أفهم لِمَ قد يصوّر أحدهم مكانًا عاديًا، ويشير إلى موقعه، ثم يضيف الكثير من الهاشتاغات إليه، وأحدها هو #2511946 الذي يرد دائمًا في النهاية".

صمتت نينا لبعض الوقت.

قال لها: "دائمًا يرد في النهاية، وهذا يشير بوضوح إلى أنه نظامٌ ما".

قالت: "صحيح، إن أول ما فكّرت فيه هو أن رابطًا مميزًا يربط بين تلك الأماكن ببعضها، لذلك أراد أحدهم أن يشير إليها جميعها بواسطة هذا التسلسل الرقمي، فكّر في الأمر قليلًا، يا راسموس، إذا كان ذلك صحيحًا، يستطيع أي مستخدم عبر حساب الإنستغرام أن يبحث عن عدة مواقع...".

أتّخذ مسار اللغز شكلًا جديدًا في رأس راسموس، فأبعد نظارته، وقال: "بما أنه يعلم التسلسل الصحيح للأرقام، فهو رمز بحث".

ردّت قائلة: "نعم، إنه رمز بحثٍ لعين، يا راس!"، شعر راسموس بالحماسة تسري من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. ولكن هذا الاكتشاف لا يثبت أن المواقع المشار إليها في السويد تتعلّق بسلسلة الجرائم التي يتمّ التحقيق فيها، ومع ذلك يتّضح كل شيءٍ الآن.

قال: "ربما هو رمز بحثٍ قد يعمل أيضًا مثل...".

أكملت نينا جملة راس قائلةً: "كلمة سر".

إن نينا الجميلة والذكية واللامعة، تشاركني وحدي اكتشافاتها.

قالت له: "فكّرت مليًا في سبب التقاط صور السويد ونشرها، والتي تجاوزت ثماني عشرة صورةً لأماكن استضافةٍ سويدية، ثم فهمت الأمر: "إنها ستٌّ وأربعون".

سألها: "أهي ستٌّ وأربعون؟".

قالت: "إنهما الرقمان الأخيران، 2511946، أربعة، ستة، إنه رمز الاتصال السويدي، وحين وضعت بدلًا عنهما 358، فاحزر ما الذي حصلت عليه؟".

حبس راسموس أنفاسه وكتب 25119358 في خانة البحث عبر الإنستغرام، وما إن ضغط على كلمة موافق، حتى ظهرت عدة صورٍ على الشاشة، وعددها 10 على وجه التحديد.

قالت له نينا: "حصلت على الصيغة نفسها، ولكن خمّن أي ملهى ليلي ظهر من بين المواقع في فنلندا؟".

قال لها: "فينيكس".

ردّت مؤكدة: "أصبت".

قال راسموس بصوتٍ خافت، على الرغم من أنه يعلم أنها ليست أكثر كلمات اللعن مصداقية: "اللعنة، ماذا... ماذا بالنسبة إلى رموز الدول الأخرى؟ هل لكل بلد الهاشتاغ الخاص به؟".

قالت له: "فكّرت في الأمر نفسه، وقد اختبرت عددًا قليلًا منها، ويبدو أن النظام يعمل في بلدان شمال أوروبا، باستثناء أيسلندا، كما ظهرت خمس صورٍ للنرويج وأربع عشرة صورة للدانمارك، ولم يُظهر هذا النظام أي نتائجٍ في ألمانيا أو فرنسا أو إستونيا".

قال: "البلدان الإسكندنافية؟ هل ذلك له علاقة بالكامبو؟".

قالت له: "على حد علمي لا يعدّ العلاج بواسطة الكامبو غير قانوني في أي من تلك البلدان".

سألها: "والمخدرات؟".

قالت نينا: "كل شيءٍ ممكنٌ، يا راس".

إن نينا محقةٌ تمامًا في ذلك.

فكّر راسموس في شبكة تور، والتحقيقات السابقة حيث تمّ التأكد من أنه يمكنك البحث عن أي معلومات عبر الإنترنت تتعلّق بالمخدرات، العاج، البنادق، وصور نكاح الأطفال عبر استخدام مصطلح بحثٍ محددٍ معروفٍ فقط لأعضاء الحلقة، ولهذا السبب وجدت الشرطة صعوبة في تعقّبهم.

سأل راسموس: "هل أخبرتِ جيسيكا أو هيلو؟".

ردّت قائلة: "لا لم أخبرهما، فقد أردت التحدث إليك أولًا".

شعر راسموس بدفءٍ في بطنه، إنه ف.ح.ط بين جهات اتصال نينا.

في حالة الطوارئ.

تنهّدت نينا بعمق، وقالت: "حسنًا، أردت الحصول على فكرة، حتى ولو كانت مبهمة، حول من يكون أكيفومي أولًا، ولماذا استخدم رمز البلد الخاص بالسويد في حساب الإنستغرام الخاص به".

قال لها: "أيمكن أن يكون شخصًا ما يريد لفت انتباه الشرطة إلى أمر ما؟".

سألته: "لماذا لم يرسل رسالةً إلى الشرطة مباشرة، ليبلغها بتلك المعلومات؟ ولمَ قدّم إلينا هذا الدليل الغامض الذي لن نعرف بالضرورة كيف نفسّره بشكل دقيق؟".

أجابها: "لا أدري، ولكن الأمر الجيد هو أن كل ما يتوجّب علينا فعله هو تعقّب أحد الأشخاص الذين نشروا هذه الصور عبر الإنستغرام، والضغط عليه لمعرفة...".

قالت له: "لن يحدث ذلك، يا راس".

سألها: "لمَ لا؟ يتحتّم علينا فقط...".

اعترضت على كلامه قائلة: "لأن جميع الحسابات مزيفة، وقد نُشرت صورة واحدة فقط عبر كل حساب".

فجأة شعر راسموس بالتعب الشديد، وربما دفعه الأمل الذي اشتعل في قلبه إلى أن يظلّ مستيقظًا، ولكن الحقيقة التي ظهرت على وجهه أشعرته بالوهن على الفور، لأنهم كلما تعمّقوا في اللغز أكثر، ازداد غموضًا وتشعبًا.

49

اتكأ يوسف على غطاء محرك السيارة، وأشعل سيجارة. كانت سيارة شرطة متوقفة خارج منتجع كامبو الصحي على الطرف الآخر من الشارع، وطوِّق الرصيف بشريط شرطة باللونين الأزرق والأبيض. ارتفعت الكتل السكنية الرمادية على جانبي المنتجع الصحي المكون من طابق واحد والذي يشع منه ضوء أزرق ساطع، وهناك وجوه غريبة تطل من الشرفات.

امتصَّ يوسف النيكوتين إلى رئتيه، ثم حبس أنفاسه، وكأنه يعطي السم فرصة ليدخل بشكل صحيح إلى الدورة الدموية. ثم أطلق الدخان في شريط رفيع من زاوية فمه.

مؤخرًا، أصبح يوسف يدخن أكثر من أي وقت مضى. لقد تخلى تدريجيًا عن جميع الرياضات التي تتطلب مجهودًا وركّز على تمارين رفع الأثقال. بعد الانفصال في الربيع الماضي، بدا أنَّ رفع الحديد هو الشيء الوحيد الذي أراح عقله، أراحته الموسيقى الخارجة من سماعتيه، وقعقعة الأثقال، والمادة الطبشورية التي تغطي كفيه، ورائحة العرق. تغمر اللاكتات عضلاته، ويشعر بالحرارة تغمر جسده وهو ينهي الجولات الأخيرة من التمرين. بينما تنتفخ وترتجف عضلاته من الإجهاد.

اعتقد يوسف أنَّ هذا التمرين يجعله يعيد اختراع نفسه، ولا يفيده بأي شيء آخر. وهو لا يريد أن يبقى هذا الشاب الرياضي الوسيم ذا البشرة الداكنة الذي يحبه الجميع، والذي يسجل أهدافًا متعددة على أرض الملعب، ثم يستحم وينطلق إلى منزل خطيبته. حان الوقت لشيء آخر، يريد أن يختبر أن يكون ذكرًا مسيطرًا، وبمثل هذا الجسد الرائع سيجعل الفتيات مفتونات به بحلول الصيف.

في الوقت نفسه، يعرف يوسف أنَّ الأمر برمته سخيف للغاية. على الرغم من تبجحه والوعود التي أقسم عليها أمام المرآة، كانت الأمور ساكنةً تمامًا على جبهة النساء في الأشهر الأخيرة، وهذا لا يعني أنه لم تكن لديه فرص كثيرة، ولكنه ليس مهتمًا بممارسة الجنس الآن، فقد سلبه الوضع المتوتر رغبته الجنسية.

أبعد يوسفه نظره عن حذائه، ونظر إلى العربة التي تسير ببطء في طريقها إلى وسط المدينة. عندما اختفت في النهاية عن الأنظار، رأى جيسيكا، تعبر الشارع، وتقترب منه. قالت وهي تدنو منه: "هناك بعض الزجاجات في الثلاجة، سينقلونها إلى المختبر لتحليلها. من الممكن أن تظهر جميع المواد الموجودة في جسم أولغا، إما مختلطة مع سم الضفدع أو منفصلة عنه".

"أنا متأكد من هذا، ما لم يكن مطلق النار قد أخذها بالفعل".

استدارت العربة عند المنعطف، وسارت بتكاسل نحوهما، متجهة إلى ساحة هاكانيمي، ومحطة مترو الأنفاق. جلست مجموعة من الطلاب في الخلف، وكانوا يرتدون سترات الكلية ذات اللون الأخضر الداكن.

جلست جيسيكا على غطاء محرك السيارة إلى جانب يوسف، وسألته: "ما رأيك بكل ما يجري؟".

سحب دخانًا من سيجارته، ثم نظر إلى السماء السوداء التي تغطيها طبقة كثيفة من الغيوم، سرقت القمر وخبأته في جعبتها. "جاءت أولغا بيلوسوفا إلى هنا يوم السبت، بمفردها أو مع شخص ما، ربما هذا الشخص علم اليوم أننا وجدنا جثة في أورينكولاهتي. واعتقد أنَّها جثة أولغا، وأن العلامات على ذراعيها ستقود الشرطة إلى هنا، وأننا سنبدأ بطرح الأسئلة". مسح يوسف أنفه كما لو أن الدخان قد دخل بعيدًا في تجويفه الأنفي. "أيا يكن هذا الشخص، فقد جاء إلى هنا وقتل رجل الكامبو حتى لا يتحدث".

تمتمت جيسيكا: "الشبح؟".

أزال يوسف بعض الأوساخ من تحت ظفر سبابته: "لابد أن يكون هو".

استدار يوسف إلى جيسيكا وهي تتحدث: "الشيء الوحيد الذي يزعجني... أنني أجريت بعض عمليات البحث في السيارة، وبحثت عبر الإنترنت عن معلومات حول خوسيه، الرجل الذي يمتلك هذا المكان. يبدو أنه كان من أفضل الأشخاص في مجال العلاج بالكامبو، على الأقل في فنلندا، كان لدى الرجل كثير من الزبائن الراضين الذين يصرون على أن الكامبو غيّر حياتهم إلى الأفضل".

"وماذا أيضًا؟".

"من المستحيل أن يخلط المورفين والبوبرينورفين في الكامبو لجميع زبائنه. كان الجميع سينتشون جدًا لو حصل هذا، وكان سيقبض عليه. بالإضافة إلى أن مثل هذا الخليط باهظ الثمن، ولا أعتقد أن هناك كثيرًا من الناس على استعداد للدفع مقابله".

"هل تعتقدين أنَّه أوجد مزيجًا لأشخاص معينين فقط؟".

"بالضبط. لديه نوعان من الزبائن".

"هذا مثير للاهتمام".

"فكّر في الأمر يا يوسف. إذا أردت أن يعتقد شخص ما بضرورة قدومه بانتظام من أجل العلاج، فإن ربط السم بشيء لا يؤدي فقط إلى زيادة الانتشاء، ولكن يتسبب أيضًا في الإدمان وهو الطريقة المثلى للقيام بذلك. ولكن كما قلت، من المستحيل أن يكون خوسيه وافق على فعل هذا مع الجميع".

"لا بد أن يكون هناك مزيد من الفتيات مثل أولغا بيلوسوفا، لا يعرفن أنهنَّ مدمنات، لكنهنَّ كذلك بالفعل. لا يدركن ذلك لأنهنَّ يؤمن بالكامبو، ويعتقدن أن بعض الأحاسيس التي يشعرن بها ما هي إلا جزء من العلاج".

"هل هناك شخص ما يضيف أشياء إلى سم الضفادع حتى يعود الزبائن طلبًا للمزيد؟ كما تفعل شركات التبغ؟".

نظرت جيسيكا إلى البقعة التي رمى فيها يوسف سيجارته للتو: "بالضبط".

"حسنًا، من وراء كل هذا؟".

"شخص يجلب الشابات إلى البلد، أعتقد أن المتاجرين بالبشر تخطوا أمر أخذ جواز السفر من الفتاة وجعلها تدمن المخدرات، لأنه يمكنك أن تقرأ اليأس والخوف على وجه امرأة مجبرة على بيع نفسها، ذلك سيئ للعمل. وهذا هو سبب وجود بطاقة هوية أولغا بيلوسوفا معها. كانت هؤلاء النساء أسيرات، لكنهن لم يعرفن ذلك، ما كنّ فيه يشبه إلى حدّ ما سجنًا مفتوحًا، حيث يكون للمدانين الحرية في الذهاب والإياب".

"وإدمان الكامبو هو الزنزانة غير المرئية؟".

"في هذه المرحلة ربما يجب أن نتحدث عن إدمان على ما هو أشد من الكامبو، أليس كذلك؟".

"أظن ذلك".

توقفت عربة بيضاء للمعدات التكنولوجية بين عربتي الشرطة.

واصل يوسف الكلام، بينما خرج رجل وامرأة من العربة وشرعا يرتديان ملابسهما البيضاء الواقية: "هل تعتقدين أن أولغا بيلوسوفا عانت من نوع من المضاعفات هنا؟".

"هنا أو في مكان آخر؟ ربما لم يحدث ذلك حتى وصلوا إلى المركب الذي يتحدث عنه هارغولا. وأيًا كان ما حدث، لم يتوقعه أحد. لقد حاولوا إنعاش أولغا، لكنهم لم يستطيعوا نقلها إلى المستشفى، لأن أطباء المستشفى سيشعرون بالفضول لمعرفة المكان الذي ضُخت فيه الأدوية في جسد امرأة دخلت البلد بشكل غير قانوني، لذلك ألقيت في البحر، ثم عُثِر على جثتها بعد بضعة أيام".

"ماذا عن نظرية هارغولا القائلة إن بعض المرضى أرادوا اغتصاب امرأة فاقد الوعي؟".

شدت جيسيكا كمي معطفها ليغطيا أصابعها: "لا أوافقه الرأي، أعني، أعتقد أن هناك أشخاصًا في هذا العالم المريض سيكونون مهتمين بفعل هذا، ولكن لسبب ما لا أعتقد أن هذا ما حدث هنا".

قال يوسف: "أحسنتِ عملًا يا جيسي". وأشعل سيجارة أخرى. "سنقفل هذه القضية غدًا".

جلسا على غطاء المحرك من دون أن يتكلما. غطت عدة ساعات من تساقط الثلوج الخفيفة الأسفلت بطبقة بيضاء شفافة.

تتوهج الثريات والزخارف التي تشبه النجوم من نوافذ المباني السكنية الشاهقة. ولكن في الوقت الحالي، وجد يوسف صعوبة في تخيل أن عيد الميلاد سيحل بعد أقل من شهر بسبب الأفكار المرعبة التي تملأ رأسه.

50

أوقف يوسف سيارته أمام مبنى جيسيكا.

لم تغادر جيسيكا السيارة على الفور، بل تركت رأسها يرتاح على مسند الرأس. إنها تتشارك ويوسف تقليدًا غير معلن يتمثل في مشاركة الصمت لفترة وجيزة قبل الفراق، وهذا يستلزم سحبًا لمكابح اليد، والاستماع إلى صوت المحرك، ومساحات الزجاج الأمامي التي تدفع الثلج إلى الجانبين، والصوت المنخفض لقائمة التشغيل سبوتيفاي التي لا تطيقها جيسيكا. لم يكن حي تولو أبدًا على طريق يوسف، ولكن رغم ذلك، فقد عرض باستمرار أن يُنزل جيسيكا عند باب مبنى سكنها.

بين الحين والآخر، شعرت جيسيكا بالسوء لقبولها عرضه، فقد بدأت تعتبر هذا الأمر شيئًا مسلمًا به. السماح ليوسف بإيصالها في سيارته كان جزءًا من تظاهرها بأنَّها ليست مختلفة عن أي شخص آخر، وبأنها تعتمد على التصرفات اللطيفة اليومية، مثل طلب صرافة لورقة نقدية كبيرة أو طلب توصيلة إلى المنزل من شخص ما.

في مناسبات نادرة، ربما مرة أو مرتين فقط، وجدت جيسيكا نفسها تتساءل إن كان يوسف يريد إيقاف عمل المحرك، وترك السيارة في الشارع، والصعود إلى شقتها.

هل تريد جيسيكا ذلك؟ أغلب الظن أنها لا تريد، فقد كان يوسف صديقًا جيدًا منذ فترة طويلة، وليس لديها مصلحة في السماح للجنس بتعريض علاقتهما للخطر. أحد الأسباب التي تجعلهما منسجمين دائمًا هو أنه لا يوجد ذرة من التوتر الجنسي بينهما. بالتأكيد، سيبدوان جيدين معًا على الورق. لكن جيسيكا لاحظت أنها تربط

يوسف بتوفي؛ الأخ الصغير الذي فقدته منذ فترة طويلة، بالإضافة إلى أنه حتى الربيع الماضي كان يوسف مع آنّا. ملأت هذه العلاقة الرومانسية التي بدأت منذ المدرسة الثانوية والتي استمرت في الازدهار من سنة إلى أخرى شهودها بالأمل في أنَّه ليس من الضروري أن تنتهي كل علاقة بخلاف. ثم تحطمت تلك الأوهام.

قالت جيسيكا: "شكرًا على التوصيلة". إنها تعلم أنها لا تقول ذلك كثيرًا بما فيه الكفاية.

ردّ عليها يوسف بابتسامة متعبة: "لا شكر على واجب. سأعود غدًا".

قبل أن تغلق الباب، ضبطت جيسيكا يوسف يغني مع الأغنية. هذا صحيح.. هذه بلادي مالاغا... أحب المكان هنا... أحب موطني...

51

لمست جيسيكا المياه بأطراف أصابعها، ثم خطت إلى حافة الحوض. قبّلت مياه الاستحمام الحارة بشرتها، وجعلت الشعر على الجزء الخلفي من رقبتها ينتصب، أخفضت نفسها شيئًا فشيئًا، سامحةً لكل المسام بالاسترخاء وللماء أن يُشكل شرنقةً حولها. قريبًا ستختفي جميع الملذات، وسيتأقلم جسدها مع حرارة الماء، وما كان لذيذًا سيصبح طبيعيًا. خفت حرارة المياه، وأصبحت فاترة. إنها تريد الاستمتاع بكل إحساس الآن والتجربة في أقصى حد لها، تريد أن تعيش هنا والآن.

القول أسهل من الفعل.

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما مجددًا، شعرت بجفنيها أقل ثقلًا. تركت عينيها تجولان في أرجاء الحمام الكبير. تلقت جدران البلاط الأبيض لطخات من الأسمنت الرمادي الصغيرة قبل سنوات عديدة. تذكرت جيسيكا إعجاب إرني بالأناقة البسيطة للسطح غير اللامع عندما ساعدته على الاستحمام. في بعض الأحيان، كان ينسى تمامًا الضغط والعار اللذين يسببهما المرض، ويسترخي، ويتخلى عن حاجته للسيطرة. في تلك اللحظات، كان يخفض رأسه على مسند العنق الناعم للحوض، ويغمض عينيه، في الوقت الذي تغسل فيه جيسيكا شعره بالشامبو. أحب إرني رائحة الشامبو، وقال إنها تذكره بالطفولة، بالمباني الخشبية في سارينما، حيث كانت تعلق جثث الخنازير البرية في الصباح البارد الخريفي.

أغمضت جيسيكا عينيها مرة أخرى؛ يمكنها أن تشعر بوجود إرني وتشعر بالأمان، كما لو أنه معها في الحمام.

ذات ليلة، قال إرني في الحمام: "أنا سعيد جدًا لأنك حصلت على هذا". كانت عيناه مغمضتين. وجيسيكا تشطف شعره بالماء الفاتر. تحدث إرني ببطء، وبصوت

ضعيف لكنه حازم. قد يكون جسده يحتضر، لكن دماغه يعمل بالطريقة التي كان يعمل بها دائمًا، لطالما كان هكذا في السراء والضراء.

"ماذا؟".

"كل هذا". ضحك إرني، حرّك إصبعه في أرجاء المكان. بعد نوبة سعال قصيرة، ابتلع إرني لعابه عدة مرات، كما لو كان يتأكد من أن صوته لا يزال قويًا. "ولكن ربما يمكنك... ربما يجب أن تفكري في فتح منزلك الحقيقي أمام أصدقائك، أمام الناس الطيبين، الأشخاص الذين تثقين بهم. يوسف. أو حتى راس... أعني، فوبو لا يعرف حتى..."

تنهدت جيسيكا: "إرني... أنت تجعلني أشعر بالندم لأنني أحضرتك إلى هنا".

أومأ إرني برأسه معتذرًا: "أنا آسف. كلما تقدمت في العمر، زادت النصائح التي أريد تقديمها. هل لاحظت ذلك؟ أو ربما لا يقتصر الأمر على التقدم في العمر فقط، بل بالاحتضار أيضًا. بطريقة ما يقنعك هذا أنك أصبحت حكيمًا إلى أقصى درجة".

جففت جيسيكا يديها بمنشفة، ووقفت. المكان هادئ للغاية، لدرجة أنَّهما يستطيعان سماع قطرات الماء تسقط إلى حوض الاستحمام من الصنبور الذي أغلقته جيسيكا.

"يجب أن لا تقلقي من أنَّهم لن يحبوك بسبب كل هذا... أو أن امتلاك المال يجعل منك إنسانًا أسوأ بطريقة ما. أو يجعلك مختلفة عمن عرفوه..."

"ربما من الأفضل عدم معرفة ذلك".

"جيسي، أخشى أنك وحيدة بلا سبب. كثير من الناس يشعرون بالوحدة لأنه ليس لديهم خيار. لأنهم أوغاد قبيحون، متحجرون،.عجائز غريبو الأطوار مثلي، أصبحوا متهالكي الأجساد والأرواح بعد أن عاشوا حياة كاملة من الأسرار والأخطاء المتراكمة... لا يزال لديك الوقت لفتح حياتك أمام شخص تثقين به يا جيسي".

"ربما أحب أن أكون وحدي هنا في قلعتي، ربما أستمتع بالتنقل بين عالمين. ربما هذه هي الحرية".

"الاحتفاظ بالأسرار؟".

مكتبة | 1113

"لا، القدرة على اختيار هويتك كل يوم".

أومأ إرني برأسه، بدا مرهقًا لأنه يعرف أن كلامه لا فائدة منه. مشت جيسيكا إلى المغسلة، ووضعت المرطب في كفيها، وفركته. نظرت إلى نفسها في المرآة، ورأت إرني مستلقيًا في حوض الاستحمام. تعرف جيسيكا أنَّها مسألة أيام الآن، أسبوعين على الأكثر.

في الوقت الحالي، أصبح إرني أكثر رقة نسبيًا، كما كان في السابق تقريبًا، ولكن بحلول نهاية الحمام القصير سيكون منهكًا جدًا لدرجة أنه لن يكون قادرًا على إبقاء عينيه مفتوحتين. تعرف جيسيكا أنَّ الوقت ينفد. قال الطبيب إن إرني، الذي أضعفته مسكنات الألم القوية، سيصبح متعبًا بشكل متزايد مع اقتراب النهاية، وسينام لفترة أطول وأطول، حتى يأتي اليوم الذي لن يستيقظ فيه. بدأت جيسيكا في صياغة خطابها الذي ستلقيه في جنازته. تريده بالتأكيد أن يسمعه، يمكنه أن يكون جمهورها عندما تتدرب عليه.

بينما فركت جيسيكا جبينها بالغسول، رأت وجه إرني يرتعش من خلال المرآة. استدارت وقالت: "إرني؟ ما المشكلة؟".

التوى وجهه النحيف بصمت، إنه يبكي بكاءً شديدًا. فتح عينيه، ونظر إلى جيسيكا بعمق أكثر من أي وقت مضى. "عديني بأنك ستعتني بنفسك يا جيسي. وإلا فسأعود و... أموت مرة أخرى". مسح الدموع من زاوية عينه بيده المبللة بالصابون.

انحنت جيسيكا لتجفف وجهه.

أعدك يا عزيزي إرني.

استنشقت جيسيكا الهواء، وأطلقته من رئتيها، وسمحت لنفسها بالغرق في الحوض، وانزلق جسدها ببطء إلى القاع. سمحت للماء بأن يندفع في أذنيها، ورأت

الفقاعات تتصاعد من فمها. طفا شعرها الأسود على السطح كأنَّه أذرع أخطبوط. حبست جيسيكا أنفاسها، وعدَّت الثواني حتى بدأت أفكارها تتملكها، ثم فقدت إحساسها بالوقت. لقد كانت تحت الماء لمدة دقيقة. وربما لفترة أطول، يمكنها أن تشعر بالضغط في رئتيها وقصبتيها الهوائيتين. هل هذا ما مر به إرني عندما كان نائمًا في سرير الضيوف، قبل ثانية من توقف رئتيه عن العمل؟ هل كان ذلك إنسانيًا، هل كانت مشاهدته يختنق تدريجيًا مثل سمكة على اليابسة فعلًا إنسانيًا؟ هل كان الصديق الحقيقي سيحقق رغبة إرني في أن يموت وهو بصحة جيدة، وأن يتجنب الألم والارتباك الذي يجلبه العجز؟

أغمضت جيسيكا عينيها، فجأة رأت صورة بالأبيض والأسود لتيم توسي وليزا ياماموتو، لا يوجد شيء غير عادي أو مريب بشكل خاص فيها، لكن جيسيكا لا تستطيع إخراجها من رأسها. ستسأل توسي نفسه عنها في الصباح الباكر.

52

جيسيكا!

حام الهمس، وتخلل الغرفة.

أشارت الساعة المستديرة على حائط غرفة الجلوس إلى الرابعة إلا ربع. نهضت جيسيكا عن الأريكة قبل خمس عشرة دقيقة. عند الساعة الثالثة والنصف، في لحظة الحقيقة. تتأرجح مصابيح الشوارع على أسلاكها أسفل مستوى النافذة، ولا تخترق أشعتها المبنى القديم. إلا أن التوهج الذي لا ينطفئ القادم من بحر الفوسفور في وسط مدينة هلسنكي يعطي للأثاث والأشياء في الغرفة شكلها المبهم، ويمنعها من الذوبان في الظلام الدامس.

حرّكت جيسيكا يدها بسلاسة على الورقة، وكتبت الحروف الدقيقة بالطريقة التي علمتها إياها والدتها. لكن والدتها لم تعش طويلًا بما يكفي لترى اليد التي تمسك القلم تنمو، ولتسمع الأفكار المخفية وراء نص جيسيكا الجميل. لم ترَ أمها جيسيكا البالغة، جيسيكا التي لديها ما تقوله، القادرة على تحويل أفكارها إلى جمل بسهولة.

تنسى الفتاة أحيانًا بوعي ما فعله بها، وتختار أن تتذكر مدينة البندقية تحت شمس حزيران. تتذكر تلك الأيام التي عاشتها قبل أن تلتف أصابع كولومبانو القوية حول عنقها، قبل أن يزيل قناعه، قبل اللحظات التي أمضتها إلى جانبه وصدره يرتفع ويهبط، في تلك الساعة التي طغى فيها سكون الليل على أصوات المدينة اليقظة. عزف الفجر على أوتار المدينة، على أهلها وطيورها. صرخات النوارس كالكمان الإيقاعي. تُفتح المظلات على الشرفات، وترمي بقطرات الندى الليلي على الطرقات المرصوفة بالحصى، وتترنح القوارب ذات المحركات

الصغيرة في القنوات، وتتعالى صرخات سائقيها وثرثرة السائحين. لا يقارن جمال البندقية إلا بجمال عاشقيها. ولكن عندما ينظر إليها كولومبانو بازدراء، تشعر وكأنَّ الغيوم تخنق الشمس، وكأنَّ الرائحة الكريهة للقنوات تحتل أنفها. وعندما يحفر حلقها بأطراف أصابعه المتشققة ويقطع أنفاسها، ويضع يده حيث أرادته أن يضعها ذات مرة، تشعر بشيء داخلها يموت.

وضعت جيسيكا القلم على الطاولة، وانتظرت.

على الرغم من الإضاءة الخافتة، يظهر الحبر الأزرق الغامق بوضوح على الورقة البيضاء. تستغرق والدتها دقيقة حتى تنتهي من قراءة الجمل التي كتبتها جيسيكا.

أو ربما قرأتها مرتين. لفهم ما تقوله ابنتها بالضبط.

عزيزتي جيسيكا...

عندما تحدثت والدتها، سرت قشعريرة في جسد جيسيكا، كما لو أنها فتحت الباب وتوقفت هناك، لتسمح بدخول الهواء الجليدي. عقدت جيسيكا حزام رداء الحمام بإحكام حول خصرها، ليغطي صدرها العاري.

أنت ما زلت في قبضته، أليس كذلك؟

مررت أظافرها المطلية باللون الأسود اللامع على الأسطر المكتوبة بخط اليد، من المدهش كم كانت الأسطر ثابتة ومستقيمة، كما لو كانت مكتوبة على ورقة مُسطَّرة.

أبعدت جيسيكا عينيها عن الصفحة، وتركت بصرها ينزلق حتى يصل إلى الأصابع النحيلة، ثمَّ إلى الذراع البيضاء، ثم ثوب المساء الأسود الذي يغطي جزئيًا فقط الثديين الناهدين، إلى خط العنق، وأخيرًا إلى الوجه. جعل مظهره الخالي من أي ملامح النظر إليه لا يُحتمل. تغطيه الدماء وهناك فراغ بين الحاجب المضروب وعظام الخدين المسحوقة التي لم تُظهر سوى قطع متناثرة من الجلد الأبيض.

ظننتك أقوى يا جيسي.

أنا آسفة يا أمي.

تنهدت تنهيدة صاخبة، أخذت أمها الورقة، ومررت أصابعها عليها كأنَّها أقدام حشرة كبيرة. ثمَّ طوتها إلى نصفين. للحظة، اعتقدت جيسيكا أن والدتها سوف تضع الورقة في محفظة تتدلى من الجزء الخلفي من الكرسي. ولكنَّها فجأة ضغطت الورقة بقبضتها المرتجفة، وأطبقت عليها بيد برزت عروقها، ولم تظهر هذه الورقة مرة أخرى. رفعت والدتها جفنيها، واتسعت عيناها الغائرتان.

تؤلمني الطريقة التي تفكرين فيها أحيانًا يا جيسي، حاولت تربيتك لتكوني قويةً.

كان صوت والدتها باردًا وهي توبخها.

أنا آسفة يا أمي.

اذهبي إلى سريرك، وانسي أمر ذلك الرجل. تصرفي كما يجب.

أخفضت جيسيكا رأسها، ووقفت ببطء، لم يصدر الكرسي صوتًا ولم تطلق الأرض الخشبية صريرها المعتاد الذي تطلقه خلال النهار. فهذه اللحظة التي تجمع نغمات الليل الحزين لها موسيقاها الخاصة: صوت جيسيكا، وصوت أمها، وصوت القلم الخافت وهو يوضع في محفظة الأقلام، وصوت الورق وهو يتكور بين الأصابع.

توقفت جيسيكا أمام الدرج.

ولكنني قتلته.

تنهدت أمها.

لقد استحق الموت يا جيسي.

صوت والدتها يفيض احتقارًا.

قتله يا أمي.

أغمضت جيسيكا عينيها، وشعرت بنفسها تطفو على واقع آخر، في زمان ومكان آخرين، مع ضوء يتدفق عبر النوافذ، ويغرق في ظلام الشتاء اللامتناهي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لكنها فتحت عينيها مرة أخرى، يجب أن تجسد المشهد، يجب أن تنطق بكل سطر من سطورها، يجب أن تذهب إلى فراشها على قدميها.

ركّزي على الحاضر يا جيسي. ركّزي طاقاتك على الأشياء التي لا يزال بإمكانك التأثير فيها.

راقبت جيسيكا والدتها تنهض.

هل تتذكر خدعة البطاقة التي كان والدك يؤديها لك ولتوفي؟ ويعيدها مرارًا وتكرارًا؟

أومأت جيسيكا برأسها.

لا يحتاج الساحر إلى معرفة البطاقة التي تختارينها يا جيسي، بل فقط البطاقة التي تليها.

شعرت جيسيكا أن شفتيها تتحركان بينما تكرر بلا صوت الكلمات التي قالتها والدتها للتو.

تصبحين على خير يا أمي.

ليلة سعيدة يا جيسي العزيزة.

نظرت جيسيكا إلى الأريكة حيث غفت قبل ساعات قليلة. أُطفئ التلفاز بسبب المؤقت. عندما بدأت في صعود الدرج إلى الطابق الثاني من شقتها، سمعت والدتها وهي تبكي. كل خطوة تقودها بعيدًا عن الطفولة وتُقربها من اللحظة الحالية. عندما ألقت جيسيكا نظرة أخيرة على الطاولة الطويلة، لم ترَ والدتها. فقط الصمت الذي يشبه كتلة في حلقها والقلم والرسالة المجعدة. لكن لا يزال بإمكان جيسيكا شم الرائحة التي أيقظتها: خشب محترق مثل نار المخيم وبستان عطر مزهر.

لا يحتاج الساحر إلى معرفة البطاقة التي تختارينها يا جيسي، بل فقط البطاقة التي تليها.

الخميس 28 تشرين الثاني

53

طغى عويل صفارة إنذار الشرطة تدريجيًا على بكاء والدتها الهادئ. يمكن أن تشعر جيسيكا بأن الحلم يختلط بمحفزات الحياة الحقيقية: تشعر بالناس والأصوات من حولها تتبخر عندما تدرك وزن جسدها، من خديها ووركيها ورجليها وركبتيها وحتى باطن قدميها، وشعرت بنفسها تلامس الغطاء الناعم.

أخيرًا، حلَّ الصباح.

فتحت جيسيكا عينيها ببطء. نظرت إلى يدها، وإلى الغرفة المظلمة، لكنها لا تزال ترى الحبر الجاف على جانب راحة يدها. إنها تشعر بالخمول وبآثار ما بعد الثمالة، على الرغم من أنها تناولت كأسًا واحدة من النبيذ الأبيض فقط في الليلة السابقة. تستنزفها الليالي التي تقضيها كليًا أو جزئيًا تتحدث إلى والدتها: يبدو الأمر كما لو أنها تمتص الشحنة الصغيرة التي تهرب من ليالي قلة النوم المزمن.

أولت جيسيكا اهتمامًا وثيقًا وهي تتحرك لتجلس على حافة سريرها ذي الحجم الكبير. تعود هذه العادة إلى الوقت الذي كان يمكن أن تتسبب فيه الحركة المفاجئة في زيادة الألم. كان الصباح هو الأسوأ: بعد ليلة من النوم، شعرت وكأنَّ دبابيس صغيرة تدور بشدة مثلما تدور إبرة البوصلة تنغرس في كعبيها وركبتيها. كان الألم الشديد في أسفل ظهرها وكتفيها ومعصمها يشبه الطعن بسيف طويل مرارًا وتكرارًا بيد لا تتعب أبدًا.

من المستحيل أن تحاول شرح ما فعله بجسدها لأي كان، وكيف شوه عمودها الفقري وأعصابها. بعد أي عملية صعبة أو أي نقل دم، وهي مستلقية على سرير المستشفى، كانت تتمنى لو أنَّها ميتة. كوالدها ووالدتها وتوفي. لماذا كان عليها أن تكون هي التي نجت من الحادث؟ وحتى لو كان من المفترض أن يكون

ذلك، فهل كان من الصعب أن تطلب أن تعاني من ألم أقل؟ لكي تكون ممتنة بطريقة ما؟

حتى لو تعلمت جيسيكا يومًا ما أن تقدر حياتها؛ فمعرفتها بما فعلته لن تتلاشى أبدًا. لقد قتلت رجلًا: طعنته بسكين، وشاهدت الحياة تخرج منه. هل كان القتل دفاعًا محضًا عن النفس أم قتلًا مع سبق الإصرار؟ تتذكر جيسيكا حزم السكين معها عندما غادرت الفندق. اختارت القتال لا الهرب، كما قال إرني بدقة. لم يتحدث أبدًا عن الانتقام، لكن جيسيكا تعلم أن هذا كان أسلوبه المتأصل.

فعلتِ ما كان يجب عليك أن تفعليه يا جيسيكا.

تنحنحت جيسيكا، وربطت ساعتها بمعصمها. أشارت الساعة إلى السادسة وخمس وأربعين دقيقة. تثاءبت ووقفت تنقِّل ثقلها بين مقدمة قدميها وكعبيها، وكأنها تتأكد من أن قدميها ستدعمانها. *سيكون كل شيء بخير.*

أخذت هاتفها عن المنضدة، وهي لا تزال عارية، وعبرت السجادة السوداء إلى الحمام.

رفعت الغطاء وجلست لتتبول، والهاتف في يدها. هناك رسالة من راسموس على الواتساب.

اكتشفت نينا ما تعنيه عبارة (أكيفومي 2511946). إنها خطوة إلى الأمام، ولكن الطريق مسدود حتى الآن.

أغمضت جيسيكا عينيها. إنَّها تفكر في الليلة السابقة. بدا لها ما حدث البارحة وكأنه حلم، لكنها تعرف أنَّها عندما تنزل إلى الطابق السفلي ستجد قلمًا وورقة على الطاولة الكبيرة في غرفة الجلوس. كما هو الحال دائمًا، كان كل شيء حقيقيًا بشكل مروّع: الناس والروائح والوقت والمكان. في صباح اليوم التالي، بدت الشقة حتمًا وكأنها مسرح مهجور مبعثرًا بالتجهيزات التي تركها الممثلون وراءهم.

شمَّت جيسيكا رائحة عطر والدتها.

غسلت المرحاض، وطلبت رقم راسموس.

54

صدحت أصوات أخبار البث العام من راديو السيارة، فوضع يوسف رأسه على المقود وتظاهر بأنه يشخر. تتسبب التحويلات الناتجة عن أعمال البناء في مطار هلسنكي فانتا الدولي في ازدحامٍ ضخم في ساعة الذروة في قسم المغادرين. كان طابور السيارات يتقدم ببطء مؤلم، وكان الهدير الناتج عن صعود الطائرات وهبوطها يصل إلى العربات. تحققت جيسيكا من التطبيق على هاتفها. يفيد التقرير أن الطائرة التي استقلها والدا ليزا من لندن هبطت قبل خمس دقائق. من حسن الحظ أنها وصلت في الوقت المناسب.

خرج رجل كبير السن وشابة من السيارة التي أمامها. أخذ الرجل حقيبة من صندوق السيارة. ربما هما أب وابنته، وربما شيء آخر. راقبتهما جيسيكا وهما يحتضنان ويودعان بعضهما؛ وضع الرجل راحتي يديه على كتفي الشابة الباكية.

يقول إرني: "سيكون الأمر على ما يرام"، ويضغط على كتفيها ضغطًا لطيفًا. شعرت جيسيكا بغضة، إنها تواجه صعوبة في التنفس. لقد خرجا للتو من سيارة أجرة في مطار فينيسيا ماركو بولو: "هل سمعتني يا جيسيكا؟ سيكون كل شيء بخير". نظر إرني حوله خلسة. كان رجلان يرتديان زيًا فضفاضًا يقفان عند مدخل آخر بعيدًا. إنهما من الشرطة.. المشهد الذي جعل جيسيكا البالغة من العمر 19 عامًا تلهث.

تمتم إرني: "إنهما لا يعرفان شيئًا". خطا خطوة إلى الوراء، وأشعل سيجارة. شمت جيسيكا رائحة الدخان اللاذعة التي هدأتها، مثل كل شيء آخر في الإستوني الذي يقف أمامها.

"هذا الرجل كان... لم يكن رجلًا على الإطلاق يا جيسيكا". أطلق الدخان من فتحتي أنفه فامتزج بهواء خريف شمال إيطاليا المنعش.

لفت جيسيكا سترتها بإحكام أكثر حولها: "أريد العودة إلى المنزل".

"حسنًا". ارتسمت ابتسامة رقيقة على شفتي إرني. "دعينا نأكل أولًا".

أغمضت جيسيكا عينيها. سمعت أصوات الأبواب الآلية والإعلانات باللغة الإيطالية من مكان ما. يمكنها أن تشعر بيد إرني على كتفها.

ثم سمعت صوت يوسف: "جيسيكا".

"ماذا؟"

"هاتفك يرن".

نظرت جيسيكا إلى يوسف ثم إلى هاتفها. إنه راسموس.

"صباح الخير يا راس".

وصلت الشابة إلى المحطة، وغادر الرجل، ثمَّ تقدم طابور السيارات بوصة إلى الأمام.

"ذكرت أمس أن ليزا ياماموتو ربما حذفت منشورات كامبو من حسابها على الإنستغرام".

"نعم، هل وجدت شيئًا..."

"في الواقع، بالعكس لقد أجريت بعض المكالمات، ويبدو أنها حذفت منشورات أخرى أيضًا".

"ما المنشورات التي حذفتها؟".

"لا أعرف، وفقًا لبعض المتابعين، كان لديها ألف منشور في ملفها الشخصي. ولكن الآن يبدو أن هناك تسعمئة منشور فقط".

"هل يستطيع الإنستغرام استعادة الصور المحذوفة؟".

"لا أعتقد ذلك".

"سحقًا، حسنًا... شكرًا لاتصالك".

أنهت جيسيكا المكالمة. ثم جلست هناك، وحدقت إلى الأمام مباشرة.

سأل يوسف الذي بدأ يفقد صبره وهو يدخل إلى ساحة الانتظار: "ما الأمر؟".

قالت جيسيكا ببطء: "حُذفت مئة صورة من حساب ليزا مؤخرًا".

"لم يكن هناك الكثير من منشورات الكامبو، أليس كذلك؟".

هزّت جيسيكا رأسها.

"لذلك حذفت أشياء أخرى أيضًا". قال يوسف وهو يترك جبهته تسقط على عجلة القيادة مرة أخرى: "ولكن ما الذي حذف؟".

"قد يكون من الصعب معرفة ذلك". حدقت جيسيكا إلى أبواب المحطة، وراقبت امرأة ترتدي معطفًا وتدفع سلسلة طويلة من العربات التي تتلوى أمامها كأنَّها أفعى. "لنذهب".

رفع يوسف رأسه عن المقود. "لنبدأ المغامرة التالية".

55

حدقت هيلينا لابي إلى هاتفها، حيث رسم التطبيق ملخصًا بيانيًا لجودة نوم الليلة الماضية ومستوى التعافي. لقد تعاملت بشكل جيد مع النوم، على الرغم من استيقاظها قرابة الساعة الثانية، بعد أن حلمت بالقضية، وكيف سيكون ردّ فعل جيسيكا نيمي عندما أبلغتها هيلو بالملف الذي بحوزتها. في الحلم، فقدت نيمي صوابها تمامًا، وشهرت سلاحها، وهددت هيلو، انتهى الأمر بأن وجهت هيلو لجيسيكا بضع ركلات تعلمتها من رياضة الكونغ فو، وطرحتها على السجادة، وثبتتها بالأصفاد حول معصميها النحيفين. هذا ليس كابوسًا بأي حال من الأحوال، بل على العكس تمامًا.

لكن على الرغم من النوم الجيد نسبيًا، فإن قراءة تعافي جسد هيلو منخفضة بسبب عدم انتظام دقات القلب، الذي انهار إلى مستويات كئيبة. *ثلاثة عشر. ما الذي يحدث لي؟*

قال صوت بصبر نافد: "هيلو؟". إنه هارغولا الذي يجلس أمامها.

"آسفة!" ركّزت هيلو نظرتها على المفكرة التي وضعها هارغولا على مكتبها قبل لحظة. "لم أنم جيدًا".

"هناك ثلاثة أسماء مكتوبة بخط اليد فيها: ميديا لازاكوفيتش، وميب لوس، وتمارا غوغيلي".

هزّت هيلو رأسها لتشير إلى أنها لا تعرف ما يجري.

"بدأت البحث في الأمر. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، بحثت في غوغل عن الأسماء وخمني ما وجدته؟". توقف هارغولا لفترة وجيزة، كما لو كان ينتظر ردًا من هيلو. وعندما لم يأتِه ردّ تابع: "اتضح أن كل واحدة منهن ظهرت عن غير قصد في الأخبار. كلهن وضيعات".

"وظهرن في الأخبار..."

قال هارغولا بطريقة تلقائية: "بسبب موتهن".

أسقطت هيلو هاتفها في حضنها، وشعرت فجأة بتأنيب الضمير لتأخيرها بداية الاجتماع لترى كيف نامت الليلة الماضية. "موتهن؟ ماذا تعني؟".

لعق هارغولا طرف إصبعه، ووضع ثلاث أوراق مطبوعة على الطاولة.

"لازاكوفيتش، مواطنة روسية تبلغ من العمر 21 عامًا. عثر عليها ميتةً في سان بطرسبرغ في 12 تشرين الثاني 2018". وضع الورقة المطبوعة الأولى جانبًا. "لوس، 28 عامًا، عثر عليها ميتة في منزلها في أمستردام في 4 شباط 2019. وأخيرًا غوغيلي، 27 عامًا، أوكرانية، عثر عليها في 6 حزيران من هذا العام في لفيف، أوكرانيا. وفي كل حالة، يشتبه في وقوع جريمة قتل وحشية استثنائية".

"كتبت أسماء هؤلاء النساء في ذلك الدفتر؟". تصفحت هيلو المقالات المأخوذة من الإنترنت والتي طبعها هارغولا؛ وترافق كل منها صورة لامرأة شابة جميلة مبتسمة. ثم نقرت على دفتر الملاحظات بسبابتها: "لماذا لم يتم العثور على هذا أمس؟".

بدا هارغولا مندهشًا. "لقد وجدتها الآن يا هيلو".

قلبت هيلو الصفحات الفارغة من دفتر الملاحظات كما لو كانت جريدة الأمس. "إما أن هذه الوفيات مرتبطة بطريقة ما أو أن أولغا تعرف هؤلاء النساء بشكل خاص".

سألها هارغولا بثقة: "أليس هذا هو الشيء نفسه تقريبًا؟ هن أموات الآن".

"هل لهذه الوفيات علاقة بملابس المانغا أو علاجات الكامبو؟"

قال هارغولا بجدية: "لم تذكر المقالات شيئًا عن هذا. كما هو الحال في فنلندا، ليس من المتعارف عليه في أي مكان في أوروبا مشاركة تفاصيل التحقيق مع الإعلاميين ما لم يكن ذلك ضروريًا للغاية لحل القضية".

لم تعرف هيلو كيف تفسر تصرفات مرؤوسها هذا. فنبرة نطقه للكلمات تشير إلى أنه أستاذ لا طالب.

تابع هارغولا قائلًا: "على الرغم من ذلك، نحن بحاجة إلى الاتصال فورًا بالسلطات التي تحقق في جرائم القتل ومعرفة ذلك".

"حسنًا. أستطيع أن أعالج ذلك. وكلما ارتفعت الرتبة، زادت الاستجابة بشكل أسرع". وقفت هيلو. "عمل جيد يا هارغولا. تفانيك مثير للإعجاب. هل بإمكاني أن أطلب..." كان هارغولا قد وقف، وأمسك مقبض الباب ليخرج. "ماذا؟".

"أبق على هذا التطور لنفسك لفترة قصيرة. كثيرة هي الأمور التي تتغير الآن لدرجة أنني لا أريد أن أرمي بالضغوطات على نيمي. سأرى ما سنعرفه من الخارج، وبعد ذلك سنبلغ الفريق معًا".

56

وضعت جيسيكا كوبين مصنوعين من الورق على الطاولة، جلبت الشاي من آلة المشروبات، وطلب والد ليزا الماء. *"ليس باردًا بل بدرجة حرارة الغرفة من فضلك. شكرًا لك"*.

كان والد ليزا مع جيسيكا في غرفة مخصصة للاستجوابات، وكان يوسف يستجوب والدة ليزا في الغرفة المقابلة.

قالت جيسيكا: "اجلس من فضلك". نظرت في جواز السفر الذي سلمها إياه والد ليزا بناء على طلبها. هيروكازو ياماموتو.

أرخى ياماموتو براجمه. بدا أنه يصبح أكثر هياجًا وارتيابًا مع مرور كل لحظة. ومع ذلك، وجدت جيسيكا صعوبة في الاعتقاد بأنه سيفقد صوابه، إذ يشير مظهره إلى أنه شخصية تعارض تمامًا إظهار العاطفة للعامة.

"ليزا". احتكت قوائم المقعد المصنوع من الألومنيوم بالأرضية الخرسانية الملساء عندما جلس ياماموتو. كان قد وضع سترته على ظهر كرسيه.

"أين ليزا؟".

"نحن نبذل قصارى جهدنا من أجل..."

قال ياماموتو ويداه في حضنه: "لقد ذهبنا منذ أسبوعين...".

طوت جيسيكا يديها على الطاولة، وتفحصت الرجل الذي يجلس قبالتها

لياماموتو حضور مخيف حقًا، ليس فقط بسبب حجمه. لا تستطيع جيسيكا أن تمنع نفسها من أن تتذكر ما قاله فرانك دومينيس عن ليزا، وعن أنها تخاف من والدها. عيناه مثل عيني القرش، ميتتان وبلا روح. أي *نوع من الرجال أنت يا سيد ياماموتو؟*

قالت جيسيكا: "أنا أعلم. لا بد أن هذا في غاية الصعوبة عليك".

أومأ ياماموتو برأسه عدة مرات: "إنَّه كذلك". حكَّ فروة رأسه الحليقة. ظهرت ندبة طويلة ودقيقة على أحد صدغيه.

سألته جيسيكا: "هل لديك أي فكرة عما يمكن أن يكون قد حدث لليزا؟" شعرت أنَّها بدأت تتوتر قليلًا وهي تنتظر رد فعل ياماموتو، وما سيقوله بعد ذلك، وبأي نبرة. ولكن لم يبدُ أن السؤال استفزه، لذلك هز رأسه بتكاسل وبكل بساطة.

أكملت: "هل لديك أنت أو والدة ليزا أعداء؟".

حدق ياماموتو إلى جيسيكا، ثم شد كمي قميصه.

"أعداء من المحتمل أن يهاجموا ليزا؟".

ردّت جيسيكا: "من المستحيل في هذه المرحلة أن نعرف ما إذا كان أي شخص قد هاجم أي شخص. لكننا بحاجة إلى النظر في...".

"هل تعرفين شركة تسمى سوبرسيرفيس؟".

أومأت جيسيكا برأسها. لقد درست المعلومات التي كشفوا عنها حول ياماموتو في الليلة السابقة.

قال ياماموتو: "مغسلة ذات خدمة ذاتية، سبعة فروع. في هلسنكي، وتامبيري، ولاهتي، وكوفولا، وأولو". عدد أسماء المدن على الأصابع القوية جدًا ليده اليسرى. "أنا أملك مغاسل. قولي لي، من يكره أصحاب المغاسل؟". فتح ذراعيه في إشارة إلى جهله بالإجابة. "الجواب: ليس لديّ أعداء".

أومأت جيسيكا برأسها. لعبت هذه البطاقة الآن. حان الوقت لرمي البطاقة الأقوى.

"لقد انتقلت إلى فنلندا في العام 1998، عندما كانت ليزا في الثالثة من عمرها، أليس كذلك؟".

أومأ ياماموتو برأسه ببطء وحزم، بطريقة رأتها جيسيكا للمرة الأولى منذ بضع دقائق، لكنها ستتذكرها لبقية حياتها.

بعد ذلك قالت: "كوندو".

مات شيء ما في عيني ياماموتو. استُنزفت منهما الثقة على الفور، وتحول لون البؤبؤين إلى لون ضارب إلى الحمرة. ثم ابتسم للمرة الأولى خلال اللقاء، لكن فمه ظل مغلقًا.

"هذا هو لقبك السابق، أليس كذلك؟ لقب ليزا أيضًا؟".

لم يحرر ياماموتو جيسيكا من نظراته بينما حافظ على صمته. منعه كبريائه من النظر جانبًا حتى عند خسارة المعركة. كما توقعت جيسيكا، فإن هيروكازو ياماموتو لن يعترف بالهزيمة، ولن يمنح أي شخص الرضا.

كررت جيسيكا: "أليس هذا صحيحًا؟".

أخيرًا، قال ياماموتو: "ما علاقة هذا بمكان وجود ليزا؟". حك معصمه أسفل الساعة الذهبية.

قالت جيسيكا بحياد: "لا أعرف، لكننا بحاجة إلى استبعاد إمكانية ارتباط هذا باختفائها، مهما كان ذلك مؤلمًا. لذلك، أود منك الردّ على أسئلتي بشكل مباشر قدر الإمكان".

أغمض ياماموتو عينيه وفتحهما بسرعة كما لو أنهما جفتا خلال مسابقة التحديق الطويلة.

ثم أخذ كوبه، وشربه دفعة واحدة، وحطمه بقبضته حتى اختفى الكوب الورقي في القبضة الضخمة كما تنهار سيارة بين فكي مكبس هيدروليكي.

"لماذا انتقلت إلى فنلندا مع ليزا؟ وغيّرت لقبك؟ هل كان لديك مشكلة مع القانون في اليابان؟".

لم يستجب ياماموتو. لا يهم، إذ تعلم جيسيكا أنها لن تضطر إلى انتظار الإجابة لفترة طويلة، حيث سيتلقون سجلات هيروكازو كوندو من الشرطة اليابانية بحلول وقت الغداء. ولكن في الوقت الحالي، كل دقيقة مهمة. ربما لا تزال ليزا على قيد الحياة، ويحتاج والدها إلى فهم ذلك.

إنَّها تخاطبه باللقب الذي اختاره لنفسه في فنلندا كدليل على الاحترام: "سيد ياماموتو! يهدف هذا فقط وحصريًا إلى مساعدتنا في تحديد موقع ليزا. ما حدث قبل عشرين عامًا في اليابان لا يثير اهتمامي ولا اهتمام زملائي على الإطلاق".

لم يستجب ياماموتو. اخترق إعلان يحث الركاب على مراقبة متعلقاتهم الباب المغلق. شربت جيسيكا رشفة من الشاي الذي لم يزل ساخنًا جدًا ليُشرب.

ها قد وضعنا كل بطاقاتنا مفتوحة على الطاولة أمام هيروكازو ياماموتو.

"لماذا طلبت من ليزا ألا تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي؟".

هزَّ ياماموتو رأسه، وأطلق زفيرًا غاضبًا. قال وهو يرفع ذقنه: "ليس صحيحًا ما تقولينه".

"أليس صحيحًا؟" نظرت جيسيكا إلى ملاحظاتها، وملأت صوتها بلهجة أكثر استجوابًا: "أخذت ابنتك، وانتقلت إلى الجهة الأخرى من الكرة الأرضية. غيّرت اسمك. أول شيء فعلته هو شراء منزل كبير في غارفينيا، أفضل منزل في أفضل منطقة، ولكن في مكان بعيد عن الأضواء. تزوجت وافتتحت مغسلة. ثم افتتحت مغسلة أخرى! أبقيت رأسك منخفضًا، لم تفعل شيئًا سوى ما يخص العائلة والعمل. كبرت ابنتك وانتقلت إلى هلسنكي. بدأت في إعالة نفسها كشخص مؤثر في المجتمع، وحصلت على عشرة متابعين، ثم على خمسين متابعًا، ثم مئة متابع، ثمَّ مئتي متابع، وأخيرًا ألف متابع. ولكن لماذا بدأت تشعر بالقلق؟ أعتقد أنك كنت خائفًا من أن تدمر تكنولوجيا المعلومات كل شيء تعبت لبنائه. خفت أن يجذب وجود ليزا على وسائل التواصل الاجتماعي الانتباه إليك، خفت من أن شخصًا ما في اليابان قد يتعرف إليها. ليس وجهها بالطبع، فليزا كانت مجرد طفلة عندما غادرت، لكنك خفت من أن يربطوا الأمور ببعضها. مدوّنة تبلغ من العمر 24 عامًا، ولدت في اليابان، انتقلت إلى فنلندا في عام 1998. هل هذا غير محتمل؟ إنَّه محتمل بالتأكيد، بل ومحتمل جدًا. أليس هذا ممكنًا؟ لم لا؟ لهذا السبب أخبرت ليزا أن تتوقف. فلماذا يجب أن نخاطر؟ ألا يحتمل أن يكون أحد متابعيها مصدر تهديد محتمل".

شعرت جيسيكا فجأة بالطاولة المصنوعة من الألومنيوم تنزلق من تحت راحتيها، ثمَّ رأتها تصطدم بالجدار الخرساني الأبيض، محدثةً تحطمًا يصم الآذان، والشاي الأحمر يسقط على الأرض مثل الدم الناتج عن جرح طلق ناري. اندفعت إلى الخلف.

وقع الكرسي تحتها، وسقطت. تحسست مسدسها بيدها.

صرخ ياماموتو: "أنت لا تعرفين ما الذي تتحدثين عنه". وقف ورفع سبابة يده السمينة مباشرة في وجه جيسيكا. "أنت لا تفهمين ما يحدث". حاولت جيسيكا أن تقف على قدميها، ولكن ظل الرجل الهائل ألقى ظلالًا من الشك عليها ومنعها من ذلك. إذا ضربها ياماموتو الآن، إذا أمسك بعنقها بين يديه الضخمتين، سيكون لديه الوقت الكافي لخنقها أو قطع رقبتها قبل أن يهرع يوسف أو أي شخص آخر لمساعدتها.

خرج البصاق من فم ياماموتو، وهو يزأر بطريقة خرقاء: "ابحثي عن ليزا فقط، ابحثي عن ليزا فقط بحق الجحيم".

لكن ياماموتو لم يضرب جيسيكا أو يخنقها. بدا أنه ينفض غبارًا لا وجود له عن صدره، وتراجع ببطء، وأخذ سترته.

ثم خطا إلى الباب وهو يلهث مثل الثور الغاضب، وفتحه على مصراعيه، ليجد نفسه وجهًا لوجه مع يوسف، الذي وصل إلى الباب لتوه.

نظر يوسف إلى ياماموتو والطاولة المخلوعة، وجيسيكا المتكئة على الجدار الخلفي والشاي متناثر عبر الأرض: "ما الذي يجري هنا؟".

للحظة، بدا أن ياماموتو سيجرف يوسف في طريقه. تبادل الرجلان النظرات مثل ديكين في قن الدجاج، كانا على استعداد لضرب بعضها حتى الموت.

قالت جيسيكا بصوت ثابت: "لقد انتهينا هنا يا يوسف. أرجو أن ترافق السيد ياماموتو إلى الخارج". ثم رأت شيئًا غفلت عنه قبل: أحد أصابع يده السمينة أقصر من الأصابع الأخرى.

هيروكازو ياماموتو يفتقد على الأقل نصف خنصره الأيمن.

57

عدّلت جيسيكا وضع الطاولة، وأعادتها مرة أخرى إلى مكانها. كانت وحيدة في الغرفة لكن الجو المكهرب لا يزال قائمًا، ولا تزال تشعر بالأدرينالين يتصاعد ويسري في جسدها. حدث الكثير من الأمور المثيرة على مدى فترة قصيرة جدًا. في البداية اعتدى أحدهم عليها بالضرب وهي تركض، ثم على الدرج بالقرب من منزل ليزا، والآن هُددت جسديًا من قبل ثور غاضب، من قبل رجل، من قبل أب يبحث عن ابنته، من قبل أب تمكنت من استفزازه بأسئلتها.

عاد يوسف إلى الغرفة، وأغلق الباب خلفه. استند إلى الحائط، وذراعاه مطويتان على صدره. قال بهدوء: "ماذا حدث بحق الجحيم يا جيسيكا؟ هل أنت بخير؟ كان بإمكاننا اعتقاله بسبب ذلك".

"لفقدان صبره؟ وماذا بعد ذلك؟".

"ما الذي قلته له بالضبط؟".

قالت جيسيكا وهي تحك صدغيها: "ضغطت عليه قليلًا. ماذا عن زوجته؟".

هزّ يوسف رأسه.

سألته جيسيكا وهي تجلس مرة أخرى: "لا شيء؟".

قال يوسف وهو يقترب ويلف أصابعه حول الجزء الخلفي من الكرسي المقابل: "لا".

حدقت جيسيكا إلى الملصقات المؤطرة التي تخبر الركاب بما يسمح لهم حزمه في حقائبهم والمبالغ التي يجب أن يعلنوا عنها، تأتي هذه التعليمات بعد فوات الأوان بالنسبة إلى أي شخص يجلس في هذه الغرفة. سبق السيف العذل.

"هيروكازو ياماموتو هو رجل عصابات سابق". تدفقت الكلمات كما لو أنَّ جيسيكا كانت تحبس أنفاسها.

"هل جاءت هذه المعلومات من اليابان؟".

"لا".

عبس يوسف: "من أين إذًا؟ هل تقولين لي إنَّه اعترف بأنَّه ينتمي إلى المافيا اليابانية؟".

رفعت جيسيكا يدها اليمنى، وأرته خنصر يدها الأيمن. متظاهرة بأنَّها تقص طرفه.

"يوبيتسوم. تقليد قديم بين المجرمين اليابانيين. إذا أخطأ أحد أعضاء الياكوزا، المافيا المحلية، عليه أن يقطع خنصره. أعتقد أنَّه لم يعد شائعًا الآن، لكنني متأكدة أنه كان شائعًا في أواخر التسعينيات".

"هل يفتقد جزءًا من إصبعه؟".

أومأت جيسيكا برأسها: "كنت متأكدةً في البداية من أنَّه كان يهرب من الشرطة، أو سلطات الضرائب أو شيء من هذا القبيل. بدا أن لديه الكثير من المال عندما انتقل إلى هنا، ولكن ربما كان يهرب من الياكوزا".

جلس يوسف: "هل هذا يعني أن الشبح هو مجرم مرسل من قبل الياكوزا؟ يريدون الثأر من الرجل العجوز لذا اختطفوا ليزا؟ ربما يحتجزونها رهينة ليخرجوا الأب من مخبئة".

أومأت جيسيكا برأسها: "يبدو هذا معقولًا بالنسبة إليّ".

قال يوسف: "اللعنة". ابتسم بارتياح ثمَّ أصبح جادًا تمامًا. "ولكن لماذا كان عليه أن يشتري اللوحات من ليزا أولا؟ ويتصل بها عدة مرات؟ وما علاقة جيسون نيرفاندر بأي من هذا؟".

قالت جيسيكا: "أو أولغا بلوسوفا، أو كامبو". دفنت وجهها بين يديها، وأسندت مرفقيها على الطاولة.

"من ناحية أخرى، إذا كان كل هذا صحيحًا، إذا كان الشبح يريد والد ليزا..." أشار يوسف بإبهامه نحو الباب وأكمل: "علينا أن ننتبه إلى ياماموتو! قد..."

نظرت جيسيكا إليه: "إنّنا نقوم بذلك فعلًا".

رفع يوسف ذراعيه مستفسرًا.

وتابعت جيسيكا: "أمرت الشرطة العسكرية في المقر بمراقبته، سيظلون مع ياماموتو طوال اليوم".

أبدى يوسف إعجابه بتصرفها، وسحب علبة صغيرة من جيبه، ووضع بعض حبات من حلوى النعناع في فمه. "كيف عرفتِ؟"

"ماذا؟".

تكسرت واحدة من حبات الحلوى الصلبة بين أسنان يوسف: "إن هناك شيئًا غامضًا حول والد ليزا؟".

سمعت جيسيكا السؤال، لكنها لم تجب عليه.

"ما؟" تابع يوسف: "ما الذي قاله لك بالضبط صديقك؟".

"قال دومينيس إن ياماموتو حاول الضغط على ليزا للانسحاب من وسائل التواصل الاجتماعي". بدا واضحًا أن الرجل لديه ما يخفيه، اعتقد أنَّ عمل ليزا كان علنيًا جدًا ومحفوفًا بالمخاطر".

وقفت جيسيكا وهي تنظر وتفكر للحظات في ما إذا كانت ستنظف الفوضى على الأرض قبل أن تعيد هي ويوسف الغرفة إلى حرس الحدود.

"قال دومينيس؟ وكيف عرف دومينيس هذا؟".

"وثقت ليزا به".

صفق يوسف بيديه معًا ابتهاجًا: "فأقام معها علاقة جنسية".

"من الواضح أنَّه لم يفعل".

"هيا يا جيسي، لا يمكنك أن تكوني ساذجةً إلى هذا الحدّ".

قالت وهي تسير نحو الباب: "لماذا لا ننسى دومينيس وليزا وما إن كانا قد أقاما علاقة جنسية أم لا ونعود إلى العمل".

هزّ يوسف رأسه وتبعها إلى الممر: "أصبحت سوداوية يا جيسي. أنت فريسة بين براثن اكتئابك!" ضحك يوسف، لكن جيسيكا لم تستمع إليه. كانت قد اختارت رقم توسي من قائمة أرقام الهواتف على هاتفها ورفعت الهاتف إلى أذنها. وبعد لحظة، رد رجل ذو صوت متعب على الهاتف.

"معك جيسيكا نيمي".

"أعرف". بدا صوت توسي وكأنّه يتمطمط. "لقد حفظت رقمك. أنا لا أجيب على المكالمات من الأرقام التي لا أعرفها".

"سؤال سريع، هناك صورة سيلفي لك ولليزا على صفحتك على الإنستغرام من شهر أيلول".

"نعم، ما بها؟".

"أين التُقطت الصورة؟"

"في منزل ليزا".

"في تولو؟".

"نعم، في غرفتها. ما دخل هذا بما يحدث هنا؟" ضحك توسي ضحكة مكتومة وأكمل: "هل أحتاج إلى محام؟".

قالت جيسيكا قبل أن تنهي المكالمة: "إنني أشك في ذلك. على الأقل ليس بعد..."

عبرت ويوسف المقر، واتجها نحو الأبواب. كان على يوسف أن يسرع لمواكبتها.

"من كان هذا؟".

"نورديك سلم شادي".

"كيكس مايس؟ هل من تطورات؟"

توقفت جيسيكا بالقرب من الأبواب، وشاهدت الرجال في سترات صفراء يوجهون حركة سيارات الأجرة في الخارج. "لقد وجدت صورة له وليزا على صفحته على الإنستغرام أمس. يبدوان في الصورة مقربين إلى بعضهما لدرجة زائدة عن حدها بعض الشيء. لا أعرف لماذا أزعجتني. أردت فقط أن أسأل كيكس عن ذلك".

"جيسيكا، هؤلاء الرجال يتصنعون كل شيء، ويتخذون هذا مهنةً لهم، لا يمكنك استخلاص أي استنتاجات من تصرفاتهم".

"أعرف، لكن مايس كذب عليّ. قال إن الصورة التقطت في غرفة نوم ليزا، على الرغم من أن الجدران في غرفتها بيضاء وليست داكنة".

أرت جيسيكا الصورة ليوسف. ألقى نظرة، لكنه لم يبدُ مقتنعًا. "لا أعلم، هذا ضعيف جدًا يا جيسي. رأيت كل ذلك الطلاء في منزل ليزا وإيسي. ربما طلت الغرفة منذ التقاط الصورة".

أدركت جيسيكا أنها غاضبة، لكنها ليست متأكدة ما الذي يغضبها.

قالت وهي تخرج عبر أبواب المطار المنزلقة: "يمكن لراسي أن يمارس سحره ليؤثر في هذا الشأن أيضًا".

58

كان جو غرفة الاجتماعات مفعمًا بالتوتر؛ وليس هناك قطرة من روح الفريق المريحة التي سادت في يوم ذكرى إرني. عرفت جيسيكا أنه يمكنها لوم هيلو جزئيًا فقط. فبعد كل شيء، تعتبر ممارسة العلاقة مع حبيب زميلتك في العمل طريقة لا تضاهى لتسميم بيئة المكتب.

من الواضح، أنها ستضطر إلى أخذ نينا جانبًا، وإجراء محادثة خاصة معها، لكن من الصعب العثور على اللحظة المناسبة لما قد يكون لقاء محرجًا بشكل لا يصدق. إما أن تفعل جيسيكا ذلك، أو تبقي رأسها مدفونًا في الرمال خجلًا في كل مرة ينهض فيها شخص ما. نظرت إلى نينا التي كانت تسحب ملعقة وبيضتين مسلوقتين ملفوفين في مناديل ورقية من حقيبتها. وجبة خفيفة غريبة. إنها الطريقة النموذجية التي تتصرف وفقها نينا.

ابتسمت جيسيكا بشكل غير محسوس تقريبًا، وهي تراقب نينا تضع البيض على الطاولة. مارست نينا رياضة الجودو منذ الصغر، والتمارين المتسقة واضحة ليس فقط على ذراعي نينا النحيلتين، ولكن في الطريقة التي تقف بها، وتتحكم في جسدها، وتباشر المهام اليومية. على الرغم من أن بنيتها الجسدية تجعلها آلة قتل حقيقية، إلا أن الأمر انتهى بنينا وهي تعمل في أقل الأقسام حاجة لأن تكون قوي البنية في الوحدة: في قسم تمشيط مصادر الأدلة باستخدام العدسة المكبرة.

قالت هيلو وهي تتلاعب بشحمة أذنها: "حسنًا، سيداتي وسادتي، كما يقول كيكس في أغنيته: الشبكة تزداد إحكامًا حولنا". عضَّت جيسيكا شفتها لمنع الابتسامة المتكلفة من الظهور على وجهها. لقد فوجئت بأن المشرفة ذات الشعر الأشيب كرست هذا الجهد لحفظ كلمات كيكس بهذه الدقة.

كان باقي أعضاء فريق التحقيق موجودين في الغرفة أيضًا: راسموس ويوسف وهارغولا، الذي يرتدي الجينز الباهت وبلوزة ذات ياقة مدورة سوداء. في بداية الاجتماع، قام يوسف بدوره في إثارة التوتر من خلال سؤال هارغولا عما إذا كان يخطط لإطلاق جهاز آيفون جديد خلال الاجتماع. لم يبدُ أن هارغولا يمانع مقارنته بستيف جوبز فقد ابتسم ابتسامة باردة تشبه ابتسامة الموناليزا.

هذا مضحك يا يوسف. نكتة مضحكة

قالت هيلو: "من فضلك يا جيسيكا، أخبرينا بالمستجدات".

فتحت جيسيكا دفتر ملاحظاتها، وقرأت من ملاحظاتها المكتوبة بخط اليد.

"تمكن راسي من تعقب اثنين من أتباع ليزا الذين جرّبوا العلاج بالكامبو. لقد أجريا تحليلًا للدم هذا الصباح وتبلغنا بنتائج التحليل. لم يكن أي من الأدوية المكتشفة في عينات الدم مطابقًا لتلك الموجودة في جسد أولغا بيلوسوفا".

"لا شيء من الأدوية؟".

"وجد في تحليل إحدى العينات أثر للحشيش، لكنني أشك في أن هذا وثيق الصلة بالتحقيق".

إذا حكمنا على الموقف من خلال النظرة على وجه هيلو، كنا سنعتقد أن جناية خطيرة كانت موضع تساؤل.

لكنها تنهدت بعمق فحسب ردًا على ذلك.

واصلت جيسيكا: "وهو ما يدعم الافتراض بأن رودريغيز باع علاجين مختلفين في منتجعه الصحي. حتى الآن، لا نعرف ما قدمه وإلى من قدمه وما إذا كان بعض زبائنه قد طلبوا الكوكتيل الأكثر فاعلية عن قصد".

نظرت جيسيكا إلى كل المتحلقين حول الطاولة، ثم عادت إلى ملاحظاتها.

"خوسيه رودريغيز، الذي قُتل أمس في منتجعه الصحي، لديه سجل نظيف للغاية. لم يعثر على أي مخدرات في منتجعه، ولكن المكان نُهب وهناك شيء ما قد

أُخذ بشكل واضح عن الرفوف. بالإضافة إلى ذلك، عُثر على آثار مخدرات على بعض الأواني الزجاجية والأطباق الأخرى". نقرت جيسيكا فوق صورة لمسرح الجريمة ليراها الجميع. "لم يكن هناك شيء مفقود: هاتفه على الأرض، ومحفظته في جيبه، وبضع مئات من اليوروهات في الصندوق. يمكننا استبعاد إمكانية ارتكاب جريمة قتل بدافع السرقة".

سألت هيلو: "هل وجدت أي شيء آخر في المنتجع؟".

"ليس بالتحديد، كان هنالك معطف واقٍ من المطر أصفر معلق على الحائط، مع زجاجة من رذاذ التنظيف في الجيب".

نظرت هيلو إلى عيني جيسيكا: "وهل أثار ذلك أي شكوك لديك؟".

"في الواقع، نعم. الانطباع الأولي هو أن المعطف الأصفر الواقي من المطر لا يبدو للضحية، ويشير رذاذ التنظيف إلى أن رودريغيز - إذا كان المعطف معطفه - أراد تنظيف آثاره. أين ولماذا... هذا لغز آخر".

سألت هيلو: "ألم يكن هناك قطعة قماش في الجيب؟".

هزّت جيسيكا رأسها.

سألت نينا: "هل رأى أي شخص الجاني؟". ضربت البيضة بالملعقة وبدأت تقشيرها. تكسرت قشرة البيضة المسلوقة بسرعة بين أصابع نينا القوية.

قالت جيسيكا: "لا، لم يتقدم أحد بصفته شاهد عيان، وليس هناك كاميرات في الموقع. كان هناك دفتر مواعيد على المكتب، حيث أشار رودريغيز إلى جلسات زبونه القادمة".

تدخلت هيلو: "ربما كان اسم القاتل في دفتر المواعيد".

نظرت جيسيكا بغضب إلى مديرتها، ولم تستطع إلا أن تفكر بكلمات أغنية أخرى من أغاني ماسي التي يقول فيها "اقتلها قتلًا رحيمًا بهدوء". قالت جيسيكا بطريقة دبلوماسية قدر الإمكان: "لو كان الأمر كذلك، لكان مطلق النار قد أخذه بلا شك عندما غادر المكان".

فشلت دبلوماسيتها. نظرت إليها هيلو بنظرات قاتل يكاد ينقض على فريسته. لو كانت العيون تنطق لقالت عينا هيلو: *لا تتجرئي على إذلالي أمام وحدتي يا نيمي، اللعنة عليك.*

عندما وصلت جيسيكا إلى المقر في ذلك الصباح، أذهلها الإحساس الغريب بأن شيئًا ما قد تغير. كانت على يقين من أنَّ عيني هيلو لا تشعان بالازدراء والكراهية الآن فقط، ولكن بالابتهاج والغبطة أيضًا.

قال هارغولا: "الشبح هو مطلق النار". فلم يحتج أحد.

لكن النظرة على وجه راسموس تفيد أن الفكرة تزعجه.

قالت جيسيكا: "تحدث يا راسي".

نظر راسموس إليها برعب: "أنا؟ ما كنت أريد أن أقول شيئًا".

أصرت جيسيكا: "لا، قل ذلك فحسب". راسموس رجل قليل الكلام، ولكن كلماته القليلة تستحق دائمًا الاستماع إليها. تعلمت جيسيكا قراءة المواقف التي تحتاج فيها إلى تشجيع راسموس على مشاركة أفكاره. أفكاره مثل الأفكار التي تخطر على بال المؤلف في منتصف الليل: إذا لم يدوّنها على الفور، فقد تضيع إلى الأبد.

ازدرد راسموس لعابه بصوت مسموع، ونظر إلى نينا للحصول على الدعم. إما ذلك، أو أنه كان يحدق إلى البيضة التي التهمت نينا نصفها للتو. انبعثت الرائحة الكريهة في الغرفة.

بدأ راسموس: "في الواقع، نحن لا نعرف الكثير عن الشبح، كل ما نعرفه هو أنه على اتصال مع ليزا واشترى لوحة المنارة..."

ضحك هارغولا: "ألا يجعله ذلك القاتل؟ ما الذي نحتاج إليه أكثر من هذا؟".

لم يجب راسموس على الفور، فبالنسبة إليه، الصمت القصير بمثابة ممتص للصدمات. ثمَّ قال: "ليس بالضّرورة. عد إلى الوراء وفكّر في القضية من البداية. إذا نشرت ليزا معلومات عن الكامبو على وسائل التواصل الاجتماعي، وافترضنا أنَّ

الشبح مسؤول عن اختفائها... فلماذا أطلق النار على خوسيه رودريغيز؟".

قالت هيلو: "ربما أراد الشبح وضع حدّ لكل شيء؟".

بدا راسموس مندهشًا: "هل تقصدين أن الشبح مؤسسة خيرية؟ رجل يحقق عدالته..."

ابتسم يوسف وقال: "ديكستر، باتمان، طرزان".

همست نينا وهي تحشر بقية البيضة في فمها: "اللعنة".

"ذا افنغرز".

قالت هيلو بحدة، ولكن من دون أن ترفع صوتها: "اهدؤوا! ليس هناك جدوى من التكهن حول هذا. نحن بحاجة إلى المزيد من الأدلة. هل هناك شيء ملموس آخر؟".

أومأت جيسيكا برأسها، وتنحنحت، ثم قالت: "نينا وراسموس حققا فتحًا عظيمًا بالأمس...".

قال راسموس بهدوء بعد أن أبدت نينا انزعاجها: "لقد كانت نينا من قامت به".

قالت جيسيكا، وهي تعرض الملف الذي أرسله لها راسموس الليلة الماضية على الشاشة: "لا تزال هوية أكيفومي غامضة، لكن نينا اكتشفت المنطق الكامن وراء التسلسل 2511946، إنه يستخدم بمثابة علامة تصنيف على إنستغرام. تشير الأرقام الأخيرة في السلسلة إلى رمز البلد. على سبيل المثال يعني الرقم 2511946 السويد، ويعني الرقم 2511947 النرويج، بينما يعني الرقم 25119358 فنلندا. أيًا يكن الأمر، تظهر علامة التصنيف على صورة مطعم أو فندق".

بدت هيلو مفتونة بما يجري.

سأل هارغولا: "لماذا هذه المواقع؟".

"لا نعرف حتى الآن، لكن الأمر يتعلق بهذه القضية بطريقة ما، وبطرق أخرى أيضًا، ليس فقط من خلال حساب أكيفومي على إنستغرام. فينيكس من أهم عشرة مواقع في فنلندا. أشك في أن هذه مصادفة".

قال هارغولا: "يا إلهي المدير الذي تحدثتما إليه يا رفاق...".

قالت جيسيكا على مضض: "فرانك دومينيس".

شعرت أن فكرة كون الأمريكي ذي المظهر الخارجي الفظيع والسمعة المشكوك فيها هو الرجل السيئ في هذه القصة غير مرضية إلى أقصى حدّ وواضحة جدًا. رفضت جيسيكا استيعاب هذه الفكرة بالكامل.

إما ذلك، أو أنها تريد أن تصدق شيئًا لا ينبغي لها بأي حال من الأحوال تصديقه، وهو أنَّ براءة الروح تنتج من العذاب. لقد فعلت ذلك مرة من قبل في حياتها، ولماذا لم تفعل ذلك مع ميكائيل أيضًا.

قال هارغولا: "لا بد من أن فرانك دومينيس يعرف شيئًا ما".

قال يوسف: "أنا وجيسيكا سنتحدث إليه".

سألت هيلو: "ماذا عن حسابات الإنستغرام التي نشرت الهاشتاغ؟ من هؤلاء الأشخاص؟".

قال راسموس: "لاحظت نينا على الفور أنها جميعها ملفات شخصية مزيفة. لقد تمكنت من إثبات أنَّ الحسابات أُنشئت منذ سنوات في مصنع أوكراني للدمى الفلكلورية. بالطبع سأحاول تتبع المستخدم النهائي الذي أمر بإنشائها، لكنني أخشى أنهم قاموا بعمل جيد جدًا في محو مساراتهم".

سألت جيسيكا: "حسنًا، ماذا عن الفيسبوك؟ متى يمكننا توقع الحصول على المعلومات الموجودة على حساب أكيفومي؟".

هزّ راسموس كتفيه: "لا أعرف، آمل أن يتم ذلك قريبًا. لقد قدمت الطلب الليلة الماضية. الأمر نفسه ينطبق على اشتراك الهاتف المحمول للشبح، حتى الآن لم أتلق ردًا من السلطات اليابانية".

أومأت جيسيكا برأسها، ونقرت لتفتح الصورة التالية: "أثناء عملك على هذا، حاول جعل موقع الإنستغرام يستعيد أي صور حُذفت مؤخرًا من حساب ليزا. أيمكننا أن نقوم بذلك؟".

"إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، فمن الممكن تحقيق ذلك في غضون 30 يومًا من الحذف". بدأ راسموس في الكتابة على حاسوبه وأضاف: "سأقدم طلبًا آخر".

قالت جيسيكا: "وهذا رابع شيء ننتظر من السلطات الأجنبية مساعدتنا فيه، وهي في هذه الحالة اليابان".

ظهرت صورة على الجدار لرجل عريض الكتفين، ويشبه أنفه منقار النسر، ذي وجه مدور كبير بحجم طبق العشاء.

"هيروكازو ياماموتو، والد ليزا. كان اسمه هيروكازو كوندو. انتقل من اليابان إلى فنلندا مع ليزا عام 1998. وغيّر اسمه. علمت أن ياماموتو أصر أن تنسحب ابنته من مواقع التواصل الاجتماعي، بلهجة شديدة، لا بل ومهددة".

قالت هيلو: "من أين جاءت هذه المعلومات؟".

ازدردت جيسيكا لعابها بطريقة بالكاد يمكن ملاحظتها. في ظل معلومات اليوم، قد لا يكون فرانك دومينيس هو المصدر الأكثر مصداقية للحصول على المعلومات، لكن جيسيكا لا تفهم لماذا قد يختلق قصة والد ليزا. إلى جانب ذلك، لقد دعمت الطريقة التي ردّ بها ياماموتو في المطار تصريح دومينيس. استعدت لمواجهة سخرية الفريق بأكمله، وحاولت أن تبدو شجاعة أكثر ما يمكن وقالت: "هذا ما أخبرني به دومينيس".

انفجر غامي هارغولا ضاحكًا، ولم تبدُ هيلو مقتنعةً بشكل خاص أيضًا.

سارعت جيسيكا إلى التوضيح: "لقد ائتمنت ليزا دومينيس بشأن هذه المسألة. كانا صديقين".

قال هارغولا بسخرية: "صديقان! إنهما أشبه بعجوز غني ومدونة شابة مثيرة".

نظرت جيسيكا إلى يوسف الذي تعرف أنَّه يفكر على بالطريقة نفسها. لكن يوسف لم ينضم إلى السخرية منها، ليس الآن بعد أن انقلبت الأمور على جيسيكا.

شكرًا لك يا يوسف.

"في هذه الحالة، أعتقد أننا يمكن أن نفترض أن دومينيس يقول الحقيقة، وأن ياماموتو لديه سبب ما لإخبار ليزا بالتوقف عن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي. أظن أنه خائف من أن يجده شخص ما، شخص ما ترك اليابان في الأصل للهرب منه. وقد يكون هذا هو سبب اختفاء ليزا".

قال يوسف قبل تناول رشفة من القهوة: "أخبريهم عن الخنصر".

أومأت جيسيكا برأسها، وتوقفت لفترة كافية لإثارة اهتمام الآخرين: "هيروكازو فقد جزءًا من خنصره".

قال راسموس بهدوء: "ياكوزا".

يبدو أن الجميع يعرفون ما يشير إليه، وهو أمر غير مضمون أبدًا، حتى في ما يتعلق بالوحدة: فقد أخطأ أحد أعضاء إدارة الشرطة ذات مرة، واستبدل كلمة الياكوزا بالجاكوزي في مؤتمر صحفي، وحتى يومنا هذا لا يزال الناس يتحدثون عن هذا الخطأ.

قالت هيلو: "هذا يعني أن ياماموتو هو رجل عصابات سابق؟ ربما يكون في برنامج حماية الشهود؟".

تنفست جيسيكا الصعداء: "بالضبط. هذا من شأنه أن يفسر استياءه من نشاط ليزا على وسائل التواصل الاجتماعي. لهذا طلبت المساعدة من الشرطة العسكرية، ظل اثنان من العملاء في ثياب مدنية يراقبان عائلة ياماموتو منذ مغادرتهما المطار. إنهما يبلغانني بالمستجدات، وسيتدخلان عند الحاجة إذا رأيا شيئًا مريبًا".

فجأة، قالت هيلو: "ممتاز". ثمَّ وقفت وأكملت: "نحن نُحرز تقدّمًا. حسنًا. لديّ اجتماع مع رؤسائنا الآن. ابقني على اطلاع، حسنًا؟".

لم يعترض أحد، فغادرت هيلو الغرفة.

وقفت جيسيكا هناك. تسمع قوائم الكراسي حولها وهي تحتك بالأرض بينما يقف المحققون على أقدامهم ويمددون أطرافهم. لم يبق أحد سوى نينا، بدا أنها تفكر في شيء ما. في بداية العام، كانت جيسيكا تسألها عما يدور في ذهنها. لكن من

الصعب اتخاذ هذا النوع من المبادرات الآن. اللعنة، كوني الشخص الأوعى يا جيسيكا.

قالت جيسيكا بصوت غليظ: "ما الذي تفكرين فيه يا نينا؟".

نظرت نينا إلى جيسيكا! لو كانت النظرات تقتل، لكانت جيسيكا تحت الثرى الآن.

في النهاية، قالت نينا بلهجة باردة برودة الثلج: "حدث شيء ما. قال نيكولاس بونسي، القس الذي أبلغ عن اختفاء جيسون نيرفاندر، إنه على حدّ علمه لم يكن جيسون عنيفًا أبدًا، إلا أن تعاطيه للكحول غالبًا ما أدى إلى إخفاقات أخلاقية، وهو مصطلح مثير للاهتمام جدًا للتعبير عن الخيانة".

من الواضح أيضًا أنَّ كلامها كان بمثابة سكين في وجه جيسيكا، لكنَّ جيسيكا تجاهلتها. "وماذا أيضًا؟".

"نيكولاس بونسي نفسه متخصص بالجنس ومعالج جنسي يقدم المشورة للشباب بشأن القضايا المتعلقة بالجنس، بالإضافة إلى كونه قسيسًا. أنا أتساءل لماذا كان هو وجيسون مقربين من بعضهما. قس في أواسط العمر ومدوّن ملحد يصغره بخمسة عشر عامًا، ويحب جلد الناس أو أن يُجلد".

"هذا غريب بعض الشيء، أعترف، ولكن..."

"عندما قابلت بونسي، ادعى أن جيسون كان نشطًا في أعمال شبيبة الرعية، وبهذه الطريقة تعرفا إلى بعضهما. لذلك أجريت مكالمتين واكتشفت، أن جيسون ناشط في عمل الشبيبة، ولكن ليس في الرعية، بل في مؤسسة الرفاه الجنسي. لا ترتبط بأي حال من الأحوال بالكنيسة. يبدو أن بونسي لم يُشرك نيرفاندر في أنشطة شبيبة الكنيسة حتى وقت لاحق".

"هل كذب نيكولاس بونسي بشأن كيفية لقائهما؟".

"ربما اضطر إلى ذلك، لأنه لم يرغب في الكشف عن أنهما التقيا في سياق العلاج الجنسي. ماذا لو أخبر جيسون بونسي عن ميوله أو إحباطاته الجنسية؟

كاهتمامه بالسادية أو المازوشية؟ ماذا لو لم يكن لدى جيسون ميول سادية أو مازوشية فحسب، بل اهتمام بفتيات المدارس، وماذا لو كان قد اعترف بذلك للقس؟".

كان يوسف واقفًا عند المدخل، ولكنه عاد الآن إلى الطاولة مفتونًا بالحديث.

"استنادًا إلى محتويات خزانة جيسون، يمكننا القول إن المجلات الإباحية أو حتى مواعيد موقع تندر العادية لن تلبي رغباته، أليس كذلك؟ ربما هذا هو السبب الوحيد لوجوده في أورينكولاهتي تلك الليلة، لأنّه دفع لامرأة. لأنه لم يستطع مساعدة نفسه. ولكن وسط كل شيء، أصيبت أولغا بنوبة قلبية. حاول جيسون إنعاشها. لكنه فَشل. ثم كان عليه أن يختفي".

قالت جيسيكا مشجعة: "هذا مثير للاهتمام، لكن هذا لا يفسر سبب نشر تلك المنشورات على حساب الإنستغرام الخاص به".

"لا، لكنني أعتقد أنه يجب علينا إجراء محادثة أخرى مع نيكولاس بونسي. ربما لم يشعر بأنَّ عليه الخوض في التفاصيل لأنه الراعي الروحي. أنا متأكدة من أنه يعرف شيئًا عن جيسون لم يخبرنا به بعد، وأراهن أن هذا الشيء هو فضيحة أكبر من فضيحة المطاط الأسود".

"سأذهب إلى كاليو بنفسي. شكرًا يا نينا".

أضاء هاتف جيسيكا على المنضدة. هناك رسالة نصية من إيسي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

59

نزلت جيسيكا وإيسي الدرج الذي يؤدي إلى حديقة صغيرة بالقرب من مقر الشرطة، ثم جلستا على طرفي المقعد، تاركتين بينهما مسافة متر واحد. منحهما المحيط الغني بالأشجار وأغصانها الخالية من الأوراق الاطمئنان، ووفر لهما مأوىً مناسبًا للحديث.

سحبت إيسي قبعة الصوف البيضاء فوق عينيها الكبيرتين الحزينتين. وضعت اليوم مستحضرات تجميل على وجهها أكثر مما فعلت في المرة السابقة، وبدت إلى حدّ ما أكبر سنًا وأكثر نضجًا من الشابة الباكية التي كانت تجلس على سريرها حزينة على زميلتها المفقودة.

قالت إيسي وهي تلقي نظرة سريعة على المكان: "أعتقد أنَّه كان بإمكاني الاتصال بدلًا من القدوم". من الواضح أنها مشوشة وخائفة، هذا أكثر شيء مؤلم في ما يتعلق بقضايا الأشخاص المفقودين: عدم اليقين الذي يُفسح المجال للخيال. يستنزفهم القلق بشأن الشخص المفقود، ولكن تثار أيضًا الأسئلة حول سلامتهم. إذا حدث شيء مروع لشخص قريب منك، فلماذا لا يحدث لك أيضًا؟

تابعت إيسي: "لكنني على أي حال كنت أتجه إلى منطقة باسيلا في القطار..." خلعت قفازها الأيمن، ومدت يدها إلى جيب سترتها الحمراء.

قالت جيسيكا: "لا بأس في هذا". ثم انحنت إلى الوراء، وانتظرت بصبر أن تقول إيسي ما يدور في خلدها.

قالت إيسي وهي تسحب شيئًا من جيبها: "هذا الأمر برمته غريب حقًا".

رأت جيسيكا أنها تحمل كتلة من البلاستيك الأسود مع سلك طويل متصل بها، وعندما أمعنت جيسيكا النظر اكتشفت أنَّه شاحن هاتف محمول. شاحن نوكيا

قديم، من نوع لا تتذكر أنَّها شاهدت مثله خلال السنوات العشر الماضية. حتى إرني، الذي كان ينظر بارتياب إلى الابتكارات التكنولوجية، حصل على هاتف ذكي قبل خمس سنوات.

"في الحقيقة، لا أعرف من أين أبدأ". ضغطت إيسي الشاحن في يد جيسيكا وتنهدت بعمق. "ربما من الصوت..."

"الصوت؟".

"أتذكر سماع صوت صافرة في غرفة ليزا في بعض الأحيان... مثل تلك التي يصدرها جهاز إلكتروني، ولكن بدا ذلك في غير محله في هذا اليوم وهذا العصر. لم أفكر كثيرًا بالأمر. سألت ليزا عنها ذات مرة، فقالت إنها ربما صدرت عن بريدها الإلكتروني أو إشعار دفع من بعض التطبيقات..." تثبت جيسيكا عينيها على الشاحن العتيق.

تمتمت وكأنها تتحدث إلى نفسها: "لدى ليزا هاتفان. كان الشبح يبحث في غرفة ليزا عن الهاتف الثاني. لهذا السبب تسلل إلى الغرفة". شعرت جيسيكا أنَّ أطراف أصابعها بدأت تخزها. نظرت إلى الأعلى، ورأت إيسي تهز رأسها.

أكملت إيسي: "وعندما كان ذلك الرجل في غرفة ليزا بالأمس..." رأت جيسيكا أنها ترتجف: "... أعرف حقيقة أنه كان يبحث عن هذا الهاتف".

"ما الذي يجعلك تقولين هذا؟".

"لأنه وجده".

نظرت جيسيكا إلى إيسي بتساؤل.

"ذهبت إلى غرفة ليزا هذا الصباح. كان يزعجني. ماذا أراد من هناك بحق الجحيم؟ لقد اختطف ليزا بالفعل وفعل أي شيء... وعاد".

نظرت جيسيكا إلى شخص يأخذ كلبًا في جولة يقترب من مسافة بعيدة. ذكرها شيء ما في الرجل باعتداء صباح الأمس، ورائحة التنفس النتنة، وبراجمها التي تؤلمها. في ليلة الميلاد. تتذكر جيسيكا سماع نباح كلب وهي مستلقية على الأرض

المتجمدة، وكان صاحبه يناديه. لم تقبض الشرطة على الرجل المجنون المدمن على الكحول، على الأقل حتى الآن، لكنها بثت تحذيرات حول مهاجم في سنترال بارك في وسائل الإعلام.

حدقت جيسيكا إلى الرجل، هناك شيء غريب فيه. في الرجل الواقف عند موقف الباص، وفي المرأة العجوز التي اصطدمت بها.

"في تلك المرحلة، لم أفكر حتى في أي هاتف. بحثت في أغراض ليزا لفترة من الوقت، كنت في حالة هستيرية ومذعورة قليلًا. اعتقدت أنني إذا عرفت الغرض المفقود، فيمكنني مساعدة ليزا وربما مساعدة نفسي أيضًا..." أعادت جيسيكا تثبيت عينيها على إيسي وتنفست بعمق. يجب أن تبقى صامدة.

"ووجدت هذا..".

"كان هذا خلف إحدى الصور. تمت مصادرة معظم الأعمال الفنية. لم يتبق سوى بضع لوحات، تلك التي لم ترسمها ليزا بنفسها. كانت إحداها ملتوية بعض الشيء... لوحة من نوع لوحات أندي وارهول موضوعة إلى اليمين يمين الباب. نزعتها عن الحائط، ووجدت هذه العلبة الصغيرة خلفها".

بينما سحبت إيسي علبة سجائر، بذلت جيسيكا قصارى جهدها لإخفاء إحباطها وهيجانها. كيف أغفلت هي ويوسف والمحققون التقنيون المخبأ الخفي؟ راقبت إيسي وهي تخرج ولاعتها، وتشعل السيجارة المزروعة بين شفتيها. أضاء الطرف باللون الأحمر اللامع، مثل جمر نار المخيم، عندما توقفت إيسي عن استنشاق الدخان حبست أنفاسها. اختلطت الرائحة الكريهة بسرعة مع الهواء النقي.

حثت جيسيكا إيسي على المتابعة، وعندما لم يبدُ أنها ستواصل القصة بمبادرة منها سألتها جيسيكا: "مكان غريب لتخبئة هذا الشاحن؟"

"لا لم يكن بداخلها شيء... كانت مجرد فتحة شُقت في جدار اللوحة. لقد وجدت الشاحن خلف اللوحة التالية، وهذا ما جعلني أُفكّر في أنَّ الهاتف المحمول القديم سيتناسب تمامًا مع تلك الفتحة الصغيرة".

"هل تعتقدين أن الرجل الذي دخل شقتك وجد الهاتف وأخذه معه؟ لكنه لم يأخذ الشاحن".

"ربما أجبر ليزا على إخباره أين أخفت الهاتف. لقد غطى آثاره بوضع الصورة مرة أخرى، ولم يفكر في البحث عن الشاحن خلف الصورة المجاورة لها. وبعد ذلك عندما سمعنا ندخل و... ربما تتذكرين الباقي". كانت إيسي تتحدث بشكل غير واضح قليلًا، على الرغم من أنه لم يبدُ عليها أنها تتذاكى.

وضعت جيسيكا الشاحن في جيب معطفها. راقبتا في صمت الكلب من فصيلة شيبارد الأسود الكبير يمر أمامهما. عندها تنهدت جيسيكا.

الشيء المهم الآن هو الامتناع عن التكهن حول المشكلة مع زميلة ليزا في السكن. كل ما تحتاج إليه جيسيكا هو اكتشاف كل الحقائق، ويمكن أن تقف إيسي عقبة في طريقها.

قالت: "حسنًا". وهي تمد ذراعها اليسرى على ظهر المقعد. "من الواضح أن ليزا كان لديها هاتف نوكيا من التسعينيات، وكانت تتلقى أحيانًا رسائل نصية أو مكالمات عليه؛ أفترض أن هذا ما كنت تشيرين إليه عندما تحدثت عن أصوات تنبيه سمعتها قادمة من غرفتها".

قالت إيسي: "نعم". لوّن الطقس البارد خديها ببعض اللون الأحمر. وإن لم يكن اللون بفعل الطقس فهو بسبب العصبية.

"هل هذا كل شيء؟ ألم تري الهاتف أبدًا؟"

بدت إيسي مشتتةً، عيناها تتبعان ورقة شجر تهب عليها الرياح وهي تسقط على الطريق الرملي مثل عنكبوت أصفر ضخم. ثم أيقظت نفسها وكأنَّها سمعت السؤال بعد تأخر دام ثوانٍ معدودة.

قالت إيسي وهي تخرج هاتفها: "لا، لكنني متأكدة من أنَّ ليزا اتصلت بي منذ شهر منه".

"كيف تعرفين أن المكالمة جاءت من هذا الهاتف؟".

"لقد أضاعت هاتفها. دمّرها هذا بالطبع، وانزعجت لأن مهنتها تدور حول هاتفها ووسائل التواصل الاجتماعي. أيًا يكن الأمر، ظهر الهاتف أخيرًا؛ كانت قد تركته في منزل أحد الأصدقاء في الليلة السابقة. لكني أتذكر أنها اتصلت بي من رقم غريب، وسألتني أن أجلب لها هاتفها عندما أنتهي من العمل، لأنها كانت تعاني من أعراض ما بعد الثمالة، وتشعر أنّها ستمرض أو شيء من هذا القبيل. عندما سألتها من أي هاتف كانت تتصل، أجابت بأنه هاتف صديقتها، رغم أنه كان من المفترض أن تكون مريضة ومتعبة في المنزل. لم يكن هذا منطقيًا، عرفت أنها كانت تكذب. لكنني اعتقدت أنه كان هاتف شخص ما ولم ترغب في الإفصاح عنه".

"حسنًا، هذا يعني أنك لم تطرحي مزيدًا من الأسئلة؟".

"لا، لم أطرح مزيدًا من الأسئلة وقتها، لكن الأمر ظل يزعجني، جزئيًا لأنني ظللت أسمع صوت الصافرة قادمًا من غرفة ليزا أحيانًا. لذا ذات يوم حاولت الاتصال بالرقم. فسمعت الصوت في غرفة ليزا، قبل أن تحظّر رقمي، حينها علمت أن لديها هاتفًا ورقم هاتف آخر لم ترغب في أن يعرفه أي شخص لسبب ما، وأنها كانت تكذب عليّ طوال الوقت".

فجأة أخذت إيسي تبكي.

"ما الخطب؟". عندما استمرت الدموع في الانهمار، اقتربت جيسيكا منها، ووضعت يدها على كتف إيسي. "عليك أن تكوني قويةً الآن؛ هناك فرصة...".

"هذا ليس ما أبكي عليه". جففت إيسي عينيها بكم سترتها. لقد نسيت السيجارة بين أصابعها. وتدلى رماد بطول نصف سنتيمتر من طرفها. نظرت إيسي إليها، ونقرت سيجارتها بإصبعها، ورفعتها إلى شفتيها، وسحبت منها حتى أضاء طرفها باللون الأحمر مرة أخرى.

"جاءت ليزا إلى باب غرفتي، وبدت أنها شديدة الصرامة... لم تكن على طبيعتها على الإطلاق".

هل اتصلتِ بي منذ قليل؟

ماذا؟ لا، لماذا؟

"أرني مكالماتك الصادرة".

"كدت أختنق. في البداية قلت إن شحن بطارية هاتفي قد نفد، لا أعرف لماذا أخافني الموقف بشدة... كما أن ليزا كانت تتصرف بغرابة. أعتقد أنني افترضت منذ البداية أن الهاتف كان غريبًا بطريقة ما، ولم يكن من المفترض أن أعرف به. وكان الاتصال بالرقم بدافع الفضول".

"ماذا حدث بعدها؟".

"ليزا ليست غبية. بالطبع لم تدخل غرفتي، وتأخذ الهاتف لترى إن كان شحن بطاريته قد نفد، لكنها عرفت أنني أنا من اتصل. عرفت من ردّ فعلي. إنها تعرفني جيدًا. لقد وقفت هناك عند المدخل وهي تنظر إليّ. بعد ثانية، جاءت، وجلست على سريري، ووضعت يدها على كاحلي... وقالت إنه لا يمكنني إخبار أي شخص عن الرقم. وأنَّه عليَّ حذفه على الفور".

"هل سألتها عن السبب؟".

هزّت إيسي رأسها: "أنت لا تعرفين كم كانت ليزا غريبة. اكتفيت بالإيماء برأسي، وقلت لنفسي إنني لا أريد أن أعرف المزيد عن الأمر. فجأة ابتسمت ليزا، وقالت لنطلب شيئًا ونأكله. وكأنَّ شيئًا لم يكن. وكلما فكرت في الأمر، اعتقدت أنه لم يحدث أيضًا".

سألت جيسيكا وهي تأمل الحصول على إجابة بالإيجاب: "هل احتفظت بالرقم على هاتفك؟" قد يكون هذا الأمر مهمًا جدًا.

قالت إيسي: "لا. ولكنني كتبته".

فتحت إيسي محفظتها، وسلمت جيسيكا ورقة صغيرة صفراء اللون، كُتب عليها رقم هاتف.

كتبت جيسيكا بتكتم رسالة إلى راسموس. جد كل ما تستطيعه عن هذا الرقم. أولوية قصوى!! ثم أقفلت شاشة هاتفها.

تلعثمت إيسي: "آسفة لأنني لم أخبرك عن هذا من قبل، لكنني وعدت ليزا..."

قالت جيسيكا: "من الجيد أنَّك أخبرتني". هبَّت الريح، وهذا ما حملها على رفع ياقة سترتها ناحية ذقنها. "في مثل هذه المواقف، قد يكون من الصعب تحديد الأسرار التي يجب مشاركتها لتسهيل العثور على ليزا. لكنني متأكدة من أنها لن تنزعج إذا أخبرتنا بشيء يساعدنا في تحديد مكانها. أو ربما حتى... إنقاذ حياتها".

أسفت جيسيكا على الفور لإعطاء إيسي الأمل الذي لا أساس له.

"أعرف". أسقطت إيسي عقب سيجارتها، وأطفأته على الأرض بطرف حذائها الضخم الأصفر. ثم أخفضت كفيها ببطء، ووقفت، ومسدت طرف سترتها الوردية. بدت إيسي وكأنها فاشينيستا، إذ يبدو مظهرها الفائق الأناقة وكأنَّها ظهرت على غلاف عدد أيلول من مجلة فوغ. لا يعني ذلك أن جيسيكا تعرف أي شيء عن الموضة، فقد مر وقت طويل منذ أن حاولت مواكبة آخر صيحات الأزياء. كان أداء دورها صعبًا بدرجة كافية من دون أن تفيض خزائنها بخرق للمصممين المشهورين.

قالت إيسي: "لا أعتقد أن لديّ شيء آخر لأخبرك به".

نهضت جيسيكا عن المقعد: "لا يزال لديّ بعض الأسئلة لك".

نظرت إليها إيسي بخوف لفترة وجيزة، وكأنها لم تتوقع استمرار المحادثة.

واصلت جيسيكا: "والد ليزا. قلت إنك سمعت ليزا تتحدث اليابانية مع والدها".

"نعم؟".

"هل سبق لك أن قابلت والد ليزا؟ هل زاركما؟".

"أبدًا. ويبدو هذا غريبًا الآن بعد أن فكرت فيه. لكنهما تحدثا عبر الهاتف".

"وكيف تعلمين أنها كانت تتحدث إلى والدها".

"هذا ما قالته لي".

"من الناحية النظرية ربما كانت تتحدث إلى شخص آخر".

بدت إيسي مرتبكةً: "أظن ذلك".

"وهل أخبرتك ليزا يومًا عن رأي والدها في مهنتها؟".

هزت إيسي رأسها: "كلا، لماذا؟ ما الذي كان عليه أن يفكر فيه؟".

نظرت جيسيكا إلى الخلف. لا يبدو أن إيسي على علم بتهديدات الأب. أمن الممكن أن تكون ليزا قد ائتمنت فرانك دومينيس ولم تأتمن زميلتها في السكن؟ ما مدى قرب دومينيس من ليزا بالضبط؟

قالت جيسيكا: "حسنًا، سؤال آخر، هل سمعت من قبل عن الكامبو؟".

"الكامبو؟ الضفدع؟" للمرة الأولى ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي جيسيكا.

قالت جيسيكا: "نعم".

"تحدثت ليزا عن ذلك. وجرّبته أيضًا".

"هل جربته أنت؟".

"محال. بدا أمرًا مجنونًا تمامًا".

"وكيف كانت التجربة وفقًا لليزا؟".

"قالت إنه شيء جميل. يُطهر ويُشفي".

سألت جيسيكا: "هل لديك فكرة لماذا حذفت ليزا مؤخرًا جميع الإشارات إلى الكامبو من مدوّنتها والإنستغرام؟".

"ربما". التقطت إيسي بعض الوبر من قفازها وأكملت: "أعتقد أنها والرجل الذي يملك مكان الكامبو، خوسيه، تخاصما".

سألتها جيسيكا: "رودريغز؟ لماذا؟".

"قالت إن خوسيه لم يدفع لها".

"يدفع لها مقابل ماذا؟".

نظرت إيسي إلى جيسيكا كما لو كان فارق السن بينهما أكبر بكثير مما هو عليه، وكأنَّها كانت مجبرة على شرح الأمور لشخص بالغ أحمق.

"لقد كانت شراكة تجارية. كلما كتبت ليزا عن شيء ما، كانوا يدفعون لها مقابل نشرها عن طريق تقديم السلع أو الخدمات، والنقود أيضًا. هذا من الأشياء الأساسية في حياة المؤثرين".

"كان خوسيه رودريغيز زبونًا لدى ليزا، وليس العكس؟".

"نعم، من الناحية النظرية. لهذا السبب أرسلت ليزا فاتورة خوسيه إلى المجموعات، وحذفت أي منشورات تشير فيه إلى شركته".

سألت جيسيكا: "هل تعرفين الكثير عن كل زبائن ليزا؟".

ضحكت إيسي بهدوء: "بالتأكيد لا، لكن هذا الشيء المتعلق بالكامبو عالق في رأسي. لقد كان مجنونًا بالنسبة إليّ".

نظرت جيسيكا إلى السماء: "حذفت ليزا قبل اختفائها مباشرة كثيرًا من الصور الأخرى أيضًا. قرابة مئة صورة. هل تعرفين لماذا؟ ما هي الصور المحذوفة؟"

هزت إيسي رأسها. لا أعرف.

"هل أسديت لي معروفًا؟ خذي بعض الوقت اليوم للنظر في رسومات ليزا، وفكري إذا كان هناك أي شيء مهم وغيابه واضح. هل هناك شخص ما مرتبط بالصور المحذوفة، أو ربما شيء ما أو مكان ما؟ شيء ربما أرادت ليزا نفسها أو شخص آخر أن ينساه الناس؟".

قالت إيسي: "سأحاول، يبدو الأمر مستحيلًا إلى حدّ ما".

همهمت جيسيكا مدركة أن إيسي على حق: "ابحثي عن المنشورات... التي لم تعد موجودة..." الطلب سخيف تمامًا. "لن أضغط عليك. ألقِ نظرة على إنستغرام ليزا فقط". ارتعشت جيسيكا فقد أصبحت الأرياح قوية الآن. "شيء واحد أخير". سلمت الهاتف إلى إيسي: "وفقًا لتيم توسي، التقطت هذه الصورة في منزلك. في غرفة ليزا. لكن الجدران في غرفة ليزا بيضاء".

قالت إيسي بسرعة: "طلتها ليزا منذ فترة قصيرة، الشهر الماضي". ثم أعادت الهاتف. نظرت جيسيكا إلى إيسي، وعضت خدها من الداخل.

كان يوسف مُحقًا، لا يوجد شيء مميز في الصورة.

بينما كانت تزلق يديها العاريتين إلى جيبيها، نظرت إلى إيسي، وهي تفكر في مدى صدمتها عندما ستعلم أن خوسيه رودريغيز كان يرقد في المشرحة في هذه اللحظة بالذات.

60

تعرفت جيسيكا إلى الرجل من مسافة بعيدة، بالاعتماد على الوصف الذي أعطتها إياه نينا، ولكن بونسي لم يبدُ لها قصيرًا كما وصفته نينا، كان يرتدي رداء قسيس طويلًا وينتعل حذاء أسود بنعل مطاطي، ويحمل معطفًا أسود على ذراعه.

وقف بونسي أمام الواجهة الجنوبية لكنيسة كاليو، أعلى درج الغرانيت الذي يمتد إلى أسفل الشارع وبالتالي كان أعلى من تل أوبسيرفاتوري الذي يبعد مسافة كيلومتر ونصف الكيلومتر.

قالت جيسيكا وهي تصافحه: "المحققة جيسيكا نيمي".

"سبق لزميلتك المحققة روسكا أن أخبرتني عنك".

"أشكرك لأنك منحتني بعضًا من وقتك مع أنني لم أطلب موعدًا".

"تسعدني مقابلتك، على الرغم من القداس يوشك أن يبدأ..."

قالت جيسيكا: "ستكون المقابلة قصيرة، أريدك أن تجيب عن أسئلتي بصدق، وإن شكّلت إجاباتك انتهاكًا لخصوصية شخص ما".

بدا بونسي منزعجًا، ألقى نظرة إلى السماء التي تتساقط منها رقائق الثلج، وغطى نفسه بمعطفه. ثم نزل بضع درجات، وكأنه يريد أن يبتعد الكنيسة: "كيف يمكنني أن أساعدك؟".

قالت جيسيكا: "بأي صفة قابلت جيسون في الأصل، كقس أو كمختص في الجنس؟".

عضَّ بونسي ذو الوجه الكئيب شفته.

واصلت جيسيكا: "نحن نعلم أنَّ جيسون ملحد".

أجاب بونسي في النهاية: "قابلته بصفتي مختصًا بالجنس، لكنني لن أوافق تحت أي ظرف من الظروف على مناقشة محادثاتنا بمزيد من التفصيل".

قالت جيسيكا: "جيد. وإذا صادف أنني طلبت رأيك بصفتك مختصًا بالجنس، في أمور لا تتعلق بنيرفاندر على وجه التحديد، بل بشكل عام، فهل يمكنني الاعتماد عليك؟"

نظر بونسي بجدية إلى جيسيكا، كما لو أنها نصبت له للتو فخًا. ثم أضافت: "اعتقدت أنكم لا تحتفلون بالقداس هنا إلا في أيام الأحد". أومأت جيسيكا برأسها مشيرةً إلى الكنيسة وأكملت: "كان عليك أن تختلق عذرًا أفضل من هذا".

بدا بونسي مرتبكًا ثمَّ أخفض رأسه، وقال: "أنا آسف، لكنني أشعر أنني أفعل شيئًا خاطئًا بالتحدث إلى الشرطة عن شيء أخبرني إياه شاب بعد أن محضني ثقته..."

"أتفهم ذلك. لكن لنفترض أنَّنا ناقشنا الموضوع بشكل عام".

أشار بونسي إلى مقعد قريب، فجلسا عليه: "أي موضوع؟".

"حالات الهوس".

لم يحرك بونسي عينيه.

"هل تعرف الكثير عنها؟".

أومأ بونسي برأسه. استدار عندما سمع متشردًا طويل اللحية يصرخ عند التقاطع ويكيل الشتائم. "حالات الهوس. من المضحك أن تسألي عنها متخصصًا في الجنس وقسيسًا في الوقت نفسه.[1]". ضحك بونسي عندما نظرت إليه جيسيكا متفاجئة. "كلمة الهوس، كما ترين، في الأصل تعني تعويذة أو شيء متعلق بمعتقدات المرء، مثل هذا". سحب بونسي صليبًا ذهبيًا من تحت معطفه. "أما الهوس الجنسي -الذي أفترض أنك تشيرين إليه- فيتضمن اهتمامًا موجهًا بشكل

(1) للكلمة الإنكليزية fetish معنى الرغبة غير الطبيعية بشيء ما (الهوس) كما لها معنى آخر بمعنى تعويذة (المراجع).

خاص إلى شيء ما، على الرغم من أن موضوع الهوس يمكن أن يكون جزءًا من الجسم أو بعض السمات البشرية الأخرى. هناك مجموعة كبيرة من هذه الحالات الهوسية".

"مثل الهوس بالملابس؟".

"مثلًا".

"هل يعتبر الهوس الجنسي جزءًا طبيعيًا جدًا من النشاط الجنسي البشري؟".

مسَّد بونسي لحيته: "لن أقول إن الأمر بهذه البساطة. يمكننا التحدث عن الأشياء التي تعتبر بشكل عام مثيرة جنسيًا، على سبيل المثال، أثداء وسيقان النساء وعضلات البطن والعضلة ذات الرأسين لدى الرجال. لكن في بعض الأحيان تكون أهداف الشهوة الجنسية غير عادية لدرجة أن الغالبية تعتبرها غريبة. هذا هو السبب في أن الفرد الذي لديه هوس جنسي يتكتم عليه في أغلب الأحيان. أحد الأمثلة على هوس غير عادي، ولكنه شائع جدًا هو هوس الحفاضات، حيث يستخدم شخص بالغ حفاضات لأغراض المتعة الجنسية".

عبست جيسيكا. "هل هذا شائع فعلًا؟".

"نعم".

"لذا بصفتك مختصًا بالجنس، فقد واجهت كثيرًا من الأشخاص الذين لديهم رغبات تنحرف عن الاتجاه السائد".

أومأ بونسي بحزم: "كيف يمكنني شرح هذا... الانحراف ليس أفضل مصطلح لوصف الحالة. حصلت على شهادتي في علم الجنس في العام 1999. أنا متأكد أنك تتذكرين تلك الفترة، وقتها كان العالم مختلفًا جدًا. فقد عاش أصحاب الميول الجنسية الخاصة على الهامش، وكان جزء كبير من عملي يقوم على التحدث إلى الشباب وإقناعهم بأنه لا يوجد أي خطأ بهم، وأنهم بخير كما هم. عندما كان الهوس الجنسي مصنفًا على أنه مرض في فنلندا قبل العام 2011، وكذلك الحال مع السادية والمازوشية والتخنث... كان الناس يسعون بشدة إلى علاج شيء

لا يتطلب العلاج بأي حال من الأحوال. يمكن أن يكون ذلك صعبًا على الصحة العقلية والصورة الذاتية للفرد".

نظرت جيسيكا للحظة إلى عيني بونسي، كانت نظرتها محايدة تمامًا. لقد ذكر للتو السادية والمازوشية، ولكن لا شيء في سلوكه يشير إلى أنه انزلق في أي منهما. ربما لم يكن على اطلاع بميول جيسون. وربما لم يكن لميول جيسون أي صلة على الإطلاق بالتحقيق الحالي.

مدت جيسيكا يدها إلى جيبها، وأخرجت الصورة التي رسمتها ليزا ياماموتو: "ما رأيكِ في هذا؟"

أخذ بونسي الصورة. لجزء من الثانية، بدا لجيسيكا أن بعض الأفكار والذكريات تسيطر عليه.

أعاد الصورة: "ماذا... ما هذا؟".

"هل سبق لك أن صادفت هوسًا بالمانغا خلال مسيرتك المهنية؟".

"أعتقد ذلك".

"هل هو شائع؟".

"حسب فهمي، إنه أكثر شيوعًا في آسيا".

"فتيات المدارس عنصر متكرر في فن المانغا. هل هذا يعني أن هناك جانبًا من مرض الهوس الجنسي بالأطفال في هوس المانغا؟".

نظر بونسي بعيدًا. اختفى المتسكع طويل اللحية عن الأنظار، لكن صراخه لا يزال يُسمع خافتًا من مكان ما. "لا يشبه كثيرًا الهوس الجنسي بالأطفال، بل يشبه الانجذاب الجنسي للشباب على أعتاب مرحلة البلوغ. هذا الأمر واسع جدًا، عندما تفكر في مقدار المواد الإباحية التي يتم بيعها ومشاهدتها باستخدام مصطلحات البحث مثل الشباب أو المراهقين. أُجريت أبحاث كثيرة شيقة حول هذا الموضوع".

"وهل هؤلاء ذوو الهوس الجنسي المراهقين الذين يركزون على فن المانغا هم حصريًا من الرجال؟".

هزّ بونسي رأسه: "بالتأكيد الغالبية، لكن لدى النساء أيضًا مجموعة متنوعة من التفضيلات. حسب بعض التقديرات، فإن ما يصل إلى واحد من كل خمسة مهووسين جنسيين بالأطفال هم من النساء".

استوعبت جيسيكا هذه المعلومات، ثم أعادت الصورة إلى جيبها.

"شكرًا على وقتك. أريد أن أذكرك أنه إذا كنت تعرف شيئًا قد ينقذ حياة إذا شاركته معنا، فأنت ملزم بموجب القانون بالقيام بذلك".

نظر بونسي إلى جيسيكا، وتأوه بحزن، وأومأ برأسه: "صدقيني، أنا مدرك تمامًا لهذا".

مجددًا نظر إلى البعيد، الأمر الذي أعطى جيسيكا فرصة لدراسة وجهه الحائر. الندوب الموجودة على خديه صغيرة، لكنها عميقة. يبدو أنه عانى من حب الشباب الشديد أو الجدري في مرحلة ما. لا تناسب اللحية وجهه الصغير لدرجة أنها جعلتها تعتقد أنه نماها كقناع للتستر على الندوب نوعًا ما.

"يجب أَنْ أَذْهبَ الآن".

قالت جيسيكا: "بالطبع".

اعتمر بونسي قبعته، وتأرجح صعودًا على درجات الغرانيت، في الوقت الذي كانت تنظر فيه إليه، لاحظت أن الحذاء الجلدي يومض تحت الرداء. النعل المطاطي سميك بشكل ملحوظ. ربما كان المقصود منه تعزيز ثقة بونسي بنفسه.

أخرجت جيسيكا هاتفها من جيبها. أرادت أن تتصل براسموس، لكنه كان يتصل بها في الوقت نفسه.

"مرحبًا، كنت على وشك الاتصال بك".

"لدينا دليل من هاتف ليزا".

61

انحنت جيسيكا على مكتب راسموس، ونقرت بأظافرها على سطحه المصقول. كان عليه شاشتان، وكذلك مجموعة من التماثيل البلاستيكية. تتدلى على جدران مكتبه صورة مؤطرة لرجل فيكتوري مع مجسات تنبت من الياقة بدلًا من الرأس. *ما هذه الصورة بحق الجحيم يا راسي؟*

قالت وهي تكاد تفقد صبرها: "هل وجدت شيئًا؟" لاحظت أن لبانة النعناع فقدت نكهتها. في العادة، لا تستطيع تحمل اللبان، لكنها في هياجها أخذت قطعتين عندما قدم لها يوسف بعضًا منها في الممر قبل خمس دقائق.

"أتُريدين الخبر السار أو الخبر السيئ أوّلًا؟"

"أنا لا أهتم يا راسي. قله فحسب".

"الأخبار السيئة هي أن هاتف ليزا لا يعمل. يمكن لشركة الاتصالات عن بُعد إخبارنا بالمحطة الأساسية التي اتصل بها مؤخرًا، ولكن الأمر سيستغرق بعض الوقت".

"كالعادة، كنا ننتظر ما يقرب من يومين للحصول على معلومات من شركة الاتصالات وفيسبوك و..." تأوهت جيسيكا، ورفعت جانبًا الشعر الذي سقط على عينيها.

تابع راسموس مسرعًا، كما لو كان في حضرة كليوباترا الغاضبة التي سئمت الأعذار وهو يائس لتجنب غضبها: "الخبر السار هو أنَّ الرقم المدفوع مقدمًا أعطانا رمز التعريف الدولي لجهاز الهاتف المحمول. وفقًا لشركة الهاتف إنه من نوع من نوكيا 3210 –1999. طلبت أيضًا من مزود خدمة الهاتف المحمول أن يرسل لنا قائمة بالمكالمات المستلمة والصادرة. يجب أن نحصل عليه في أي لحظة الآن".

"هذه أنباء جيدة". تنهدت جيسيكا، وراقبت راسموس يعرض صورة لطراز الهاتف القديم على الشاشة. كان عندها واحد مثله في الماضي. ألم يكن لدى كل المواطنين مثله؟

قال راسموس: "هذا ليس كل شيء". نقر على شيء سينقلهم إلى وجهتهم التالية. "كنت أفكر في موقع ليزا الذي يسمى ماسايوشي.فاي وكيف واجهت الكثير من المتاعب لحذف محتوياته. لقد قامت بعمل شامل لدرجة أنه من المستحيل استعادة أي شيء احتواه الموقع. ولكن بعد ذلك..." سحبت جيسيكا كرسيًا من المكتب المجاور. "ماذا؟".

"الجواب سهل جدًا. كنت أجعل الأمر أصعب مما يجب أن يكون. لا يتعين علينا استعادة أي شيء أو استعادة أي بيانات من الأموات. الحلول لمواقف كهذه موجودة بالفعل على الإنترنت". قال راسموس وهو يبتسم: "هناك آلات للعودة في الزمن من نوع ما".

"آلات للعودة في الزمن؟". كانت ركبتا جيسيكا ترتجفان وكعباها يدقان الأرض. فقد استولى التشويق على جسدها، وكانت تشعر وكأن هناك اكتشافًا جديدًا في القضية قاب قوسين أو أدنى.

"أو أشبه بألبومات صور من الماضي. يمسح موقع يسمى أرشيف دوت أورغ مواقع الويب ويجمع البيانات منها في نقاط زمنية مختلفة. انظري". نقر راسموس مرة أخرى، وأدخل رابط الموقع في شريط العناوين، وبعد لحظة ظهرت على الشاشة الكلمات التالية بأحرف كبيرة: أرشيف الإنترنت طريقك للعودة عبر الزمن". أدخل راسموس رابط موقع ليزا في مربع البحث.

سألته جيسيكا: "هل حفظ البرنامج الموقع بالطريقة التي بدا عليها في عدة نقاط مختلفة خلال العام؟".

"بالضبط. يمكنني اختيار هذا العام... وحزيران... ومعرفة شكل الموقع حينها. لا يهم ما حذفته ليزا منذ ذلك الحين. هذا مثل صورة شخص ميت".

تمتمت جيسيكا مبهورةً: "الإنترنت لا ينسى أبدًا". وفجأة أصبح التحذير الذي سمعته مرات عديدة ملموسًا تمامًا بالنسبة إليها. *انشر شيئًا عبر الإنترنت، وسيظل موجودًا إلى الأبد.*

"انظري".

امتلأت الشاشة بصور فتيات.

قالت جيسيكا بهدوء، بينما كان راسموس يتنقل إلى أسفل الصفحة: "ماذا هذا بحق الجحيم..." تظهر المزيد من صور الفتيات في وضعيات إيحائية. كلهن يرتدين نفس الملابس: مثل شخصيات المانغا.

قال راسموس وهو يرفع نظارته: "إنه كتالوج. وها هي أولغا بيلوسوفا".

62

قالت جيسيكا: "حصل راسي للتو على هذه المعلومات من شركة الاتصالات". ثم استدارت نصف دورة حول الطاولة، حيث وضعت للتو مطبوعات مليئة بالأسماء وأرقام الهواتف. سحب هارغولا إحدى المطبوعات تجاهه. "ما هذه الأرقام؟".

أجابت جيسيكا: "كان لدى ليزا هاتف محمول سري طوال هذا الوقت. هذه هي المكالمات التي تلقتها. استخدمته أيضًا لكتابة الرسائل لأحد الأرقام. تشير البيانات إلى أنه تم شراء مزيد من وقت التحدث في تشرين الأول عام 2018 لخط مدفوع مقدمًا تم الحصول عليه في عام 2010. كان الحساب قيد الاستخدام النشط منذ ذلك الحين، بمعنى آخر على مدار عام".

قاطعها راسموس بلهفة: "الأسلوب دائمًا متشابه. تتلقى ليزا مكالمة من رقم. لا ترد، ولكن بمجرد أن تتلقى المكالمة ترسل رسالة نصية، دائمًا إلى الرقم نفسه، يبدو أن ليزا كانت تتصرف كوسيط من نوع ما في هذا الترتيب".

سأل هارغولا: "أليس هناك طريقة للوصول إلى محتويات الرسائل النصية؟".

هزّ يوسف رأسه. "للأسف. لا توجد طريقة لقراءة الرسائل الآن، حتى لو كان لدينا أمر استدعاء. ما لم نتمكن من وضع أيدينا على الهاتف الملعون".

قالت جيسيكا: "من المفترض أن الهاتف في حوزة الشبح الآن، وهو هارب. ربما يكون قد غادر فنلندا بالفعل".

قالت هيلو وهي تنظر إلى ساعتها الذكية: "انتظروا لحظة رجاءً. دعونا نعد خطوة إلى الوراء". بدت سيئة المزاج، على الرغم من الاحتمال الوشيك بحدوث اكتشاف كبير في القضية. "هل يمكنكم أن تشرحوا مرة أخرى ما الذي تأملون أن توفره بيانات المكالمات هذه؟".

قالت جيسيكا: "هناك عشرة أرقام هواتف. ولكن ما الشيء الآخر الذي يوجد عشرة منه أيضًا؟" لا يبدو أن إجابتها عن سؤال هيلو بسؤال حسّن حالة المشرف المزاجية.

قال هارغولا: "صور الإنستغرام التي عليها هاشتاغ ينتهي بالتسلسل العددي بالرقم 358".

"بالضبط".

قاطعه راسموس: "وجدنا أيضًا موقعًا تديره ليزا، www.masayoshi.fi، وكان يحتوي على كتالوج للفتيات عليه قبل شهرين. نعتقد أنه كان موقعًا لعرض بائعات الهوى". سعل في قبضته وتابع: "منذ ذلك الحين حذفت منه محتويات".

قالت نينا: "مثل مكتب استقبال وتنظيم؟ ليس من غير القانوني بيع أو شراء الجنس في فنلندا. لكن عمل القوادة غير قانوني". من المفترض أن يكون تفسيرها غير ضروري؛ فقد يفترض المرء أن المحققين الجالسين في الغرفة على دراية بالتشريعات ذات الصلة.

"مع ذلك، لم تكن هناك معلومات اتصال على الموقع". عرض راسموس صورةً من حاسوبه المحمول على الحائط الأبيض. رأى المحققون الستة فتيات يرتدين ملابس المانغا يغازلن الكاميرا ويقفن بشكل مغر. "مجرد أسماء. أو أسماء وهمية، بالأحرى. كما ترون، صديقتنا الأوكرانية تدعى مياموتو".

عبست هيلو: "ليس هناك معلومات للاتصال؟".

أجاب راسموس: "لا. كما ذكرت نينا، بيع الجنس ليس جريمة، ولكن هذا يعني أن موقعًا مثل هذا يجب أن يحتوي على أرقام أو عناوين بريد إلكتروني مباشرة للنساء اللواتي يقدمن الخدمة. ولكن إذا ظهر رقم هاتف واحد فقط على الموقع..."

أنهت هيلو جملة راسموس: "... هذا يعني أن هناك قوادًا".

واصل راسموس وهو يمرر إلى أعلى وأسفل الشاشة: "ولكن هذا الموقع لم يكن لديه ذلك حتى... إنه كاتالوغ من دون أي وسيلة للشراء".

قالت جيسيكا: "وهذا يعني أن الاتصال بين المشتري والقواد يجري من خلال قناة أخرى".

حدق راسموس إلى السقف، وربما بذل جهدًا لتجنب النظر إلى حاسوبه المحمول أو الصورة المعروضة على الحائط.

قال هارغولا بصوت عالٍ بما يكفي حتى يسمع كل من في الغرفة: "ماذا؟" ثمَّ مد ذراعيه، والآن بعد أن أصبحتا في الهواء، بدت أطرافه تشبه أطراف إنسان الغاب.

نقلت جيسيكا نظرتها من ذراعي هارغولا إلى هيلو، ولاحظت أنها تومئ راضية لحيوانها الأليف وهي تقول: "يبدو أن نظرية هارغولا كانت دقيقة. كانت أولغا بيلوسوفا بائعة هوى".

خيّم صمت مطبق على الغرفة، طوت جيسيكا ذراعيها على صدرها. لم يشكك أحد في مهنة أولغا في أي وقت أثناء التحقيق، ولكنهم تساءلوا عن الأسباب والظروف التي أدت إلى فقدان حياتها.

في النهاية تابعت: "أيًا يكن الأمر، منذ خمس وأربعين دقيقة، بدأ راسموس والتكنولوجيا في ربط الأرقام التي نراها في هذه القائمة بالفنادق والمطاعم. لم تُجرَ المكالمات مباشرة من أرقام الشركات الداخلية -وهو إجراء احترازي مفهوم- ولكننا وجدنا بالفعل اتصالات غير مباشرة في أربع حالات. أنا متأكد من أنه بحلول الغد، سيكون لدينا دليل على المكالمات التي أُجريت على رقم ليزا السري من جميع المؤسسات العشر التي تحمل الهاشتاغ 25119358. كان البعض يتصل في كثير من الأحيان، بينما اتصل البعض الآخر مرة واحدة، كما هو موضح في القائمة".

سألت نينا: "وما هو دور ليزا ياماموتو في هذا؟". كانت تفرك معصميها كما لو أنه قد تم إطلاق سراحهما للتو من زوج من الأصفاد المشدودة للغاية.

قالت جيسيكا: "يبدو أنها استخدمت الإنستغرام لتوجيه الزبائن إلى المواقع التي وضعت الهاشتاغات عليها لطلب الخدمات. يتصل أحد من هذا الموقع بليزا، وهي تتعمد ألا ترد. ومن خلال الرقم الذي أجرين منه المكالمة، يمكن أن تعرف

ليزا الموقع الذي كانت الخدمات مطلوبة فيه، لذلك كانت ترسل رسالة نصية إلى القواد".

بعد فترة طويلة من الصمت قال يوسف: "وبعد ذلك يُرسل المرافق إلى الموقع؟ إلى المطعم أو الفندق حيث طلب الزبون؟ هذا غير منطقي. لماذا بحق الجحيم سيمر بالكثير من المتاعب - لماذا كل هذه السرية - إذا كانت الفتاة ستظهر في الفندق وكأنها دمية مانغا على أي حال. هذا مثل الهروب من زنزانتك والصراخ قائلًا إنك ستذهب إلى الحراس عند بوابات السجن!"

تدخلت هيلو: "ولكن ليس هناك حاجة لكل هذا التخمين يا نيمي. بما أننا نعرف المكان الذي أجريت منه المكالمات إلى هاتف ليزا. دعونا فقط نسألهم".

أومأت جيسيكا برأسها وهي تفكر أنَّ هذه هي الخطة بالفعل.

"نحن نجمع فرقة في المقر بينما نتحدث. سنبدأ من حيث تم إجراء الغالبية العظمى من المكالمات".

"أين؟"

"فينيكس".

63

نظر يوسف إلى الرجل ذي العضلات الجالس قبالته وسأله: "هل تُدخن؟".

يرتدي صاحب عالم بذلة رياضية حمراء مع خطين جانبيين من رأسه حتى أخمص قدميه، ويومئ برأسه. قدم له يوسف القداحة، ثم أشعل سيجارته.

سأل يوسف رغم أنه يعرف أن الرجل الآخر يحمل الجنسية الإيرانية بالإضافة إلى الفنلندية: "هل تمانع سؤالك من أين هي أصولك؟". إنها ليست المرة الأولى التي يستغل فيها يوسف خلفيته العرقية في محاولة لتأسيس صداقة حميمة مع شخص يستجوبه.

قال عالم بهدوء متخذًا وضعية أكثر استرخاءً في كرسيه: "لقد ولدت في هلسنكي".

همم يوسف بضع همهمات، ووضع منفضة السجائر بالقرب من وسط الطاولة. كانت قد نظفت للتو فسحبت خلفها مسحة مبللة، مثل الشيء اللزج الذي يتركه الحلزون خلفه. لم يعد التدخين مسموحًا به من الناحية الفنية أثناء الاستجواب، ولكن من الصعب العثور على شخص يشعر بأنه مضطر للشكوى من ذلك، خاصة وأن التدخين يريح المزاج، وبالتالي يسهّل الحصول على نتائج أسرع.

قال يوسف وهو يضع سيجارة بين أصابعه: "أنا من سودركولا، في سيبو".

"أنا أعرف سودركولا". كانت نبرة عالم جامدة، وكأنه يرحب بالضيف الألف على التوالي في النادي.

ضحك يوسف ضحكة مكتومة. "أعتذر، أبي من أثيوبيا".

قال عالم بجمود وهو يسحب سحبة من سيجارته: "لا بد أنها مكان لطيف".

تبادل الرجلان النظرات بصمت.

"حسنًا، لقد اكتفينا من المحادثات الصغيرة المحفزة والمجزية". نظر يوسف إلى كدسة الأوراق على الطاولة. "إذا أخبرتني بكل شيء الآن، فربما يمكنك التخلص من هذا الأمر بسهولة. لكن أسدِ لي معروفًا، وأسدِ لنفسك قبل كل شيء معروفًا ولا تبدأ في اختلاق الأخبار".

أخفض عالم السيجارة، ووضعها على الثلم في منفضة السجائر، وثنى ذراعيه على صدره. إنها لعبة بوكر عالية المخاطر: هناك أدلة كافية لربط الرقم المدفوع مسبقًا بعالم، ولكن بشكل غير مباشر فقط، فالهاتف المستخدم ليس باسم صاحب، بل باسم زوج أخته. الصلة بينه وبين الهاتف واضحة للغاية، بحيث لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة، لكنها شَرطية جدًا إلى درجة أنَّه لا تسمح للمحققين باعتقاله.

"أريد أن أعرف لماذا وتحت أي ظروف أجريت مكالمات على هذا الرقم". دفع يوسف نسخة مطبوعة عبر الطاولة. حُددت المكالمات التي يُفترض أن عالم أجراها باللون الأصفر، وطُمست الأرقام الأخرى بعلامة سوداء.

"هناك أكثر من عشر مكالمات. أُجريت جميعها خلال ساعات العمل في فينيكس عندما كنت تعمل على الباب. لقد تحققنا من ذلك".

ألقى عالم نظرة على الأوراق. يوسف غير متأكد مما يقرأه في عيني الحارس. ربما كانتا حزينين قليلًا، أو مليئتين المرارة حتى.

"إذا كنت لا تعرف أي شيء عن هذه المكالمات، يا صاحب، فسيتعين علينا إحضار زوج أختك، أو ربما كان شخصًا آخر من أسرته..."

"توقف". نظر صاحب إلى عيني يوسف. "لا تورطه".

أسند يوسف ظهره إلى الخلف، ورسم نظرة متفاجئة على وجهه. لم يستطع عالم أن يفهم أنه قد خدع بنجاح.

"حسنًا، أخبرني يا صاحب". راقب يوسف عالم وهو يمد يده إلى سيجارته مرة أخرى. لقد انطفأت، وأعطاه يوسف قداحة.

من الواضح أن عالم المخيف جسديًا ليس متدينًا، ولكن هناك دفء في عينيه. يوسف على يقين من أنه ليس رجلًا سيئًا في جوهره، فقلة قليلة فقط من الناس سيئون في جوهرهم. لكن أسوأ خطأ يمكن أن ترتكبه أثناء الاستجواب هو أن تأتي بتفسيراتك الخاصة بناءً على سيكولوجيتك الخاصة. الحقيقة هي أن يوسف لا يعرف شيئًا عن صاحب عالم إلا ما قرر عالم أن يكشفه عن نفسه اليوم.

سحب يوسف من سيجارته: "معضلة السجين".

انطلاقًا من نظرة عالم، يبدو أنَّه فهم إلى ماذا تشير هاتان الكلمتان.

"هناك عدد غير قليل منكم، ويمكنك المراهنة على أنَّ شخصًا ما سيتحدث. إذا حدث ذلك، وعندما يحدث، فإن إبقاء فمك مغلقًا سيؤذيك"، تابع يوسف: "حقًا، إذا كنت تفكر في هذا على أنه لعبة، فلديك فرصة أفضل للفوز إذا قلت كل شيء الآن".

نظر عالم إلى يوسف من تحت حاجبيه، وسحب مجددًا من سيجارته، ثم دحرج السيجارة على قاع منفضة السجائر حتى انطفأت.

"سودركولا؟".

أجاب يوسف: "نعم"، وشعر بوهج في بطنه. الجولة الأولى ليوسف.

تنهد عالم بعمق. "طهران! أنا من هنا. يزعجني كيف لا يفهم الناس ذلك".

استطاع يوسف سماع تصدع الجليد. صب لنفسه كأسًا من الماء من الإبريق. "أتفهم شعورك تجاه الأمر".

لم يعد هناك أي اندفاع.

في النهاية قال عالم: "حسنًا". يبدو أن عضلات وجهه تسترخي. لقد أسقط دفاعاته. "ليس لديّ الكثير لأقوله. لا أعرف شيئًا! تلقيت التعليمات، واتبعتها. حصلت على القليل من المال الإضافي جراء القيام بذلك".

"أي نوع من التعليمات؟".

"لقد حصلت على شريحة هاتفية، وكان من المفترض أن أستخدم طراز هاتف قديم، لا يكون مسجلًا باسمي. كما أُعطيت رقمًا كان من المفترض أن

أتصل به، وأن استمع إليه وهو يرن ثلاث مرات، ثم أنهي المكالمة، وهذا كل شيء".

"ومتى تتصل؟".

"عندما يأتي أحدهم إلى الباب، ويسأل إن كان جيمس موجودًا".

"من هو جيمس؟".

"الرجل الذي اقترح كل شيء عليّ. في البداية لم أفهم ما هي لعبته، لكن بعد ذلك رأيته يلتقط أحد الأشخاص الذين جاءوا يسألون عنه. سيارة سوداء من نوع مرسيدس رباعية الدفع، عرفت أنَّه كان السائق".

نظر يوسف إلى المسجل ليتأكد من أن الضوء الأحمر لا يزال مضيئًا: "وهل كان جيمس هذا يلتقي الشخص الذي جاء إلى فينيكس بحثًا عنه؟".

أومأ عالم برأسه بهدوء.

"ألا تعرف إلى أين يقاد الشخص الذي يطلب جيمس؟".

"كلا، هذه هي الحقيقة. كنت أحصل على بعض النقود لقاء كل مكالمة".

"كل ما كان عليك فعله هو الاتصال بهذا الرقم، وبعد فترة وجيزة يظهر جيمس في سيارته؟".

أومأ عالم برأسه، ومسح جبهته.

"كيف كنت تتقاضى من المال؟".

"كان جيمس يأتي ويراني عند باب الطابق السفلي بضع مرات في الشهر، ويعطيني دفعة من النقود".

قرّب يوسف كرسيه من الطاولة: "هل كان هناك كثير من الفتيات اللواتي عملن في فينيكس؟".

بدا عالم مندهشًا: "ليس للأمر علاقة ببنات الهوى، إذا كان هذا ما تعنيه. إذا كنت ترتدي ملابس مناسبة، يسمح لك بالدخول. عندما تعمل حارسًا للباب، من الصعب جدًا أن تبدأ في تخمين من هي بائعة الهوى ومن ليست كذلك".

عرف يوسف أن عالم يكذب، فهذه مدينة صغيرة، والحراس يعرفون الفتيات اللواتي يزحفن إلى النوادي الليلية بحثًا عن زبائن، لكن المسألة ليست ذات صلة في ما يتعلق بالتحقيق الحالي: "هل رأيت أي امرأة مع جيمس؟".

"أبدًا، كان جيمس دائمًا بمفرده، كل ما فعله هو لقاء الأشخاص الذين يطلبون الخدمة".

"الأشخاص الذين يطلبون الخدمة؟ لذا فأنت تعرف أين..."

قال عالم غاضبًا: "وماذا في ذلك؟ كانوا رجالًا يطلبون خدمات بائعات الهوى، كنت متأكدًا تمامًا من أن جيمس لم يأخذهم إلى المخبز المحلي لشراء رغيف خبز. لديّ فكرة عما كان ينتظرهم في الطرف الآخر من رحلتهم، إما جبل من المخدرات أو مصارعة الديوك أو لعبة البوكر تحت الأرض أو بيت دعارة. هذا ليس من شأني".

لم يرد يوسف أن يهدأ، فحافظ على حدة الأسئلة القادمة، وأبقى الرجل غاضبًا، واستمر في رمي الأخشاب في النار. "هل سبق لك أن رأيت نفس الزبون في مناسبات متعددة؟"

"صرت أعرف القليل من وجوههم".

"رجال؟".

"نعم".

أطلق عالم نظرة متسائلة على علبة الدخان. فأومأ يوسف برأسه، سحب عالم سيجارة أخرى لنفسه. تردد صدى خطوات من الممر بينما انحنى يوسف لإشعال السيجارة.

"كيف كان شكل جيمس؟".

"كان ذا شعرٍ أسود، ضخم، اعتقدت أنه روسي".

سأله يوسف: "هل ستتمكن من رؤيته على أي من الكاميرات خارج فينيكس؟".

"بوسعك المحاولة، لقد جاء من باب الطابق السفلي يوم السبت الماضي، وأحضر لي مغلفًا".

"يوم السبت؟ يوم إطلاق الألبوم؟".

شاهد عالم الدخان يختفي باتجاه فتحة التكييف: "نعم. في وقت مبكر، بين الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة. كنت أساعد في الإعداد".

تدلت شفة يوسف السفلى، ونظر إلى عالم وبذلته الرياضية الحمراء وعضلاته الضخمة. للحظة، لا يسعه إلا أن يتساءل عما إذا كان الحصول على المظهر الخارجي للاعب كمال الأجسام يستحق كل هذا العناء. خاصة إذا كان الغرض منه هو أن يكون بمثابة درع، والسجناء في الداخل محكوم عليهم بانعدام الأمن مثل أي شخص آخر. يبدو صاحب عالم وكأنه رجل خلق مظهره المخيف أولًا، ثم بدأ في التعايش معه، وليس العكس.

قال يوسف: "صاحب، سأطرح عليك سؤالين آخرين، وعليك الاستمرار في إعطائي إجابات حقيقية بنسبة مئة بالمئة".

بدا أن عالم يزن الأمر في ذهنه لبضع ثوان، ثم هز رأسه.

"أنا متأكد من أنك خمنت ما يعنيه الهاتف ووصول جيمس. لكن هل تعلم أي شيء عن الأمر، بخلاف ما قلته لي للتو؟".

قال عالم بشكل مقنع ومن دون تردد: "لا".

"وهل علم أي شخص آخر في فينيكس بهذا؟ أو في أي مكان آخر؟".

هزّ عالم رأسه، ونظر إلى ساعته الضخمة، كما لو كان بإمكانه أن يدعي أنه في عجلة من أمره، ويخرج من المقر.

لكنه لم يعد يتمتع بهذه الحرية.

"أنا وجيمس فقط. أردت فقط أن أكسب القليل من المال الإضافي، هذا كل ما في الأمر".

64

كان راسموس يردد لحن برنامج تلفزيوني، كان يعرض في مرحلة الطفولة، وهو يتصفح عبر صفحة جيسون نيرفاندر على الإنستغرام. نشر الرجل أكثر من ألف صورة في ملفه الشخصي، وقد اطلع راسموس بالفعل عليها عدة مرات. لكنه لا يزال يفوت شيئًا ما. قبل ساعة، قدم طلب متابعة إلى موقع إنستغرام لإعادة الصور المحذوفة من حساب ليزا ياماموتو.

نظر راسموس حوله، ثم سحب كرتين من جيبه، ووضعهما تحت قدميه. يحتاج إلى اتباع التعليمات التي أعطيت له إذا أراد أن يجعل جسده منفتحًا على طاقاته الكامنة.

ما هذا!

استحوذ شيء ما ظهر على الشاشة على انتباه راسموس. سبق له أن ألقى نظرة خاطفة على الصور، والآن يقوم بالتمرير إلى أعلاها. التقطت الصورة في ضوء الشمس الصيفي لشهر تموز الماضي، وتُظهر جيسون الوسيم ذا الفك العريض جالسًا وهو يرتدي بنطالًا قصيرًا وبدون حذاء على سطح أبيض يبدو أنه سطح قارب عند الفحص الدقيق. ما هذا الشيء الغريب؟ تذكر راسموس أنه رأى الصورة في وقت سابق، لكنه لم يولها اهتمامًا خاصًا لأنها لم تكن ظاهرة كلها.

من المستحيل أن يستخلص من الصورة أي معلومة عن المركب، إذا كان بالفعل مركبًا.

لا يمتلك جيسون مركبًا، لقد تحققنا من ذلك مسبقًا.

فتح راسموس التعليقات. هناك العشرات منها، وهي ممتلئة بالقلوب والرموز التعبيرية المبتسمة. من المفترض أن تكون الرسائل العامة مكتوبة من قبل أشخاص لا يعرفون جيسون شخصيًا، أو على الأقل ليسوا قريبين منه بشكل خاص.

لكن يبرز تعليق واحد عن الآخرين بسبب لهجته الشخصية.

يوم رائع! دعنا نفعل ذلك مرة أخرى!

نقر راسموس على الملف الشخصي للشخص الذي نشر التعليق وشعر بالراحة عندما وجد أنَّه ليس خاصًا. إنه حساب شاب يمضي وقتًا طويلًا على وسائل التواصل الاجتماعي وفقًا لعدد الصور على حسابه. مرر راسموس إلى الأسفل بين الصور حتى وجد الصور المنشورة في تموز.

كان متوترًا ويأمل أن تكون الصورة موجودة، بينما كان يقرض ظفر إبهامه، دحرج كرة الغولف بقوة أكبر تحت قدمه، ثم وجدها: صورة التقطت في كاتاجانوكا مارينين بوسط هلسنكي. زورق بخاري كبير على ظهره مجموعة من الشباب.

صاح راسموس: "هارغولا".

رفع الرجل الطويل رأسه من أحشاء مقصورته على بعد أمتار قليلة فقط وسأله: "ماذا؟".

"ألق نظرة على هذا. أنت تعرف كثيرًا من المعلومات عن السيارات والقوارب..." قال راسموس بينما وقف هارغولا خلفه، مطوي الذراعين: "أي نوع من القوارب هذا؟".

نظر هارغولا إلى شاشة حاسوب راسموس: "هل هذه هي الصورة الوحيدة؟".

"نعم، في الوقت الحالي".

تبع ذلك صمت مؤقت. استطاع راسموس الشعور بخيبة الأمل، الصورة ببساطة ليست مفصلة بما فيه الكفاية. "أنا أفهم إذا كانت الزاوية لا..."

"قارب بطول تسعة أمتار من نوع أكوادور 28 سي، موديل عام 2006". ضغط هارغولا كتفي راسموس.

"إنَّه قارب جميل وصغير".

65

وضعت جيسيكا الماء المثلج من المبرد في الكوب البلاستيكي، ورفعت الكوب إلى شفتيها، فشعرت بالثلج يهدئ من فوران صدغيها. شعرت بألم الرأس الذي يحدث عند تناول شيء شديد البرودة، عندما رأت يوسف يمشي بين المقصورات، سألته: "كيف الحال؟".

"اعترف عالم بالاتصال بالرقم في أي وقت طلب فيه أي شخص جيمس. لقد دُفع له لإجراء المكالمات وينفي معرفة أي شيء آخر عن المخطط".

قال هارغولا وهو يخرج من حمام الرجال: "هراء سخيف، يجب علينا أن نعتقل موظفي النادي بالكامل لأنهم يديرون عصابة دعارة".

قال يوسف: "أنا أصدق عالم". نظرت جيسيكا إليه نظرة حادة. "تعمل هذه المنظمات بشكل أفضل بهذه الطريقة. بحيث لا يعرف الأتباع شيئًا عن العملية، فقط ما يحتاجون إليه، فمعرفتهم بأي شيء آخر أمر محفوف بالمخاطر".

سألت جيسيكا، والقلق يصبغ صوتها، وقد بدت متفائلة وخائفة في الوقت نفسه: "ماذا عن أي شخص آخر من فينيكس؟"

أجاب يوسف: "يدعي عالم أن أحدًا لا يعرف شيئًا".

غمرت الراحة جيسيكا. ليس فقط لأنها كانت ستبدو غبية إذا تبين أن فرانك دومينيس، الذي دافعت عن مصداقيته كمصدر للمعلومات، جزء من المخطط. ولكن لأنها أحبت دومينيس في اللحظة التي قابلته فيها. تأمل ألا يخونها الحدس هذه المرة كما حدث في الماضي.

سألت جيسيكا وعيناها مثبتتان على شاشة حاسوبها متظاهرة باللامبالاة: "وهل تصدقه؟".

سحب يوسف كرسيًا إلى جانبها: "أنا أصدقه. احتاج جيمس هذا جهة اتصال واحدة في فينيكس، شخصًا موجودًا في موعده دائمًا. إن إشراك المدير سيشكل مخاطرة كبيرة. في أسوأ الأحوال، ربما كان سيضطر إلى وضع حد لهذا الأمر".

ها قد تأكدوا من براءة فرانك.

نظرت جيسيكا إلى هارغولا، الذي بدا غير مقتنع.

قال يوسف: "نُقل عالم إلى الطابق السفلي لأنه سيستجوب مجددًا".

"راسي وشركاه يتتبعون الأرقام الأخرى، يبدو أنه تم تأكيد اثنين آخرين".

تذمرت جيسيكا: "ستة من أصل عشرة".

"يذهب أفرادنا إلى مكان الهاتف بأسرع ما يمكن بعد أن نجده. لكن بطريقة ما أشعر بأن أحدًا منهم يعرف أكثر مما يعرفه عالم".

قالت جيسيكا وهي تلقي نظرة على يوسف: "وأنا مثلك".

سأل هارغولا: "هل كان هذا الحارس قادرًا على تقديم وصف لجيمس؟".

"يشبه فلاديمير كليتشكو على ما يبدو. ربما روسي".

ابتسم هارغولا بشكل مزعج: "كليتشكو أوكراني".

ردّ عليه يوسف بغضب: "ومن يهتم! هل تعتقد أن هذا سيؤثر على التحقيق؟".

قالت جيسيكا بحدة وهي تقف: "توقفا عن هذا يا رفاق...هل يظهر جيمس في أي من تسجيلات كاميرات عندما زار فينيكس؟".

أومأ يوسف بقوة: "من الواضح أنه كان هناك قبل ست ساعات من إطلاق ألبوم كيكس ماسي. أقترح أن أبحث في التسجيلات. أعتقد أنني أملك بالفعل يومًا كاملًا من تسجيلات فينيكس على حاسوبي".

"جيد". فكت جيسيكا شعرها، وتركته يتدلى على كتفيها فوق قميصها. "وأود أن يفكر الجميع فيما يلي أثناء قيامهم بعملهم: ماذا نستنتج من كل هذا؟ من شبكة الاتصالات هذه؟" تنفست بعمق قبل أن تجيب على سؤالها: "بدأ كل شيء من

أكيفومي. أعطانا شخص مجهول معلومات قادتنا إلى الهاشتاغات في موقع الإنستغرام، تلك المستخدمة لتحديد المواقع وموقع ماسايوشي".

سأل هارغولا: "ما الذي يُراد منا أن نفكر فيه إذا؟".

"أريدكم أن تفكروا في هوية أكيفومي بحق الجحيم ولماذا تلقينا هذه المعلومات في شكل هذا التعليق على المنشور!" في تلك اللحظة، ظهرت الشابة التي عُينت لمساعدة راسموس في معالجة البيانات من خلف الحاجز. بدت مترددة، مثل أي مساعد عديم الخبرة يجبر على مقاطعة اجتماع لكبار زملائه. يجب أن يكون ما لديها شيئًا مهمًا للغاية.

سألتها جيسيكا: "ما الأمر يا ريكا؟".

"تلقيت للتو مكالمة من الشرطة العسكرية. كانوا يحاولون الاتصال بكِ".

شعرت جيسيكا بألم في صدرها: هاتفها صامت. تبًا. كان الرجال الذين ظلوا يلاحقون والد ليزا يحاولون الاتصال بها.

قالت جيسيكا: "هل الأمر متعلق بهيروكازو ياماموتو؟".

أومأت مساعدة التحقيق برأسها. "في غارفينبا... يبدو أنه حاول الانتحار".

66

ارتدت جيسيكا معطفها، واندفعت نحو المصعد في أعقاب يوسف وهي تسمع صوت راسموس خلفها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

"جيسيكا".

"ليس الآن يا راس. لدينا أزمة هنا".

قال راسموس على وجه السرعة: "لكن هذا مهم. كان لدى جيسون قارب تحت تصرفه. قارب كبير".

توقفت جيسيكا ويوسف، ونظرا إلى راسموس بتساؤل.

"اتصلت بشركة ترافيكوم. إنّه المركب الوحيد من نوع أكوادور سي 28 المسجل في هلسنكي. وتملكه مؤسسة يشارك جيسون بنشاط في أعمالها".

"أيّ مؤسسة؟"

المؤسسة التي تحدثت عنها نينا سابقًا، مؤسسة الرفاه الجنسي. إنهم يساعدون الأشخاص الذين يجدون صعوبات في حياتهم الجنسية..."

سأل يوسف وهو يبدو غير مصدق: "ولديهم قارب لأنشطة المؤسسة؟".

"تبرع به المؤسس منذ أكثر من عشر سنوات. على أي حال، اتصلت بالمؤسسة، وأخبروني أن جيسون نيرفاندر هو الشخص الذي يعتني بالمركب: يتعامل مع الصيانة والتخزين الشتوي وغيرها من الترتيبات الضرورية".

سألت جيسيكا: "هل يخزن في أورينكولاتي؟ في الحوض؟".

هز راسموس رأسه. "في لاوتاساري. لكن المؤسسة لديها أيضًا رصيف في أورينكولاتي. فكري في الأمر، جيسون هو الوحيد الذي يعرف حقًا من كان يستخدم المركب ولأي غرض".

قالت جيسيكا: "إنه أمر غريب للغاية، لم يخطر ذلك ببال أحد قبلًا".

"أخبرتني رئيسة المؤسسة عبر الهاتف أنها فقدت أعصابها مع نيرفاندر في صباح اليوم الذي اختفى فيه. كان من المفترض أن يستخدموا المركب لنشاط خيري، لكن نيرفاندر لم يكن يعرف مكانه. قال إنه أعاره لشخص ما... وقال إنه سينظر في الأمر".

"نحتاج حقًا إلى الذهاب إلى غارفينبا. راس، اكتشف كل ما تستطيع معرفته عن المركب. بما في ذلك مكانه الحالي".

67

ترجلت جيسيكا من السيارة، ودخلت العقار الكبير الممتد أمامها؛ قطعة أرض عشبية في المنتصف، ومنزل كبير أصفر شاحب خلفها. منطقة شواء، وصوبة زراعية، وحوض استحمام ساخن. كل ذلك مغطى بطبقة رقيقة من الثلج، وهي مع ذلك أكثر إثارة للإعجاب من قشرة الثلج الرقيقة في المدينة.

أحدثت هي ويوسف طرقتين خافتتين عندما أغلقا بابي السيارة في انسجام تام تقريبًا.

"يبدو أن أعمال غسيل الأموال تُخفى جيدًا". أشعل يوسف سيجارة. "هذا هو الوقت الذي يؤتي فيه العمل الجاد ثماره".

تنحت جيسيكا جانبًا لتجنب دخان السيجارة: "هل هذا هو الوقت المناسب لتضع مسدس في فمك؟".

الهواء هنا أكثر جفافًا وبرودة، ورائحته أنظف من رائحة الهواء في هلسنكي. يصل إليهما عويل الريح من المنزل الذي يبدو وكأنَّه منزل توضع صورته على بطاقات عيد الميلاد الجميلة. لكن سبب زيارتهما يحبط المزاج.

قال صوت من ورائهما: "لم تضيعا أيها الرفيقان أي وقت للوصول إلى هنا". قفز شخص من سيارة الشرطة المتوقفة على الجهة الأخرى من الشارع.

رأت جيسيكا سيارة شرطة عسكرية بعيدًا قليلًا. من المفارقات أن الرجال الجالسين فيها كانوا غافلين عما حدث حتى وصلت سيارات الطوارئ إلى هذا المكان.

"الضابط كاجو، تيبو كاجو". مدّ الرجل ذي الشارب المنحني قليلًا والذي يرتدي ملابس مدنية. بطاقة تعريف شرطة غارفينبا معلقة حول رقبته. "الزوجة في

الداخل"، تابع، وهو يُغلق أنفه بمنديل أزرق. يبدو أنه مصاب بنزلة برد، ولكن مع ذلك اعتبر أنه لا مانع من مصافحة جيسيكا ويوسف. بهدوء مسحت جيسيكا وجهها بالجزء السفلي من معطفها. الجلد الموجود تحت أنف كاجو جاف ومتشقق بسبب العطس الشديد.

"هل هو على قيد الحياة؟".

عبس كاجو، وزاد من تجعد جبينه المجعد: "نعم. لكنه في حالة حرجة".

دخلت جيسيكا ويوسف إلى غرفة الجلوس الكبيرة، حيث تطل النوافذ الضخمة على الساحة والسيارات المتوقفة على الطريق خلفها. امتلأت الجدران الخشبية بالتحف الصوفية، وأشياء زخرفية، وجلود حيوانات، ورؤوس حيوانات مرفوعة. جلست باولا ياماموتو على الأريكة، وفوقها رأس ذئب مرعب. يبدو المنظر مشبعًا برمزية خارقة.

قال يوسف بشكل مطمئن، وهو يدنو خطوة: "هيروكازو على قيد الحياة".

أجابت باولا بصوت مرتجف: "يجب أن أكون هناك" كانت عيناها تنظران إلى أظافر أصابعها الزرقاء.

هزّ يوسف رأسه، واقترب منها ببطء. هو الذي استجوبها في المطار. صوتها الناعم مألوف لديه: "لا يمكنك القيام بشيء لأجله الآن".

رأت جيسيكا أن بولا رفعت وجهها الحزين الحائر عن الأرض، أشارت عينا يوسف إلى عدم ارتياحه، لكن لا احتجاج يخرج من شفتيها.

قالت جيسيكا بصوت عالٍ بما فيه الكفاية لتضمن أن باولا قد سمعتها: "أنا آسفة"، سألقي نظرة على الغرفة حيث... أطلق زوجك النار على رأسه". وواصلت بصمت، على أمل ألا تحتاج لتركز التفكير في الكلمات.

أومأت بولا برأسها، إلى باب بجوار المطبخ، أثناء مرورها بالمطبخ، استنشقت جيسيكا هواء البحر المنعش. رأت سمكة مفرومة على لوح التقطيع، من الواضح أن تحضيرها توقف بسبب الطلقة التي خرجت من المسدس.

تزين اللوحات الجدران الخشبية، ولكن على عكس ما قد يتوقعه المرء، فإن لوحات ليزا غائبة بشكل واضح.

هناك باب مفتوح في نهاية الممر.

أخرجت جيسيكا زوجًا من الواقيات البلاستيكية الزرقاء من جيبها، وغطت بها حذاءها، ودخلت إلى مسرح الجريمة. بدا الدم المتدفق على السجادة وكأنه جزء منها، كما لو كان جزءًا من نمط الزينة الخاص بها. على الأرض إلى يمين المكتب هناك بندقية صيد، ولعل أكثر ما يلفت الانتباه في المشهد هو أن ياماموتو، الذي كان رجل عصابات سابق على دراية بالأسلحة، وضع البندقية في فمه، وضغط على الزناد، وبقي على قيد الحياة.

مشت جيسيكا على حواف السجادة، لتجنب الدوس على الدم الذي نزف من رأس هيروكازو ياماموتو. لم يكن المسعفين منتبهين، لكن هذا ليس سببًا لأن تكون جيسيكا قذرة، *لا يمكنك أبدًا أن تكوني مهملةً يا جيسيكا*. اعتاد إرني أن يقول ذلك دائمًا.

هناك كدسة كبيرة من البريد على المكتب المصنوع من خشب البلوط القوي. *رحلة لمدة أسبوعين إلى البرازيل*. فتحت المظاريف وأكوام الفواتير. هناك في منتصفها، ورقة وظرف أسود مفتوح.

أخذت جيسيكا الورقة وفتحتها.

私たちは彼女を見つけました。

私たちは彼女を使いました。

私たちは彼女を殺した。

(そして彼女のボーイフレンド)

على الفور، التقطت جيسيكا صورة للرسالة، وأرسلتها إلى راسموس. أريد ترجمة فورية من فضلك! انتظرت تأكيدًا من راسموس أنه استلم الرسالة، ثم

وضعت هاتفها مرة أخرى في جيبها. تفحصت التي تفترض، بناءً على الوضع العام، أنها يابانية. الأحرف ذات اللون الأزرق الداكن ملطخة في بعض الأماكن، كما لو أن الماء مسها. ثم أدركت جيسيكا: لقد كانت الدموع هي التي جعلت الحبر ينزف. إن معاناة ياماموتو أعادت النص إلى الحياة.

68

أمسكت هيلو سماعة الهاتف، وضغطت بشريط الهاتف اللولبي على صدرها، وهي تستعيد تاريخ أحداث جرت في زمن ومكان مختلفين تمامًا، فالإحساس بسماعة الأذن البلاستيكية الصلبة جعل هيلو تتذكّر مرحلة طفولتها، ومكالماتها الطويلة مع الأصدقاء، وأوامر والدها الدائمة بالابتعاد عن الهاتف ليتمكّن الآخرون من استخدامه.

قال لها صوت أنثوي بالإنكليزية: "مرحبًا؟".

"نعم".

"أعتذر لأنني جعلتك تنتظرين، فنحن نتبع بروتوكولًا صارمًا للغاية يتعلّق بمشاركة الآخرين المعلومات، بعد أن تمكّن مراسل إحدى الصحف الكبرى من كشف تفاصيل التحقيق من خلال ادعائه أنه مساعد في مكتب المدعي العام في أمستردام، وبالطبع قد تسبّب ذلك في هبوب عاصفة هائلة من التغييرات، بعد أن فُصل عدد كبير من الموظّفين نتيجة سماحهم بذلك، وأعتذر بشأن لغتي الفرنسية...".

قالت هيلو وهي تنقر بقلمها بصبر نافد على لوحة الماوس: "أتفهّم ذلك، ولكن...".

قالت لها الموظفة: "أما بالنسبة إلى ردّي على سؤالك فهو نعم، تؤكّد معلوماتنا أنه عند العثور على جثة ميب لوس كانت ترتدي ملابس تماثل الملابس التي وصفتها".

ازدردت هيلو لعابها لترطّب حلقها الجاف، ثم قالت: "هل يمكنني أن أطلب منك إرسال صور مكان الحادث؟ وسيُسعدني الردّ بالمثل".

"بالتأكيد".

"أقترح عليك الاتصال بالشرطة في وحدات الجنايات في كل من لفيف وسانت بطرسبرغ، وسأرسل إليك رسالة مشفرة تحتوي على ما تحتاجين إليه من المعلومات ما إن ننهي المكالمة، ولكننا نشكّ في أن ميب لوس لم تكن ضحية القاتل الأولى، كما أنها لم تكن الأخيرة أيضًا".

عندما أنهت المكالمة، نظرت هيلو عبر النافذة، وتنهّدت بعمق، إذا كان في إمكان الجدران التحدث، وربما تدوين الملاحظات، سيكون في إمكانها يومًا ما سرد أحداث عاشها مشرف شديد القلق في هذا المكتب بعد ظهر أحد أيام تشرين الثاني.

69

عادت جيسيكا إلى غرفة الجلوس والرسالة في جيبها، بدا أن رائحة السمك التي تفوح من المطبخ اشتدّت خلال الدقائق الماضية، وبينما كانت حواسّ جيسيكا متيقظة إلى أقصى حد، كانت باولا ياماموتو تتحدّث إلى يوسف بهدوء تام، وهو يدوّن الملاحظات.

قالت جيسيكا: "أنا آسفة، فيتحتّم علينا أن نغادر قريبًا، وسيأتي أحدهم ليبقى برفقتك".

مسحت باولا دمعة سالت على خدها، وقالت: "في البدء اختفت ليزا، والآن... لا أريد أن أبقى وحدي".

شقّت جيسيكا طريقها بهدوء إلى الأريكة، ولاحظت وجود نار مشتعلة في الموقد، ويبدو أن يوسف أشعلها لتدفئة جو الغرفة البارد، إذ لا يمكن أن يشتعل الحطب بهذه السرعة سوى فتى ريفي ينتمي إلى سودركولا.

شعرت جيسيكا بثقل الرسالة في جيبها الخلفي، كما أنها لم تكن متأكدة إن لاحظت باولا الرسالة عندما عثرت على زوجها في مكتبه، وإن كانت قد لمحتها، فهل قرأت محتواها وفهمته؟ وما دامت محتوياتها لا تزال لغزًا، فلا وقت للتحقيق فيها.

قال يوسف: "لديّ الآن كل ما تحتاج إليه".

سألت جيسيكا باولا: "هل تجيدين اليابانية؟".

بدا الاستغراب على ملامح وجه يوسف، بينما نظرت باولا ياماموتو بذهول إلى جيسيكا: "لا، لماذا تسألين؟"، لم تكرّر جيسيكا السؤال، كما لم تقدّم إليها أي توضيح.

خيّم الصمت على الجميع لفترة وجيزة، ثم أجابت باولا بصوت مرتجف: "لا، لا أتقن اليابانية، ولطالما تحدّثت إلى هيرو بالفنلندية، بعد أن كنا نتحدّث

معظم الوقت بالإنكليزية... ولكننا لم نتحدّث باليابانية على الإطلاق، لأن هيرو كان يتجنّب التحدث بها كونها جزءًا من ماضية الذي لا يرغب في تذكّره".

سألتها جيسيكا: "ما نوع العلاقة التي جمعت بين هيروكازو وليزا؟"

تجاهلت باولا الردّ على جيسيكا لبرهة، فبدت وكأنها لم تفهم السؤال، ثم نظرت إلى يديها اللتين ترتجفان من الصدمة، ولكنها ما لبثت أن غيّرت سلوكها، وقالت لها: "لم تكن علاقتهما على أفضل ما يرام، وبالكاد كانا يتحدّثان إلى بعضهما، لأنهما كانا على خلاف بشأن مسألة لم أعرف بشأنها أبدًا".

أخرجت جيسيكا الرسالة من جيبها، وقالت: "قلتِ إنكِ لا تتحدّثين باليابانية".

نظرت باولا ياماموتو إلى أحرف الكانغي المكتوبة على ورقة بيضاء، فبدا ارتباكها جليًا: "لا، ولكن ما هذه الرسالة؟".

"لقد وجدتها على مكتب زوجك، ووفقًا للختم البريدي، أرسلت إليه أول من أمس، ويُفترض أن يكون زوجك قد قرأها بعد عودتكما إلى المنزل".

سألتها باولا وقد تضاعف قلقها وارتباكها: "ما كان مضمون تلك الرسالة؟"، ثم بدأت يداها ترتجفان شيئًا فشيئًا، وهي تقول: "أرجوكِ أخبريني، ماذا الذي ورد فيها؟".

قالت جيسيكا: "لا نعرف حتى الآن، ولكنني أخشى أن ما دوّن فيها مرتبط بشكل ما بمحاولة انتحار زوجك..."، في تلك اللحظة شعرت باهتزاز هاتفها في معطفها، فمدّت يدها إلى جيبها، وهي لا تزال تراقب السيدة ياماموتو التي كانت تبكي على الأريكة، بعد أن ظنّت أن زوجها هيرو كازو قد تلقّى أخبارًا سيئة، دفعته بكل أسف إلى إنهاء حياته في إحدى أيام غارفينيا المظلمة.

فتحت جيسيكا الرسالة التي أرسلها إليها من راسموس، وقد ورد فيها:

عثرنا على الفتاة.

استخدمنا الفتاة.

قتلنا الفتاة، وصديقها.

70

قالت المشرفة هيلو بصوت عالٍ، طغى على صوت الموسيقى المنبعثة من السيارة، وقد بدت هادئة بشكل غير اعتيادي: "القضية أكثر تعقيدًا بكثير مما كنا نتوقّع، فقد عثر هارغولا على دفتر مذكرات في المكان الذي وجد فيه جثة بيلوسوفا بالأمس، وقد وردت فيه ثلاثة أسماء لنساء، وبعد أن أجريت بعض المكالمات، اتّضح أن النساء كن بائعات هوى، وقد قُتلن بوحشية في كل من روسيا، وأوكرانيا، وهولندا خلال العامين الماضيين، مثل بيلوسوفا تمامًا، وكن يرتدين ملابس المانغا عندما عثر عليهن، ويبدو واضحًا أننا نتعامل مع قاتل متسلسل... ولم يتمّ الربط بين القضايا السابقة لأن السلطات القضائية المعنية بتلك الجرائم في كل من الدول الثلاث لم تتواصل مع بعضها لتبادل ما لديها من أدلة لكشف ملابسات تلك القضايا".

تبادل يوسف وجيسيكا نظرات الاستغراب.

"أما بالنسبة إلى ما يتعلّق بالجريمة التي وقعت على أرضنا، فقد تحدّثت للتو مع نائب رئيس الشرطة أورانين، وملابسات القضية بدأت تتوضّح، ويبدو أننا نتعامل مع حلقة دولية للاتجار بالبشر، والتي استخدمت شيفرة الإنستغرام لتنشب مخالبها في بلدان الشمال الأوروبي، روسيا وأوكرانيا وهولندا، وما حدث في غارفينبا، من الرسالة ومحاولة انتحار والد ليزا... يؤكّد صحة شكوكك، يا نيمي، فقد شقّ رجل العصابات السابق طريقه إلى بلد جديد ليتخلّص من ماضيه الأسود الذي يلاحقه".

قالت جيسيكا: "لكن ذاك لا يمكن...".

تنحنحت هيلو مقاطعة كلامها، وقالت: "أعرف أن الكثير من الأمور لا تزال بحاجة إلى توضيحات، ولكن في هذه المرحلة يبدو جليًا أن ليزا ياماموتو أُجبرت

على التعاون مع أفراد العصابة الذين حاولوا استغلال مكانتها بصفتها شخصية مؤثرة".

"أعتقد أنه لا يزال هناك الكثير من الأسئلة التي لا تزال من دون إجابات...".

قاطعتها جيسيكا مرة أخرى بتنهيدة عميقة انطلقت من ميكروفون الهاتف إلى مكبرات الصوت في السيارة، وخلال ثانيتين من الصمت توقّعت جيسيكا ما تودّ هيلو إبلاغهما به، ومع ذلك فقد اخترقت الكلمات قلبها مثل سهم قاتل أُطلق صوبها بعد توجيه الإهانة إليها في باحة المدرسة الابتدائية.

"ستحال القضية إلى مكتب التحقيقات الوطني".

قال يوسف باندفاع: "ماذا تقولين بحق الجحيم؟"، بينما غطّت جيسيكا وجهها بيديها.

تابعت هيلو كلامها قائلة: "سيأتون لمقابلتنا في الغد، بعد أن اتّخذت القضية أبعادًا تتجاوز قدرة وحدة الجرائم العنيفة في قيادة شرطة هلسنكي على إدارتها، حتى إنه لم يعد يتوجّب علينا محاولة حلها".

همست جيسيكا لها: "أنتِ تعترفين إذًا بأنه لا يمكنك حل تلك القضية؟".

لم تردّ هيلو عليها، بل تجاهلت تعليقها، من دون أن تفكّر في فرض أي عقوبة عليها، ولكن ما أغضب جيسيكا، أن الحمقاء ستتخلّى عن القضية الآن بعد أن أُنجز معظم العمل على أعلى مستوى، ومن الواضح أن ذلك لم يكن مهمًا بالنسبة إلى هيلو، فلماذا قد تحارب للتمسك بالقضية؟ ونظرًا إلى أن المشرف يجيب على الأسئلة التي تُطرح حول التحقيق، فكان لديها الكثير لتخسره في هذه المرحلة، إذا كان الفريق الذي كُلّف بالتحقيق في القضية عاد خالي اليدين، وهي تدرك ذلك، وبما أنها سياسية حذرة، حرصت على أن تنفّذ خطتها الخمسية، بما أنها ليست بحاجة للإمساك بالشبح أو معرفة مكان دفن ليزا وجايسون، بل كل ما تهتمّ به هو أن يمدّ جيمس أورانين يده ذات الشعر الكثيف، ليهنئها على بناء مثل هذا الأساس المتين للتحقيق في القضية.

"أعلم أن ما أبلغتك به أصابك بخيبة أمل كبيرة، ولكن يوروبول كان بالفعل يتواصل مع مكتب التحقيقات الوطني، ويمكن أن يجبرونا على...".

قالت جيسيكا من دون أن تفكير: "علام سيجبروننا؟".

إلا أن هيلو واصلت الحديث قائلة: "لقد تحدّثت بالفعل إلى جميع أعضاء الفريق، وسنواصل العمل حتى صباح الغد، ثم نرى ما سنكلّف به، ونعمل وفقًا لذلك".

"هيلو، لا يهمّ عدد الجثث في روسيا أو هولندا، إلا أن أربع جرائم قتل ارتُكبت في هلسنكي، لا بد أن يحدث ذلك فرقًا، لكن لا يبدو الأمر مهمًا بالنسبة إليك، حتى وإن كان برنامج الفضاء السري أو اغتيال جون كنيدي مرتبطًا بتلك الجرائم".

ردّت هيلو ببرود: "كما قلتُ، أتفهّم إحباطك لكن القرار نهائي"، بينما كانت جيسيكا سارحة بأفكارها في الحقول الرمادية البعيدة، وذكريات الماضي متوهجة في ذهنها، لم تتوقّع أن الأمور يمكن أن تزداد سوءًا، إلا أن هيلو واصلت كلامها بصوت أكثر حدة وجدية قائلة: "نيمي، أودّ أن أراك في مكتبي حالما تعودين إلى المقر".

71

أغلقت جيسيكا الباب خلفها، فبدا مكتب هيلو الصغير أكثر سوداوية، وأشدّ ظلمة من أي وقت مضى، ربما لأن الحالة المزاجية التي دخلت فيها جيسيكا إلى المكتب الذي تبلغ مساحته 15 مترًا مربعًا كانت معكّرة، فبدت مترددة وغير واثقة من نفسها بشكل مريب، كما تغيّر سلوكها الذي افتقر إلى العدوانية التي يضاعفها غياب الشعور بالأمن، والتي وجدتها جيسيكا مزعجة للغاية، إلا أنها كانت مطمئنة إلى حد ما، مع أن الملامح المرتسمة على وجه هيلو الصافي تظهر أمرًا لا تستطيع جيسيكا إدراكه، فكانت عيناها البنيتان تلمعان من البهجة، أما شفتاها الجافتان فقد تلوّنتا بأحمر الشفاه للمرة الأولى، وكما يبدو جليًا أنها استعدّت إلى هذه المقابلة استعدادًا تامًا.

قالت جيسيكا وهي تجلس على الكرسي مقابل مكتب هيلو: "طلبت مني الحضور لمقابلتك".

طافت عينا هيلو باهتمام بين الأوراق المكدسة على مكتبها من دون أن تنظر إلى عيني جيسيكا.

جلست هيلو باسترخاء على كرسيها، ووضعت يديها على الطاولة، وقد بدت جيسيكا في حالة مزرية.

قالت هيلو بنبرة جدية لم تعكس مقدار الاستياء أو الرضا الذي بدا مناقضًا لسلوكها الاعتيادي: "إننا نواجه مشكلة كبيرة".

جلست جيسيكا بشكل مستقيم، وسألتها: "أي نوع من المشاكل نواجه؟".

"لقد عاد التحقيق في القضايا القديمة من جديد بعد أحداث الربيع الماضي، أولًا، قام مكتب التحقيقات الوطني والشرطة العسكرية بجمع معلومات حول خلفية ميكائيل المحقق في وحدة الجرائم العنيفة الذي كان ينتمي سرًا إلى طائفة

مريضة من القتلة، وفي الوقت نفسه جمعوا معلومات حول بعض الأفراد في الوحدة للتأكد من أن ميكائيل لم يكن العنصر الوحيد المخترق في الوحدة، ولاكتشاف أي شخص آخر كان له دراية بميوله الإجرامية وقضايا الصحة العقلية".

فتحت هيلو غطاء زجاجة المياه المعدنية الأصفر، فلاحظت جيسيكا وجود كوبين على الطاولة، ولكن عندما عرضت أحدهما عليها أدركت أنه لا بد أن أمرًا مريبًا قد حصل، فلم يكن عرض المياه عربون صداقة، ولكنه ربما يكون بمثابة الوجبة الأخيرة التي يُسمح للسجين بتناولها أو السيجارة الأخيرة التي يُسمح له بتدخينها قبل إعدامه، ولم تشكّ جيسيكا للحظة في أن هيلو تريد أن تراها مقيدة إلى كرسي الإعدام الكهربائي.

قالت جيسيكا بهدوء: "لا، شكرًا".

"وأخيرًا وصلنا إلى النهاية الكبرى بعد أن بحثت الشرطة العسكرية عن سبب توجيه طائفة الساحرات أنظارها إليك تحديدًا، يا نيمي"، بدا من النبرة التي لفظت بها هيلو اسم عائلة جيسيكا، كما لو أنها تصدر حكمًا قاضيًا عليها، فتسارعت خفقات قلبها.

تابعت هيلو كلامها قائلة: "لا بد أن يكون هناك سبب، أليس كذلك؟ على الرغم من أنك ذكرت في إفادتك أن لا فكرة لديك حول ذلك الأمر".

حدّقت جيسيكا إلى رئيستها التي لم تردها يومًا أن تكون رئيستها، ولكن للأسف لم يكن القرار عائدًا إليها، وهي الآن تبذل قصارى جهدها لاكتشاف حقيقة ذلك الإنسان الذي يختبئ خلف هاتين العينين الخرزيتين، فرئيستها الحمقاء التي ترزح تحت الضغوط نفسها التي ترزح تحتها الآن لم تجد أي طريقة تتيح لها التعامل معها بعد أن أمضت الأسابيع القليلة الماضية، وهي تقارنها بإرني، مع أن الأمر لم يكن منصفًا بحقه، ولكن على الرغم من الكراهية المتقدة في داخلها، إلا أنها تدرك أن هذا التصرف لا يمكن أن تقدم عليه هيلو ما لم يكن لديها الضوء الأخضر من السلطات العليا، وأن دور هيلو يقتصر على التنفيذ فقط.

حدّقت المرأتان إلى بعضهما لفترة طويلة، فبدا جليًا أن هيلو تعرف تمامًا أن جيسيكا أدركت ما الذي تتحدّث عنه، وأن لا فرصة لها للخلاص من الشعور بالخزي والعار.

فتحت هيلو مجلدًا موضوعًا على مكتبها، وأخرجت كدسة من الأوراق سلّمتها إلى جيسيكا، فتفحّصت الأوراق وما إن قرأت التاريخ، والعنوان المكتوب بالخط العريض، والأسطر المشار إليها باللون الأصفر، حتى شعرت بالغثيان. جمعت كل ما لديها من شجاعة لتواجه الموقف كحالها دائمًا، أرادت أن تنظر إلى الأوراق وتسألها، ما هذا؟ ولكنها لم تجرؤ، فالحفرة التي حفرتها هيلو كانت عميقة، وقد أشار صمتها إلى اعترافها بحقيقة محتوى تلك الأوراق.

رفعت هيلو قنينة المياه إلى شفتيها، ورطّبت حلقها مانحة جيسيكا الوقت لاستجماع شتات نفسها، بعد أن قاربت هيلو القضية بطريقة رهيبة ومقززة، من خلال توجيه ضربات موجعة إليها من دون رحمة، سألتها هيلو: "كيف كنت ستتصرّفين لو كنت مكاني، يا نيمي؟".

سألتها جيسيكا بصوت أجشّ: "من اطلع على تلك الوثائق؟".

هزّت هيلو برأسها وقالت: "يمكننا القول إن لا أحد اطلع عليها حتى الآن، كما يمكننا القول أيضًا إنه لا ينبغي أن يطلع عليها أي أحد"، نهضت من مكانها، وخطت خطوتين نحو النافذة، وكأنها تضفي على تلك اللحظة مزيدًا من الدراما، وقالت: "الأمر ليس شخصيًا، ولكن يندر أن تتاح فرصة التوصل إلى حل يناسب جميع الأطراف، كما هو الحال في هذه المسألة، وآمل في أن نتمكّن من اغتنام الفرصة معًا"، كانت جيسيكا تدرك أن معظم ما قالته لها كان صحيحًا.

72

انتظرت جيسيكا إغلاق باب المصعد، وهي تودّ أن تبتعد بأقصى سرعة للوصول إلى مرآب السيارات، وفي الطابق الثالث دخل رجلان من الإدارة، ففاحت رائحة الشامبو المنعشة، فتبيّن أن أحدهما يحمل حقيبة رياضية سوداء، وهو ذو شعر مبلل.

رنّ هاتف جيسيكا في جيبها.

قرار الاستقالة يعود إليك، وفي هذه الحالة لن يطّلع أحد على هذه الوثائق التي لن يظهر لها أي أثر في الأصل.

حافظت جيسيكا على ملامح وجهها الخالية من أي تعابير.

غادر الرجلان المصعد في الطابق الأول، إلا أن رائحة الشامبو لم تفارق المكان، وكذلك الرطوبة المنبعثة من استحمام البشرة النضرة.

تابع المصعد طريقه إلى مرآب السيارات، فانفتح الباب، وعبرت جيسيكا الممر الصغير، ودفعت الباب الزجاجي لفتحه، ثم بدأت تتنقّل بين السيارات في اتجاه منحدر الخروج، فاستطاعت أن تسمع نبضها في الوقت الذي كان يتصبّب العرق البارد من جبينها.

لا تهربي، يا جيسيكا، لا تهربي.

من ستكون جيسيكا ما لم تكن شرطية؟ ماذا ستمتهن إن لم تعمل في هذا المجال؟

إنك مجرد فتاة فاحشة الثراء، وشديدة الشقاوة، ومرفهة للغاية، وفاسدة الأخلاق، وفارغة الرأس.

رنّ هاتفها، فتنفّست بعمق.

إنها على وشك أن تفقد عالمها السحري بالكامل، وفجأة شمّت رائحة الهال، والقهوة الطازجة، وشاي الورد، ومزيل العرق الخاص بيوسف، وعطر نينا، وسجائر إرني، والبارود المنبعث من الرصاصات التي لا تزال دافئة، والموضوعة في راحة اليد، وعرق راسموس، ومعطر الهواء المنبعث من حمام النساء، ورائحة الدم المنسكب على الأرض في غرفة الاجتماعات. كما شمّت رائحة الموتى الذين تحلّلت أجسادهم في الغابة طوال أشهر طويلة، بالإضافة إلى رائحة البول والبراز الكريهة...

رأت جيسيكا باب المرآب، والضوء المتسلل من تحته.

إنها تنتظر الشعور بالألم، وهي متأكدة من أنها ستشعر به، وأنه سيسيطر على جسدها من رأسها حتى أخمص قدميها، وقد يوهن قواها، ما قد يدفعها إلى الوقوع على الأرض، وهي تتلوّى من العذاب مثل الغزال المرهق بعد أن تلقّى طلقًا ناريًا بعد تصويب بندقية الصياد نحوه، فاستهلّ الضوء الأبيض تمهيدًا لحلول السلام المطلق.

توقّعت سماع صوت والدتها، ولكن الألم لم يصل إليها حتى الآن. لم تسمع ذلك الصوت الرقيق، ولم يمسك أحد بكتفها، كما أنه لم ينبعث أي ضوء أبيض، ولم يسد السلام.

ثم لاحظت أنها مخدرة تمامًا.

إنها تدرك أنها وحيدة تمامًا، وهي تبكي من شدة الألم، ولكنها لا تذرف الدموع من عينيها.

سمعت جيسيكا صوتًا، ولكنه ليس صوت والدتها بل كان صوتها، فذاتها كانت تخاطبها قائلة، إن كل شيء حصل للتو، وإنها تفضّل أن تتحمّل الألم، لأنها ستشعر على الأقل أنها لا تزال على قيد الحياة.

73

سار يوسف في الممر الذي بدا وكأن لا نهاية له، وقد أصدر حذاؤه المطاطي المبلل بعد أن غرق في الثلج الذائب صريرًا مع كل خطوة يخطوها، وبعد لحظات توقّف خلف مكتب راسموس الذي كان يضع سماعتيه، فلم ينتبه إلى وصول يوسف، ويبدو أنه كان يُحرّك كرة غولف تحت قدمه، وعندما لاحظ يوسف ما يقوم به، اندفع إلى الأمام وركل الكرة من تحت المنضدة، بعد أن أثار استغرابه ما كان يقوم به صاحبه.

سأله يوسف: "أين جيسيكا؟ إنها لا تردّ على هاتفها".

هزّ راسموس كتفيه بارتباك، وانتعل حذاءه بسرعة، وقال له: "ظننتكما أيها الرفيقان..."، أسند يوسف مؤخرته إلى مكتب راسموس، وقال: "نعم، لقد ذهبت لمقابلة هيلو، والآن لا يمكنني العثور عليها في أي مكان".

"هل ألمّ بها أي خطب؟".

وضع يوسف يده أمام فمه، وهو يقول: "تلقّيت للتو مكالمة، بينما كنت أدخّن في الخارج، فعرفت أن لدينا شاهد عيان على مقتل رودريغز، يعيش في مبنى مجاور، وهي امرأة كانت تشاهد التلفاز، ثم خرجت إلى شرفتها لتدخن سيجارة في أثناء الفاصل الإعلاني، فلاحظت توهّج ضوء عبر نوافذ مركز هلسنكي البديل للصحة والحب، يشبه وميض كاميرا".

تمتم راسموس: "أكان وميض فوهة المسدس؟".

"في ذلك الوقت لم تتوقّع المرأة أن ذلك ما حصل بالطبع، ولكنها تفيد الآن أن رجلًا يرتدي زيًا أسود غادر المكان، بعد أن سحب المقبض للتأكد من أن الباب مغلق، وكان يحمل حقيبتين، ولا بد أنهما احتوتا على المواد التي كنا نبحث عنها".

بدا راسموس مذهولًا.

"لم تنظر مطولًا إلى الرجل، إذ كان الظلام مخيمًا على المكان، ولكنها متأكدة من أنه لم يكن ضخمًا، وربما كان قصير القامة، وهو يرتدي معطفًا أسود ويعتمر قبعة، ويقع منزلها في الطابق السادس".

سأله راسموس: "هل يمكن أن يكون مطلق النار امرأة؟".

قال يوسف: "طرحت السؤال نفسه، ولكن الشاهدة لا تعتقد ذلك".

ضجت القاعة بأصوات ضحكات عالية، فالرجل العجوز الذي حقّق في قضايا الاحتيال في مجال التأمين لمدة خمسة وعشرين عامًا يحتفل بمناسبة تقاعده، والتوقف عن مزاولة العمل، بينما كان الجميع يعانقونه بحرارة، ويقدّمون إليه باقات الأزهار، والكعك، والقهوة.

قال راسموس: "حصلت على معلومات لها صلة بالرسالة، فتلقّيت مكالمة من خبير في اللغة اليابانية والكانغي الذي أرسلت إليه الرسالة ليترجمها، فقال إنه عندما نظر إلى الرسالة بتمعّن، وتفحَّص الأحرف بدقة، لاحظ أنها متقنة من الناحية التقنية، ولكن كاتبها لم يكن معتادًا على الكتابة بتلك اللغة، إذ تكون حروف الكانغي عادة مرسومة بترتيب معين، وبشكل واحد كل مرة، وفي العادة تُحلّل الكتابة اليدوية من خلال التأكد من المكان الذي بقيت فيه أداة الكتابة لفترة أطول تاركة علامة أغمق وأكثر اتساعًا على الورقة، وفي هذه الرسالة وردت الكثير من النقاط الغامقة، كما لو أن من كتبها كان يستعين بنموذج محدد".

سأله يوسف: "هل تقول إن من أرسل الرسالة لا يجيد الكتابة باليابانية؟".

"لقد بدا الخبير واثقًا من ذلك".

قال راسموس: "ما الذي يحصل بحق السماء؟ يبدو كما لو أن هناك شيئًا آخر، يا يوسف، انظر".

جلس يوسف إلى جانب راسموس ونظر إلى الشاشة التي تعرض صور كاميرات المراقبة الأمنية، وقال:

"الرسالة إلى والد ليزا مكتوبة على ورق خاص أزرق فاتح، وزنه 220 غرامًا، ولكنني لم أرَ مثله من قبل، وفي زاوية الورقة السفلية اليمنى وردت علامة مائية، كما أن المغلفات السوداء نادرة نسبيًا أيضًا".

"هل تقول إنك تستطيع تعقّب مصدر الورق والمغلف؟".

أومأ إليه راسموس، وقال: "يُفترض أن من اشترى الورق والمغلف، قد دفع ثمنهما نقدًا من أحد متاجر القرطاسية في مركز تسوق إيتاكيسكوس صباح الثلاثاء".

"هل يمكننا معرفة من اشتراها؟".

تجهّم وجه راسموس، وقال: "لا، ولكن هناك صندوق بريد بجوار متجر القرطاسية مباشرةً، ونحن نعلم أن الرسالة خُتمت بختم البريد في اليوم نفسه، لذلك يمكننا بسهولة التحقق من كاميرات المراقبة الأمنية، كما يمكننا أن نعرف إن كان المرسل قد ذهب إلى مكان ما لكتابة الرسالة، أو إن كان قد أرسلها عبر صندوق البريد القريب، إذ يُفرغ صندوق البريد عند الساعة الثانية ظهرًا، ويُفترض أنه وضع المغلف قبل ذلك الوقت".

"إن افترضنا أنه استخدم صندوق البريد ذاك، فأنت لا تعرف الشخص الذي ستبحث عنه، كما أنك لا تعرف عدد الأشخاص الذين أسقطوا رسائلهم في صندوق البريد ذلك صباح الثلاثاء، فقد يبلغ عددهم المئة".

أشرق وجه راسموس، وقال له وقلبه يشتعل أملًا: "ولكن المغلف الأسود يميّز تلك الرسالة".

همهم يوسف قائلًا: "صحيح، ولكن هل يمكن رؤية لون المغلف من خلال هذه الزاوية؟".

أشار راسموس إلى امرأة عجوز تضع مغلفًا أبيض عبر الفتحة، وقال له: "نعم".

جذب يوسف راسموس من كتفيه ودفعه بلطف، وقال له: "أحسنت، يا راسي، لنتمنَّ أن تكون على حق، وسأحاول الآن العثور على جيسيكا".

74

مشت جيسيكا إلى الباب، وهي تحمل المفتاح في يدها، فقد مرّت بهذا المكان طوال سنوات عديدة، ودخلت الممر والمصعد الصغير الضيقين اللذين يقودانها إلى الأستوديو الواقع في الطابق السادس، ذلك الأستوديو الذي كان مجرد واجهة، كما كان مدخل الشارع الجانبي هو البوابة إلى العالم الذي أرادت أن يراه الجميع، ولكن إن تبعها أحد، ورآها تدخل من الباب الآخر، فهل كان ذلك سيحطّم الوهم الذي أحاطت به نفسها؟

هل هي الساحرة التي تتحدّث عنها والدتها؟ هل لأبواب الدرج بطاقتان، وإحداهما مخصصة لتشتيت الانتباه؟ لعبت جيسيكا بحلقة مفاتيحها، وأخرجت مفتاحا مغايرًا، يشبه المفتاح الأول برأس أسود، ولكنها ميّزته بحلقة بلاستيكية صفراء بدلًا من الحلقة الزرقاء، ثم استدارت، ونزلت عن عتبة الباب، واتّجهت إلى الزاوية، ثم انعطفت إلى الجهة اليمنى من المبنى المثلث الشكل.

دخل المفتاح في القفل، وبعد لحظة انفتح الباب، لقد مرّت سنوات طويلة لم ترَ فيها الرواق الواسع، ولكنها لا تزال تتذكّر رائحته الشبيهة برائحة المتحف، ثم أغلقت الباب بقوة، ودخلت إلى المنزل، كما لو كانت تدخل كنيسة تعود إلى العصور الوسطى، حيث يبدو أن قوة غير مرئية تراقب كل خطوة تخطوها.

لن يتعرّف إليها أحد في هذ المبنى، على الرغم من أنها تمتلك أكبر شقة في المبنى بالإضافة إلى الأستوديو الملحق بها، إنها جيسيكا فون هيلينز الغامضة، التي مثّلها لسنوات طويلة محامٍ في اجتماعات المالكين، ولكنها قرّرت ألا تتسلّل مجددًا عبر المدخل الجانبي، وألاّ تدخل بعد الآن إلى ذلك الأستوديو.

فتحت جيسيكا البوابة المؤدية إلى المصعد القديم، فرنّ هاتفها مرة أخرى، لقد سبق أن اتّصل بها يوسف أربع مرات، وعليها أن تردّ عليه، وأن يسمع منها القرار الذي اتّخذته.

قالت له، وهي تشعر بغصة في حلقها تكاد أن تخنقها: "مرحبًا يوسف".

سمعت صوت تنفس يوسف، وهو ينفخ دخان سيجارته، قبل أن يقول لها: "إلى أين ذهبت اليوم؟".

"عدت إلى البيت، بل عدتُ إلى المنزل، يا يوسف، لأن...".

"تلقّيت مكالمة منذ ساعة من شاهدة عيان، قالت إنها شاهدت شخصًا يرتدي ملابس سوداء، يغادر مركز خوسيه رودريغز في الوقت الذي نتوقّع وقوع جريمة القتل فيه، وهو لم يكن طويلًا جدًا، و...".

بينما كانت جيسيكا تستمع إلى كلمات يوسف، حدّقت إلى نمط الجدار الرخامي للرواق، فبدا لها كما لو أن بضع قطرات من الحبر الأسود، قد انسكبت في مياه صافية، فأغمضت عينيها، وقالت: "يوسف...".

"اسمعي، جيسي، اللعنة، لقد اكتشف راسي للتو عبر إحدى صور كاميرات المراقبة الأمنية أن شخصًا ما وضع مغلفًا أسود في صندوق بريد محطة مترو أيتاكيسكوس يوم الثلاثاء عند الساعة الثانية عشرة والربع ظهرًا، وهو يرتدي سترة سوداء مزودة بقبعة للرأس، وبنطال كارغو، وجزمة عسكرية...".

"يوسف...".

"...لم يكن الوجه ظاهرًا، ولكن طول القامة مطابق لطول قاتل رودريغز، ربما 165 سم، كما أنه هزيل البنية...".

قالت جيسيكا بحدة: "يوسف!"، فارتدّ صدى صوتها في أرجاء المصعد.

أخيرًا صمت يوسف، ما سمح لجيسيكا بأن تتخيّل وجهه المتفاجئ، وهو في الجانب الآخر من الخط، فأصغت إلى صوت أنفاسه اللاهثة لثانية قبل أن تقول له: "غادرت المقر، ولم أعد أعمل على تلك القضية".

"ما الذي تتحدّثين عنه، يا جيسي؟".

"سأخبرك بالأسباب لاحقًا".

"ماذا تقصدين بأنك لم تعودي تعملين على القضية؟ هل كلّفتك هيلو بقضية أخرى؟".

تنفّست جيسيكا بعمق، وضغطت على زر المصعد، وهي تستجمع قواها، ثم قالت بصوت مرتجف: "لم أعد شرطية بعد الآن، يا يوسف".

"ما الذي تقصدينه من قولك إنك لم تعودي...".

قالت له: "لا تخبر أحدًا بذلك الآن، فأودّ أن أخبر الفريق بنفسي غدًا"، ثم أنهت المكالمة، ومسحت الدموع التي سالت على خدّيها، فقد بدا واضحًا من ردّ فعل يوسف، أنه كان يصرّ على الحصول على توضيح، لأنه يستحقّ أن يعرف الحقيقة كاملة، وربما ستخبره بتلك الحقيقة بعد أن تعاشره.

عندما توقّف المصعد في الطابق السادس، أدركت جيسيكا أنها أصبحت حرة أخيرًا مثل أي كائن حر آخر، فلا يستطيع أحد أن يقول لها ما يتحتّم عليها القيام به بعد الآن، كما لن يستطيع أحد التحكم في تصرفاتها بعد الآن.

لقد أصبحت حرة، ولكنها في الوقت نفسه أصبحت وحيدة أكثر من أي وقت مضى.

إنها لا تستطيع النوم في شقتها الأساسية، لأنها تذكّرها كثيرًا بإرني، وبالفجوة الكبيرة التي أحدثها موته في قلبها، وبينما كان المصعد يتوجّه نحو الأسفل، استعرضت مكالماتها الواردة، فاختارت الاسم الوحيد الذي يمكن أن يريح الليلة عقلها وقلبها.

75

قالت جيسيكا في الوقت الذي كان فيه فرانك دومينيس يجلس إلى الطاولة، ويضع معطفه على ظهر الكرسي: "تبدو أنيقًا اليوم"، كان يرتدي قميصًا أزرق اللون، وبذلة داكنة، ويضع ربطة عنق، وبينما كان قلب جيسيكا ينبض بسرعة كبيرة، لم تتذكّر أنها شعرت بتلك المشاعر من قبل.

أجابها دومينيس وهو يخلع سترته: "هذه الملابس التي أرتديها عندما أعمل في النادي، فهو زي عملي الموحد".

"هل ذلك صحيح... على الرغم من أنك قلت إنها كانت ليلتك الأولى... منذ سنتين على ما أعتقد؟".

ابتسم دومينيس، وهو يفكّ أزرار كميه، ثم شمّر عن ساعديه، وقال لها: "لقد جئت للتو من اجتماع مع مالكي فينكس، وهم يخطّطون لافتتاح مطعمين جديدين في هلسنكي وتوركو، ويريدون أن أتولّى إدارة المشروعين، يبدو أنني أجيد القيام بعملي على أكمل وجه".

قالت جيسيكا وهي تشير إلى النادل: "تهانينا، يا فرانك، قد أصبح لدينا إذًا سبب آخر للاحتفال".

"ما السبب الأول له؟".

نظرت إليه جيسيكا نظرة، بدت وكأنها تركت شيئًا ما يفلت منها: "لنقل إنني أنهيت الأمور العالقة في العمل".

"ماذا يعني ذلك؟ هل حللت القضية؟ هل ليزا...؟".

"فرانك، لن أكون جزءًا من فريق التحقيق بعد الآن".

أومأ دومينيس إليها برأسه، وهو يشبك يديه على الطاولة، وبعد أن رفع كميه ظهر معصماه المشعران اللذان يغطّيهما الوشم.

طلبت جيسيكا نبيذًا أبيض.

قال لها دومينيس: "حسنًا، دعينا لا نتحدث عن ذلك، لنأمل أن يعثر على ليزا أيًا كان من سيتولّى التحقيق في تلك القضية".

"استطعت أن أعالج بعض الأمور اليوم خلال ساعتين، ولكن استوقفني أمران".

"ما هما؟".

"الأول كان الدافع الغريب إلى الاتصال بك، للقائك والتحدث إليك".

ابتسم دومينيس ابتسامة رقيقة، وقال لها: "أنا أشعر بالإطراء، أيتها المحققة".

"في الواقع يتضمّن الأمر الآخر الكلام الذي نطقت به للتو".

"أتقصدين عبارة *أشعر بالإطراء*؟".

قالت له جيسيكا: "بل صفة *المحققة*".

من خلال الطريقة التي نظر إليها دومينيس فهمت أنه يدرك الآثار المترتبة على ذلك.

"... أنا آسف... أعتقد؟".

"كل الأمور على ما يرام، فلم أعد متأكدة من أنني أريد أن أكون محققة بعد الآن".

شعر دومينيس بأنه لا يفهم ما تقوله، وعندما أحضر النادل ما طلباه إلى الطاولة، تفحّصت كل ما في الصالة، فلاحظت أن الشموع على الطاولات المجاورة تذوب شيئًا فشيئًا.

"لماذا لا تريدين أن تكوني محققة بعد الآن؟".

"خسرت صديقًا في الربيع الماضي، كان بمثابة مرشدي تقريبًا، فقدته بعد إصابته بمرض السرطان".

قال دومينيس: "تعازيّ الحارة"، سكب الكولا على مهل فوق الثلج من دون أن يرفع عينيه عن جيسيكا.

"لقد كان ضابط شرطة، وسندي الوحيد في هذا العالم الموحش. وبعد أن رحل، لم أعد أعرف إن كنت لا أزال أرغب في العمل، أو أنني أعمل من أجل الحفاظ على الرابط العائلي القوي، وأنا أعني بالرابط العائلي ما يجمعني بزملائي...". حاولت جيسيكا أن تبدو متماسكة، لتتجنب أن تبدو حمقاء تمامًا، بينما كانت تغمرها موجة جارفة لا نهاية لها من الإحساس بالشفقة على الذات: "... زملائي في العمل، هم أفراد العائلة الوحيدة التي بقيت لديّ".

قال دومينيس: "فكّري بإيجابية، يا جيسيكا، إذ يبدو رائعًا أن تكون علاقتك متينة بزملائك".

"لقد كانت علاقتي قوية بهم، وكان فعل ماضٍ، وهذا بالضبط ما أتحدّث عنه، يا فرانك، وأعتقد أن وقت الرحيل قد حان".

صدحت ضحكة عالية في الحانة، *هل يمكننا أن نعيش بعض الأحداث الغريبة؟ لا؟ فيرنت، يمكن أن نعيشها الليلة.*

عندما يسمع دومينيس الضوضاء لا يبالي، ففي عالمه تشير ضوضاء الثمالة وفوضاها إلى أن كل الأمور تسير على أفضل ما يرام، أما الصمت العميق فيجعله يتساءل عما إذا كان قد حصل خطب ما، فابتسم دومينيس من خلف كأسه الزجاجية، وقال لها: "حسنًا، لم تعودي شرطية، لهذا السبب كان لديكِ الشجاعة للاتصال بي".

"ماذا تقصد من كلامك؟".

"إذا كنتِ تحقّقين في قضية ما، ستلتزمين بتأدية عملك، من دون أن تطلبي أن نلتقي لتناول المشروب معًا، لأنك ستجدين أن ذلك غير مناسب".

"لا تحمّل المسألة أكثر مما تحتمل، يا فرانك، كنا نستجوبك بصفتك شاهدًا محتملًا لا أكثر".

انفجر دومينيس ضاحكًا، وقال: "أيًا يكن الأمر، هل أفترض أن زملاءك السابقين يعرفون أنكِ تحتسين برفقتي الشراب الآن؟".

لم تنطق جيسيكا بكلمة واحدة، بل نظرت إلى دومينيس، فعكست عيناه الإحساس بالثقة والرضى والإدراك، فربما كان فرانك دومينيس هو الشخص الذي انتهى به المطاف إلى امتهان مهنة خاطئة، كما يمكن أن تتخيّله جيسيكا، وهو يحمل لوحة الرسم بيده، ويرتدي قميصًا أبيض ملطخًا بالألوان المتنوعة.

في النهاية قالت له: "لا"، فابتسم ابتسامة خفيفة.

"لذلك أنا على حق".

"هل تقول إنني تنحّيت لا شعوريًا من أجل أن أتمكّن من الالتقاء بك، ومشاهدتك وأنت تشرب الكولا ليلة الخميس؟".

مسح دومينيس زاويتي فمه بمنديله الأحمر الداكن، وقال لها: "الدماغ البشري فضولي بشكل غريب، وأنا متأكد من أنكِ شرطية ماهرة، ولكنني أعتقد أيضًا أنكِ ستبدعين في أي عمل آخر قد تمتهنينه، يا جيسيكا".

لقد مرّت جيسيكا بظروف صعبة كثيرة، حالت دون شعورها بالغرور بسبب الإطراء، ولكن شيئًا ما في كلمات فرانك بدا حقيقيًا وصادقًا، ففي الليلة الماضية شعرت بأنه ليس شخصًا ماكرًا، وربما تبجّح ذات مرة بإنجازاته، ولكنها ترى أن تلك الأيام قد ولّت.

نظرت إليه مستغلة الفرصة للتودّد إليه، وقالت: "واو، فرانك، أعتقد أنها المرة الأولى التي لفظتَ فيها اسمي".

فكّ دومينيس ربطة عنقه، وشبك ذراعيه إلى صدره، بينما كانت تعبر سيارة إسعاف بجوار الحانة مطلقة صفارة الإنذار، فكانت جيسيكا تصغي إلى صوت الصفارة الذي بدأ يتلاشى تدريجيًا، وهي تدرك أنها لا تستطيع تقديم المساعدة بعد الآن، وأن حياتها السابقة بدأت تتلاشى، وأنها بدأت تغرق في المجهول.

"منذ وقت طويل، أيتها المحققة".

أطبقت جيسيكا شفتيها وفكّرت في أنه يشبه إرني كثيرًا، باللكنة الأميركية، واللحية الخفيفة والخشنة، والشعر الأسود الكثيف، الذي بدأ يصبح رماديًا

بعض الشيء عند الصدغين، فهو رجل جذاب، وعريض المنكبين، ويبلغ العمر نفسه.

على الرغم من أنه لم يكن هناك أدنى تلميح إلى الانجذاب الرومانسي بين إرني وجيسيكا، إلا أنها شعرت بأن شيئًا في داخلها يمكن أن يتطوّر، ويتحوّل إلى ارتباط حقيقي مع مرور الوقت، وكما شعرت عندما التقت بإرني، شعرت وكأنها التقت بفرانك منذ زمن طويل، وأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين طويلة.

وضعت إصبعها على حافة كأسها، وقالت له: "أعتقد أنني أرغب في أن أحصل على كأس أخرى من هذا الشراب".

76

فتحت جيسيكا باب الأستوديو الخاص بها، وخلعت حذاءها تحت مشذب المعاطف.

قال فرانك دومينيس، وهو يقف على عتبة الأستوديو المعزول عن سائر المبنى: "يبدو مريحًا للغاية"، ثم دخل الشقة، فجالت عيناه في الأرجاء من دون أن يخلع حذاءه، بينما توجّهت جيسيكا نحو الثلاجة، وقالت له: "هل تعتقد ذلك؟ لدي بعض البيرة هنا..."، وفي الحال وضعت يدها على جبهتها من دون أن تكمل كلامها، ثم قالت: "آسفة، لقد نسيت..."، فضحك دومينيس بحرارة، ولوّح بيده، وهو يقول لها: "لا تقلقي، جيسيكا، فلو تدركين عدد المرات التي طلبت فيها كأس ويسكي مضاعفة على مرّ السنوات، ثم قدّمتها إلى شخص آخر".

"أتودّ الحصول على مياه معدنية؟".

خلع فرانك حذاءه البني اللون، وتركه بجوار حذاء جيسيكا، ثم قال لها: "نعم، من فضلك".

سحبت جيسيكا كأسين من الخزانة، وسكبت مياهًا معدنية لكليهما، فرفعت كأسها، ثم ما لبثت أن أعادتها إلى مكانها، *حسنًا، أحتاج إلى شيء أقوى.*

سألته: "هل تمانع إذا تناولت مشروبًا ما؟".

ابتسم فرانك وهزّ رأسه نافيًا، ثم اقترب منها، وأخذ منها كأس المياه المعدنية، وشرب مقدارًا كبيرًا منها، وبعد ذلك أشار إلى النافذة، وقال لها: "يا لها من إطلالة ساحرة!".

تململت جيسيكا من إجراء هذا الحديث القصير الذي لا يفيد أي منهما.

لا بد أن دومينيس قد استضاف على مدار العشرين عامًا نخبة سكان المدينة، كما زار بكل تأكيد أكثر المنازل المميزة لكبار الشخصيات في هلسنكي، من المنازل المحافظة في إيرانرانتا إلى فيلات كولوساري، كما يُحتمل أن يكون قد سافر على متن طائرات خاصة برفقة المشاهير، وشارك في حفلات اليخوت في موناكو، حتى ولو فعل ذلك باتزان ووعي كما يدّعي، إلا أن لا شيء في هذا الأستوديو المتواضع يمكن أن يثير إعجابه، *تبدو مريحة للغاية، يا لها من إطلالة ساحرة*... وغيرها من العبارات التافهة، فقد أراد جزء من جيسيكا الإمساك بمعصم فرانك، وسحبه إلى الخارج عبر الباب الخلفي مرورًا ببيت الدرج إلى المنزل الفاخر الذي تقدّر قيمته بأربعة ملايين يورو، لتظهر له أن الشرطيين يجيدون الاستمتاع بالحياة والعيش برفاهية أيضًا، كما أراد جزء منها أن تسحبه إلى غرفة الجلوس الضخمة ليرى اللوحات الفنية الباهظة الثمن، والمعلقة على الجدار المؤدي إلى الطابق الأعلى عند صعود الدرج، وأرادت أن تسلبه عقله غرفة النوم المفروشة بالسجاد الأسود، والسرير الضخم... كم كانت تودّ أن ترى الصدمة على وجه ملك هلسنكي ديمي!

لماذا لا تجرؤ على أن تفعل ذلك؟ بعد أن انتهت حياتها المهنية في مجال إنفاذ القانون، ما الذي يمنعها من الكشف عن حقيقتها؟ لن تحتاج إلى حجب أي معلومة تتعلّق بحياتها بعد الآن؟

لكن جيسيكا تعرف في أعماق نفسها أنها لا تستطيع القيام ذلك، فقد أدّت دورها لفترة طويلة من الزمن إلى درجة أن الأمر سيستغرق أكثر من مجرد نزوة لتدمير قوقعتها، بل سيتعيّن عليها تفكيك تلك الطبقية الزائفة والكلام المنمق، كما كانت تصمّم الكذبة تمامًا، وتلتزم بها لسنوات عديدة.

استعادت جيسيكا أفكارها عندما وضع دومينيس كأسه على حافة النافذة، ومدّ يده إلى كتفها، وهو يحكّ بيده الأخرى لحيته الخشنة.

"جيسيكا، لست متأكدًا... ولا أريدك أن تفكّري...".

سألته مستنكرة: "ما الذي تقصده من كلامك؟" تردّد صدى الكلمات الفظة في الغرفة، فبدا تصرفها أشد فظاظة مما كانت تقصده.

رفع دومينيس حاجبه مستغربًا: "ماذا؟".

لا يزال العبوس باديًا على وجه جيسيكا، ولكن صوتها ظلّ ثابتًا: "حسنًا، لماذا تتحدّث عن الإطلالة الساحرة وحول ما تريده وما لا تريده؟ ما الذي لا تريدني أن أفكّر فيه؟".

كشف فرانك عن أسنانه المتناسقة، وهو يضحك ضحكة عريضة: "واو، إنني لست بيمبو قذر في العشرين من العمر تسحبينه من الحانة، جيسيكا".

حرّر فرانك كتف جيسيكا، وخطا خطوة إلى الوراء، وقال لها: "آسف، كنت أُفكّر فقط...".

"آسف، آسف، آسف! بحق الجحيم، أين السيد فرانك دومينيس، الرجل اللعين والأكثر شهرة في المدينة؟ الرجل الذي يُفسد تسع علاقات من أصل عشر؟".

وقف دومينيس في مكانه، واضعًا يديه على خصره، وحدّق إلى جيسيكا متململًا، ثم توجّه نحو المدخل، وقال لها: "هل تريديني أن أغادر شقتك؟".

أمسكت جيسيكا بفرانك من ياقة قميصه، وقالت له: "لن تذهب إلى أي مكان، فأنت ستخدعني في شقة الأستوديو التي تفوح فيها رائحة العرق، وستقول لي *إنك ستفشلين وحدك في المستقبل كونك الشرطية السابقة التي لا تريد أن تكون بمفردها الساعة التاسعة صباحًا، كما تريد أن تكون إحدى العلاقات التسع الفاشلة*".

أنهت الجملة بصوت خافت، ولكن يبدو أن كلامها أثار إزعاج دومينيس، فبدا أن سمعته التي تضاهي سمعة كازانوفا، ليس لها أي أساس في الواقع، وإنّما هي مجرد شائعة تحوّلت إلى قصة أبدية.

"أنتِ فتاة متوحشة، يا جيسيكا".

لفّ فرانك ذراعيه حولها، فتلاشى ارتباكه خلال جزء من الثانية، ولمعت عيناه بالثقة بالنفس مرة أخرى، وفجأة لم تستطع جيسيكا الابتسام، فضغطت على

دومينيس، ووضعت وجهها على وجهه، وفتحت فمها، ومدّت لسانها بين أسنانه المتناسقة.

أخيرًا، اشتعل في داخل دومينيس بعض الأمل، عندما شعرت جيسيكا بأصابعه تضغط على الجزء الخلفي من رقبتها، وبعد لحظة، فكّ أزار قميصها العلوي، وساعدها في سحب قميصها من فوق رأسها، فسرت قشعريرة في جسد جيسيكا، وهي تشعر بلسان دومينيس يداعب رقبتها، فأنّت من الإثارة، ثم فكّ حمالة صدرها بسلاسة، وألقى بها أرضًا، ثم دفعها إلى السرير.

خلع دومينيس قميصه، وكشف عن جذعه الموشوم بنسبة كبيرة، فظهرت ندبة على بطنه، تدلّ على أن هذا الجسم قد نال نصيبه من ضربات العالم القاسي، ولكنه نجا منها كلها، فبدا تجسيدًا دنيويًا للروائح الفواحة، والأصوات الصاخبة، والأحاسيس المرهفة، وها هو يختار جيسيكا لتكون ملكه في هذا المكان والزمان تحديدًا من دون أن يكترث لأي أمر في الوقت الراهن، يمكن أن ينهمك به غدًا.

شعرت جيسيكا برأسه ينزلق على بطنها، وهو يسحب ملابسها الداخلية، ما أفسح المجال للسانه الرطب أن يحوم هامسًا بأرق الكلمات، مصحوبًا بأصابع صلبة، ولكنها كانت تغوص في الأعماق مرارًا وتكرارًا بكل رقة ولطف.

تستطيع جيسيكا القول إن جسدها تهيّأ للنشوة أسرع مما كان عليه منذ وقت طويل، فهمست في الوقت الذي تحرّكت فيه أصابع فرانك بشكل أسرع وأسرع: "القرف المقدس، يوشك أن ينبعث...".

"لا، لن أسمح بذلك، ليس بعد"، توقّف عن اللعق، وقال لها: "ليس من دوني".

انقضّ فرانك على جيسيكا برشاقة النمر وخفته، ثم غاص وجهه في شعرها الأسود الداكن والأجعد، فشعرت بأنه يغرق في أعماقها، ثم رفع ركبتيها، ومدّ ساقيها، وهو يتحرّك وفق سلسلة من الدفعات الإيقاعية غير المتشابهة، ويختبر الحدود المسموح له بعبورها، ويغيّر الإيقاع في بعض الأحيان، وطوال الوقت يتقدّم إبهامه حيث توقّف لسانه.

همست جيسيكا له، عندما شعرت بأنها أوشكت على...: "لا تتوقّف أبدًا"، ثم شعرت بالنار تسري في عمودها الفقري، ثم تغلغلت في كامل جسدها مثل الدم الذي يسري في عروقها.

أرادت أن يستمرّ ما تشعر به إلى الأبد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

77

حدّق يوسف إلى الصورة المعلقة فوق المبرد، والمحاطة بإطار أبيض خلفي، صورة الأستوني وهو يبتسم بزيه الرسمي، إنه يراقب مرؤوسيه السابقين... ولكن لماذا لا يسير الآخرون على دربه؟ هذا ما أشارت إليه جيسيكا عندما علّقت صورة إرني في نهاية الصيف.

جلس يوسف وراسموس أمام الحاسوب، فوضع يوسف يده على فمه، بعد أن خذل مزيل العرق راسموس مرة أخرى، وها هو العرق يسيل من مسامه مجددًا. أرجع يوسف ظهره إلى الخلف، في حين انحنى راسموس بشدة في اتجاه الشاشة، فبدا كما لو أن عموده الفقري سينكسر في أي لحظة.

عُرضت ملفات تسجيل كاميرات ملهى فونيكس على الشاشة.

سأل راسموس: "ألم يكن قادرًا على تحديد الإطار الزمني بدقة؟ أكان صباحًا أم مساء على سبيل المثال؟".

"أظنّ أن الوقت كان عند الظهيرة وأمام باب الطابق السفلي".

فجأة انحنى يوسف على الطاولة، وغطّى وجهه بين ذراعيه، بعد أن فقد سيطرته تمامًا، وقال: "اللعنة، راس" إنه يئنّ من الاشمئزاز، وقد أمكنه سماع صوته المكتوم في كم قميصه.

نقر راسموس نقرة ففتح ملف فيديو جديد، وحصر البحث في وقت محدد من اليوم.

"ما الخطأ الذي حصل؟".

"لماذا لا نزال نعمل حتى وقت متأخر؟ فما نقوم به لا معنى له، إذ سيكون الحمقى المرسلون من مكتب التحقيقات الوطني هنا في صباح الغد، وسيدمّرون

كل ما أنجزناه حتى الآن على أي حال". رفع يوسف رأسه، وأسند ظهره إلى ظهر المقعد، وهو يشاهد اللقطات المتغيرة باستمرار على الشاشة، ومن بينها نقل صناديق المشروبات والإمدادات الأخرى استعدادًا لحفل إطلاق الألبوم.

شبك راسموس ذراعيه أمام صدره، وقال: "أنا أعرف ما تعنيه، فهو موقف صعب بكل تأكيد، ولكن ألست مهتمًا باكتشاف الحقيقة؟ أليست الحقيقة هي التي تدفعنا إلى بذل أقصى الجهد، وحشد كل طاقاتنا وقدراتنا من أجلها؟".

أجاب يوسف: "إن ما يحفّزنا بالتأكيد ليس الراتب الذي نتقاضاه، بل الوصول إلى الحقيقة بأنفسنا بدلًا من الاكتفاء بالنظر إليها من فوق كتف أخينا الأكبر".

لا نعرف كيف ستُوزّع الأدوار في الصباح، فربما سيسمحون لنا بمواصلة العمل على القضية".

ما إن ركّز يوسف انتباهه على الشاشة حتى شعر بأن أنفاسه تكاد تنقطع.

"انظر إلى هذا المشهد".

كانت الشاشة مقسمة إلى أربعة مربعات متساوية، وكل مربع يعرض لقطات فيديو سُجّلت يوم إطلاق تسجيل كيكس ماكس، بينما الساعة الرقمية في الزاوية اليمنى العلوية تشير إلى الساعة الثانية عشرة وستّ عشرة دقيقة، فضغط يوسف بإصبعه على اللوح الذي يُظهر مدخل الملهى الليلي في الطابق السفلي قبالة ميدان نارينكاتوري، وعندما سحبه كشف عن رجل يرتدي معطفًا أسود طويلًا، فنظر يوسف إلى راسموس الذي بدا وكأنه رأى شبحًا.

"صحيح إنه...".

قال يوسف بهدوء: "إنه الشبح"، ثم أخذ الماوس من يد راسموس، وأوقف الصورة مؤقتًا.

كانا يتفحّصان الرجل الآسيوي، وهو يقترب من مدخل الفونيكس، ولكنه توقّف على بعد أمتار قليلة، وقف في مكانه منتظرًا بهدوء تمامًا كما فعل في وقت متأخر من تلك الليلة في الحفل، فمرّت دقائق ولم يحصل أي تغيير، ثم رفع ذقنه ونظر حوله، وفي

النهاية نظر إلى الكاميرا، وللحظة بدا وكأنه يحدّق إلى عيني راسموس ويوسف.

تمتم يوسف: "ماذا يفعل بحق الجحيم؟".

أجابه راسموس: "يبدو الأمر وكأنه يريد أن يلفت الأنظار إليه".

مرّت دقيقتان أخريان، ثم ظهر أمام الباب شخص يرتدي سترة، ويعتمر قبعة على الرأس، فصافح الرجل الياباني، ووقف الاثنان جانبًا.

بدا الرجل الذي يرتدي سترة، ويغطّي رأسه في أواسط العمر، وفقًا لحجم بنيته ونوع ملابسه، على الرغم من أن وجهه لم يكن مرئيًا.

كبّر راسموس الصورة، فبدت أكثر وضوحًا، وظهر الشبح، وهو يعطي الرجل الآخر غرضًا ما، ولكن كان يستحيل تحديد نوعه.

قال يوسف بصوت خافت: "بالله عليك، من يكون هذا الرجل؟".

"يبدو أنحف من عالم".

يبدو الرجلان في تلك اللقطات يتبادلان الحديث، مرّت دقيقة، وتلتها دقيقة أخرى، ثم فجأة نظر الشبح إلى باب الفونيكس والسيارات المتوقفة إلى اليسار، فبدا واضحًا أنه رأى منظرًا أقلقه، لأنه أدار وجهه بعيدًا عن الكاميرا، ثم سارع إلى الابتعاد عنها.

بدت الحماسة على وجه يوسف، وهو يقول: "لقد اختفى بسرعة، ما الذي أخافه؟"، ثم تفحّص راسموس الكاميرا خارج النادي، وحين نقر على زر الكاميرا الثابتة في الزاوية المقابلة، لم يظهر على الشاشة سوى عربة الملهى الليلي البيضاء، التي كانت متوقفة منذ فترة طويلة، وبعد فترة وجيزة ظهرت سيارة مرسيدس سوداء إلى جانبها.

قال يوسف: "انظر"، *فالتيري، إنه جيمس.*

خرج رجل قوي يرتدي بذلة داكنة، ومعطفًا أسود، فكاه ضخمان، وأنفه ملفت للنظر، إنه حقًا يشبه *كليتشكو*. تابع يوسف كلامه قائلًا: "أراهن أن الشخص التالي الذي نراه يدخل اللقطة سيكون صاحب عالم... اللعنة، يا له من رجل ضخم!".

"لم يسمح الشبح بأن يراه جيمس".

سحب يوسف علبة علكة من جيبه، وبدأ يحرّك فكيه بلا هوادة، وهو يقول: "ارجع إلى الكاميرا الأولى".

أظهر راسموس الزاوية الأولى، فلاحظا أن الرجل الذي كان يتحدّث إلى الشبح لا يزال واقفًا في مكانه، وقد وضع يده على خصره، ثم شاهد الشبح يغادر المكان.

"استدر حتى نتمكّن من رؤيتك، أيها الأحمق"، مضغ يوسف بضع حبات أخرى من العلكة، وقال: "تعالَ، استدر..."، استدار الرجل، وعاد سيرًا على قدميه إلى المدخل، فألقى غطاء المعطف بظلاله على الوجه، ومع ذلك كان يمكن ملاحظة الاضطراب العاطفي العميق الذي بدا عليه.

قال يوسف وهو يراقب عودة الرجل إلى الملهى الليلي: "يا إلهي! اتصل بجيسيكا في الحال".

78

مرت عدة ثوانٍ قبل أن تدرك جيسيكا أن الصوت يصدر عن هاتفها الذي لا يزال في جيب بنطالها الجينز الملقى على الأرض بجوار السرير.

"يوسف... لقد أخبرتك...".

ارتفع صوت يوسف، وهو يسألها: "هل أنت نائمة؟".

فتحت جيسيكا عينيها، ونظرت إلى ساعتها، وبالكاد استطاعت أن تراها بوضوح في الظلام.

"نعم، ما خطبك؟".

قال لها: "دومينيس!"، وقد نطق بالاسم بصوت عالٍ، وسرعان ما أخفضت جيسيكا مستوى الصوت، ثم قالت له: "انتظر لحظة".

بينما كانت تنهض من السرير على مهل، رفع فرانك دومينيس رأسه عن وسادته، فهمست جيسيكا إليه، وهي تضغط الهاتف على صدرها: "إنها مكالمة تخصّ العمل"، ثم توجّهت إلى الحمام على رؤوس أصابعها، وأغلقت الباب خلفها.

إلا أن دومينيس كان يعرف أنها لم تعد شرطية.

نظرت جيسيكا إلى المرآة، وهي تضع الهاتف على أذنها، بينما كان قلبها ينبض بقوة في صدرها، فسألته: "ما الذي قلته؟"، لم تصدّق أن يوسف ذكر بالفعل اسم *دومينيس* قبل لحظات عبر الهاتف، وأملت في أن تكون قد أساءت فهمه، وأنه أراد أن يضايقها.

قال لها يوسف مؤكدًا: "إن فرانك دومينيس يسخر منا جميعًا، يا جيسي".

أحكمت جيسيكا قبضتها على هاتفها، وقالت له: "ما... ما الذي اكتشفته عنه؟".

قال لها يوسف: "لقد قابل الشبح، ولم يفاجئني ذلك، لأنني كنت واثقًا من تورّطه في هذه المسألة التي تثير اشمئزازي، على الرغم من ادّعائه أنه لا يعرف الشبح عندما أريناه صورته، بينما كنّا نقلب المدينة رأسًا على عقب بحثًا عنه!"

شعرت جيسيكا بالخواء العاطفي، وبتلاشي قوة جسدها، ما جعل كل خلية فيه تفقد قدرتها على استعادة حالة التأهب القصوى التي كانت تمرّ بها في مثل تلك الحالات.

لا يمكنه تلفيق *كل تلك الأكاذيب*، وقد جعلها إيمانها بذلك تغضب على يوسف، لأنه أيقظها من حلم جميل في نهاية أمسية مثالية من أجل تشويه سمعة الرجل الذي لا يمكن أن يكون متورطًا في اختفاء ليزا بأي شكل من الأشكال، لقد *سبق لنا أن حقّقنا في تلك المسألة*.

"هل سمعتني، يا جيسي؟ لقد التقيا السبت الماضي، يوم حفل إطلاق ألبوم كيكس ماكس عند الساعة الثانية عشرة وست عشرة دقيقة خارج فونيكس، ورأيت أنه يتحتّم عليّ أن أبلغك بما اكتشفناه، على الرغم من...".

"انتظر، لحظة"، فتحت الصنبور، وأملت في أن يحجب صوت المياه الجارية الكلام الذي تتلفّظ به، وألا يسمح له ببلوغ الغرفة المجاورة.

تزاحمت الأفكار السوداء في دماغها المتعب، بعد أن انهمكت في التفكير في ما أخبرها به يوسف للتو، ولكن ذلك بدا في غاية السخافة، إذ لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا بأي شكل من الأشكال.

"ما الذي تتحدّث عنه، يا يوسف؟ ما الذي فعله...".

"أشاهد أنا وراسموس الآن لقطات كاميرات المراقبة، وهي تظهر الشبح ودومينيس يقفان معًا خارج النادي، ولا شك في أن هذا الوضيع كان يخدعنا طوال الوقت، فهو يعرف بالضبط هوية الشبح، والسبب الذي جعله يحضر إلى حفل كيكس ماكس".

تسارعت ضربات قلب جيسيكا، بينما تابع يوسف كلامه قائلًا: "وكذلك صاحب عالم، فلم نعثر على اسم الشبح في قائمة الضيوف، لأنه لم يكن واردًا فيها،

وقد طلب دومينيس من عالم أن يسمح للشبح بدخول الحفل من دون أن يطرح عليه أي أسئلة. لقد فحصت أنا وراسي اللقطات لحظة وصول الشبح، وتظاهر عالم بشطب الاسم من القائمة، ثم النقر على رأس القلم، عندما وصل الضيف التالي، إلا أنني لم أفهم معنى ذلك في حينه".

ارتجف صوت جيسيكا، وهي تقول: "لعنة الله عليه"، ثم شعرت بأن الحمام الصغير والضيق بدأ يترنّح بها بشكل دائري.

"هل تودّين أن أُرسل دورية لجلب دومينيس من منزله...".

وضعت جيسيكا يدها على جبينها، وقالت بهدوء: "يوسف"، بدا قول الحقيقة مخيفًا ومخجلًا في الوقت نفسه، ولكن خوف جيسيكا كان يفوق خجلها.

"ماذا؟".

"إنه في شقتي"، مرّرت جيسيكا يدها اليمنى تحت الصنبور، فبعث الماء الدافئ قشعريرة تسلّلت عبر جلدها الذي تنتشر عليه البثور.

لم يعلّق يوسف على كلامها للحظات، بينما كان يلتقط أنفاسه قبل أن يقول مستنكرًا: "ماذا؟".

همست جيسيكا إليه، وهي تقفل الباب: "إنه مستلقٍ على سريري، في منزلي في تولو".

"ما الذي تقولينه بحق الجحيم، يا جيسيكا..."، شعرت جيسيكا بتدفّق الدم في عروقها، وهي تتخيّل الرجل الذي يستلقي على سريرها بعد أن شاركته لحظات من المتعة والإثارة.

تخيّلت جيسيكا معصمه الموشوم، والشعر الكثيف الذي يغطّيه، فشعرت وكأن ما حصل في السابق يتكرّر مجددًا، مرة أخرى كولومبانو في سريرها، وبشكل مفاجئ بدا قرار مواعدة فرانك ضبابيًا بالنسبة إليها، ولا يمكنها حتى أن تتذكّر اللحظة التي قرّرت فيها معاشرته، وكأن تلك اللحظة انمحت من ذاكرتها، وأنها تعاني مما يشبه فقدان وعي تام.

"من فضلك تعالَ إلى شقتي حالًا، يا يوسف".

"حسنًا، جيسي".

أغلقت جيسيكا صنبور المياه، واقتربت من حافة الحوض، فرأت انعكاس صورتها التي بدت بحالة مزرية، فتوتّرت أعصابها بسرعة البرق، وبدا أن قلبها بدأ ينبض وفق إيقاع التحول الذي يتخبّط في داخلها، ثم سالت الماسكارا على خديها فشكّلت خطوطًا سوداء تشبه الكواكب المظلمة المتناثرة على بشرتها الناعمة، التي ازداد شحوبها، ولم تعد حدقتاها ظاهرتين البتة، وبعد لحظة بدت عيناها بيضاوين بشكل تام، وفي هذه المرحلة أدركت جيسيكا أن السائل الذي يتدفّق من عينيها لم يكن مجرد ماسكارا ممزوجة بالدموع، بل كان مادة أكثر سماكة، وكما هو الحال في العديد من المرات السابقة، كانت تتذوّق طعم الحديد مع الدم الذي يسيل من لسانها.

حذّرتك منه، يا جيسيكا، ولكنكِ لم ترغبي في الاستماع إلي كلامي.

ما الذي كنت تحذّرينني منه؟

لا يحتاج الساحر إلى معرفة البطاقة التي تختارينها، يا جيسي، بل يحتاج فقط إلى معرفة البطاقة الموجودة إلى جانب بطاقتك.

وقفت والدتها خلفها مباشرة، وقامت بما كانت تحبّ جيسيكا أن تقوم به عندما كانت طفلة، وما إن وضعت أصابعها على كتفي جيسيكا العاريتين، حتى شعرت بالحب والدفء والطاقة تنتقل إلى جسدها المتعب عبر ملامسة الجلد للجلد.

سمعت جيسيكا صرير الأرضية الخشبية الصلبة في الجانب الآخر من الباب، فأدركت أن فرانك قد نهض من السرير، وهو يتجوّل في أرجاء الغرفة، ثم انغلقت خزانة المطبخ بقوة.

السؤال: من الذي استدعى الساحر، ولماذا؟

أي ساحر ملعون تعنين، يا أمي؟ ما الذي تتحدّثين عنه؟

الساحر هو الشخص الذي يجعلك تنظرين إلى مكان آخر غير الذي يفترض بك أن تنظري إليه بعيدًا عن يديه وأصابعه، وما يفعله بالبطاقات.

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما، كانت والدتها تغلق ستارة الحمام، وكل ما استطاعت رؤيته عبر الشق كان أصابع نحيلة وهزيلة، وأظافر سوداء مكسّرة.

نظرت إلى يديها المرتجفتين للحظة، ثم نظرت إلى المرآة مرة أخرى، فرأت صورة جيسيكا التي نهضت من السرير قبل لحظات، وقد سالت ماسكارتها على خديها، واحمرّت عيناها.

عضّت جيسيكا على شفتها، واستجمعت أفكارها المشتتة، فخطر في بالها البقاء في الحمام، وفتح صنبور المياه، وانتظار وصول يوسف لإنقاذها من أزمتها، ولكن شعورًا ما في داخلها لم يسمح لها بالاختباء، *فلا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا*، وإذا كانت تمتلك ما يكفي من الشجاعة لتحمّل المسؤولية التي توكل إليها، فلا بد أن تمتلك الشجاعة لمواجهة الحقيقة *الكاملة*، مهما كانت مؤلمة.

تنهّدت جيسيكا بعمق، وأدارت مقبض الباب، وفتحته على مهل، ثم خرجت من الحمام بحذر، وهي تلتقط أنفاسها.

بدا أن الكهرباء كانت تشحن الهواء في الأستوديو الصغير الخاص بها خلال الدقائق القليلة التي أمضتها داخل الحمام، فتراءى لها أنها تسمع همسًا خفيفًا يشبه صوت أزيز ذبابة كبيرة أو صوت تشغيل التلفاز، إن *كل تلك الأصوات في رأسكِ فقط، يا جيسيكا*.

لم يكن فرانك دومينيس مستلقيًا على السرير، بل كان يجلس إلى الطاولة الصغيرة بجوار النافذة، ولا يرتدي سوى البوكسر، فانعكس الضوء الأصفر المتسلّل عبر النافذة على وجهه المجعد، فبدا مظهره كاريكاتيريًا في الغرفة المظلمة، ومع ذلك لم تبدُ ملامح وجهه مطمئنة.

رفع دومينيس يده إلى وجهه، وأسند رأسه إلى الكرسي، بعد أن وضع الكأس التي يحملها على الطاولة بقوة مصدرة صوت صرير خافت، ثم أمسك بالقنينة

وصبّ مزيدًا من الشراب من زجاجة الويسكي نصف الفارغة بالفعل، والتي أهداها إياها فوبو العام الماضي، وقد احتفظت بها في خزانة المطبخ من دون أن تفكّر في أن تفتحها.

قالت جيسيكا بهدوء: "فرانك...".

ثم لاحظت وجود قراب مسدسها على الطاولة، بينما كان يمسك المسدس بيده اليسرى.

79

قال دومينيس، وهو يتلاعب بكأس الويسكي: "الليلة الماضية عندما سألتني... نعم، كنت...".

"ماذا كنت؟".

قال لها، وهو يضع المسدس على الطاولة: "كنت جنديًا، في ألاسكا، منذ وقت طويل"، ثم ألقى بالشراب إلى الخلف.

حدّق إلى الكأس الفارغة التي يُمسكها بيده للحظات، ثم ابتسم ابتسامة عريضة، كما لو أنه قابل صديقًا لم يقابله منذ فترة طويلة، وهو ما كان سيحدث في مطلق الأحوال، إذ يُفترض أن يكون تدفق السم ذي اللون البني الفاتح كافيًا لإيصال جسده إلى حالة انعدام الوزن، ثم نظرت جيسيكا إلى الباب، وفكّرت في أنها إذا كانت سريعة بما يكفي، فقد تتمكّن من الوصول إلى مدخل الدرج والهرب قبل أن يصوّب المسدس نحوها، ويطلق النار عليها، وربما إن كان لديه الوقت الكافي لإطلاق النار، قد يخطئ الهدف.

قال فرانك مُقلدًا لهجة سكان الغرب الأوسط: "فريق اللواء القتالي الرابع، فرقة المشاة الخامسة والعشرون، سيدتي".

تسلّلت بشكل تدريجي نحو الباب، فالتقط دومينيس المسدس بسرعة، وقصّ أجنحة أية أفكار سخيفة قد تراودها، وقال لها: "لا تذهبي، يا جيسيكا"، فبدت نبرة صوته رقيقة، وهو يتوسّل إليها بدلًا من أن يوجّه إليها أمرًا بلهجة صارمة.

التقطت جيسيكا أنفاسها، بعد أن تكيّفت عيناها مع أجواء الكآبة السائدة في المكان، ما مكّنها من ملاحظة اليأس المرتسم على ملامح وجه فرانك، وجذعه الموشوم بشكل أكثر وضوحًا تحت الضوء الخافت المتسلل عبر النافذة.

قالت له جيسيكا: "ما الذي فعلته بالضبط، يا فرانك؟ لقد شاركت في...".

توقّعت أن المسألة تتطلّب بعض الوقت قبل أن ينفجر في وجهها غاضبًا مثل قنبلة حية لم تكن تتوقّع مدى فعّاليتها. مكتبة .. سُر مَن قرأ

ملأ دومينيس الكأس الموضوعة على الطاولة حتى الحافة تقريبًا، وهو لا يزال يحمل المسدس بثبات في يده اليسرى.

قال لها: "تعالي، واجلسي، يا جيسيكا"، عندما لم تستجب على الفور، كرّر طلبه بلهجة أكثر حزمًا، ولكنه ختم كلامه بقوله بلهجة لطيفة: "من فضلك".

نظرت جيسيكا إلى الباب، فأدركت أن لا أمل لها في الفرار، كما أدركت أيضًا أنها قد عرّضت حياة يوسف للخطر عندما طلبت منه المجيء لمساعدتها، لأن دومينيس إذا أطلق النار عليها، فسيتّخذ الإجراء نفسه بلا شك مع يوسف عندما يحاول اقتحام الشقة.

قال دومينيس، بعد أن ارتشف ثلث الكأس تقريبًا: "إنهم قادمون، أليس كذلك؟".

أومأت جيسيكا إليه برأسها، ثم اقتربت منه ببطء وهو لا يزال يجلس إلى الطاولة، وقالت له: "ليس ضروريًا أن تتعقّد الأمور إلى هذا الحدّ، أنا أستطيع مساعدتك".

قهقه دومينيس، وهو ينظر إلى المسدس الذي يشهره، وكأن ذلك السلاح يرفع من مكانة صاحب اليد التي تمسك به، ويضمن له الشعور بالأمان الذي يغيب في الخارج، ثم صوب المسدس نحو السقف، وأومأ برأسه إلى المقعد المقابل له مشيرًا إلى جيسيكا أن تجلس.

قالت جيسيكا، وهي تجلس إلى الطاولة: "هل سمعتني، يا فرانك؟ أخبرني بكل الحقيقة، وسأتمكّن من مساعدتك..."، على الرغم من الضغط الشديد الذي تواجهه، إلا أن حركاتها كان مدروسة ومنضبطة.

رفع دومينيس كأسه، وقال لها: "انظري إليّ، جيسيكا، لقد مرّت ثماني سنوات وخمسة أشهر وثلاثة أيام، هل سأعيش طويلًا بما يكفي لأتمكّن من قول ذلك مرة أخرى؟ هل سأكون حرًا قبل عام 2028؟".

"الأمر الوحيد الذي يتحتّم عليك فعله الآن هو...".

"ماذا؟ هل أسلّمك المسدس؟ إن سلّمتك إياه فسأستيقظ في صباح اليوم التالي في زنزانة، وسأقضي فيها أسوأ أيام حياتي، وستمرّ سنوات طويلة قبل أن أستمتع بضوء النهار مجددًا".

أفرغ دومينيس القنينة في الكأس، وقد ارتسمت على ملامح وجهه الكآبة التي تدلّ على متعة تخدير الإحساس: "هل تتذكّرين عندما أخبرتك بأنني أتيت إلى هلسنكي بحثًا عن الظلام؟ إنه الظلام نفسه الذي نشأت فيه في أنكوريج. حسنًا، لقد حصلت بالتأكيد على ما كنت أبحث عنه، ورأيت الليل بالمعنى الحقيقي للكلمة، بعد أن بعتُ روحي للشيطان، أو أيًا كانت الطريقة المفصلية التي يمكن أن أصف بها ما جرى، فقد تورّطت في مسائل لم أرغب في التورط فيها، لماذا؟ من أجل المال، المال وحده، اللعنة، ياجيسيكا، إذا كان في الإمكان الاندماج في الظلام حقًا، فهذا هو الظلام في حد ذاته".

همست له، وهي تسند يديها إلى الطاولة: "أخبرني بتفاصيل ما جرى".

حدّق فرانك إلى عيني جيسيكا المغرورقتين بالدموع، بعد أن شكّت في أنه قد ارتكب عملًا سيئًا، ولكنها كانت واثقة من أنه لم يكن سيئًا إلى درجة لا يمكن مسامحته عليها، ففرانك لا يشبه كولومبانو أو عشرات المعتلين اجتماعيًا، الذين وضعتهم بدم بارد وراء القضبان على مدار مسيرتها المهنية، فوجه فرانك يروي آلاف القصص، التي تذكّرها أكثر فأكثر بإرني.

إرني، الذي كان يشبه كنزًا من الأسرار الدفينة، إرني، الذي علّمها بأن النظر إلى العالم بالأبيض والأسود هو امتياز لا يحصل عليه الجميع، ورفاهية لا يستحقّها سوى أولئك الذين يقدّمون كل الأشياء على طبق من فضة. تناولت كأس فرانك بحذر، وارتشفت منه رشفة، ثم ارتشفت رشفة ثانية، لم تتذوّق أطيب من هذا النوع من الويسكي منذ فترة طويلة.

همهم دومينيس الذي وجد أن رد فعلها يشير إلى وحدة الحال: "حسنًا، لنشرب معًا".

"عندما قابلت ذلك الرجل الياباني... كنت أعلم أن الأمور على وشك أن تقودنا إلى الجحيم، وأن البيت الذي صنعته من الورق كان على وشك الانهيار".

لعق دومينيس شفتيه، ثم أخفض المسدس نحو الطاولة من دون أن يضعه عليها.

قالت جيسيكا: "أخبرني بالحقيقة، وأعدك بأنني سأقدّم إليك المساعدة".

"ما كان يجدر بي التخلص من أي شيء على الإطلاق... كما أعتقد أن ما حصل بيننا بدا شاعريًا أيضًا، أعني القدوم إلى منزلك، وممارسة الحب... من يدري؟ ربما أردت من دون وعي أن أسلّم نفسي إليك الليلة الماضية".

ثبّت دومينيس نفسه إلى الطاولة، وتنفّس ببطء قبل أن ينتصب واقفًا.

قالت له جيسيكا: "أخبرني بالحقيقة، يا فرانك".

دنا دومينيس من جيسيكا، وداعب خدها بظهر يده، فارتسمت على شفتيه ابتسامة جذابة وودودة في الوقت نفسه، وقال لها بصوت خافت: "أنتِ لست التاسعة من أصل عشر، يا جيسيكا، بل أنتِ واحدة من أصل مليون".

ثم أمسك بكأسه، واتّجه نحو الباب، وهو لا يزال يحمل مسدس جيسيكا في يده الأخرى، ويسير بثبات، وكأن السم الذي يسري في عروقه لم يُمنح الوقت الكافي ليبلغ تأثيره على الرغم من تناوله بكمية كبيرة.

شعرت جيسيكا بغصة في حلقها، وهي تتأمّل الخيارات المتاحة أمامها.

"فرانك".

أمسك فرانك بمقبض الباب باليد التي يحمل فيها المسدس، وارتشف كمية كبيرة من الكحول، وخرج إلى بيت الدرج المظلم بملابسه الداخلية، فكان يتحتّم على جيسيكا أن تقوم بعمل ما.

تردّدت أصداء الخشخشة المألوفة لتحرك كابلات المصعد، وبعد لحظة ظهر المصعد في الواجهة مثل شروق الشمس خلف الجبل، فلحقت به جيسيكا، وهي تقول له: "ما الذي أصابك، يا فرانك؟"، ولكن ما إن توقّف المصعد، حتى فتح دومينيس الباب ودخل إليه.

فاندفعت جيسيكا نحوه، ولكن البوابة الحديدية للمصعد كانت قد انغلقت، فوقف للحظات في مكانه، وهو ينظر إليها من خلال الشبك.

تلاشى خوف جيسيكا في تلك اللحظة، وشعرت بشوق لا يمكن تفسيره، وقالت بلهجة رقيقة: "فرانك...".

"لقد كنت سعيدًا حقًا في بداية الأسبوع الماضي لأنني اتّخذت قرار مغادرة هذا العالم، وبدأت الأفكار تعوم في خاطري كل يوم منذ ذلك الحين، وهذا..."، ثم صوّب دومينيس المسدس نحو نفسه أولًا، ثم نحو جيسيكا، وأضاف قائلًا: "... كان وحده حقيقيًا".

رفع الكأس إلى شفتيه، وضغط على زر الطابق الأول، فبدأ المصعد بالهبوط ببطء، وبعد لحظة اختفت نظرة فرانك الحادة والحزينة في الوقت نفسه.

صرخت جيسيكا: "فرانك! انتظر!"، تناولت معطفها بسرعة، ولفّت به نفسها، ثم لحقت به.

تخبّطت بقدميها العاريتين على الدرجات، وهي تنزلها بأقصى سرعة، فشعرت بالرخام البارد تحت قدميها، ثم سمعت خشخشة كابلات المصعد القديم، وهي تتّجه إلى الطابق الأول.

"فرانك!"، تردّد صوت صراخها في بيت الدرج، ففتح أحد الجيران بابه في الطابق الرابع، بينما كانت جيسيكا تمرّ من أمامه، *ما الذي يحدث هنا*... في أثناء انهماك جيسيكا في النزول على الدرج بأقصى سرعة سمعت صوت الكأس ترتطم بأرضية المصعد، وعندما وصلت إلى الطابق الثالث، لمحت الجزء الداخلي لمقصورة المصعد، فكادت أن تمسك بها.

ما إن تردّد صدى صوت طلق ناري يصمّ الآذان في المقصورة القديمة، حتى بدأت الكلاب بالنباح نباحًا متواصلًا خلف الأبواب، وفي أثناء نزول جيسيكا الطابقين الأخيرين، شعرت بأن دماغها خاوٍ، وقد تباطأت خطواتها، وكأنها لم تعد على عجلة من أمرها، وعندما وصلت إلى الطابق الأرضي بعد طول انتظار، وهي

تشعر بالحصى المسنن يخز قدميها، فتحت باب المصعد، فرأت رجلًا نصف عارٍ ممددًا على السجادة، وقد اخترق صدغه طلق ناري أحدث فيه ثقبًا تدفّق منه الدم ملطخًا مرآة المصعد.

تجمّدت جيسيكا في مكانها من هول الصدمة، وقد غلّف اليأس وجهها، ثم شعرت بيد تربت على كتفها، كانت أصابعها نحيلة وباردة.

انظري إلى المرآة، يا جيسيكا.

عندما أضاء أحدهم مصابيح الدرج، وانبعث صوت صفارات الإنذار من الخارج، أفلتت اليد كتفها، ثم ظهر يوسف وهو يشهر سلاحه.

في تلك اللحظة عاودها الألم، وبدأت الإبر الصغيرة بمسيرتها على طول مسالكها العصبية، فانطلقت من طرف عمودها الفقري في اتجاه كل أعضائها، ثم واصلت طريقها إلى أطراف يديها وقدميها، وهي تتلوّى من الألم، قبل أن تنغرز بقوة في أصابع يديها وقدميها. بعد لحظة لامس خدها الأرض، فالتقت عيناها بعيني فرنك الساكنتين، وبدت وكأنها تتوسّل إليهما طالبة المغفرة.

80

مرّت نصف ساعة منذ أن ضغط فرانك دومينيس على الزناد، ولكن في عالم جيسيكا بدا الوقت سرمديًا، فلا يزال في إمكانها سماع صدى الطلقة النارية، واستنشاق رائحة البارود العابقة في المكان.

نظرت جيسيكا إلى النافذة، وهي لا تزال تحمل كأس الويسكي، وتتأمّل وجه فرانك عبرها، وقد امتزجت عيناه المشرقتان والحزينتان في الوقت نفسه بالظلام، إلى أن تسلّلت أضواء سيارات الطوارئ الزرقاء المتوقفة في الشارع إلى الرواق، وانعكس وميضها على نوافذ الطوابق السفلية.

جلس يوسف على السرير واضعًا يديه في حضنه، وقد مرّت دقائق لم يتحدّث خلالها أي واحد منهما، بعد أن أُغلق باب الأستوديو، وأصوات مبهمة تصدر عن بيت الدرج، بينما كانت جثة دومينيس تُنقل من المصعد إلى السيارة التي ستسلّمها إلى سيسي سارفيلينا.

بدا الأمر كما لو أن صخرة هائلة كانت جاثمة على صدر جيسيكا، فشعرت وكأنها أنهت للتو مرحلة طويلة، كان يصعب عليها خلالها أن تتنفّس.

إنها لا تشعر بالحزن على موت الرجل الذي بالكاد تعرفه، بل تشعر بالحزن والأسف على حقيقة أنها تورّطت مرة أخرى، ومشت في حقل الألغام نفسه، ووقعت في حب وحش، على الرغم من أنها وعدت إرني بأنها لن ترتكب ذلك الخطأ مرة أخرى.

ما يحصل لها خطير، يجعلها تبدو فتاة شريرة تنشر الشر في كل مكان، إلى درجة أن سوء أفعالها دفع والدتها إلى أن تقتل أفراد عائلتها، وحقيقة أن جيسيكا قتلت كولومبانو، وغرزت خنجرًا في رقبته، تثبت صحة ذلك، فجيسيكا هي

عنكبوت غير سام، يوقع الآخرين في شباكه، تمامًا كما ورد في أغنية كيكس ماكس.

لا شيء سوى الموت، يا جيسيكا.

إلا أن جيسيكا لم تتفاعل مع توبيخ والدتها، بل تمرّدت عليها، ولكن ما إن اقتربت والدتها منها وهمست إليها: *أنتِ من يطلب ذلك، يا جيسيكا*... حتى لسع الهواء البارد أذنها، ما جعلها تصرخ قائلة: "اصمتي!".

قذفت كأس الويسكي الفارغة صوب الحائط، فانسكب السائل على الأرض، وتناثر في كل مكان.

قفز يوسف عن السرير مثل حصان مذعور، ووضع يديه على أذنيه، وقال: "ماذا يحصل بحق الجحيم، يا جيسيكا؟"، لكنه ما إن أدرك مدى سخافة مظهره، حتى أرخى يديه إلى جانبي خصره.

أما جيسيكا فشعرت بأن جسدها يتصبّب عرقًا باردًا، وهي تقول: "لم يحصل أي شيء!"، ثم بدأ قلبها يدقّ بشدة، إلى درجة أنها سمعت دقاته، وهي تلهث من شدة الذعر الذي انتابها.

أنا مجنونة، يا يوسف، أنا حقًا ثملة.

قالت جيسيكا: "آسفة، أنا لا..."، ولكنها تعلم أن توضيح الأمور ليوسف أمر مستحيل، وقد يحصل ذلك في مكان وزمان مختلفين، ولكن ليس الآن.

"جيسيكا، ماذا الذي يحدث؟".

دنا يوسف من جيسيكا بضع خطوات، وهو يسحق الزجاج تحت حذائه، بينما هي لا تزال حافية القدمين، ومعطفها الأسود يغطّي جسدها العاري.

قالت له بهدوء: "الجميع في المقر يعرفون ما حصل الآن، يا يوسف، لقد تشوّهت سمعتي، وانحدرت إلى الحضيض".

توقّف يوسف في مكانه، وهزّ رأسه، ولكنه لم يكن يتعجّل في الإجابة، بينما شعرت بألم في بطنها، وباضطراب معدتها، وبرغبة في التقيؤ، ثم جلس يوسف القرفصاء، والتقط قطعتين كبيرتين من الزجاج عن الأرض.

أضافت جيسيكا قائلة: "حقًا"، وهي تدرك أن لا شيء يمكن أن يجعلها تشعر بتحسن بعد الآن، إلا أن يوسف بدا أنه يخالفها الرأي، ولكنه لم يودّ أن يعلّق على كلامها، على الرغم من أنها بدت واثقة منه.

تنهّد يوسف، وهو ينتصب واقفًا، وقال لها: "لا أحد يعتقد ذلك، جيسي، بالتأكيد لن يسيء أحد الظنّ بك"، ثم وضع قطعتي الزجاج على المنضدة، وتوجّه صوب النافذة، وجلس إلى الطاولة على الكرسي حيث فتح فرانك زجاجة الويسكي منذ أقل من ساعة، قبل أن ينفّذ حكم الإعدام الذي أصدره بحق نفسه.

قالت جيسيكا بهدوء: "أعلم أنك حذّرتني...".

"من يهتمّ بما قلته، ياجيسي؟ ما الذي أعرفه يمكن أن... بحق الجحيم... ليس لديّ الحق في تقديم النصيحة إلى الناس بشأن علاقاتهم، فأنا لم أقم بعلاقة مع امرأة منذ شهور، إلى جانب ذلك ما قلته هو أن دومينيس زير نساء، وأعتقد أنه كان... جزءًا من هذا النظام المريض...".

قالت جيسيكا وهي تنظر إلى يوسف: "كان يُفترض بي أن أكتشف ذلك".

"أنتِ مؤهلة للقيام بعملك على أكمل وجه، يا جيسي، ولكنكِ لستِ نوسترادامو‌س".

نظرت جيسيكا إلى السرير الذي كانت تتلوّى تحت أغطيته قبل ساعات قليلة من شدة الإثارة والمتعة، وإلى جانبها يستلقي رجل لم تعرفه حق المعرفة، ثم تسلّلت بعد ذلك إلى الحمام وهاتفها في يدها، دومينيس، كانت الكلمة الأولى التي تفوّه بها يوسف، ولا بد أن فرانك سمع اسمه في الغرفة التي خيّم عليها الصمت المطبق، فاستيقظ لدى سماعه، ونهض من السرير، ثم تردّد بين ارتداء سرواله والعودة إلى الظلمة التي يغرق فيها، وتنفيذ خطة الانتحار، وربما ما إن عثر على مسدس جيسيكا حتى تحلّى بالشجاعة التي كان يحتاج إليها ليتمكّن من استخدامه، أو ربما تعثّر بالزجاجة أولًا... إن سلسلة الأحداث بدت غامضة، ولا يسعها الآن إلا تخمين ما حدث.

استمعت جيسيكا إلى الأصوات الصادرة عن بيت الدرج من دون أن تفهم ما يجري، ولكنها كانت تسمع في رأسها نقرات وومضات كاميرات المصورين، ومحادثات محققي مسرح الجريمة، ورنين الهواتف المحمولة، فتراءى لها أن جلد فرانك تحوّل إلى اللون الأزرق...فرانك الذي شعرت بجسده الدافئ عندما لامس جسدها منذ لحظات.

نظرت جيسيكا إلى هاتفها، واستغربت عدم اتصال هيلو بها، ولكن يبدو منطقيًا ألا تتّصل بها بعد أن طردتها من الوحدة بالأمس، ومن ناحية أخرى إذا لم تتّصل بها، فستضيع فرصتها الذهبية في إذلالها.

في تلك اللحظة أومض هاتف جيسيكا على المنضدة، ولكنها لم تكن مكالمة من هيلو، بل من راسموس. حدّقت إلى الجهاز الذي يومض بلا كلل، إلى أن سألها يوسف: "ألن تجيبي على الاتصال؟".

ربما لم يكن لدى يوسف فكرة حول تأثير السؤال الذي طرحه للتو، كما لم يكن لدى جيسيكا أي سبب مقنع لتحتجّ عليه، فهي لم تخبر الفريق بأنها ستترك الوحدة، لأنها رأت أنه يُستحسن ترك الأمور تسير في مجراها الصحيح.

قالت جيسيكا بوهن: "مرحبا؟".

"هل أنتِ بخير، يا جيسيكا؟ لقد سمعت...".

"نعم، يا راس، هل هذا سبب اتصالك؟".

"ماذا؟ لا، ليس... المسألة أننا... تمكّنا من تعقّب هاتف ليزا ياماموتو الثاني..."، شعرت جيسيكا بالصفاء الذهني، فعلى الرغم من استسلامها لمصيرها في وقت سابق من تلك الليلة، وتقبّل أنها لم تعد تعمل على تلك القضية، إلا أنها استعادت مكانتها فجأة بصفتها جزءًا أساسيًا منها مرة أخرى.

"حسنًا، أين عثرتم عليه؟".

سمعت جيسيكا بابًا ينغلق في الجهة الأخرى من المكالمة، بينما كان راسموس يقول: "يبدو ذلك غريبًا"، ثم تابع كلامه قائلًا: "قدّم إليّ مزود خدمة

الهاتف المحمول رابطًا حتى أتمكّن من مراقبة موقعه مباشرة، وبمعنى آخر يمكنني معرفة مكان الهاتف في أي وقت على مسافة تصل إلى عشرين مترًا تقريبًا، وهو الآن في كونالا...".

"ماذا تقول؟".

"... العنوان يشير إلى منزل هيلينا لابي".

81

أغلقت هيلو غسالة الأطباق، وما إن اختارت الدورة الأساسية حتى سمعت صوت تدفّق المياه عبر الأنابيب، التي بدأ الجهاز يمتّصها، بينما شرعت الآلة في إصدار همهمة ميكانيكية ستدوم ساعة ونصف الساعة، وهذا من شأنه أن يمنح هيلو وقتًا كافيًا لتنظيف المطبخ... لا كما تريده أن يكون، ولكنه بالتأكيد سيفي بالغرض.

بلّلت هيلو قطعة من القماش، ورشّت المنظف في الحوض، ومسحته مرة أخيرة، وهي تُفكّر في وضع جيسيكا، وضرورة اتباع نهج جديد في الغد لفرض السيطرة على مرؤوسيها. *فرّق تسُد*، إنه التوقيت المثالي لتطبيق تلك الخطوة التكتيكية، ففي الوقت الحالي ليس لديها الكثير من الأصدقاء المخلصين الذين سيشعرون بالحزن لمغادرتها المقر، كما أنهم لن يبدأوا بطرح أسئلة فضولية عليها، أو يشكّوا في تدبير مؤامرة للتخلّص منها، لا، بل سيكون قرار التنحّي الذي اتّخذته جيسيكا نيمي بنظر الجميع بمحض إرادتها، نعم، وستجد مديرة الوحدة هيلينا لابي أن قرارها كان مفاجئًا، ولكن في الوقت نفسه، بما أنها تؤمن بأن فنلندا بلد حرّ، فلا يمكن أن يُجبر أحد جيسيكا على مواصلة العمل في مركز الشرطة إذا لم ترغب في ذلك.

هكذا سيبدو الأمر في الظاهر، وهذا ما يفترض أن يبدو عليه، وعندما تمرّ هيلو بجانب نائب الرئيس جيمس أورانين في الممر، سينظر إليها بفخر، ثم سيدعوها إلى مكتبه، ويصافحها، وهو يقول لها *عمل موفق*، لابي، وبعد ذلك ستحصل على ترقية ترفعها إلى أعلى مستوى حلمت به طوال مسيرتها المهنية.

قفزت هيلو من مكانها، عندما شعرت بأحدهم يحيط كتفيها بذراعيه.

ثم همست هانا في أذنها: "أنا ذاهبة"، وقد لفّت ذراعيها حول خصر هيلو.

احتاجت هيلو إلى دقيقة لتستوعب ما قصدته هانا: "ألديك اليوم وردية ليلية؟".

التفتت إلى هانا، ونظرت إلى عينيها.

بدت هانا مستمتعة، وهي تقول: "هل أنتِ متوترة قليلًا؟ أنا لا أنسى جدول عملي مثلك، بل أحفظه عن ظهر قلب"، كانت تضغط على شفتيها وهي تنظر إلى هيلو، ما جعل الدم يتدفّق إلى خديها.

هانا امرأة جميلة للغاية، وهي أجمل بكثير من هيلو نفسها، كما تبدو أجمل عندما تتبادل القبل وهيلو، وتلامسها، وتضحك عيناها البراقتان، وتعضّ على شفتها السفلية، التي تمنح هيلو السعادة.

قالت هيلو: "سأراك في الصباح".

لا تزال أصابع هانا تداعب رقبة هيلو، وهي تقول: "ربما سنمضي الأمسية أو الصباح معًا".

في تلك اللحظة، رنّ جرس الباب.

سألتها هانا التي لا تزال تبتسم لها: "هل تتوقّعين زيارة أحد؟ هل أخبرتِ حبيبك بأن يحضر قبل الموعد بساعة؟".

ضحكت هيلو ووضعت الأواني في الحوض، وقالت: "أسلوبكِ لا تشوبه شائبة، صحيح لم أتذكّر بأنكِ ستعملين الليلة".

كانت هانا ترتدي معطفها، ولكنها لم تكن قد انتعلت حذاءها عندما حملت حقيبة كتف قماشية زرقاء فاتحة اللون، وقالت لهيلو: "أراكِ لاحقًا"، وبعد أن عانقتها نزلت الدرج في اتجاه الباب الأمامي، وتوارت عن الأنظار في غرفة الجلوس، وعندما دخلت المطبخ اتّكأت على الطاولة، وهي تجفّف يديها، ثم سمعت صوت صرير الباب الأمامي، تبعه كلام خافت، *باللغة الإنكليزية*.

تسلّلت إلى أعلى الدرج، فرأت أسفل ظهر هانا، وهي تنتعل حذاءها من دون أن تجلس على الكرسي، وقد وقف رجل يظهر حذاءه الجلدي والبني اللون.

قالت هانا: "مرحبًا"، ثم أضافت قائلة: "أتى أحدهم لزيارتك".

ثم شمّت هيلو رائحة قوية، إنها رائحة عطر ما بعد الحلاقة.

82

انحرف يوسف إلى ممر الحافلات، وهو يجتاز شاحنة قلّابة، ثم اندفع عائدًا إلى المسار الأيسر حتى كادت السيارة تلامس الأضواء الخلفية للحافلة التي أمامها، لقد عرفت تلك المركبات المتميزة بالضوء الأزرق الوامض المثبت على لوحة القيادة بأنها ليست سيارة فولكس فاغن عادية، بل سيارة شرطة مستعدة إلى أن تسابق الخطر من أجل أداء الواجب.

سألها يوسف: "ألا تجيب؟".

أخفضت جيسيكا هاتفها، بعد أن يئست من أن تردّ هيلو على اتصالها، ولكن قد يكون لديها عدة أسباب لذلك، قالت له: "أعطِني هاتفك".

سحب يوسف هاتفه من جيبه، وسلّمه إلى جيسيكا، فطلبت رقم هيلو، ثم وضعته بالقرب من أذنها، وبعد لحظات ظهرت النتيجة نفسها، لا إجابة، *ما الذي يحدث بحق الجحيم.*

وضعت جيسيكا الهاتفين على كونسول السيارة، وقالت: "اللعنة على ذلك".

أسرع يوسف مجتازًا إشارة المرور وقد أومض اللون البرتقالي: "لماذا تريد هيلو إخفاء حقيقة أن هاتف ليزا المحمول في حوزتها؟ لقد كدنا نخرق مؤخراتنا في أثناء محاولة العثور عليه".

تتفهّم جيسيكا سبب إخفاء هيلو الأمر عنها، ولكنها لا تجد أي عذر يدعوها إلى إخفاء الأمر عن الباقين في الوحدة، وبالأخص أن الهاتف يرتبط بالتحقيق بشكل مباشر، وينبغي أن تكون المعلومات قد وصلت إلى يوسف، أو على الأقل إلى راسموس، الذي يمثّل نوعًا ما الشخص المحايد.

ارتجّت السيارة عندما اصطدمت الإطارات بقطع صلبة مكسوة بالصقيع تنتشر على امتداد الطريق، فأمسكت جيسيكا بمقبض الباب، ومع أنه لا ينبغي لها أن تركب سيارة شرطة، وتتّجه إلى منزل مديرة وحدة الجرائم العنيفة، ورنّ جرس بابها و... نعم، ماذا بعد ذلك؟ أتسألها عن سبب إخفائها أمر عثورها على الهاتف؟ أتبحث عن ذلك الهاتف اللعين في منزلها؟

مع ذلك شعرت وكأنها في المكان المناسب تمامًا، وأنها متّجهة برفقة يوسف الجالس بالقرب منها نحو حل أحجية جديدة، فلاحظت فجأةً أن الحزن الذي اعتراها نتيجة ما حصل في المصعد قد تلاشى نهائيًا.

بينما كان يوسف يقود السيارة في اتجاه تقاطع مزدحم، شعرت بالامتنان لأنها ردّت على مكالمة راسموس، لأنها لا تعرف ما سيكون مصيرها لو أنها قرّرت الانعزال وحيدة في المنزل.

قال يوسف، وهو يسند ذراعه اليسرى إلى النافذة: "جيسيكا، أتعتقدين أن هيلو متورطة في هذه القضية بطريقة ما؟".

نظرت جيسيكا إلى ندف الثلج المتساقطة، وهي تذوب على الزجاج الأمامي، والمناظر الطبيعية الحضرية تتحوّل على الفور إلى غابات أشجارها متعرية من أوراقها، كما لو أن عصا سحرية غيّرت المشهد برمته، ثم قالت: "لا أعرف، يا يوسف، ربما عثرت على هاتف ليزا، وربما عثرت على ليزا نفسها، ولهذا السبب زارها الشبح".

83

توقّف يوسف إلى جانب الرصيف، وأطفأ مصابيح السيارة على بعد عشرة أمتار من طريق إسفلتي يمتدّ بين صفين من المنازل الحمراء اللون، وقد ركنت تويوتا بريوس في محطة شحن في الوحدة النهائية، وكانت مصابيح الطابق الثاني مضاءة.

قال يوسف، وهو يمضغ قطعة من اللبان، برز جزء منها من فمه: "هذه سيارة هيلو الهجينة".

نظرت جيسيكا حولها، ثم تفحّصت ساعتها، إنها الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، وقالت: "لماذا لا تجيب بحق الجحيم؟" تمتمت، وهي تتفحص هاتفها مرة أخرى.

أوقف يوسف عمل المحرك، وجلس وجيسيكا في السيارة، وهما يُحدّقان إلى مدخل المبنى الذي تسكن فيه، فبدوا وكأنهما يستحمّان بالضوء الخافت لأعمدة الإنارة، ولم يلح أحد في الأفق، سوى ضوء مصباح يتوهّج في إحدى الوحدات الأخرى، كما أطلّ القمر بخجل خلف الغيوم، فاهتزّت الشجيرات عارية الأوراق في مهب الريح مثل القنافذ المرتعشة.

إنه مكان دافئ ومثالي للعائلات التي لديها أطفال، إذ تنتشر ألعاب الأطفال والمعدات الرياضية في كل مكان، من عجلات كبيرة، ومجارف، وعصي الهوكي، وأهداف بلاستيكية، ونشرات توضيحية، وأطباق التزحلق على الثلج، وزلاجات... على الرغم من أنه لم يكن لها أي فائدة الآن في فصل الشتاء.

سألها يوسف: "هل يتحتّم علينا أن نرنّ جرس الباب؟".

"ما الذي ينبغي لي قوله؟ مرحبًا هيلو، آسفة لأنني أقف أمام بابك عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، بعد أن سحبتِ مني القضية، ولكن هل هناك أي

احتمال بوجود هاتف ليزا ياماموتو في منزلك، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم تخبري أحدًا بعثورك عليه؟".

أصرّ يوسف على موقفه، وهو ينقر بأصابعه على المقود: "إنه لا يزال في المبنى، هذا ما قاله راس للتو".

دلّكت جيسيكا جبينها، وهي تقول: "حتى لو كان ذلك صحيحًا، لا يمكننا استدعاء هيلو لمحاسبة نفسها".

في تلك اللحظة، لمحت حركة خلف نافذة الطابق العلوي، فقالت له: "انظر"، وعلى الرغم من أن جيسيكا غير متأكدة مما إذا كان الشخص الذي رأته كان هيلو أم شخصًا آخر، إلا أنها قالت له: "ها هي".

ما إن نظر يوسف إلى النافذة، حتى أضيء مصباح الطابق السفلي، وبعد لحظة، فُتح الباب الأمامي.

حبست جيسيكا أنفاسها، بينما كان يوسف يقول لها: "خرج شخص ما من المبنى، هل هي هيلو؟".

قالت جيسيكا: "لا".

إنه شخص يرتدي سترة سوداء، ويعتمر قبعة غريبة نوعًا ما.

مرّت أمامهما سيارة بريوس رمادية اللون، متجهة نحو الطريق العام...بينما كان يوسف وجيسيكا لا يزالان جالسين في السيارة.

توقّف يوسف عن مضغ اللبان، وهمس إليها: "من هذا بحق الجحيم؟".

"يبدو أنه رجل غريب".

مشى الرجل ببطء بشكل مستقيم واضعًا يديه في جيبي سترته، وهو يحني رأسه، وقد أخفت حافة قبعته ملامح وجهه، فقالت جيسيكا: "لا يمكن أن يكون...اختبئ بسرعة"، انزلقت ويوسف في مقعديهما حتى يتواريا عن الأنظار.

تلاعبت الرياح بقبعة الرجل، فاضطرّ إلى تثبيتها لتجنب وقوعها على الأرض وطيرانها بعيدًا.

"ما هذا بحق الجحيم..."، ثم نظر إلى الأعلى، وألقى نظرة خاطفة حوله، فبدا مثل غزال ضبطته الحيوانات المفترسة في السافانا، وما إن شعر باقتراب الخطر منه حتى تقدّم إلى الأمام بخطى حثيثة، ثم توقّف للحظات لتعديل قبعته التي انزاحت عن رأسه ليرى أمامه بشكل أفضل.

قال يوسف: "سوف يلاحظ أننا نراقبه".

سمعت جيسيكا كلمات يوسف، ولكنها كانت قد استنفدت كل إدراكها إلى درجة أنها لم تركّز على ما قاله لتتمكن من الردّ عليه، ولا سيما بعد أن أصبحت الآن ملامح الوجه الذي انعكست عليه أضواء الشارع أكثر وضوحًا، وتبيّن أنه سبق لها أن رأته مرات عديدة، ما جعل نسيان عظام الخد الزاوي والشاحب، وشكل الفم المرسوم على شكل خط حاد، مستحيلًا.

شعرت جيسيكا بالبرد يسري في جسدها، كما لو أن والدتها قد أوسعت جلدها العاري ضربًا، فبحثت عن مسدسها، ثم تذكّرت أن رجلًا مريضًا قد استخدمه هذه الليلة لينتحر، وقد صودر ليخضع للتحليل الفني.

لا يزال الوضع على أفضل ما يرام، ولكنها لم تعد تستطيع سماع أي صوت صادر من حولها ولا حتى صوت تنفس يوسف.

همست جيسيكا له: "إنه الشبح".

في تلك اللحظة اكتشف الرجل أنهما كانا يراقبانه، فتراجع إلى الوراء.

84

ترجّل يوسف وجيسيكا من السيارة بأقصى سرعة، فصوّب يوسف مسدسه صوبه من الخلف، وصرخ بالإنكليزية: "توقّف في مكانك!".

لكن الشبح لم يستدر، بل أسرع في السير قبل أن يبدأ بالجري.

صرخت جيسيكا: "قف!"، وهي تركض خلف الرجل ويوسف مباشرة، لأن الوقوف في مكانها مكتوفة اليدين لن يفيدها، بغض النظر عن مدى شعورها بأنها عزلاء من دون مسدسها، إلا أنه لن تتسنّى له فرصة إلقاء القبض عليه مرة ثانية.

تبدّدت الأفكار السوداء من رأس جيسيكا، وهما يلاحقان الرجل الذي كان يعدّ محور القضية طوال الوقت، فالشبح يعرف ما الذي حصل لليزا، ولجيسون، وربما يكون قد أطلق النار أيضًا على خوسيه رودريغز.

صرخ يوسف بحزم أكبر: "قف مكانك!".

كانت الساحة المتاخمة لعشرات الصفوف من المنازل هي مكان يحظّر إطلاق النار فيه، سواء أكانت طلقة تحذيرية أو رصاصة تهدف إلى منع المشتبه به من الهروب، ومع أن يوسف يعتبر بطل الرماية في الميدان، ولكنه يعرف أيضًا القوانين التي تمنعه من ارتكاب أي تصرف أحمق.

طيّرت الرياح معطف الشبح، وهو يركض نحو باب هيلو، ولكنه غيّر فجأة مساره، فاصطدم بسياج منخفض، بينما كان يتّجه إلى وسط الفناء.

ما إن صرخت جيسيكا: "قف!"، حتى توهّج مصباح آخر في المبنى المجاور.

ما الذي كان يفعله الشبح في منزل هيلو؟ هل قتلها؟ ما الذي يدفعه إلى فعل ذلك؟

انضمّت جيسيكا إلى سباق الركض السريع، وقد ساعدها انتعال حذاء رياضي على الجري بسرعة، وقد دلّ اختيارها لذاك الحذاء أنها محظوظة.

سُحقت الأرض الرملية المغطاة بطبقة من الجليد تحت الأقدام، وجسّت جيسيكا البرك المتجمدة بحذر خوفًا من أن تخونها. إذ إن خطوة واحدة على سطحها الأملس قد يعني نهاية المطاردة.

ثم رأت جيسيكا يوسف وهو يصوّب مسدسه نحو السماء، فافترضت أنه سيطلق طلقة تحذيرية، ولكن فجأة اختفى الرجل الذي كانا يطاردانه، كما لو أن الأرض انشقّت وابتلعته، فأبطأ يوسف خطواته، وهو لا يزال يصوّب مسدسه نحو السماء، ثم قال: "اللعنة".

فجأة سمعا أنينًا يصدر من الظلام، ولكن عويل الريح طغى عليه على الفور.

سألت جيسيكا: "أين اختفى...".

في تلك اللحظة ظهر الرجل، وهو يحاول الوقوف على قدميه، ولكنه انهار على الأرض وهو يمسك بكاحله.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالت جيسيكا: "احذر، يا يوسف".

ربما نصب لك هذا الرجل فخًا، إذ إنه بالتأكيد مسلح.

قال يوسف بحماسة، كما لو أنه كان ينتظر طوال حياته إصدار الأمر باللغة الإنكليزية: "لا تقلقي، فهو ثابت في مكانه!"، رأت جيسيكا حبل الغسيل، وهو عبارة عن منصة قاتلة، ولكنها غير مرئية تقريبًا في الظلام، ولن تتفاجأ جيسيكا إذا كانت هيلو القاسية والحادة الطباع قد نصبت تلك المصيدة للأطفال الذين يصدرون الكثير من الضوضاء في الفناء.

قال الشبح ما إن اقترب منه يوسف: "انتظر لحظة، يمكنني أن أوضح لك".

جالت جيسيكا بعينيها في الأرجاء، فكان المصباح لا يزال مضاء في الطابق العلوي الذي تسكن فيه هيلو، إنهما يعرفان من خلال خبرتهما أن الرجل خطير للغاية، فسأله يوسف بالإنكليزية وهو يرفع يده الملفوفة بضمادة: "هل ترى يدي أيها الأحمق؟ أنت مطالب ببعض التفسير"، ثم استلّ الأصفاد من حزامه، ورماها إلى جيسيكا.

قال لهما: "اسمحا لي بأن أوضح لكما... إن رئيستكما..."، ثم أنّ الشبح من الألم. عندما تعثّر الشبح بحبل الغسيل، لا بد أنه تشقلب في أثناء اصطدامه به، ثم سقط بكل ثقله على ساقه.

سأله يوسف: "ما علاقتك برئيستنا؟".

مشت جيسيكا في اتجاهه، وهي تستعدّ لتقييد الرجل، بينما كان قلبها ينبض بقوة في صدرها، وما إن أمسكت بمعصمه حتى قال يوسف: "احترسي، يا جيسي".

ثم سمعا صوتًا مألوفًا خلفهما، فبدت لهجة الصوت حذرة، ولكنها شديدة الحزم: "انتظري قليلًا".

انفتح باب المبنى الأمامي الذي تقطن فيه هيلو، وخرجت منه، ثم اتجّهت نحوهم مباشرة، فأحنى يوسف رأسه، وثبّت نظره على العشب من دون أن يخفض مسدسه، فبدا لوهلة أنه يتعمّد تصويبه نحوها.

"ما الذي يحصل بحق الجحيم، يا هيلو؟".

نظرت هيلو إليهما نظرات غامضة، ثم قالت لهما: "أدرك أن ذلك يبدو غريبًا بالنسبة إليكما، لذا لندخل إلى المنزل جميعًا لسماع القصة كاملة"، ابتعدت جيسيكا بسرعة عن الشبح، وهي تتساءل حول ما يمكن أن تكون قد تورّطت فيه هيلو، ثم أُضيئت المزيد من المصابيح التي تسلّلت أضواؤها عبر النوافذ، بينما حاولت هيلو أن تسير في اتجاه المنزل، وهي تتوسّط الشبح ويوسف، إلا أن الأخير انتقل إلى الجانب الآخر كي لا يبعد عينيه عن الشبح.

قالت هيلو بصوت خافت: "أبعد هذا المسدس قبل أن يتّصل أحدهم بالشرطة".

تمتم يوسف، وهو لا يزال شاهرًا مسدسه نحو الشبح: "أتخشين أن يتّصل أحدهم بالشرطة؟ ولكن هناك بالفعل ثلاثة عناصر منها هنا".

تنهّدت هيلو بعمق، وقالت له: "لا، بل هناك أربعة، وآمرك بأن تبعد المسدس في الحال".

85

جلس يوسف وجيسيكا على الأريكة البنية في غرفة الجلوس الواقعة في الطابق الثاني من منزل هيلو، وحدّقا بارتياب إلى الرجل الذي يضع كيس ثلج على كاحله المتورم، والذي أسنده إلى طاولة قهوة مستديرة، وقد ظهر خدش رفيع على جبينه.

لم تصدّق جيسيكا ما يجري، فقد ظهرت صورة الشبح في المقدمة وسط اللوح الورقي في غرفة اجتماعات الوحدة يوم الأربعاء الماضي، وكان الجميع واثقين من أن هذا الرجل وراء اختفاء ليزا ياماموتو وجيسون نيرفاندر، كما يفترض أن يكون أيضًا عضوًا أساسيًا من أعضاء عصابة الدعارة.

قالت هيلو، وهي تضع مجموعة من الأكواب وقنينة مياه معدنية بلاستيكية على الطاولة: "من أجل ذلك أنت تتبّعت هاتف ليزا الثاني"، لقد كانت رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه الشبح منعشة، وتنتشر في أنحاء الغرفة كلها.

قال يوسف بفتور: "لقد تتبّعه راسموس، أيمكن أن تخبرينا من فضلك من يكون هذا الرجل؟".

جلست هيلو، وهي تتنهّد بعمق، ثم قالت: "قد يكون لائقًا الاستمرار بالتحدث باللغة التي يفهمها الجميع"، قالت ذلك بالإنكليزية وهي تشير إلى الشبح، فتنفّس الشبح الصعداء، وعندما تحدّث إليهما، كان صوته مختلفًا تمامًا عما توقّعاه، فهو يبدو أجش وغليظًا، كما كانت لهجته البريطانية مفاجئة بالنسبة إليهما.

"اسمي ناثان ريديك، وأعمل لدى اليوروبول، وأحقّق في قضايا الاتجار بالبشر على المستوى الدولي"، ثم بلّل ريديك شفتيه، وأضاف قائلًا: "وأنا مكلّف بمهمة سرية".

تبادل يوسف وجيسيكا النظرات المتشككة، وفي تلك الأثناء كانت هيلو تصبّ الماء في الأكواب، وهي تقول بحزم: "هذا صحيح، وقد أثبت أنه صادق في كلامه".

طوى ريديك يديه، ورسم على وجهه الخالي من التعابير ابتسامة استرضاء.

سأله يوسف: "حسنًا، هل تحقّق في قضية فتيات المانغا؟".

"نعم، لهذا السبب كان عليّ أن أحمي ظهري، وأتصرّف مثل المجرمين، فألجأ إلى استخدام القوة إن اضطررت إلى القيام بذلك"، أشار ريديك إلى جيسيكا ويوسف، وقال لهما: "أعتذر عما سبّبته لكما من ألم وضيق، ولكن من أجل حلّ هذه القضية، كان من الضروري ألا أكشف عن هويتي".

قالت جيسيكا: "كان في إمكانك أن تكشف الحقيقة ببساطة بدل اللجوء إلى ضربي على صدري وسط الشارع، وإلحاق الأذى بيوسف...".

"آه، ولكن هل كان في إمكاني أن أكشف لكما الحقيقة؟ هل كنتِ مستعدة إلى أن تستمعي إليّ منذ لحظات؟ لو لم يصادف أن رئيستك تقيم في منزل قريب من مكان المطاردة، لما كنتما ستصغيان إلى ما سأقوله لكما، وما لم تتوفّر الظروف المناسبة للبوح بالحقيقة، كان التوضيح سيهدر وقتًا ثمينًا"، تلاشى تعبير ريديك الودود، وارتسم مكانه تعبير أشدّ صرامة، وأكثر غطرسة، وهو يقول: "سبق أن اعتذرت... ولا أعرف إن سبق لكما أن تولّيتما مهمة سرية، ولكن مجموعة أساسية من القواعد ينبغي أن تطبّق، إذا أراد أحد ما أن يؤدّي دور المجرم بأسلوب مقنع، فعليه أن يفكّر ويتصرّف مثله، حتى وإن تعرّض لخطر الإصابة برصاصة في الرأس".

شبكت جيسيكا ساقيها، وأسندت ظهرها إلى الأريكة، وقالت: "حسنًا، أخبرنا بما توصّلت إليه".

أسند ريديك ظهره، ونظر إلى جيسيكا نظرات غامضة.

"في وقت سابق من ذلك اليوم، أبلغ اليوروبول شرطة هلسنكي بالعملية، ولكن لا بد من الاعتراف بأن الفضل في حل هذه القضية يعود إلى ما بذله فريقك من مجهود، أيتها المحققة نيمي".

رفعت جيسيكا حاجبيها، وقد بدت منهكة، وهي تقول: "يا له من خبر رائع!".

ضحك ريديك، وهو ينظر إلى هيلو آملًا في الحصول على بعض الدعم، ولكنها لم تمنحه أكثر من هزة بكتفها استهجانًا، فبدت وكأنها تقول له: *إنها المحققة نيمي، يا لك من أحمق حقيقي!*

مدّ ريديك يده وتناول كوبًا، ثم سكب فيه الماء من القنينة.

"إنها قصة طويلة، ولكنني سأحاول أن أختصر في سردها قدر الإمكان، إن عصابة سينيجا سكاربيجوني، هي مجموعة إجرامية بيلاروسية، وهي المسؤولة عن كل الجرائم التي ارتكبت في الآونة الأخيرة، وعلى عكس العديد من مافيات أوروبا الشرقية، تركّز على الدعارة والبغاء فقط، وهي في الوقت الراهن تحظى بدعم عدد كبير من ذوي السلطة والنفوذ والعباقرة، ويقتصر عمل هذه المجموعة على وسائل التواصل الاجتماعي، وهي تستخدم أحدث التقنيات، وتحرص على تحديد المجموعة المستهدفة بدقة". حرّك ريديك الكوب في يده، وتابع كلامه قائلًا: "إن أصحاب الدخل المرتفع في بلدان الشمال لديهم ميول الهيبفيلي أو الأفيبوفيلي، وأوهام المانغا، وهم مفتونون بالسادية".

سأله يوسف: "هل تتحدّث عن الشاذين جنسيًا، الذين يشتهون الأطفال؟".

"ليس تمامًا، فالاعتداء الجنسي على الأطفال يثير رغبة الأطفال الجنسية قبل سن البلوغ، وتعني الهيبفيلي الاهتمام بالأطفال الذين بلغوا سن البلوغ حديثًا، بينما يهتمّ الافيبوفيلي بشكل أساسي بالمراهقين الأكبر سنًا، والذين تتراوح أعمارهم بين 17 و19 عامًا".

بينما كانت جيسيكا تستمع إلى كلمات ريديك، استعادت ما واجهته عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها، فشعرت بأنها فتاة بالغة، على الرغم من أنها في الواقع لم تكن أكثر من طفلة ساذجة اغتصبها مختل عقلي في شقة متعفنة بجانب القناة في مدينة البندقية.

قال ريديك: "بناءً على ما أخبرتكما به، ما أول ما يتبادر إلى الذهن؟".

تبادل يوسف وجيسيكا نظرات الاستغراب، ثم قالت جيسيكا: "إنهم زبائن محدّدون".

ابتسم ريديك للمرة الأولى ابتسامة عريضة كاشفًا عن أسنانه: "بالضبط، أيتها المحققة نيمي، وما الذي يجعل تحديد الزبائن بهذه الدقة ممكنًا؟"، فكّرت جيسيكا قليلًا، بينما تابع ريديك كلامه قائلًا: "كيف يمكن لمعظم الشركات أن تقدّم إليك ما تريدينه بالضبط عبر شبكة الإنترنت؟".

"الإنترنت يجمع المعلومات حول الجميع".

"بالضبط، تُعدّ سينيجا سكاربيجوني منظمة ممولة تمويلًا ضخمًا، وهي تعمل وفق خلفية قانونية سليمة تمامًا، فهي تعنى بتجارة التجزئة، وتطوير التطبيقات، كما أنها حاضنة للشركات الناشئة، كما أنها توظّف جيشًا من القراصنة والمطورين الذين يُنشئون منصات، لا للأعمال التجارية القانونية فقط، بل للأعمال غير القانونية أيضًا، وهذه هي الطريقة التي سمحت لليوروبول باكتشاف الأمر للمرة الأولى. إلا أن عصابة الدعارة التي شُكّلت بذكاء وحرص شديدين كان طاقمها في الواقع يبقى لفترة طويلة في موقع معين، ثم ينتقل إلى مكان آخر، وبالتالي لا يعود من السهل الإيقاع به".

"هل يمكنك أن توضح أكثر؟".

"لقد لاحظ المختصون في الإنترنت الذين يعدّون من أمهر القراصنة لدينا، أن مجموعة من البرامج الفاسدة ثبّتت على جميع الخوادم التي تستضيف مواقع الويب الإباحية الرئيسية تقريبًا، وهي عبارة عن مصطلحات بحث ومعلومات مهمتها التنقيب عن نوع المواد الإباحية التي يمكن أن تُشاهد عبر عناوين IP (بروتوكول الإنترنت) محددة، ويمكن تخيّل أن أحد مستخدمي الموقع، حتى وإن كان غير مسجل، قد يشاهد لعشرات الساعات المواد الإباحية سنويًا باستخدام مصطلحات بحث *مثل المانغا، الشباب، المراهق، الاختناق، العقاب، الضرب، والصغيرة*... وهذه المصطلحات تعدّ الأكثر شيوعًا بحسب ما أتذكّر، ومن أجل

إجراء عمليات بحث عبر الإنترنت عن المواد، أنشأ قراصنة سينيجا سكاربيجوني مشغلات عبر الإنترنت تستردّ عنوان بروتوكولات الإنترنت بمجرد استيفاء شروط معينة، ولأن الرجال ذوي الدخل المرتفع هم وحدهم المستهدفون والمطلوبون، يتمّ التأكد من مدى ثرائهم من خلال مراقبة عمليات الشراء التي يقومون بها عبر الإنترنت، ورسوم العضوية التي يدفعونها، ووسائل التواصل الاجتماعي، وقد حدّدت المنظمة الآلاف من هؤلاء الرجال واتّصلت بهم بسرية، وعلى الأرجح من دون الكشف عن الكثير من المعلومات، فحصلت على مئات الزبائن المهتمين".

سكب ريديك الماء الباقي في كوبه، فنظرت جيسيكا إلى هيلو، التي كانت تنقر بأظافرها على مسندي ذراعي مقعدها.

"بالطبع لم نكن نعرف كيف فعلت ذلك في البداية، وكل ما نعرفه الآن هو أن شخصًا ما في بيلاروسيا كان يُنقّب عن معلومات حول الدافع إلى تفضيل الأشخاص المواد الإباحية".

سألته جيسيكا: "كيف بدأت تحرز تقدمًا في تحقيقك؟".

"بدأت العملية السرية الثانية عندما استأجرت شقة في هلسنكي و...".

سأله يوسف: "هل بدأت بمشاهدة الأفلام الإباحية؟"، ارتسمت ابتسامة على شفتيه، وقال: "يمكنك التفكير في أسوأ الاحتمالات".

"وصلت رسميًا إلى هلسنكي من طوكيو عبر لاهاي لعقد صفقة دمج شركتين تجاريتين إلكترونيتين، ثم أمضيت وقتي في البحث عن المواد الإباحية عبر استخدام مصطلحات محددة، كما أجريت الكثير من عمليات البحث التي توحي بأنني أتقاضى راتبًا مرتفعًا، ثم بحثت عن مشاركة الوقت، ونزّلت قوائم أسعار بصيغة بي دي أف للمركبات الفاخرة، وفتحت حسابًا للتبادل التجاري عبر أسهم الأسواق التجارية، كما أنشأت حسابًا على الإنستغرام، وتابعت من خلاله العلامات التجارية الباهظة الثمن". نظر ريديك إلى كاحله المضمّد، وقال: "وحذا حذوي رجلان من رجال اليوروبول، فكان أحدهما في ستوكهولم والآخر في غوتنبرغ".

قالت جيسيكا: "لكنهم ابتلعوا طعمك".

أومأ ريديك إليها، وقال: "بعد ثمانية أيام فقط، تلقّيت رسالة مباشرة عبر الإنستغرام، وكانت من النوع الذي لا يمكنك قراءتها إلا مرة واحدة قبل أن تختفي، ومع ذلك فقد التقطت لها لقطة شاشة".

نقر ريديك على هاتفه نقرة، ثم أعطاه لجيسيكا، فتفحّصت شاشة الهاتف، وقالت: "لقد كنا نرتدّ على أعقابنا في أثناء محاولة تعقّب تحركات هذا الهاتف".

"أصبحت الآن تعرفين لماذا لم تستطيعي تحقيق أي تقدّم".

أدارت جيسيكا الهاتف حتى يتمكّن يوسف من رؤية الرسالة التي ظهرت على الشاشة أيضًا.

أنا أعرف ما الذي تريده أيها الفتى الكبير.

ماسايوشي فاي25119358 #

جهّز نفسك وكن أنيقًا، واسأل إذا كان جيمس موجودًا.

أعادت جيسيكا إليه الهاتف، وقالت له: "من أرسل لك الرسالة المباشرة؟".

"يمكنك أن تخمّني، كانت امرأة شابة جميلة ترتدي ملابس مانغا"، نظر ريديك إلى نوافذ غرفة الجلوس الكبيرة، ثم حرّك ساقه المصابة بكلتا يديه، وقال: "وكما تعلمين، عند إدخال الهاشتاغ الرقمي على صفحة الإنستغرام، تظهر عشر صور، وفندقان، وعدد قليل من الحانات والمطاعم، بالإضافة إلى فينيكس".

أومأت جيسيكا إليه برأسها، وقالت له: "ماذا حدث بعد ذلك؟".

"ارتديت بذلة فخمة، ووضعت ربطة عنق، ثم توجّهت إلى الفندق الصغير في أعلى القائمة، وسألت الموظّف إن كان جيمس موجودًا، فبدا واضحًا أنه لم يفهم ما الذي كنت أُلمّح إليه، ولكنه طلب مني الانتظار في بار الفندق، فمرّت نصف ساعة قبل أن تتوقّف سيارة مرسيدس رباعية الدفع أمام الباب، ثم دخل السائق إلى الفندق لاصطحابي، فتحدّث إليّ بالإنكليزية بلهجة أوروبية شرقية، وهو يعرّف باسمه قائلًا: أُدعى جيمس"، وبمجرد أن دخلنا السيارة، طلب ملف التعريف

الخاص بي على الإنستغرام، وكأن من أرسله أراد التواصل معي للتحقق من أنه وجدني، وليس العكس، ثم أخبرني بأنه يمكنني اختيار أي فتاة من قائمة ماسايوشي. فاي.

سألته جيسيكا: "هل كانت القائمة في حوزته في السيارة؟".

"نعم، كما كانت مغلفة بالجلد، وكأنهم يسعون إلى التعامل مع النخبة برقي، وتوفير الرفاهية لهم، واللافت أن جميع الفتيات في الصور كن يرتدين ملابس شبه متطابقة، فكان عدد قليل منهن آسيويات، أما الباقيات فأوروبيّات، وقد ورد اسم الفتاة بجانب كل صورة.

في البداية، اخترت فتاة اسمها كاسومي، ولكنني عندما علمت بأنها ليست متاحة، قرّرت اختيار مياموتو... وهي التي عُثر عليها على الشاطئ في أورينكولاهتي".

سأله يوسف: "ما الذي حصل لأولغا بيلوسوفا".

رفع ريديك إصبعه، وهو يشير إلى التحلي بالصبر، ثم قال: "أعطاني جيمس الأسعار، فكان المبلغ الأساسي ألف يورو مقابل قضاء ساعة واحدة برفقة الفتاة، ولكن مقابل عشرين ألفًا، يمكنني الحصول على الفتاة في غرفة منعزلة لمدة خمسة أيام، وفي اليوم الخامس يمكنني أن أفعل ما أريده بها، وهم يتكفّلون بالتنظيف من بعدي"، بدا ريديك منفعلًا بعد أن أنهى كلامه، كما لو كان يصغي إلى القصة بدلًا من سردها.

همست جيسيكا إليه بتوتر واضطراب: "ماذا قصد السائق بقوله إنهم يتكفّلون بالتنظيف من بعدك، هل تقصد..."، قال ريديك، وهو ينظر إلى النافذة: "نعم، يمكنني أن أضربها، أو أخنقها، أو أقطّع أعضاءها، أو أقتلها".

ساد صمت مطبق في أنحاء الغرفة.

86

رشّت جيسيكا الماء البارد على وجهها، بعد أن جعلتها قصة ناثان ريديك تشعر بالغثيان، وقد بدا الحمام الأبيض متلألئًا، وكل سطوحه لامعة وخالية من البقع، وهو ما تعرفه عن هيلو، ولا يثير دهشتها إطلاقًا، فجفّفت وجهها ويديها، وتساءلت إن كانت الزوجة هيلو مهووسة بالسيطرة كما تبدو مهووسة في العمل؟ أم أن الأمر مختلف تمامًا في المنزل؟ ولماذا قد يرغب أي شخص في أن يرتبط بحمقاء تطعن الآخرين في الظهر مثل هيلينا لابي على أي حال؟

فتحت جيسيكا الباب، وعادت إلى غرفة الجلوس المزينة بالرسمات الحريرية المعلقة على الجدران، وعلى الأرجح أن الغرض منها تلطيف حدة المسحة السلطوية التي تطغى على المنزل، كما عُلّقت الأعمال الفنية بطريقة منظمة ومدروسة، وهذا يشير إلى أن هيلو لم تحصل عليها لأنها رغبت فيها، بل لأنه كان يُفترض أن تزيّن بها الجدران.

جلست جيسيكا إلى جانب يوسف، وقالت لريديك: "آسفة للمقاطعة، ولكن يمكنك أن تكمل قصتك الآن".

قال ريديك: "قد يصعب عليكما سماع ما سأقوله".

حدّقت جيسيكا إلى عميل اليوروبول باستخفاف، *فقد تعرّضت لمخاطر كثيرة، وتغلّبت على صعوبات عديدة، فتلقّتها كما لو أنها تلقّت لكمة بسيطة على رأسها*، ثم قالت له بحيادية: "من فضلك استمرّ بسرد قصتك".

"فور وصولي إلى السيارة، رأيت جهازًا مضادًا لتحديد المواقع مزودًا بهوائي، من النوع الذي يحجب إشارات الجي بي أس موصولًا بلوحة القيادة، فأدركت أنه ينبغي ألّا أعرف المكان الذي سنتوجّه إليه، فأخبرت جيمس بأنني بحاجة إلى

ساعتين، لأتّخذ قراري الذي سأطلعه عليه لاحقًا، فقبل طلبي من دون تململ أو تذمر. وبعد أن شرح لي القواعد كلها، وأهمها أنه يتحتّم عليّ أن أغلق هاتفي، وأن أسلّمه إليه طوال مدة القيادة، سلّمني نظارة شمسية كبيرة تحجب عني الرؤية".

فكّ ريديك أزرار كميه ورفعهما حتى مرفقيه.

"استغرقت الرحلة نصف ساعة، في البداية كنا نتوقّف كل فترة، ثم قاد لمسافة طويلة ببطء، ما جعلني اعتقد أننا نغادر وسط المدينة، في النهاية وضع جيمس حدًا لفضولي الشديد، وأخبرني بأنه يمكنني إزالة النظارة الشمسية، فأدركت حينها أننا في مرآب للسيارات، وهو يقع تحت الأرض، ويخلو من أي نوافذ، كما لم يكن كبيرًا جدًا، وربما تراوحت مساحته بين مئتين وثلاثمئة متر، وكان في إمكاني سماع هدير المحركات القوي، وصرير الإطارات الضخمة الصادرة من خارج المرآب، فسمح لي جيمس بالترجّل من السيارة، وقد رافقني إلى المصعد، وبمجرد دخولنا إليه، فتّشني بدقة، ثم خرجنا في الطابق التالي، ومشينا في ممر ضيق يقود إلى باب أسود، وعندما طرق جيمس الباب، فتحه رجل تبيّن أنه فنلندي وفقًا لمظهره ولهجته التي تجلّت عندما قال إنه يدعى سام، ثم أشار إلى جناح كبير، ربما تبلغ مساحته ستين مترًا مربعًا، مجهز تجهيزًا تامًا، ويحتوي على مطبخ حديث، وحمام فخم، وخزانة خمور، وتلفاز، وسرير كبير، ولكن من دون أي نوافذ خلف الستائر، ثم قال سام إن خدمة الغرف متاحة على مدار الساعة، وإنني سأجد القائمة بجوار التلفاز، وعندما أريد المغادرة، ليس عليّ سوى أن أضغط على زر بجوار الباب، وإذا أردت الاتصال بأي شخص، يمكنني استخدام الهاتف الثابت، كما أبلغني بأنهم سيعيدون إليّ هاتفي المحمول فور مغادرتي الجناح".

سأله يوسف: "ماذا حدث بعد ذلك؟".

"نظر سام إلى عيني، وسألني إذا كنت موافقًا على اتباع تلك القواعد بحذافيرها، فأومأتُ إليه موافقًا، ثم قال: "استمتع بإجازتك، سيد واتانابي"، لقد بدا جليًا التهديد الضمني الذي تخلّل العبارة التي يُفترض أنها بادرة لطيفة، بينما كان

يقصد أن يقول: *"إننا نعرف اسمك وكل تفاصيل حياتك، فلا تنسَ أننا من نختار زبائننا بأنفسنا"*.

سألته جيسيكا: "واتانابي؟".

قال ريديك وهو يعبث بخاتم يضعه في إصبع يده اليسرى التي يوضع فيه عادة خاتم الزواج: "إنه اسمي السري، وقد جهّز اليوروبول خلفيته بشق الأنفس"، وأضاف قائلًا: "هؤلاء الأشخاص لن يقبلوا بزبون لا يعرفون معلومات كافية حوله، فلا بد أن يعرفوا الاسم، والعنوان المدونين على بطاقة هويته، بالإضافة إلى عنوان العمل، وأسماء أطفاله...هذه هي الطريقة التي يضمنون من خلالها ألا يبلغ أحد الشرطة عن جرائمهم".

قالت جيسيكا: "على الرغم من أنهم لا يتركون أي دليل للزبائن".

"بالضبط"، جلس ريديك بشكل مستقيم على كرسي بذراعين، وللحظات بدا وكأنه سينهض من مكانه، ويتجوّل في الغرفة لو أسعفته قدمه المتورمة على التجول.

سألته جيسيكا: "أقابلت مياموتو، أعني أولغا؟".

بينما كان يوسف يتناول مزيدًا من اللبان، أومأ ريديك إليها، وقال: "نعم"، ثم نظر إلى عيني جيسيكا للمرة الأولى، فبدا خائر القوى إلى حد ما، بعد أن أدرك بوضوح ما خطر على بال جيسيكا، وقال لها: "لا توجّه إلينا إرشادات واضحة في مواقف مثل هذه، فحالات الطوارئ، والسيناريوهات المختلفة، تتمّ مراجعتها كلها قبل تنفيذ المهمة... ومن بينها كيفية الحفاظ على نقاء صورتنا، من أجل نجاح المهمة... وما سيكون مصير النساء إذا فشلت المهمة، وتوجّب علينا الانسحاب".

همهمت جيسيكا بطريقة لا إرادية، ثم أحنت رأسها، وهي تقول له: "هل مارست الجنس مع أولغا؟"، تبع السؤال الذي طرحته جيسيكا صمت مطبق، درس خلاله ريديك ردود فعل كل واحد منهم، فبدا الذهول على ملامح جيسيكا ويوسف، بينما لم يظهر على وجه هيلو أي دهشة، إذ سبق أن سمعت بتفاصيل القصة.

"كنت قد انضممت للتو إلى المجموعة، وكان يتحتّم عليّ التصرف بطريقة تتيح لي العودة مجددًا، أيتها المحققة نيمي، وإلا كانوا سيشكّون في كوني ضابطًا...".

قاطعته جيسيكا، وهي تسأله متعجبة: "هل كانت أولغا ستخبر المتاجرين بها بأنك لم تمارس الجنس معها؟".

رفع ريديك سبابتيه، وأشار بهما إلى الغرفة، وقال: "فكّري في الأمر، لقد بنوا المكان كله من أجل غرض محدد، هل تعتقدين حقًا أن هؤلاء الأوغاد لم يسجّلوا كل حركة يقوم بها الزبون بالصوت والصورة؟ ولا سيما بعد أن تبيّن أن عمل العصابة الحقيقي يركّز على المراقبة".

"ماذا تقصد من كلامك؟".

إنهم يحصلون على عشرين ألف يورو من أجل استمتاع الزبون بضرب المرأة، وقتلها إن رغب في ذلك، ومبلغ عشرين ألفًا ليس بمبلغ كبير إن قارنا بين كمية المال وعناء العثور على بائعة هوى، واحضارها إلى فنلندا، ناهيك عن الخسارة التي ستنجم عن وفاتها، أليس الأجدى لهم الاكتفاء بألف يورو مقابل توفير المتعة للزبون لمدة ساعة واحدة، وتجنّب المخاطر التي يمكن أن تنتج عن الخيار الآخر؟".

شعرت جيسيكا بأن نبضات قلبها بدأت تتسارع بقوة، ثم قالت مترددة: "إلّا إذا...".

"... كان هدفهم الأساسي الابتزاز وليس الدعارة".

87

"إنه فخ حلو المذاق يُنصب لجذب السيكوباتيين الأغنياء، فالألف يورو التي يدفعونها مقابل ساعة واحدة تكفي لبثّ الذعر في نفوس الزبائن غير المتعطشين إلى الدماء لتكرار الأمر قبل مرور وقت طويل، كما أنّ توفير تلك الفرص الذهبية لهم تفوق أي ندم روحي، وبعد ذلك يشتدّ الضغط عليهم بشكل كبير، والأحمق السادي الذي يحشر أنفه بما لا يعنيه تتاح له فرصة العيش في أوهامه المرضية من دون الإمساك به، فالإجراءات السرية المتبعة من تسليم الهاتف، والانتقال إلى المركز سرًا... ليست إلا مجرد إجراءات احترازية توهم الزبائن في أن ما يحدث في تلك الغرفة يبقى مدفونًا فيها".

قالت جيسيكا: "على الرغم من أن الحقيقة تكون عكس ذلك تمامًا".

تنهّد ريديك، وقال لها: "بالضبط".

نظرت جيسيكا إلى يوسف التائه في أفكاره، بعد أن قدّم إليهم الشبح المعروف باسم عميل يوروبول ناثان ريديك معلومات مهمة، ولكن مع ذلك ظلّت بعض الأسئلة الأساسية من دون إجابة.

قال ريديك: "نعم، لقد مارست الجنس مع أولغا بيلوسوفا، وأنا لست فخورًا بذلك، ولكن كان عليّ أخذ الصورة العامة بعين الاعتبار، لذا اضطررت إلى ترك الباب الخلفي مفتوحًا حتى أتمكّن من العودة إلى ذلك المكان".

سأله يوسف: "كما كان يتحتّم عليك معرفة عنوان المكان الذي اقتادوك إليه بأي طريقة ممكنة، أليس كذلك؟".

"فكّرت في بدائل مختلفة، ومن بينها الاتصال بشرطة هلسنكي لطلب الدعم، إذ كان في إمكان فريقك على سبيل المثال، أن يتعقّب السيارة التي قادها جيمس لإيصالي إلى الموقع".

"لا تبدو فكرة سيئة، لماذا لم تتّصل بقسم الشرطة؟".

"كلما فكرت في الموضوع، توصّلت إلى استنتاج مفاده أن العصابة ستأخذ ذلك الاحتمال بعين الاعتبار، وأن فشل العملية سيعرّض حياة النساء للخطر، لذلك قرّرت أن أُجرّب بمفردي تنفيذ خطة بديلة أخرى، فاستأجرت سيارة، وخرجت من الفندق، وانتظرت ظهور سيارة جيمس المرسيدس السوداء، وقد مرّت بضعة أيام من دون أن يظهر أي أثر لها، وكنت على وشك الاستسلام، وبعد ظهيرة أحد الأيام رأيت جيمس يقف خارج الفندق".

سألته جيسيكا: "هل دخل لاصطحاب زبون؟".

"نعم، ولكنني كنت بعيدًا جدًا عن الفندق، لذا لم أستطع التعرف إلى الزبون، ولكن لم يكن لديّ أدنى شك في المكان الذي سيتّجهان إليه".

قالت جيسيكا: "ما الذي حصل بعد ذلك؟".

"عندما انطلقت في اتجاه حركة السير، رأيت سيارتين رباعيتي الدفع من نوع شيفروليه سوبربان، وهما تعودان إلى العقد الماضي، وكنت متأكدًا من أنهما السيارتان اللتان سمعت صوت هدير محركيهما خارج مرآب السيارات، ثم لاحظت أن وظيفة إحدى تلك الآليتين التأكّد من أن أحدًا لا يلحق بالآلية الأولى، وأن اكتُشف عكس ذلك يتمّ التخلص منه على الفور".

"هل تراجعت خوفًا من إلقاء القبض عليك؟".

"كان يمكن أن يُلقوا القبض عليّ بكل سهولة".

سأله يوسف: "هل حصلت على أرقام لوحتي السيارتين؟".

"كلتا السيارتين مسجلتان في فنلندا، ولكنهما تعودان إلى شركة أوكرانية، وقد تقصّى اليوروبول الأمر، ولكنه عاد صفر اليدين، ولم يعثر على أي دليل يمكّن أن يسهم بحلّ القضية".

سألته جيسيكا: "على الرغم من ذلك واصلت التحقيق في تلك القضية؟".

أومأ إليها ريديك قائلًا: "لقد عدت إلى الفندق، وكرّرت قول العبارة نفسها،

ثم انتظرت قدوم جيمس نصف ساعة لاصطحابي إلى ذلك الجناح، ولكن أمرًا ما تغيّر هذه المرة".

"ما الذي تغيّر؟".

"ما إن ركبنا السيارة، حتى أبلغت جيمس بأنني أحتاج إلى قضاء ساعة فقط مع الفتاة التي اخترتها، فذكّرني بخياراتي، وبأنه يمكنني الانتقال إلى المستوى التالي، وهو خيار الحصول على الفتاة لمدة خمسة أيام".

ظلّت هيلو صامتة لفترة طويلة، ولكنها في هذه المرحلة نظرت إلى جيسيكا ويوسف قبل أن تقول لريديك: "ألم تدرك الآثار التي قد تترتّب على ما أقحمت نفسك به؟ كان السائق يهدف إلى إقناعك بقبول عرض العشرين ألف يورو، وكل عرض آخر كان طُعمًا لتوريط الزبائن لا أكثر".

"تظاهرت بأنني مهتم بما عرضه عليّ، وقلت له إنني قد أقبل عرضه في المرة المقبلة، وبعد دقائق وجيزة كنت في الغرفة برفقة أولغا".

"ما الذي كنت تخطط له؟".

"أردت الحصول على معلومات لا يمكن أن تثير الشك في أثناء التنصّت على ما يدور بيننا من أحاديث".

قالت جيسيكا وقد نفد صبرها، وهي لا تزال تواجه صعوبة في الوثوق بالشبح، خاصةً أنه عاد إلى مسرح الجريمة، ودفع ألف يورو لقضاء ساعة مع إحدى الفتيات من دون وضع خطة حقيقية: "ما الخطة التي وضعتها لتحقيق غايتك؟".

"كنت أدرك أنني إذا لم أُضحِّ بشيء قيّم، فلن يمرّ وقت طويل قبل أن...".

علّقت جيسيكا، بعد أن شربت كوب الماء دفعة واحدة: "هل كان عليك أن تدفع المال مقابل الحصول على العاهرات من جيبك الخاص؟"، بدا ريديك مرتبكًا، بينما كانت هيلو توشك أن تنقضّ على جيسيكا في أي لحظة.

"... كان يتحتّم عليّ أن أبلغ لاهاي بأنني لم أحرز تقدمًا، وكانت أفضل الخطط البديلة مواجهة جيمس وإحضاره إلى الاستجواب، ولكن هناك احتمال أن

لا ينجح الأمر، ثم لاحظت أن جيمس ينطق دائمًا بكلام محدد عبر هاتفه ما إن تنطلق السيارة، أو عندما نصل إلى مرآب السيارات، ما مكّنني من ملاحظة أي انحراف عن روتينه على الفور". لعق ريديك شفتيه، وتابع كلامه قائلا: "ثم لاحظت فجأة أمرًا لم أعره الكثير من الاهتمام في المرة الأولى، ربما لأنني لم أرَه...".

علّق يوسف قائلًا: "هل لاحظت آثار الحروق على ذراع أولغا؟".

أومأ إليه ريديك، وقال: "سألت أولغا عن تلك الحروق، ولكنها لم تخبرني بما أصابها، إلا أنني عندما أخذت بعين الاعتبار الغرض الأساسي من استغلال العصابة أولئك الفتيات، افترضت أن سبب هذه الحروق هو أحد الزبائن الساديين، ولكن بعد التفكير مليًا، أدركت أن ذلك لم يكن منطقيًا وفقًا للمخطط، إذ لا يمكن إلحاق الأذى بالفتيات إلا إذا دفع الزبون مبلغ عشرين ألف يورو، لذلك ظلّت مسألة تلك الحروق غامضة بالنسبة إليّ".

"كيف تابعت التحقيق في القضية؟".

قال ريديك: "كنت أعلم أنه يتوجّب عليّ اكتشاف الرقم الذي اتصل منه موظف الاستقبال بجيمس، فكان ذلك هو الخيط الوحيد الذي يمكنني أن أنطلق منه لحل خيوط القضية، ولكن لم يكن لدي طريقة للوصول إليه، وسرقة هاتف موظف الاستقبال من شأنه أن ينبّه العصابة إلى حدوث خطب ما، ما قد يجعلهم يوقفون العمليات ولو لفترة مؤقتة، وهكذا وصلت إلى طريق مسدود. هل سمعت بالصندوق الذي صمّمه ليوناردو دافنشي، المقفل بشيفرة رقمية، ويحتوي على مخطوطة نفيسة في داخله؟ يمكنك أن تحطّم القفل بالقوة، ولكن ذلك سيؤدّي إلى انكسار قنينة الخل المخبأة في داخل الصندوق، وإتلاف المخطوطة النفيسة، فكان الموقف الذي أواجهه مشابهًا لما يمكن أن يحصل داخل ذلك الصندوق إن تحطّم قفله، إذ كان يتطلّب الوصول إلى جوهر القضية مواجهة مخاطر كبيرة لا تُحمد عُقباها".

سألته جيسيكا: "لكن كيف عثرت على ليزا؟".

لـم يكـن مـن السـهل الوصـول إلـى المسـؤول عـن موقـع ماسايوشـي.فاي عـبر اسـتخدام الشـبكة، ولكـن خـبراء تكنولوجيـا المعلومـات لـدينا لـم يسـتغرقوا وقتًـا طـويلًا في اكتشـاف معـرف تحلـيلات الموقـع الـذي اسـتخدم مـع عنـوان URL آخر...".

".www.thelisayamamoto.fi"

أومـأ ريـديك إليهمـا وهـو ينحني إلـى الأمـام، وتـابع كلامـه قـائلًا: "لقـد كـان اكتشافًا محيرًا، كما كان دليلًا قويًا على تورّط أحد المدونين الأكثر شـهرة في فنلندا في القضية بطريقة ما".

"لذلك تقرّبت منها؟".

"رأيت عبر وسائل التواصل الاجتماعي أنها ليست مدوِّنـة عاديـة فحسـب، بـل إنها فنانة موهوبة أيضًا، فاتّصلت بها، واقترحت عليها أن تشـاركني في تنفيـذ مشـروع تجـاري، بعـد أن ادّعيـت أننـي أمثّـل معرضًـا فنيًـا يابانيًـا، وأخبرتهـا بأننـا خصّصـنا للمشروع مبالغ ضخمة، وأنني أودّ الاطلاع على أعمالها الفنية، كما أكّدت لها أن حقيقة أن جذورنا اليابانية المشتركة، لا يمكن أن تلحق بها أي ضرر، وقد أكّد إنشاء لاهـاي موقعًـا موثوقًـا في أقـل مـن أربعـة وعشـرين سـاعة صـحة كلامي، ثـم بـدأت أتواصل معها عبر الإنستغرام".

سألته جيسيكا: "هل ابتلعت ليزا الطُعم، ودعتك إلى منزلها؟". بدأت الحقائق تظهر جلية بسرعة كبيرة.

"بالضـبط، قابلـت ليـزا في منزلهـا في 20 تشـرين الثـاني عنـد السـاعة الخامسـة، واتفقنا على أن ترسم لي عينة، وأن أدفع لها خمسة آلاف يورو مقابل تلك اللوحة، بعد أن أكّدت لها أنه يمكننا مواصلة العمل معًا في المستقبل".

سأله يوسف: "هل تضمّنت تلك اللوحة التلميذة التي تقف أمام المنارة؟".

أومأ إليه ريديك قائلًا: "لقد اقترحت ليزا ما سترسمه بنفسها".

سألته جيسيكا بارتياب: "ولكن ما كانت خطتك الأساسية؟".

مدّ ريديك ذراعيه، وقال: "لقد وضعت جهاز تنصت تحت مكتب ليزا، مع أنني أعترف بأن خطّتي ما كانت لتصمد ما إن يشرق ضوء النهار".

قالت جيسيكا: "ما تقوله يبدو صحيحًا، فقد بدأت خطتك بطريقة خاطئة، فمارست الجنس مرتين مع إحدى ضحايا الاتجار بالبشر، ثم وضعت جهاز تنصت في غرفة ليزا ياماموتو من دون الحصول على إذن قضائي، وعلاوة على ذلك لم تكن لديك أي سلطة رسمية للعمل على القضية في هلسنكي، ومع ذلك يمكنك أن تُكمل سرد ما حصل، لأنني أودّ أن أعرف كيف سينتهي بك المطاف، وإن أثارت ليزا إزعاجك في فينيكس، أو إن كان لها أي صلة بتلك القضية أيضًا".

قال ريديك وقد نفد صبره للمرة الأولى: "بالله عليك، ما مشكلتك؟ إننا في الجانب نفسه، ومن دوني ما كان في إمكانك الحصول على معلومات مهمة يمكن أن تساعدك على حلّ تلك القضية...".

سعلت هيلو، ثم قالت بحزم: "اهدأ!"، فبدا ريديك مذهولًا، وقد جحظت عيناه، ما ذكّر جيسيكا بصوره عبر لقطات كاميرا المراقبة، ثم أضاف قائلًا: "لذا راقبت الفندق، وانتظرت سماع رنين الهاتف في غرفة ليزا".

"وماذا حصل بعد ذلك؟".

"راقبت الفندق طوال الوقت، وأنا أصغي إلى ما يدور في غرفة ليزا، وبما أن هاتفها لم يكن من طراز آيفون، بل من نوع أقدم، اعتقدت أنها تلقّت رسالة نصية، لأنني لم أسمع ردّ ليزا بعد رنينه".

قال يوسف: "هل سمعت ثلاث رنات؟".

أومأ إليه ريديك بالموافقة.

قالت جيسيكا: "بينما كنت تنتظر قدوم جيمس خارج الفندق".

"لم يحدث ذلك في الليلة الأولى، فكان هناك عشرة أماكن محتملة يمكن مصادفته فيها، ولكن في مساء الليلة الثانية، ظهر جيمس أمام الفندق بعد عشرين دقيقة فقط من سماعي رنين الهاتف في غرفة ليزا، فكانت تلك اللحظة مثالية، على

الرغم من أن المخطط بأكمله بدا بعيد المنال منذ البداية إلى درجة أنني شعرت بأنه من غير الممكن وضع الأجزاء في مكانها الملائم، وأنا أسترجع بشكل متواصل الصرخات الصادرة من الإثارة، التي كانت تروّجها ليزا ياماموتو من خلال الاتجار بهؤلاء النساء".

"لكن لماذا شككت في ليزا على وجه التحديد؟".

"لقد افترضت أن ليزا تجهل منذ البداية ما الذي تورّطت فيه، أو أن العصابة أجبرتها عبر استخدام البريد الأسود على التعاون معها، ثم بحثت عن شاب مؤثر يمكن استغلال شهرته عبر وسائل التواصل الاجتماعي بطريقة أو بأخرى".

88

قال ريديك: "عندما تأكّدت من أن إدارة الفندق كانت تتواصل مع ليزا، اتّصلتُ بها يوم الجمعة، وشرحت لها المشروع الفني الذي كنت بصدد تنفيذه، ثم طلبت الاجتماع بها مرة أخرى، وكنت أنوي أن أكشف لها عن هويتي لأجبرها على البوح بكل الحقيقة".

سألته جيسيكا: "وهل قابلتها في الموعد المحدد؟".

تنهّد ريديك، وقال لها: "التقينا في مقهى في ميدان تولونتوري، وبما أن الحب الحقيقي يسيطر على القلب من دون أي لافتات أو أضواء ساطعة، فقد أطلعتها على هويتي مباشرة من دون أي تمهيد، كما أخبرتها بأنني أعرف حقيقة ماسايوشي.فاي المتورطة فيها، وأن حياة عدد كبير من الأرواح على المحك، وأن لا داعي لتشعر بالقلق على مصيرها إذا كشفت عن كل ما تعرفه".

"كيف بدا ردّ فعلها؟".

"تظاهرت بأنها لا تعرف شيئًا، ثم انتصبت واقفة، وابتعدت عن الطاولة... في ذلك الوقت، كنت متأكدًا من أنني دست على اللغم، وأنني ارتكبت خطأ فادحًا، وأنه يتحتّم عليّ أن أطلب المساعدة من الشرطة المحلية، لأحصل على مذكرة توقيف بحق ليزا ياماموتو، قبل أن تتّصل بجيمس وتخبره بأن أحد رجال الشرطة قد اكتشف أمر العصابة، وهكذا سينتهي الأمر إلى قتل كل الفتيات".

تنهّد ريديك بعمق، ونظر إلى عيني جيسيكا، وبدا عليه الإرهاق والتعب فجأة، ثم أضاف قائلًا: "لحقت بها، وأوقفتها عند الباب، وحذّرتها من أن تحمّل ضميرها مسؤولية قتل كل تلك الأرواح البريئة، كما طلبت منها أن تعاود الاتصال بي عندما تعود إلى رشدها، فقالت لي إنني مجنون وغادرت المكان".

قال يوسف: "إن نتائج خطتك الجريئة انعكست عليك سلبًا".

"كنت متأكدًا من أن ليزا تعرّضت للابتزاز، ولكن لم يكن لديّ فكرة حول ما الذي يبتزونها به، حتى أبلغتني المشرفة لابي بأن والد ليزا كان أحد أفراد عصابة سابق، ما أدّى بكل تأكيد إلى تغيّير كل توجهاتها، ما إن هدّدوها بقتل والدها إذا لم تتعاون معهم".

قالت له جيسيكا: "لكنك لم تستسلم في تلك المرحلة، بل حاولت حضور حفل إطلاق ألبوم كيكس مايس".

"ظللت أراقب اتصالات ليزا، إلى أن سمعتها تذكر حفلة إطلاق ألبوم كيكس مايس أكثر من مرة باللغة الإنكليزية قبل أيام قليلة من اختفائها، وقد اتّضح لاحقًا أنها كانت تتحدّث إلى مدير فينيكس".

قالت جيسيكا، وهي تشعر بألم يعتصر قلبها: "هل التقيته".

"في صباح يوم السبت عرفت أن عددًا قليلًا من العمال يعرفون جيمس، وأن معرفة أي أحد آخر سيكون محفوفًا بمخاطر لا داعي لها، وقد انطلقت في القضية من افتراض أن المدير لم يكن مشتركًا في المخطط، وقد أكّد ذلك الافتراض حقيقة أن ليزا لم تخبر المدير بتقرّبي منها، ولو كان فردًا من العصابة، لما كانا سيتحدّثان بأمور اعتيادية عبر الهاتف".

شعرت جيسيكا براحة كبحت توترها واضطرابها، كما لو أن حِملًا ثقيلًا أُزيل عن كاهلها، في الوقت نفسه لم يسعها إلا أن تتساءل عن سبب لجوء فرانك إلى مثل تلك الإجراءات المتطرفة في تلك الليلة ما لم يكن يؤدّي دورًا في ذلك المخطط الإجرامي.

"هل تقصد أن فرانك دومينيس لم يشارك في أنشطة تلك العصابة؟"، في الوقت الذي طرحت فيه السؤال، التفت يوسف إليها، ورمقها بنظرات حادة.

هزّ ريديك برأسه بهدوء، وقال لها: "لا".

"حسنًا، لماذا التقيت به صباح السبت؟".

"كنت بحاجة إلى بطاقة لحضور الحفل، لتتسنّى لي الفرصة للتحدث إلى ليزا بعد أن امتنعت عن الرد على مكالماتي، ولأنني توقّعت أنها كانت على وشك الاختفاء".

قالت جيسيكا: "وهذا بالضبط ما حدث".

أومأ ريديك إليها، وقال: "تواصلت مع فرانك دومينيس، وحدّدت موعدًا لمقابلته في صباح السبت، وقبل ذلك كنت قد طلبت من لاهاي النظر في خلفية دومينيس، فاتّضح أنه كان عضوًا في فرقة المشاة في ألاسكا، كما توصّل التحقيق في ماضيه إلى اكتشاف أنه كان ينتمي إلى مجموعة دولية لتهريب المخدرات ونقلها مباشرة إلى عتبة باب فينيكس، وقد بدا جليًا أنه متورط في أعمال مشبوهة، وعندما التقيت بدومينيس، أخبرته بأنه يتحتّم عليه السماح لي بحضور حفل إطلاق ألبوم كيكس مايس لا أكثر ولا أقل، وإلا فسأعتقله فورًا".

نظرت جيسيكا إلى ريديك بعينين تقدحان شررًا، وشعرت برغبة قوية في رشق محتويات كوبها في وجهه، إلا أنها ضغطت بأصابع يديها المرتعشة على مسندي الذراعين، وهي تفكّر في أن فرانك لم يكن ذلك الوحش الذي تخيّلته في بعض الأحيان، مع أنه كان متورطًا في تجارة المخدرات، وبعد أن أدرك أنه قد يُسجن لفترة طويلة جدًا اتّخذ قرار الانتحار.

89

بينما كنت أعقد الاتفاق مع فرانك دومينيس، اتّجه جيمس إلى خارج الملهى الليلي، ولكن قبل أن يلاحظ وجودي، غادرتُ الملهى على الفور، وبقيت في الجوار لمراقبة ما سيجري، فرأيت جيمس يسلّم الحارس غرضًا ما، عندها أدركت أن جهة الاتصال في فينيكس كانت عالم.

استدارت جيسيكا لتنظر إلى الخارج عبر النافذة، فقد استمعت إلى تسجيلات استجواب صاحب عالم، وقد بدأت القصص التي رواها تتداخل مع قصص ريديك.

قال له يوسف: "هل ذهبت تلك الليلة إلى الحفل؟"

أومأ ريديك إليه بالموافقة، وقال: "كنت أول الواصلين".

"لماذا لم تتحدّث إلى ليزا؟".

"ألم تفهم ما كنت أخطّط له بعد؟ كنت أحاول تجنيدها للعمل بصفتها مخبرة، ولم أرغب في الضغط عليها فحسب، كما أردت أيضًا أن يرانا الناس معًا، وأن تعرف أن محادثتنا الصغيرة رصدتها الكاميرات، وأن من كان يدير العصابة لن يعتبر ذلك أمرًا يمكن أن يمرّ بكل بساطة".

"حسنًا، هل كنت تخطط لتهديد ليزا؟".

ظهرت على ريديك ملامح الشخص المحلل والبارد المشاعر، والتي لاحظها يوسف وجيسيكا عبر أشرطة كاميرات المراقبة، ثم قال باقتضاب: "نعم".

قال يوسف: "لكن خطتك لم تنجح".

"أخبرت ليزا بأنني سأنتظر مكالمتها في صباح اليوم التالي، وكنت مقتنعًا بأنها أخذت التهديد على محمل الجد".

قالت جيسيكا: "لكنها توارت عن الأنظار".

سيطر التوتر على الغرفة، فبدا أن الجميع يفكّرون في الأمر نفسه.

ثم أضافت جيسيكا قائلة: "أدّى رهانك على نجاح خطتك إلى نتائج عكسية، يا ريديك".

"لا يمكننا التأكد من ذلك".

ضحكت جيسيكا في سرّها، وقالت له: "ماذا تقصد من كلامك؟ لقد أردت أن يرى الجميع ليزا برفقتك في الأماكن العامة ظنًا منك أن ذلك سيقنعها بالكشف عما تعرفه، ولكن الأمور سارت بخلاف ما تريده، وعندما اكتشفت العصابة أنك شرطي قتلت ليزا".

"هذا مجرد تخمين...".

نهضت جيسيكا من مكانها، وقالت غاضبة: "اللعنة، بالله عليك ما الذي كنت تعتقد أنه قد يحدث في حفل يحضره أشهر الشبان في هلسنكي، حيث تنتشر الأخبار مثل النار في الهشيم، بينما يكون الناس لا يزالون يوزّعون القبلات في الهواء، ما الذي كنت تفكّر فيه؟".

قالت هيلو بهدوء: "نيمي...".

قالت جيسيكا باللغة الفنلندية: "يا إلهي هل يمكنك أن تتخيّلي وضعًا أكثر فظاعة من سوء تصرف صديقنا الذي يتحمّل مسؤولية اختفاء ليزا وجيسون؟ وعندما تضيفين إلى ما ارتكبه من أخطاء حقيقة عودته إلى غرفة ليزا، لإزالة الأدلة، والاعتداء على شرطيين، بحق الجحيم لماذا لا تزالين تدافعين عن هذا الأحمق؟".

بدت هيلو منزعجة، فنهضت عن الأريكة، وتوجّهت إلى النافذة، حيث اصطفّت العشرات من أصص النباتات المنزلية الصغيرة على حافة النافذة ذات اللون البني الغامق، وقد زُرعت كل شتلة في أصيص أبيض.

في النهاية قالت هيلو بالإنكليزية، وهي تضع يديها على خصرها: "أنا أوافق نيمي، فقد تصرّفت بتهور، وهذا الأمر كلّف ليزا ياماموتو وجيسون نيرفاندر

حياتهما، كما دفع ذلك أفراد العصابة التي تمتدّ جذورها في أرجاء المدينة كلها إلى قتل خوسيه رودريغز لإخفاء آثارهم".

قال ريديك: "يبدو الكلام أسهل من الأفعال دائمًا".

تابعت هيلو كلامها قائلة: "علاوة على ذلك لم تجب على سؤال مهم". شعرت جيسيكا بارتياح غير متوقع لأن هيلو وللمرة الأولى تقف إلى جانبها، ثم أضافت قائلة: "حسنًا، اختفت ليزا في وقت مبكر من صباح الأحد، وليس لديك أي فكرة عن مكانها... ولكن كيف حصلت على المفاتيح التي استخدمتها لفتح باب شقتها بالأمس، بعد أن أقفلته شريكتها في السكن بإحكام".

عمّ الصمت غرفة الجلوس، بينما استغربت جيسيكا أنه لم يخطر في بالها أن تسأله عن ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أجابها ريديك: "لقد أخذتها من حقيبتها في فينيكس".

قال يوسف: "لا بد أنك تكذب الآن".

"لطالما كانت أصابعي رشيقة، وقد استطعت أن أسحب المفاتيح من حقيبة يد ليزا ما إن استدارت لتتحدث إلى شخص ما للحظات وجيزة، وأعتقد أنه يمكنك أن تتأكّد من صحة كلامي إذا راقبت لقطات الكاميرات بدقة".

"ألم يخطر في بالك أن ليزا ستكتشف أنها فقدت المفاتيح في الوقت الذي ستصل فيه إلى المنزل؟".

"بالتأكيد توقّعت ذلك".

"لماذا انتظرت حتى يوم الأربعاء؟".

"لم أنتظر حتى ذلك اليوم، بل حاولت الذهاب إلى ليزا مباشرة بعد مغادرة فينيكس، ولكن عندما فتحت الباب، سمعت صوتًا صادرًا من الحمام، فعرفت حينها أن امرأتين كانتا تقيمان فيه لا امرأة واحدة".

سألته جيسيكا: "كم كانت الساعة عندما وصلت؟".

"لا أعلم بالضبط، ولكن ربما كانت العاشرة".

قالت جيسيكا ليوسف: "قالت إيسي إنها سمعت حركة في الشقة في تلك الليلة".

"لذا غادرت الشقة بعد أن أغلقت الباب بهدوء، وعدت إلى سيارتي التي ركنتها بعيدًا عن المبنى، ثم تحقّقت من وسائل التواصل الاجتماعي لأرى شكل شريكة سكن ليزا، فعثرت على صور لإيسي، وانتظرت في السيارة حتى تغادر الشقة، وكان ذلك في بداية ليل يوم السبت".

"لكن إيسي لم تغادر المنزل".

"صحيح، لم يخرج أحد من الباب الأمامي طوال الليل، وفي مرحلة ما اعتقدت أنني غفوت قليلًا، وعند الساعة الثالثة رأيت امرأة ذات شعر أسود تقف أمام باب المبنى".

"هل كانت ليزا؟".

"في البداية لم أكن متأكدًا من هويتها، ولكن عندما رأيتها تبحث في حقيبتها عن غرض ما، توقّعت أنها تبحث عن مفاتيحها، كما أنني كنت أعرف أن الجرس معطل، ولكنني اعتقدت أنها ستتّصل بشريكتها في السكن، وتطلب منها أن تفتح لها الباب".

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

"نظرت ليزا إلى هاتفها، ولكنها لم تحاول الاتصال بزميلتها، وكدت أن أترجّل من السيارة لمساعدتها كي لا تتجمّد من البرد حتى الموت، وهي ترتدي ثوبها القصير وتقف في مهب الرياح الباردة التي تلفح وجهها، ولكنها اتّجهت فجأة نحو مدخل الدرج الواقع في الجزء الجانبي من المبنى".

قالت له جيسيكا: "المكان الذي لكمتني فيه على الحجاب الحاجز".

"نعم، وقد ترجّلت من السيارة ولحقت بها بأقصى سرعة، ولكنها كانت تتقدّمني بمئة متر تقريبًا، ومع أنه لم يبدُ أنها كانت على عجلة من أمرها، إلا أنني عندما وصلت إلى الشارع المجاور، كانت قد توارت عن الأنظار".

"إلى أين ذهبت؟".

"لا أعلم، ولكنني لمحت سيارة تبتعد عن المكان، فافترضت أنها ركبتها، ورحلت بإرادتها".

"هل رأيت لوحة السيارة أو...".

هزّ ريديك برأسه، وقال: "في الأيام القليلة التالية راقبت المبنى، ولم تسنح لي فرصة دخوله حتى يوم الأربعاء، وذلك عندما غادرت شريكتها في السكن الشقة".

"في اليوم الذي التقينا فيه للمرة الأولى"، ثم انحنت جيسيكا وتبادلت وهيلو نظرات مشككة.

"هل تعرف ما حدث لفتاتك، أولغا بيلوسوفا؟".

ردّ ريديك من دون تردّد: "لا".

قال يوسف كما لو أنه قرأ أفكار جيسيكا: "أين قضيت الوقت بين ليل السبت وصباح الأحد؟".

بدا مذهولًا، وهو يقول بتردّد: "أنت لا...".

قالت هيلو بحزم: "أجب عن السؤال من فضلك".

"سبق أن قلت لكم إنني كنت في سيارتي، أراقب مبنى ليزا، وأنني غفوت قليلًا، ثم انتظرت أن تغادر شريكتها، وللحظة...".

"كيف يمكن التأكّد من صحة قصتك؟".

تململ ريديك، وهو يقول: "يمكنك أن تتحقّق من بيانات المقر الرئيسي".

قالت جيسيكا: "كن على ثقة من أننا سنقوم بذلك"، في تلك الأثناء اخترق ضوء ساطع الغرفة المعتمة، بينما كانت جيسيكا تتأمّل عربة الشرطة التي تقف خارج منزل هيلو.

الجمعة 29 تشرين الثاني

90

كانت الساعة الثامنة صباحًا عندما أنهى يوسف المكالمة، ووضع الهاتف على مكتبه، بينما جلست جيسيكا بالقرب منه، وهي شاردة الذهن، وقد بدت ملامحها خالية من أي تعبير.

قال يوسف: "وفقًا لمدير المبنى، هناك مدخل لمرآب الدراجات، يقود إلى غرفة الغسيل بعد عدة انعطافات، ولم يستخدم أحد غرفة الغسيل وفقًا لورقة السجل الأسبوع الماضي باستثناء سكان الوحدة A23".

"A23، هي شقة ليزا وإيسي".

"نعم، ربما كان غسيلهما متراكمًا".

أغمضت جيسيكا عينيها، وتنهّدت بعمق، وقالت: "حسنًا، أي أنه يمكن الذهاب إلى غرفة الغسيل عبر مرآب الدراجات، ومنه إلى بيت الدرج؟".

"نعم، وهناك ممر طويل بينهما، وبابان ضخمان".

"لذلك لم تركب ليزا السيارة في تلك الليلة، بل دخلت المبنى من خلال مرآب الدراجات"، هزّت جيسيكا رأسها بتردّد، وقالت: "لقد فقد ريديك ليزا في الوقت الذي دخلت فيه المبنى".

"قال صاحب المبنى إن الدخول إلى مرآب الدراجات يحتاج إلى استخدام المفتاح، ولا بد أن ليزا لم تكن تحتفظ به في سلسلة مفاتيحها".

"ولكن إذا وصلت إلى بيد الدرج عبر القبو، فلماذا لم ترنّ جرس الباب؟ فقد كانت إيسي في المنزل، وكانت ستفتح لها الباب بكل تأكيد".

قال يوسف: "ربما كان أحدهم ينتظرها في مرآب الدراجات".

كانا يجلسان بصمت وهما يفكّران، وفي النهاية قالت جيسيكا: "إنني حقًا آسفة، يا يوسف".

سألها يوسف: "لِمَ تتأسّفين؟".

سالت دمعة على خد جيسيكا، وقالت له: "لأنك ستحلّ هذه القضية وحدك من دون مساعدتي".

"لكن...".

"بعد هذا الاجتماع، سأنسحب من هذه القضية نهائيًا".

ثم نهضت جيسيكا عن كرسيها، وسارت نحو غرفة الاجتماعات.

91

نظرت جيسيكا إلى فريق التحقيق الذي يقف أمامها، وقالت: "يبدو واضحًا أن أنشطة يوروبول وريديك الشاذة دفعت العصابة إلى حزم أمتعتها وإنهاء العمليات كلها ومغادرة البلاد، وكل ما لدينا الآن هو صورة أحدهم مسجلة على شريط فيديو، وسيارة مرسيدس رباعية الدفع مسجلة باسم شركة قابضة أجنبية، وعدد قليل من أرقام الهواتف التي لها علاقة بالقضية، يتعقّبها الفريق الفني في أثناء انعقاد اجتماعنا، بالإضافة إلى إلقاء القبض على عشرة رجال من أتباعها، وبناءً على الاستجواب الأولي بدا أن لا فكرة لديهم حول طبيعة عملها الحقيقي، ومن بينهم صاحب عالم الحارس في حانة الفينيكس".

نظرت جيسيكا إلى عيون الجميع واحدًا تلو الآخر، فكان راسموس وحده يجلس إلى الطاولة، بينما اتّكأ يوسف، ونينا، وهارغولا، وهيلو إلى الجدار الخلفي، وقد جمعوا أذرعهم إلى صدورهم، ووقف إلى جانبهم وكيل مكتب التحقيقات الوطني الذي سيتولّى مسؤولية التحقيق بحلول الغداء، ولم ترَ جيسيكا اسمها مدرجًا في القائمة، بينما وقف نائب رئيس الشرطة جيمس أورانين أمام باب القاعة المفتوح وقد ارتدى ملابسه الزرقاء.

"لقد تبيّن استنادًا إلى الأدلة التي جمعناها بالإضافة إلى إفادات الشهود أن ليزا ياماموتو أُجبرت على التعاون مع العصابة، كما يُحتمل أن يكون جيسون نيرفاندر تعرّض للضغوط بطريقة ما للتعاون معها أيضًا. وعلى الرغم من عدم العثور على جثتيهما، إلا أنه يتوقّع أن المدوّنَين قتلتهما عصابة المانغا على الرغم من كونهما شخصين مؤثرين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، إذ قد شكّلا نموذجًا للإغواء، وترويج النساء الشابات اللواتي يتمّ جلبهن إلى المدينة، كما روّجا للكامبو على أنه علاج

فعال، ويُفترض أن يكون أفراد العصابة قد قتلوهما لمنعهما من الهرب، ووفقًا لسارفيلينا، فإن جرعة واحدة من هذا الخليط يمكن أن تسبّب الإدمان عليه بشكل دائم".

"هل كانت النساء قادرات على التنقل بحرية في جميع أنحاء المدينة؟".

"إننا نفترض ذلك، كما نفترض أنهنّ عشن جميعًا في المكان نفسه، حيث يسهل أن ينقلن إلى الجناح الذي يقابلن فيه الزبائن".

سألت نينا: "هل تمكّنا من تحديد موقع الجناح؟".

"لسوء الحظ لم يتمكّن ريديك من تحديد موقعه أبدًا، والفريق التقني يتحقّق الآن من إمكانية توقيع الشركة المالكة للسيارة على أي عقود إيجار لأي نوع من الممتلكات في منطقة هلسنكي".

قال هارغولا: "إذا أُحضرت النساء إلى هلسنكي لقتلهن بعد تعذيبهن، فما كان مصير تلك الفتاة التي عاشرها ريديك؟".

هزّت جيسيكا برأسها، وقالت: "لا يدعو مصيرها إلى التفاؤل".

سألت نينا متبرمة: "ماذا بشأن أكيفومي؟ إن لم نكتشف هوية أكيفومي فلن يكون لدينا أي أدلة قاطعة، ألم نكتشف من يقف وراء كل تلك الجرائم حتى الآن بحق الجحيم؟".

"كما تعلمين، نينا، فقد أرشدنا تعليق أكيفومي إلى معلومات مهمة ومفيدة، ومهما تعقّدت الأمور، فلا بد أنه أراد أن نقبض على العصابة. واستنادًا إلى تصريحات ناثان ريديك، نفترض أن ليزا كانت تقف خارج المبنى الذي تقيم فيه عند الساعة الثالثة من صباح يوم الأحد، ثم فقد أثرها ريديك، وقد تكون ركبت السيارة، أو دخلت إلى المبنى من خلال مرآب الدراجات، وقد تفحّص المسؤول المبنى هذا الصباح، ولكنه لم يجد إشارات إلى أي عِراك، كما أن شريكتها في السكن بدت متأكدة من أن أحدًا لم يرنّ جرس الباب عند منتصف الليل".

وضعت جيسيكا الصحيفة على الطاولة، ثم تراجعت إلى الوراء، وعندما لم يكن لدى أي شخص ما يضيفه أو يطرح أي أسئلة، ابتعدت هيلو عن الحائط،

وتوجّهت نحو الطاولة، وقالت: "استجواب ناثان ريديك مستمر حتى اليوم، وسيكون رئيسه والمسؤول المباشر عن تنفيذ تلك العملية السرية على متن الرحلة التالية إلى هلسنكي لاستجوابهما، وكما تعلمون جميعًا، فقد حدّد مكتب التحقيقات الوطني موعدًا لعقد اجتماع مشترك ستوزّع خلاله المهام الموكلة إلى المحققين الذين سيُكملون التحقيق في القضية، وإذا كانت لديكم أي شكاوى أو أسئلة محددة، يمكنكم مراجعتي".

عمّ الصمت قاعة الاجتماعات، ثم جلست هيلو إلى الطاولة، كما لو أنها كانت توجّه إشارة سبق واتُّفق عليها، فسعلت جيسيكا، بعد أن غطّت وجهها بقبضة يدها، وتنحنحت، وهي تقول:

"سمعتم جميعًا ما حدث بالأمس، فرانك دومينيس..."، صمتت جيسيكا للحظة، وهي تشعر بألم في كتفيها، ثم تابعت كلامها قائلة: "كان دومينيس في منزلي لأن...".

سألتها نينا: "انتظري لحظة، ما الذي تتحدّثين عنه؟ ألم يسبق أن استجوبناه؟!".

نظرت جيسيكا إلى زملائها في العمل، وقد لاحقتها نظراتهم الحائرة، فكشف جيمس أورانين عن دوره في المخطط عن طريق النظر إلى هاتفه، والاختفاء خلف الباب، بينما ارتسم الحزن على ملامح وجه يوسف، إذ كان يعرف تمامًا ما كانت ستعلن عنه جيسيكا التي كانت تشعر بغصة في حلقها.

"أبلغت المشرفة لابي الليلة الماضية بأنني سأقدّم استقالتي، ويعود سبب وجودي هنا اليوم إلى مشاركتكم المعلومات التي توصّلت إليها، بالإضافة إلى إبلاغكم بقراري".

قال راسموس وقد صدمه الخبر: "ماذا؟"، كما بدا هارغولا ونينا مذهولين، بدل أن ترتسم البهجة على وجهيهما كما توقّعت جيسيكا.

قالت جيسيكا وهي تغلق حاسوبها المحمول: "أسباب استقالتي شخصية"، ثم خيّم صمت مطبق على القاعة.

التفتت نينا إلى يوسف وسألته: "هل تعلم بقرارها؟"، إلا أنه لم يردّ على سؤالها، بل اكتفى بغض طرفه.

تمتم راسموس قائلًا: "لكن جيسيكا... القضية لا تزال مفتوحة".

"يمكنكم أن تنجزوا العمل وحدكم، أيها الرفاق"، مسحت جيسيكا دمعة سالت على خدها، وقالت: "آسفة، اعتقدت أن الأمر سيكون أسهل".

ثم غادرت القاعة.

الخميس 5 كانون الأول

92

بدت السماء صافية للمرة الأولى منذ عدة أسابيع، وكانت جيسيكا جالسة على أرجوحة أمام الشاطئ، ونظراتها تتأمّل السائل الحبري الذي كان يرتطم بقدميها.

ارتفعت الفيلات الفخمة التي بنيت في القرن التاسع عشر على الشاطئ المقابل، وهي تشير إلى القرون الماضية التي سادت فيها الأجواء الرومانسية الحميمة، ثم هبّت رياح غربية رطبة لفحت وجهها، فمنذ عدة ليالٍ تجلس جيسيكا بجانب الماء، وهي تشرب النبيذ، وتفكّر في أحداث العام الماضي والأشخاص الذين أدّوا أدوارًا في حياتها، ومن بينهم ليزا ياماموتو، أولغا بيلوسوفا، يوسف، إرني، راسموس، نينا، وهيلو وبكل تأكيد فرانك.

لقد احتلّ فرانك مكانة خاصة في ذكرياتها الحميمة، لأنه بخلاف الآخرين كان يستحيل أن يحتلّ المكانة نفسها التي يحتلّها الجميع فيها، لا وفقًا للوقت الذي قضاه برفقتها ولا المكان الذي التقت به فيه، بل لأنه عاش من أجلها للحظة واحدة في شهر تشرين الأول في هلسنكي، وقد بدا بالنسبة إليها أنه عاش من أجلها إلى الأبد.

لقد رأيت الليل بالمعنى الحقيقي للكلمة.

رأت جيسيكا وجه فرانك المرهق، وقد شعرت بصدره المشعر والخشن، وهو يلامس صدرها.

فبدا ذلك حقيقيًا، إلا إنها ما إن أغمضت عينيها، حتى بدأت أفكارها تصول وتجول، ولكنها دائمًا كانت تقودها إلى إنجازها الأخير.

انتهى الأمر، يا جيسيكا.

تعرف جيسيكا الآن أن الملف الشخصي لأفيكومي على حساب الإنستغرام أنشئ في هلسنكي الصيف الماضي، وقد تمّ ذلك يوم الجمعة، كما توقّع راسموس تمامًا، فاتّصل يوسف على الفور ليخبر جيسيكا بآخر المستجدات، ويُحتمل أنه اتّصل بها بحكم العادة، أو لأنه أراد أن يشاركها في آخر التطورات، إلا أنها لم تكن مهتمة بذلك، وقد طلبت منه بحزم التوقف عن مهاتفتها لاطلاعها على المعلومات المرتبطة بالقضية. وبعد بضعة أيام أرسل إليها ملفًا مضغوطًا عبر البريد الإلكتروني يحتوي على الصور المحذوفة من حساب الإنستغرام الخاص بليزا، مرفقًا برسالة يوضح فيها أن أغلب الصور كانت عبارة عن لوحات المانغا الخاصة بليزا.

حاولت جيسيكا ألا تُفكّر في القضية، لأنها تعرف تمامًا أن مكتب التحقيقات الوطني تولّى زمام الأمور، وأن ناثان ريديك المتهور قد عاد إلى هولندا، بعد أن عاقبه رؤساؤه على ما ارتكبه من أخطاء فادحة، وهذا كل ما تحتاج إلى معرفته حول هذا الموضوع، بما أنه لم يعد لها صفة رسمية تسمح لها بمتابعة القضية.

يمكن أن تكون لها أي صفة أخرى في المستقبل، ولكنها لن تكون شرطية أبدًا.

بين الحين والآخر تفقد جيسيكا إحساسها بالوقت على شاطئ البحر، عندما يتحوّل الغسق إلى ظلام دامس، ويصبح العداؤون الذين يركضون على المسار الأمامي للشاطئ شخصيات شاردة الذهن، تعدو بلا هدف. بدأت جيسيكا تسمع صوت صافرة، ونداءات، وضحكات بعض الشباب الثملين، ولكنها لم تشعر بالخوف، لأنها واثقة من أنها آمنة في هذا المكان، مع أنها تجلس وحيدة وسط التضاريس المتنوعة التي تحيط بها، وقد بدت عارية من الثلوج التي تشبه أعماقها في إخفاء أسرار لا تُعدّ ولا تُحصى.

كانت الرياح الباردة تنشر رائحة القصب فوق الضفة، فاستنشقت جيسيكا تلك الرائحة العطرة، بينما كانت تتراقص رؤوس النباتات وسوقها بخفة ورشاقة فوق سطح الماء، ولكن سرعان ما تشكّل الجليد، وتبعه تساقط الثلج، الذي يوشك أن يحتجزها طوال أشهر في باطنه، ولكن حتى الآن لم تتجمّد مياه الخليج.

93

كانت جيسيكا تجلس أمام التلفاز في وقت متأخّر من الليل، وهي تشاهد المؤتمر الصحفي المسجل مسبقًا، والذي يعلن عن أهم الأخبار اليوم، وقد جلست هيلينا لابي وجيمس أورانين أمام صف من الميكروفونات التي تمّ تثبيتها على المنبر، وومضات المصورين تجعل وجهيهما يتوهّجان تألقًا وإشراقًا، وكان بعض المحققين من مكتب التحقيقات الوطني يكرّرون جميعًا العبارات نفسها: *العصابة الدولية، المانغا، جرائم القتل، سلسلة جرائم القتل، الدعارة، المجموعة، واليوروبول.*

شاهدت جيسيكا ما عرضته شاشة التلفاز في أثناء نقل المؤتمر، ولكنها لم تستمع إلى ما أُلقي من خطابات، وبينما كانت تتأمّل رسوم المانغا المعروضة على الشاشة، أغمضت عينيها للحظات، فتراءى لها مشهد عناصر الشرطة، وهم يشهرون البطاقات التي تعرّف بهم، والآن أصبح الساحر يعرف ما يعرفونه، على الرغم من أنه لا أحد يستطيع أن يحدّد طبيعة الحيلة.

استيقظي، عزيزتي.

فتحت جيسيكا عينيها، فشعرت بثقل على صدرها، فبدا وكأن طفلًا صغيرًا كان يضمّها إلى صدره.

أريد أن أريك شيئًا، يا جيسيكا ... أشارت والدة جيسيكا بيدها النحيلة لتنهض ابنتها عن الأريكة، بينما كانت تُسند أصابعها البيضاء على ظهر الكرسي مثل طائر يغرز مخالبه الحادة على السكة الحديدية.

استقامت جيسيكا في جلستها، وشعرت بوزن الطفل الذي تحمله بين ذراعيها، بينما كان شعره البني والمجعد يلامس خدها، وقد لفّ يديه حول رقبتها، وأسند ذقنه إلى كتفها.

لم تستطع جيسيكا رؤية وجهه، ولكنها بلا شك تعرف أنها تكنّ الحب العميق لذاك لطفل الذي تحمله بين ذراعيها، وتضمّه إلى صدرها بشوق وحنان.

تعالي إلى هنا.

شعرت بالاختناق، وبغصة في حلقها، فأرادت أن تبكي، وهي تشعر بنعومة جسده الصغير، وهو يضغط على جسدها، وقد بدا أنه يبلغ من العمر خمس سنوات، ثم سمعت صوت تنفّسه، وهو يشمّ رائحة شعرها الزكية، ثم قالت له: *اشتقت إليك توفي.*

كان توفي جميل الوجه، وقد تشوّه جسده الصغير تحت مقعد السائق، بينما كانت والدته تقود بأقصى سرعة.

حسنًا، أيها الطفلان، تعاليا إلى هنا.

كان الصوت الذي ناداهما صوت رجل غريب لم يسمعاه من قبل، هل هو صوت والدهما؟

لا تستطيع جيسيكا رؤية وجه توفي، ولكن عندما نظرت إلى الأريكة، لاحظت أنه كان يزحف على الأرض، وقد حلّ مكان وجهه فراغ أسود.

أكيفومي... سمعت جيسيكا تنهّد توفي، وقالت: *سأعتني بك، توفي.*

انظري إليهم، يا جيسيكا.

تنحّت والدة جيسيكا جانبًا، لتسمح لها بأن ترى الأشخاص الذين احتلوا مقاعد المائدة كلها.

كانت الوجوه كلها يغطّيها قناع السياسي الياباني، وخلف الأقنعة، همست الأصوات في أذني جيسيكا، فبدا الصوت كدبيب الحشرات الصغيرة على الأرض وفي داخل الجدار ومقابل العزل العلوي.

تغيّر ديكور غرفة الجلوس بطرق مختلفة أيضًا، فلم تجد اللوحات على الجدران البيضاء، التي أصبحت زرقاء داكنة.

قالت إحدى الشخصيات *إنها ليست أنا*، وهي تزيل قناعها، فبدا وجه فرانك أبيض شاحبًا، وقد ظهر صدغه الأيسر مكان الثقب الذي أحدثته الرصاصة.

لا، لم تكن أنت.

قالت امرأة وهي تخلع قناعها: *كنت أنظر إلى البطاقة الخاطئة طوال الوقت.*

في البداية لم تتعرّف جيسيكا إلى تلك المرأة التي ظهرت بكتفيها المصابتين بكدمات، ووجهها المتورم، بالإضافة إلى وضعها قرطين باللونين الأسود والأزرق، وتقلّدها قلادة في عنقها.

قالت امرأة أخرى: *خفة اليد.*

انتظري، من هؤلاء... ثم فهمت جيسيكا سبب جلوسهم إلى مائدة الطعام في منزلها في منتصف الليل.

لماذا دعتهم والدتها إلى منزلها؟ ثم حدّقت جيسيكا إلى الشخصية الطويلة الجالسة إلى المائدة، وقد انسدل شعرها الأبيض على كتفيها، وهي لا تزال تضع القناع.

ثم أزالت قناعها البلاستيكي أيضًا.

أنا لست أكيفومي، لقد خُدعت، مثلكم تمامًا.

اقتُلعت خصلات من الشعر من جذور رأسها، وضُرب وجهها بأداة حادة، وربما بقبضة يد قوية.

ألا ترين يا جيسيكا؟ قالت لها والدتها، واللحم والعظام الظاهرة تحت الجلد لا تتيح لها المجال للكلام.

الساحر ليس الساحر، لقد كان مجرد وهم.

فكّري في المكان الذي يريدك أكيفومي أن تنظري إليه، ثم انظري في الاتجاه المعاكس.

سمعت جيسيكا مرة أخرى صوت احتكاك تحت الأريكة، وفجأة شعرت بالطفل بين ذراعيها يفقد حيويته، ويتضاءل وزنه الطبيعي، وتتحوّل ذراعاه اللطيفتان الدافئتان إلى عظام قبل أن يخطفه الموت.

توفي! حاولت جيسيكا أن تصرخ بأعلى صوتها، ولكنه علق في حنجرتها.

سمعت الدوي القوي الذي حاول أن يسحبها بإلحاح من غرفة الجلوس الليلية المعتمة، وعلى الرغم من الإحساس بالوحدة والعزلة إلا أنها قاومت العودة إلى الضوء من دون أن يكون لديها أحد.

94

سألت سيسي سارفيلينا: "كم الساعة الآن؟"، ثم سمعت جيسيكا أصوات ضحك وموسيقى مبتهجة زائفة تحسّن المزاج، فتثاءبت، ونظرت إلى الساعة، وقالت لها:

"الرابعة صباحًا"، ثم حدّقت جيسيكا إلى جدران غرفة الجلوس البيضاء، رأسها على الوسادة والهاتف على أذنها، وقد عادت اللوحات إلى مكانها، إلا أن قميصها التصق بظهرها، وفاحت منه رائحة العرق، ولا يزال في إمكانها سماع صوت الخنافس داخل رأسها.

تناولت سارفيلينا لقمة من طعامها، وقالت: "نحن نتناول وجبة الفطور بالفعل هنا، ويتحتّم عليّ أن أقول إنه عندما يسافر المرء بمفرده، فإن الموظف الكفؤ لعمله يستحقّ الحصول على وزنه ذهبًا، ولقد أجريت للتو محادثة مشوقة مع النادل حول العسل المحلي...".

قالت جيسيكا بشكل حازم، وهي تغطّي عينيها بمرفقها: "إنها الرابعة صباحًا، سارفيلينا".

"بالتأكيد، أوه، يجب أن تكون الساعة الرابعة، حسنًا، أيًا يكن الأمر، يا نيمي، لقد أخبرتك قبل أن أترك قضية أورينكولاتي التي أثارت اهتمامي بشدة، وهو ما جعلني أطلب نسختي الاحتياطية لإرسال جميع المعلومات المتعلقة بوفاة أولغا بيلوسوفا، وقد أجريت الكثير من الأبحاث حول الكامبو وتأثيراته على الصحة...".

دلّكت جيسيكا جبهتها، وقالت: "سارفيلينا، أعتقد أنه لم يخبرك أحد بـ...".

"على رسلك، يا نيمي، فقد استيقظت بالفعل، ويمكنك الاستماع إلى ما ينبغي أن أقوله، هل تتذكّرين ذلك اليوم في مكتبي، عندما قلتُ إنني وجدت مادة ما

في أصابع بيلوسوفا وكذلك تحت أظافرها؟ حسنًا، يبدو أنه حصل نوع من انقطاع الاتصال في هذه المرحلة، ولكنني غادرت لقضاء إجازة بينما كانت الأمور لا تزال قيد البحث، ومن الواضح أنه لم يتمكّن أحد من الوصول إليك...".

"السبب في عدم تمكّن أي شخص من الوصول إليّ هو أنني لست...".

"أيًا يكن الأمر، فقد تمّ تحليل تلك المادة، وهي رغوة بولي يوريثان الخلوية".

كانت جيسيكا على وشك إفشاء سرها، وإخبار سارفيلينا بأنها لم تعد تعمل في التحقيق، ولكنها قرّرت ألا تعقّد الأمور، بعد أن أثارت المكالمة الهاتفية التي تجريها الطبيبة الشرعية فضولها.

"البولي يوريثان؟".

"إنها رغوة البولي يوريثان الخلوية، فعندما يتغيّر اللون على الأصابع وراحة اليدين، ويظهر البولي يوريثان تحت الأظافر، يدلّ ذلك على أن الضحية كانت تمسك بإحكام بمقوض مركبة آلية".

عدّلت جيسيكا جلستها، وقالت: "أيمكن أن يكون مقود ما؟".

"ربما يكون مقود مركب".

أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما في وقت لاحق، رأت كل الأحداث بوضوح، فظنّت أنها عادت إلى الحلم الذي كانت تشاهده فقط.

كيف يبدو صوت والدي؟

أبعدت البطانية عنها، وركضت إلى المطبخ.

95

لقد مرّت ساعات منذ أن أطفأت التلفاز، ولكن الرجل لا يزال يردّد الأخبار المسائية، وهو يضغط على عينيه ليغلقهما، ولكنه لا يزال يرى وجوههم المرعبة المضروبة بالسلاح مقابل شبكية العين، والشابات يرتدين زي التلاميذ، والضلوع تبرز من عظام صدورهن، بعد أن قطّعت أذرعهن وسيقانهن، ودُقّت المسامير على رؤوسهن، وتمزّقت الألسنة داخل أفواههن، وعُلّقت جذوعهن على الأسقف، وسالت دماؤهن التي شكّلت بركًا عميقة.

كيف يمكن أن يبدو... إنه يغطّي وجهه بيديه.

ثم وقف، ولفّ معطفه حول جسده، وسحب حذاءه المطاطي، وما إن فتح الباب، حتى ألقى لمحة أخيرة على تمثال رجل معلق على الصليب، وعلى رأسه إكليل من الشوك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

96

فتحت جيسيكا حاسوبها المحمول، ونقرت فوق البريد الإلكتروني الذي أرسله يوسف إليها في وقت سابق من هذا الأسبوع، ثم نزّلت ملفات صور الإنستغرام المستعادة، وفتحتها كلها دفعة واحدة في الوقت نفسه، فكانت الصور الشخصية التي رسمتها ليزا كلها، إلا أنها لم تكن الأصلية، ولكن جودتها بدت عالية بما فيه الكفاية.

قضمت جيسيكا ظفر إبهامها، وفكّرت في لون جدران غرفة جلوسها، فكان أزرق داكنًا، لا أبيض، ثم نظرت إلى صور السيلفي التي التقطها كيكس مايس في منزل ليزا، فكان الجدار في الصورة أزرق غامقًا، ولا علامة على رسوم المانغا التي كانت تملأ الجدران عندما زارته ويوسف.

فتحت باقة من المنشورات، والمواد الأخرى التي لا ينبغي أن تكون بالفعل في حيازتها بعد الآن، وهي رسومات ليزا ياماموتو بعنوان المانغا، والتي كانت لديها فقط، وتتضمّن مشاهد الجرائم، وصور البغايا القتلى، وهنّ النساء اللواتي أزلن الأقنعة في الحلم الذي راودها.

ميديا لازاكوفيتش... من مواليد 1998، العثور على جثة في منطقة فازيلوستروفسكي في سانت بطرسبورغ في 12 تشرين الثاني 2018... ترتدي زي تلميذة يابانية.

ميب لوس... 1992... أمستردام شباط 2019... لفيف...

تمارا غوغيلي، أوكرانيا، 6 حزيران 2019.

لقد سبق أن شاهدت جيسيكا وجه تامارا الفائقة الجمال، والشقراء الشعر في مكان ما، ثم فتحت حساب الإنستغرام على شاشة هاتفها، وبدأت تتصفّح منشورات ليزا ياماموتو التي سبق لها أن تصفّحتها من قبل، ولكنها لم تكن متأكدة إن كانت تتذكّر شكلها بشكل دقيق.

الأحذية، الأظافر، الحقائب، المطاعم، غروب الشمس، وصور السيلفي التي لا نهاية لها، والتي التُقطت في صالة الألعاب الرياضية، وفي أثناء الركض، ورفع الأثقال، وعند ارتياد النوادي الليلية ودور السينما، وركوب المصاعد، والتجول في الشارع، وركوب الطائرات، ثم فجأة ظهرت مجموعة من الشابات يقفن في ميدان في أوروبا الوسطى أمام مبنى قديم مزخرف من الخلف، ويشير الموقع إلى الأوبرا الوطنية والباليه في لفيف، التاريخ: *8 حزيران 2019، حفل توديع عزوبية جيني# المحيط 13# العروس*، نقلت جيسيكا عينيها من هاتفها إلى الملف الذي يعرض صور تمارا غوغيلي والمعلومات التي تشير إلى زمان ومكان التقاط تلك الصور.

8 حزيران... ما هذا بحق الجحيم، أهي ليزا؟

تطابق التاريخان، ولكن لم تكن أي واحدة من الفتيات الظاهرات في الصورة تمارا غوغيلي.

واصلت جيسيكا التصفح، والبحث عن لون الأظافر، وهي تخوض سباق الصور التي كانت تتفحّصها عيناها، ويحفظ عقلها التي انتقتها منها.

5 شباط 2019، منزل آن فرانك، أمستردام # لا تنسَ # الهولوكوست#

إنهما اثنان من أصل ثلاثة.

شعرت جيسيكا بغصة في حلقها.

لا، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا... ظهرت في الصورة ليزا وهي تقف إلى جانب خمس فتيات شابات، وجيسون نيرفاندر يقف إلى يسارهن.

عاودت جيسيكا تصفّح الصور من جديد، ولكن بسرعة أكبر هذه المرة.

في النهاية بعد تخطّي مجموعة منها تكرّرت أكثر من مرة خلال بضعة أشهر، رأت جيسيكا المنشور... *ستريلكافاسيلهيبسوجو أوستروفا، سانت بطرسبرغ. 10 تشرين الثاني 2018.*

لقد وقعت ثلاث جرائم قتل في المدن التي كانت تسافر إليها ليزا.

ثم تذكّرت جيسيكا أين رأت تمارا غوغيلي من قبل.

97

اتّصلت جيسيكا بيوسف ثلاث مرات عند الساعة 12:30 من بعد منتصف الليل، وما إن ردّ على اتّصالها أخيرًا، حتى انطلقت الكلمات من فمها مثل الماء الذي ينزّ من سدّ خُرق حديثًا.

ارتفع صوت امرأة قائلًا: "ما الخطب...؟"، بينما اندفع يوسف إلى الرد بحماسة.

قالت له: "آسفة على الإزعاج...".

"إنك تتّصلين في وقت غير مناسب، جيسي، كما أن بطارية هاتفي توشك على النفاد".

"اسمع، يا يوسف، يبدو أن الأمور أصبحت في غاية التعقيد، أولًا، سبق لك أن أخبرتني بأن المرأة التي كانت في الشرفة رأت شخصا يرتدي ملابس سوداء ويعتمر قبعة، وهو يغادر مركز خوسيه رودريغز في الوقت الذي قتل فيه. ثانيًا، أظهرت أشرطة الكاميرات أن الشخص الذي يرتدي الملابس السوداء ويعتمر القبعة يبدو هزيلًا، لذا أتوقّع أن تكون ليزا هي التي تركت الرسالة في صندوق البريد يوم الثلاثاء، في 26 تشرين الثاني، وعلى الرغم من أن الوجه لم يكن مرئيًا، فإن الملابس السوداء والقبعة تبدو لليزا، فقد ارتدت الزي نفسه في منشور نشرته عبر الإنستغرام حديث نسبيًا، وقد عثرت عليه عندما تصفّحت صورها مرة أخرى".

سادت لحظة صمت، ثم سمعت جيسيكا صوت إغلاق الباب قبل أن يقول لها يوسف: "هل تقولين إن ليزا هي من قتلت خوسيه رودريغز، بعد أن أرسلت الرسالة إلى والدها؟".

"بالضبط، فكّر في الأمر مليًا، فقد تشاركت ليزا وإيسي الشقة لمدة عام ونصف، ووفقًا لزوجة والد ليزا، لم تتحدّث إلى والدها خلال تلك الفترة،

بالإضافة إلى ذلك أكّدت الزوجة أنه كان يتجنّب التحدث باللغة اليابانية، ولكن ألا تذكر أن ليزا عندما تحدّثت باليابانية عبر الهاتف، ادّعت أنها تتحدّث إلى والدها؟".

قال لها يوسف: "أتعنين ياكوزا؟".

"لا أعتقد أن المافيا اليابانية لها علاقة بذلك، بل أرى أن ليزا روّجت أخبارًا وهمية لتوهمنا بأنها أُجبرت على التعاون مع العصابة في حال عثرت الشرطة على أدلة تؤكّد تعاملها معها والمشاركة في أنشطتها". شعرت جيسيكا بارتجاف صوتها، وبتدفّق الدم من عروقها، بعد أن مرّت أسابيع طويلة على آخر مرة شعرت فيها بأنها على قيد الحياة.

"لكن أكيفومي...".

"أنت لا تفهم ما أعنيه، يوسف، ليزا ياماموتو هي أكيفومي".

خيّم صمت مطبق عليهما للحظات.

ثم أضافت قائلة: "لذلك أرسلت ليزا رسالة ياكوزا التي كتبتها بنفسها إلى والدها لتكون إلى جانبه عندما ترتكب جريمة القتل".

"بالضبط يوسف، فلم تكن ليزا مجرد جزء من المنظمة، بل كانت مروجة نشطة للخدمات الجنسية، فكّر في كل تلك اللوحات على الجدران، فقد كان لدى ليزا ياماموتو صنم مانغا قوي، وتمكّنت من التعايش مع أفراد العصابة، كما كان رد فعل نيكولاس بونسي غريبًا عندما سألته عن المانغا، فلا بد أن يكون قد عرف بشعور ليزا تجاه جيسون الذي بدا مرتبكًا وقلقًا إزاء تصرفاتها تجاهه".

"من شأن ذلك أن يفسّر المسألة، وبالتأكيد...".

"أتذكر اللوحة التي شدّتني إليها في منزل ليزا؟ لم أستطع يومها التوقف عن التحديق إليها، وكان ذلك يوم الأربعاء... وتجسّد تلك اللوحة امرأة تدعى تمارا غوغيلي، وكانت بائعة هوى، وقد عثر عليها مخنوقة في لفيف، أوكرانيا، في 6 حزيران، وهي ترتدي ملابس المانغا".

"ماذا الذي تقولينه، بحق الجحيم؟".

"إذا تصفّحت صور ليزا التي نشرتها على صفحتها عبر الإنستغرام في شهر حزيران، فسترى أنها ذهبت إلى لفيف لحضور حفل توديع عزوبية صديقتها في الوقت الذي قُتلت فيه غوغيلي، هل تصدّق أنها مجرد مصادفة، يا يوسف؟".

همس يوسف إليها قائلًا: "يا إلهي".

"أعتقد أن كل لوحة من لوحات المانغا التي رسمتها ليزا لها نموذج حي أو ميت، في الواقع أراهن على أن ليزا رسمت جميع بائعات الهوى اللواتي قتلتهنّ، وبالأخص بيلوسوفا، لازاكوفيتش، لوس، وغوغيلي...وقد حظين جميعهنّ بشرف تخليد ذكراهن على القماش، كما يمكنك الاستمتاع بمشاهدة صورهن في غرفة الأدلة في مقر الشرطة".

سمعت صوتًا صادرًا من يوسف، فبدا وكأنه كان يحكّ رأسه، أو ينظّف أسنانه.

"ما تقولينه لا معنى له، ليزا...".

"إنها امرأة شابة، وقد قال بونسي إن عشرين في المئة من مشتهي الأطفال ينتمون إلى النساء، فلماذا لا يمكن أن تكون شابة مثل ليزا سادية، وتتحكّم في النساء، وتسيء معاملتهن؟ إنها عادة باهظة الثمن، وربما عملت ليزا في هذا المجال من أجل الحصول على الامتيازات فقط".

"لا أعرف ما الذي يمكن أن أقوله، جيسي، إذ يبدو تصديق ذلك صعبًا".

"فكّر في الأمر، يا يوسف، لقد افترضنا أن السبب الوحيد الذي دفع ليزا إلى التورط في النشاط الإجرامي هو تعرّضها للابتزاز، لأنه لم يكن أمامها خيار آخر، وهذه الأنواع من الافتراضات كانت تثير دائمًا غضبك"، سحبت جيسيكا معطفها، وقالت له: "كما أنني بتُّ متأكدة أيضًا من أن جيسون علم بطريقة أو بأخرى بخيانة ليزا منذ عام بعد أن فاحت رائحتها، فما كان عليها إلا أن تضمن خسارة جيسون مصداقيته وثقة جمهوره، لذلك اختلقت مسألة إساءة معاملتها وضربها، وعندما أعلنت عن ذلك قضت على مصداقيته تمامًا".

تنهّد يوسف، وقال لها: "حسنًا، جيسيكا، لنفترض أنك محقة في تحليلك، أيمكننا القول إن ليزا أنشأت ملف أكيفومي الشخصي لفضح المخطط بأكمله، أعني الهاشتاغ وموقع ماسايوشي؟".

"حقًا، كان تعليق أكيفومي بمثابة دليل خفي بالنسبة إلينا، فكان يُفترض أن يساعدنا في معرفة ما حدث لليزا بالإضافة إلى القبض على جيمس، وحتى لو كان أفراد العصابة قد شاركوا في ذلك المخطّط، فما كانوا ليعرفوا أنه كان يتصدّر قائمة ليزا، فقد أرادت أن تختفي من دون أن تكسب المزيد من الأعداء، وهذا ما جعلها تقترح على ريديك أن ترسم له منارة تقف أمامها فتاة، بعد أن عرفت أنه من رجال القانون، وأن اللوحة جنبًا إلى جنب منشور الانستغرام المتطابق، ستعزّز فكرة اختفائها، وأنها قد تكون أُلقيت وجيسون في البحر في سودرسكار". ولكن يوسف لم يعلّق على تحليلها، وعندما تناهى إلى سمع جيسيكا صوت ضحكات المرأة، كان يوسف يغمغم، *انتظري، لا بد أن أُنهي هذه المكالمة أولًا*.

"يوسف؟".

"نعم، أنا آسف"، بدا كما لو أن صوت يوسف تحوّل إلى نقرة، ثم أضاف قائلًا: "هل تعتقدين أن ليزا على قيد الحياة، وأنها هربت إلى خارج البلاد؟".

"نعم، أعتقد أنها هربت عبر منارة سودرسكار، على متن قارب تملكه العصابة، وكان يستخدم أيضًا لنقل النساء بين هلسنكي وسودرسكار، كما أن جيسون كان يُعير ليزا قاربًا كلما احتاجت إليه من دون أن يجرؤ على طرح أي أسئلة عليها، وهذا كان سبب تمسّكها به، وقد أحضرت أولغا أعضاء العصابة والنساء الجميلات إلى الجزيرة في منتصف الليل، ثم اختار أحدهم عددًا منهنّ ونقلهنّ إلى روسيا أو أستونيا، وفي تلك الأثناء بقيت ليزا في هلسنكي، وقتلت جيسون، ثم رودريغز".

"انتظري لحظة... لماذا قد تقتل ليزا رودريغز؟".

"أعتقد أن أولغا بيلوسوفا كانت تقود ذلك المركب ليلة السبت، وهي ترتدي زي المانغا لأنها اعتقدت أنها ذاهبة إلى العمل، ولكن انتهى بها الأمر إلى أن تقوم

بأمر مختلف تمامًا، فقد اتّصلت بي سارفيلينا منذ قليل، وأبلغتني بأنه عُثر على مادة البولي يوريثان تحت أظافر بيلوسوفا، ويعود مصدرها إلى مقود مركب، كما احتوت صفحة أولغا عبر صفحة الفيسبوك على الكثير من الصور التي التُقطت لها على المراكب في البحر الأسود قبالة أوديسا. لقد عرفت ليزا جميع الفتيات اللواتي جرت المتاجرة بهن، فكانت تعلم أن أولغا تمتلك خبرة كافية تمكّنها من نقل الطاقم بأكمله إلى سودرسكار، كما سبق أن ذكر هارغولا أن البحر كان هائجًا تلك الليلة، لذلك كان على أولغا أن تكافح، وتقاوم العاصفة العاتية بقوة، وتتولّى أمر المقود لتصل أولًا إلى سودرسكار، ثم تعود إلى أورينكولاهتي، وتستغرق الرحلة في كل اتجاه ساعة تقريبًا، وعندما عادت في النهاية إلى المرسى، انتهى بها الأمر إلى الغرق في مياه البحر بطريقة أو بأخرى، وبعد ثلاثة أيام عثر عليها جثة هامدة على الشاطئ على بعد ثلاثمئة متر".

"من يمكن أن يكون حاول إنعاش أولغا؟ إن ذلك الأمر الوحيد الذي لم أجد له إجابة".

"لا بد أن تكون أولغا من قادت المركب من أورينكولاهتي بنفسها، لأنه لم يُعثر على قارب آخر يشبهه في صباح يوم الأربعاء".

"أتعتقدين أنه كان برفقتها شخص آخر على متن المركب؟ قالت سارفيلينا إن شخصا ما أراد أن يُنقذ حياة أولغا...".

"بالضبط".

"أودّ أن أطرح عليك سؤالًا يحيّرني، ما دافع ليزا إلى قتل رودريغز؟

كنت أفكّر في ذلك عندما وجدنا معطفًا واقيًا من المطر ورذاذ سائل تنظيف في مقر عمله، وعلى ما يبدو كان رودريغز في القارب برفقة أولغا، وربما كان يراقبها، وحين تعرّضت لهجوم من نوع ما، حاول إنعاشها، ولكنه لم يتمكّن من إنقاذها، وحين ماتت، ألقى بها في البحر، وقاد المركب عائدًا إلى وسط المدينة، بعد أن مسح بصماته عن المقصورة".

قال لها يوسف: "لكن جيسون كان تلك الليلة في أورينكولاهتي أيضًا".

ضغطت جيسيكا بإصبعيها الوسطى والإبهام على صدغها، وقالت: "وربما لم يكن في ذلك المكان، بل كان هاتفه فقط الذي أخذته ليزا...". أغمضت جيسيكا عينيها حتى تتمكّن من التركيز، فلم تستطع حتى الآن إعادة ترتيب الأحداث في رأسها، ولكن بدا أن الخيوط المبعثرة بدأت تتّحد معًا، وتتشابك فيما بينها بشكل أكثر إحكامًا، إلا أن أفكارها كانت مثل أوراق يابسة تطيّرها رياح هوجاء أقوى من أي وقت مضى.

مرآب الدراجات، غرفة الغسيل، طوب زخرفي، جص.

"يوسف...".

"ماذا؟".

"هل تذكر صوت الغسالة الذي انبعث من شقة ليزا في المرة الأولى التي توجّهنا فيها إليها للتحدث إلى إيسي؟".

"نعم، أذكره...".

"إذا كانتا تملكان غسالة، لماذا استخدمت ليزا غسالة غرفة الغسيل؟". لم يجب يوسف على سؤالها، فأضافت قائلة: "فكّر في الأمر مليًا، يا يوسف، لقد أراد جيسون رؤية ليزا، ولكن ليزا انتظرت اللحظة المناسبة للالتقاء به، لأنها أرادت أن يختفي في الوقت نفسه الذي ستختفي فيه، فالتقيا في وقت مبكر صباح الأحد في مرآب الدراجات، حيث قتلته، ولكن ما الذي يمكنك أن تفعله بجثة في وسط مدينة هلسنكي، خاصة إذا كانت في متناول يدك الأدوات...".

صمتت جيسيكا عندما تنبّهت إلى أنها لم تعد تسمع أي صوت في الطرف الآخر.

"أما زلت تسمعني؟".

سمعت ثلاث رنات، فقد نفد شحن بطارية هاتف يوسف. وضعت جيسيكا هاتفها على الطاولة، أصبحت *ليزا في متناول يدي الآن*، تحطيم جدار الشقة، الجص، زيارة غرفة الغسيل، الضجيج الذي سمعه الجار في منتصف الليل... لقد

حاكت ليزا مكيدة محكمة حتى تُخفي جيسون من دون أن تترك أثرًا له في أي مكان يفكّر فيه أحد البحث عنه... ثم توارت عن الأنظار... نهضت جيسيكا من مكانها، فلا يمكنها الجلوس مكتوفة اليدين في انتظار مكالمة يوسف، بل عليها أن تتحرّك في الحال.

98

مرّ الكائن القصير القامة والمترهل أمام الباب المعدني الغائر، والجدران التي عليها خربشته، ثم صعد إلى الدرج القصير المؤدي إلى أعلى إليوكسينكاتو، إلى الشقة الخضراء الباهتة في الزاوية، وقد كتب على الجدار بالغرافيتي بجانب الدرج كلمة CHUCK ولم يكن يهمّ معناها.

كانت الفرصة لتفحّص الشارع المهجور متاحة، فتلألأ الإسفلت الرطب مثل ظهر الدلفين، وحرّكت الرياح مصابيح الشوارع بعيدًا عن أسلاكها المشدودة.

مشى في اتجاه باب المبنى، فرأى انعكاس صورته على الزجاج، وقد ظهرت اللحية الكثة والبثور على وجهه. فجأة اجتاز زوج من المصابيح الأمامية التي تعمي النظر وسط الشارع الذي كان مهجورًا منذ لحظات، مترقبًا مرور أي سيارة قد تمرّ من أمامه.

رأى انعكاس السيارة، فبدا أنها سيارة أجرة، وقد توقّفت على بعد عشرة أمتار منه تقريبًا.

عندما نظر من فوق كتفه، تعرّف إلى المرأة ذات الشعر الداكن التي تترجّل منها. لعنة الله على ذلك، الآن سيحتاج إلى الذكاء والشجاعة اللذين يملكهما ويتولد بيلكي، ثم استدار وسحب سجائره من جيب معطفه.

99

ترجّلت جيسيكا من سيارة الأجرة، كان الشارع فارغًا باستثناء بعض المارة الذين يعتمرون القبعات، ويدخّنون السجائر، ومن خلال ما تناهى إلى سمعها، تبيّن إنهم يتحدّثون عبر هواتفهم.

صدر صوت صاخب من رنين الجرس، ثم دفعت جيسيكا الباب، ومشت نحو المصعد، فالتقت بإيسي في الممر.

نزلت إيسي على الدرج الرخامي، وهي تحمل المطرقة الثقيلة التي استخدمتها ليزا لهدم الجدار الذي يفصل بين المطبخ وغرفة الجلوس.

قالت لها إيسي: "لقد أحضرت ما طلبته مني، ولكن..."، تدرك جيسيكا تمامًا أنه لا يحقّ لها إيقاظ إيسي في منتصف الليل، ودعوتها إلى فتح باب غرفة الغسيل، خصوصًا وأنها لم تعد شرطية، ولكن إيسي لا تعلم باستقالتها، وربما لا ضرورة إلى أن تعرف تلك الحقيقة.

100

انطلق جرذ نحو بقايا قطعة هامبرغر، ثم عاد أدراجه إلى البالوعة.

رفع الرجل الهاتف إلى أذنه، وتظاهر بأنه يتحدّث إلى شخص ما، فسمع صوت رنين الجرس، وانفتاح الباب الأمامي، ثم خطت جيسيكا نيمي داخل المبنى، فتبعها الرجل بخطوات سريعة، ووضع قدمه في شق الباب قبل أن ينغلق، ثم انحنى بحيث أصبح من المستحيل أن يراه أحد داخل المبنى.

سمع الرجل صوتًا في الممر، فحدّق عبر الزجاج، ورأى نيمي تمسك بمطرقة ثقيلة ضخمة، وقد وقفت امرأة شابة شقراء بالقرب منها.

ما الذي يجري بحق الجحيم؟ نزلت المرأتان الدرج إلى اتجاه القبو، فتنفّس الرجل بعمق، وعبر الباب، ثم تسلّل إلى بيت الدرج المظلم.

101

أدخلت إيسي يدها في جيب سترتها، ونظرت بتشكك إلى جيسيكا، وسألتها بصوت حاد نوعًا ما: "ماذا يحدث؟".

"اطمئني لم يحصل ما قد يجعلك تقلقين بشأنه، ولكنني بحاجة إلى إلقاء نظرة سريعة على غرفة الغسيل، هل تسمحين لي بالدخول إليها؟".

أشارت جيسيكا إلى الدرج الذي ينتهي خلف حجرة المصعد، عندما سلّمت إيسي المطرقة الثقيلة إلى جيسيكا، انزلقت المفاتيح من بين أصابعها الطرية، وتردّد صدى الاصطدام في بيت الدرج، فالتقطت إيسي المفاتيح، وشقّت طريقها إلى الطابق السفلي، وعندما وصلت إلى مقصدها، أدخلت المفتاح في ثقب قفل الباب ثم فتحته.

تبعت جيسيكا إيسي التي تنحّت لتسمح لها بالمرور.

سارتا أسفل المدخل الطويل ذي السقف المنخفض في اتجاه غرفة الغسيل الواقعة في نهاية الممر.

ثم سمعتا صوت إغلاق الباب، وغمرهما وهج باهت صادر عن مصابيح النيون المنتشرة على مسافات متساوية بين مجاري الهواء والكابلات الممتدة على طول السقف.

فتحت جيسيكا باب غرفة الغسيل، وصوّبت ضوء هاتفها نحو أحد الجدران، ما جعلها تعثر بسرعة كبيرة على مقبس الضوء.

لم تكن رائحة طلاء الجدار في هذه المساحة تشير إلى أنه طُلي حديثًا، ولكن طلاء الجدار الخلفي الذي يمتدّ على مساحة مربعة الشكل بدا أكثر إشراقًا من الجدران المحيطة به، ما دلّ بوضوح على أنه المكان الذي جدّدته ليزا.

قالت جيسيكا: "لا تتقدّمي أكثر، إيسي، بل ابقي أمام الباب"، ثم تقدّمت نحو الجدار الأبيض، وهي تحمل المطرقة الثقيلة.

102

ألقت جيسيكا بالمطرقة الثقيلة على الحائط الذي سبرت غوره، وكأنها سكين حارة ألقت بها على قالب زبدة، فانتشرت سحابة من غبار الجص الرمادي اللون، ما إن هوت الحجارة على الأرض.

قالت جيسيكا لإيسي بحزم: "ابقي بعيدًا، ولا تتقدّمي خطوة واحدة".

عندما هدأ الغبار، تبيّن لجيسيكا أن بعض الحجارة سقطت داخل الحائط الفارغ، ولم تسقط على الأرض، وقد استقرّت على ارتفاع متر، ثم فاحت في الغرفة رائحة تعرفها جيسيكا حتى ولو كانت تغرق في نوم عميق، إنها الرائحة الكريهة التي تفوح من الجثث.

إنها جثة جيسون.

أمسكت جيسيكا بالمقبض الخشبي بكلتا يديها، ورفعت المطرقة الثقيلة مرة أخرى، ولكنها كانت هذه المرة أكثر حذرًا، لذا فإن رأس المطرقة الضخم لن يضرب ما يُفترض أن يكون جثمان جيسون، كانت تضرب حواف الحفرة حتى توسّعها، ثم ما إن نفضت الغبار عن وجهها، حتى رأت كيسًا بلاستيكيًا أسود، استقرّت عليه طبقة من الغبار والحجارة، فألقت جيسيكا بالمطرقة أرضًا، وتلمّست بأصابع يدها، التي يغطّي أطرافها الغبار، الكيس، فشعرت بنعومة ما في داخله وصلابته في الوقت نفسه.

غطّت فمها بيدها، وسلّطت مصباح هاتفها على الكيس، فرأت السحّاب في وسطه، وحين تفحّصته لفترة أطول، تأكّدت أكثر بأنها عندما ستفتحه، سترى جثة رجل وفروة رأسه وجبينه وأنفه وخديه.

تنفّست بعمق، وتفحّصت الفجوة التي أحدثتها في الحائط، ففي هذه الأيام أصبحت أكياس الجثث السوداء نادرة، لذا استبدلت بأكياس بيضاء لأنها تُسهّل على

فريق التحقيق العثور على الأدلة، ولكن عندما يتعلّق الأمر بتغطية الجثة تغطية تامة، فلا منافس للكيس الأسود، ولكن هذه الجثة لم تحفظها السلطات، كما لم يكن الغرض من وضعها في الكيس تسهيل العمل على المحققين.

كرّرت جيسيكا كلامها، وهي تخاطب إيسي قائلة: "لا تتحرّكي من مكانك إيسي"، وهي لا تزال تقف عند الباب، ثم سعلت، والتقطت المطرقة الثقيلة مرة أخرى، ورفعتها في الهواء مرة أخيرة، وهوت بها على مكان أكثر انخفاضًا محطمة الجدار على ارتفاع نصف متر، فصدر صوت مكتوم في جوف الجدار قبل أن ينهار، وتتساقط الحجارة على الأرض.

أمسكت جيسيكا بطرف الكيس بكلتا يديها، وحاولت إخراجه من الفجوة، وهي تكافح وتشدّ بكل قوتها، في النهاية تحرّك الكيس الثقيل من مكانه وسقط أرضًا.

جلست جيسيكا إلى جانب الكيس لتلتقط أنفاسها، وهي تمسح جبينها المتصبّب عرقًا، ثم مدّت يدها إلى السحّاب.

لقد حانت لحظة الحقيقة.

إنها تنظر إلى الوجه الأزرق الداكن للشاب، وهي تنظر إلى عينيه وفمه الذي اتّخذ وضعية التثاؤب، فبدا أنه كان خائفًا لحظة موته.

أنا آسفة، جيسون، آسفة لأننا لم نتمكّن من إنقاذك.

ظلّ جسد جيسون نيرفاندر يتحلّل في كيس مغلق، وعلى الرغم من دفنه في قبر بارد، إلا أن رائحة مقززة فاحت منه، ووفقًا لبعض الدراسات، تتكوّن الرائحة التي تصدر من الجثث من أكثر من أربعمئة عنصر، وما إن تفوح ويشمّها الإنسان، حتى يستحيل أن ينساها أو أن يخلط بينها وبين رائحة أخرى. تقيّأت جيسيكا في ثنية مرفقها، ونظرت بعينين دامعتين إلى إيسي، التي لا تزال تقف أمام باب الغرفة، وقد بدا الارتباك على وجهها، فما كان ينبغي لجيسيكا أن تسمح لها بمرافقتها إلى هذا المكان، فقالت لها: "عودي إلى بيت الدرج، إيسي، واتّصلي بالشرطة في الحال".

لكن إيسي لم تتحرّك من مكانها، وقد بدت في حالة ذهول من هول الصدمة، بينما تابعت جيسيكا كلامها قائلة: "ليس عليكِ أن تري هذا..."، أغلقت جيسيكا الكيس مجددًا وانتصبت واقفة، إذ كان عليها أن تتّصل فورًا بيوسف أو هيلو.

ثم لمحت شيئًا غريبًا داخل الجدار... ما هذا بحق الجحيم... خطت جيسيكا خطوة نحو الثغرة التي أحدثتها في الحائط، فلاحظت أنه لا يزال في داخل الحفرة كيس عالق تحت الحجارة، فرفعت هاتفها ونظرت إلى الأسفل.

إنه كيس جثث آخر.

رفعت جيسيكا الحجارة المتساقطة حتى تتمكّن من الوصول إلى الكيس الثاني، فكان يتوجّب عليها هدم الجزء السفلي من الحائط للوصول إليه، ولكن قبل أن تفعل ذلك، حاولت التعرف إلى صاحب الجثة.

أمسكت جيسيكا بهاتفها، وصوّبت ضوءه نحو السحاب، ثم أمسكت به بيدها الأخرى، وحاولت أن تسحبه، ولكن من كثرة الغبار المتراكم عليه، لم ينفتح السحّاب بسهولة.

توترّت جيسيكا وتجمّدت في مكانها، ما إن ظهر الوجه داخل كيس الجثث الثاني، فهو وجه يشبه إلى حد ما المئات من الصور التي شاهدتها جيسيكا، ولا شك في أنها جثتها.

أدركت جيسيكا فجأة أنها ارتكبت خطأ فادحًا، ما إن رأت الوجه الذي لم تتوقّع أن تجد جثته في هذا المكان، إنه وجه ليزا ياماموتو.

103

قرع راسموس باب مكتب هيلينا لابي، وعندما لم يتلقَّ ردًّا، أدار المقبض، وفتح الباب، فرأى هيلو تجلس خلف مكتبها قبالة النافذة، ويداها مطويتان في حضنها، ولم تظهر أي رد فعل لدخوله مكتبها.

سألها راسموس: "هل أزعجك دخولي؟".

تنهّدت هيلو، وهي لا تزال مغمضة عينيها.

أضاف قائلًا: "هيلو، هل ألمّ بك خطب؟".

في النهاية قالت هيلو، وهي لا تزال تحدّق إلى الظلام: "لا، لم تزعجني، ما الذي تفعله في هذه الساعة المتأخرة من الليل، سوسيكوسكي؟ عد إلى منزلك"، إلا أن راسموس اقترب من مكتبها، وأغلق الباب خلفه، وقال لها: "أعاد المكتب تنظيم الفرق، وأردت أن أخبرك بأنني لم أعد أعمل على قضية عصابة المانغا بعد الآن... ولكن ربما كنت تعرفين ذلك من قبل".

تجهّم وجه هيلو، وهزّت برأسها، ونظرت إلى ساعتها الذكية، وقالت بصوت هادئ وحزين: "إنهم لا يخبرونني بأية تفاصيل".

"ولكن بصفتك المشرفة على التحقيق، فأنت...".

"هل سمعتني، يا سوسيكوسكي؟ إنهم يتركونني وحيدة في الظلام، في النهاية ضاع كل شيء ما إن هبطت تلك النسور وحطّت من جديد هنا..."، لم يرَ راسموس هيلو في مثل هذه الحالة السيئة من قبل، كان أمامها على المكتب منذ الأمس ثلاثة أكواب قهوة فارغة، وطبق معجنات، وهو أمر غير اعتيادي بالنسبة إلى المشرفة بشكل عام.

وقف راسموس أمام مكتب هيلو، وقال لها: "أيًا يكن الأمر، فقد توصّلت إلى معلومات تتطلّب اهتمامًا عاجلًا، ولست متأكدًا من الذي يتحتّم عليّ إبلاغه، إذ لا

ينبغي تأخيره..."، أدارت هيلو رأسها على مضض نحو راسموس، وقالت له: "ما الذي تودّ أن تُبلغ عنه؟".

"هل تتذكّرين عندما راجعت البيانات الوصفية المتعلقة بصورة منارة ليزا ياماموتو منذ أسبوع تقريبًا؟"

"نعم، أتذكّر ذلك بوضوح"، ثم دلّكت جبينها، وأضافت قائلة: "آيفون 7 أو أيًا كان...".

"إنه آيفون 8، وقلت حينها إن كل ما يمكننا الوصول إليه هو المعلومات التقنية المرتبطة بالجهاز، لا بمالكه...".

"نعم، الأمر الذي جعل التحقيق كله من دون جدوى...".

"... ما لم نتمكّن من الوصول بأعجوبة إلى تحديد موقع الهاتف بطريقة أخرى ومقارنة بياناته الوصفية بالبيانات الوصفية التي حصلنا عليها بالفعل".

فجأة بدت هيلو مهتمة بما يخبرها به راسموس، فهو يمكن أن يشعر بتصبّب كفيه عرقًا، إلا أنه لا يعرف كيف يتعامل مع التطور، أو ما إذا كان هناك أي طريقة يمكن أن تجعل ذلك ممكنًا.

وهذا هو الجنون بحد ذاته.

قالت هيلو بنبرة ودودة مغايرة لنبرتها الفظة المعتادة: "باللغة الفنلندية، سوسيكوسكي".

"أجريت تحليلًا على صور ليزا ياماموتو، فتبيّن أن غالبية الصور التُقطت بواسطة هاتفها، بينما التقطت الصور الأخرى بواسطة هاتف مختلف، وأعتقد أنه من الطبيعي أن يلتقط الأشخاص الآخرون صورًا للمدون، ثم يرسلونها إليه لتحريرها ونشرها".

"وماذا يعني ذلك؟"

قرّرت التركيز على الصور التي التقطت في سان بطرسبرغ، وأمستردام، ولفيف، إذ قامت ليزا ياماموتو بنشر الكثير من المنشورات عبر الإنستغرام بعد كل

رحلة قامت بها، وخلال هذه الرحلات التقطت جميع الصور التي ظهرت فيها ليزا باستثناء صور السيلفي بالطبع بواسطة هاتف آيفون 8، وهو الهاتف نفسه الذي التقط صورة المنشور الأحدث، الذي نشرته ليزا على صفحة الإنستغرام، وهو صورة المنارة".

قالت هيلو: "هل تقول إن من التقط صورة المنارة كان يرافق ليزا في تلك الرحلات؟ هل تمّ تصوير اللقطات لليزا والآخريات بواسطة الهاتف نفسه؟".

"نعم، على سبيل المثال، التقطت هذه الصورة الجماعية في لفيف، في حفل توديع العزوبية، والتقطت بواسطة هاتف المشرف، وهناك ما يصل مجموعه إلى اثنتي عشرة امرأة ظاهرة في الصورة، ومن بينهن ليزا، ولكن الهاشتاغ # ocean's13 يشير إلى قيام ثلاثة عشر شخصًا بالرحلة".

قالت هيلو بهدوء: "أي أن الشخص المفقود الذي لم يظهر في الصورة، هو الشخص الذي التقطها بواسطة هاتفه".

"بالضبط، وقد تحقّقت من شركة الطيران التي حجزت عبرها المجموعة...".

"حسنًا، من كان ذلك الشخص؟".

"إنه الأمر الأكثر غرابة في كل ما توصّلت إليه، هيلو... إنه شخص تجاهلناه تمامًا".

104

تفحّصت جيسيكا وجه ليزا ياماموتو المشمع، وقد تدلّى شعرها الأسود على عينيها المفتوحتين، وهي فاغرة فاها، فبدت وكأنها تحاول أن تصرخ لتستيقظ من كابوس أبدي، إن امتزاج الجمال بالموت ليس بالأمر الجديد على جيسيكا، فماضيها لا يسمح لها بأن تنسى كيف يمتزجان معًا، وهذا المزيج يلاحقها باستمرار في أحلامها ويقظتها، كما ينعكس على المرآة كل يوم وكل ليلة تنظر فيها إليها.

شعرت جيسيكا بنسيم جليدي يلفح وجهها، فهي تعلم أن والدتها في الغرفة معها الآن.

حاولت أن أحذّركِ، يا جيسيكا.

شعرت جيسيكا بقلبها ينبض بشدة.

لا يحتاج الساحر إلى معرفة البطاقة التي تختارينها، يا جيسي، بل يحتاج فقط إلى معرفة البطاقة الموجودة إلى جانب بطاقتك.

بعد ذلك تتّضح كل الأمور، وتعود إلى مكانها الطبيعي.

خفة اليد.

قالت لها إيسي: "كان ينبغي أن يختفيا إلى الأبد".

سمعت جيسيكا هاتفها يرنّ في جيب معطفها، وهي تتّجه نحو المرأة الأخرى.

سألتها بصوت أجشّ: "ماذا تقولين؟".

تحوّل الارتباك المرتسم على وجه إيسي إلى قسوة وإصرار على المضي قدمًا، فشعرت جيسيكا بقشعريرة تسري في ركبتيها صعودًا إلى ظهرها، فرقبتها، لتستقرّ في رأسها، فتسحقه، همست لها: "إيسي..."، بينما همست إيسي في قبضة يدها: "ما كان يفترض أن يعثر أحد على ليزا وجيسون".

في تلك الأثناء رفعت إيسي المطرقة الثقيلة عن الأرض، وأمسكت بها بإحكام، فمرّت نصف ثانية قبل أن تدرك جيسيكا أنها لم تأتِ إلى هنا بصفتها شرطية، وأن لا سلاح في حوزتها.

قالت إيسي بهدوء، وهي تقترب منها أكثر: "ما رأيك في البحث عنهما هنا؟".

هسهست مصابيح النيون في السقف بصوت ارتفع أكثر فأكثر مع كل دقيقة تمرّ، وهي لا تزال تنير الغرفة.

وقفت جيسيكا على قدميها على مهل.

هزّت إيسي رأسها، وقالت: لم تكن ليزا أكيفومي، بل كانت ليزا حمقاء..."، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة، وقالت: "... كانت تنفّذ كل ما نصحتها به، هل تعتقدين أنها كانت مهتمة بالمانغا؟ لا، فقد كنت أنا الفنانة الموهوبة صاحبة كل تلك الرسوم".

"لكن لماذا...؟".

"كنت أعاني دائمًا من شعور سيئ ينتابني، جيسيكا، بالطبع إنه في داخلي، ومن السهل جدًا أن تخرج الأمور عن السيطرة، فتصرّف واحد خاطئ يؤدّي إلى تصرف آخر، فهو مثل المخدر... تحتاجين إلى زيادة الجرعة لتستمرّي بالثمالة، ثم أدركت فجأة أن التخطيط لعملية ما قد يفيدني، إلا أن إذلال شريكك، ليس كافيًا، إنما تأمل بائعة الهوى المقيدة بالسرير، وهي تدرك أنها ستخسر حياتها... فتضغط بقوة أكبر للتمسك بها، وأنا أراقب انطفاء نور عينيها".

خطت خطوة أخرى نحو جيسيكا، والجثة بالقرب منها، وما إن شدّت قبضتها على المطرقة الثقيلة، حتى أصبحت براجمها بيضاء، فبدا كما لو أنها تفرغ غضبها على تلك المطرقة، ثم بدأت تؤرجح رأسها الحديدي في الهواء بما ينذر بالسوء.

"هل كنت طوال الوقت أكيفومي...؟".

"ليس لديك فكرة حول مدى أهمية إخفاء هويتك عن الجميع في هذا المجال من العمل".

"هل كنت المسؤولة عن إرسال الرسالة إلى خوسيه رودريغز ووالد ليزا... وموقع ماسايوشي. فاي، وهاتف عصابة المانغا؟".

"لم يكن من وسيلة يمكن أن تجعل ليزا تُجيد استخدام شبكة تور على الإطلاق، لذا ساعدتها في كل ما يتعلّق بالحاسوب بالإضافة إلى مراقبة عدد متابعيها عبر مدونتها، ما سهّل الأمر عليّ لإضافة ماسايوشي. فاي إلى معرف التحليلات".

"حسنًا، هل تعمّدت القيام بكل ذلك؟".

أومأت إيسي إليها، وقالت: "ألا يبدو ذلك واضحًا الآن؟ أعتقد أن الخطة كانت مُحكمة، وقد أدّت إلى جعل الشرطة تشتبه بليزا، فكنتم تعتقدون، يا رفاق، أن ليزا خطّطت لارتكاب كل تلك الجرائم من دون علم العصابة، وأنها كانت فتاة محتالة، وأرادت مغادرة البلاد، بعيدًا عن الطريقة التي تنفّذ بها العصابة عملياتها، إلا أن الأدلة التي جمعتها الشرطة لم تكن كافية لاعتقال أي مشتبه به. خلال الأشهر الستة الماضية حصلنا على مجموعة من الزبائن الأثرياء، وقد سجّلت نزواتهم المتوحشة والعنيفة على قرص صلب، وهذا ما جعلهم هدفًا مثاليًا للابتزاز". راقبت إيسي رد فعل جيسيكا، والذي بدا أنه لا يشير إلى دهشتها، فتظاهرت بالابتسام، وقالت: "ولكن انتظري قليلًا، واو، جيسيكا، لذلك اكتشفتِ هذا الجزء من المؤامرة المدبرة، تهانينا، لقد تأثّرت بما قمت به بالفعل، ولم أتوقّع أن تحقّقي ذلك أبدًا، ولكنني لا أنوي تغيير أي جزء من مخططي، وأيًا يكن الأمر، فقد كانت العصابة تتنقّل دائمًا من مكان إلى آخر من دون ترك أي أثر وراءها سوى كبش الفداء، وفي هذه الحالة إذا اكتشفت الشرطة أي دليل، فسيتمّ ربطه بليزا بكل تأكيد... والتي توارت عن الأنظار إلى الأبد".

رنّ الهاتف في جيب جيسيكا مرة أخرى.مكتبة .. سُر مَن قرأ

"لذلك كانت ليزا..."، صمتت للحظات، ثم تابعت كلامها قائلة: "... تجيد خلط الأمور ببعضها، كما كان يُفترض أن تبقى كل الأمور على حالها، لهذا السبب لا يمكن الرد على هذه المكالمة، جيسيكا".

اقتربت إيسي منها خطوة، وبالكاد كان يفصل بين المرأتين متر تقريبًا، فكّرت جيسيكا مليًا في خطوتها التالية، إلا أن المطرقة التي تهدّدها بها إيسي بدت ثقيلة، خاصة وأنها سادية قاتلة أودت بحياة اثنين من أصدقائها، ازدردت جيسيكا لعابها، وهي تدرك أن عليها أن تكسب الوقت، لكن ما مقدار الوقت الذي يمكنها أن تحصل عليه؟ دقيقة أم دقيقتين؟

وماذا سيحصل لها بعد ذلك؟ لا أحد يعرف مكانها، ولن يندفع يوسف وإرني إلى هذه الغرفة هذه المرة لإنقاذها، كما لن يقتحم فريق الوحدات الخاصة المكان.

"لكن ماذا عن الهاتف؟ فقد وجده المحقّق في اليوروبول في غرفة ليزا...".

ابتسمت إيسي، وقالت: "ولكنها لم تكن غرفة ليزا، بل كانت غرفتي، في الحقيقة لم أعد إلى الشقة حتى الصباح الذي حضرت فيه لاستجوابي، وقد حفرت حفرة في الجدار، على الرغم من أن الوقت كان قصيرًا، وتوقّعت أن يعثر رفاقك عليها فورًا".

الآن تتذكّر جيسيكا كلمات الرجل العجوز الذي رأياه عند الباب الأمامي: *هل حضرتما بسبب الضوضاء؟ في الواقع عاود أحدهم النقر على الجدران.*

الآن تبيّن أن كيكس مايس لم يكن يكذب بشأن الصورة، بل كان حقًا يجلس في غرفة ليزا، كما لم يكن ريديك يعرف غرفة ليزا، وقد بنى افتراضه وفقًا لعثوره على مستلزمات الرسم.

"قبل بضعة أشهر اتّفقت وليزا على أن تعرض رسوماتي على أنها رسوماتها، لأن شهرتها تجعل بيع اللوحات ممكنًا، واقترحت عليها أن نتقاسم المبلغ الذي نحصل عليه مقابل بيع أي لوحة، فكانت ليزا بارعة في ذلك، وبالطبع أردت لفت انتباه الشرطة في أثناء التحقيق إلى افتتان ليزا بالمانغا فقط، لذلك بدلًا من نقل كل تلك الأغراض ذهابًا وإيابًا بين الغرفتين بعد موت ليزا، قرّرت تبديل الغرفتين، فما كان يتحتّم عليّ سوى نقل أغراضها الشخصية ومكياجها وصورها إلى غرفتي، ثم غيّرت أغطية السرير، بعد أن أدركت أن خدعة صغيرة كهذه الخدعة يصعب

كشفها، لأن لا مبرّر قد يدفع شريك السكن إلى أن يكذب بشأن أي من الغرفتين غرفته".

"وهل كان ذلك ما دفعك إلى حذف جميع الصور التي التقطتها ليزا في غرفتها".

"صحيح".

لاحظت جيسيكا أن أصابع إيسي كانت تحكم قبضتها على عصا المطرقة، فشعرت بلمسة باردة على كتفها وبأنفاس أمها الدافئة، وهي تهمس في أذنها.

يمكنك أن تكسبي الوقت، يا عزيزتي، أخّري لحظة موتك قدر ما تستطيعين، فلم ينتهِ الأمر بعد.

حاولت جيسيكا التزام الهدوء، وهي تقول: "هل قتلتِ هؤلاء النساء خلال الرحلات التي قمتِ بها أنتِ وليزا معًا؟".

ارتسمت ابتسامة على وجه إيسي، فبدا الأمر كما لو أنها استعادت بعض الذكريات الدافئة.

"صحيح، ولكنني بدأت بقتل هؤلاء الوضيعات قبل التعرّف إلى ليزا. في البدء تعرّفت إلى أفراد العصابة، وأقنعتهم بوجود نموذج عمل من شأنه أن يسمح لهم بتحصيل الرسوم من زبائنهم لمرتين، وأن الفاتورة الثانية ستكون عشرة أضعاف الفاتورة الأولى، إذا تمكّنا فقط من تهيئة الظروف التي من شأنها أن تسمح للزبون بالاسترخاء ليكون على طبيعته".

تحدّيها قليلًا بعد، فالقليل من التحدي يفي بالغرض.

اجعليها تشرح لك الأحداث بالتفصيل، اجعليها تروِ لك كل ما تعرفه.

"ألم يخطر في بالك أبدًا...".

تجهّم وجه إيسي من الغضب، وتلاشى كل أثر للإنسانية من عينيها الكبيرتين، فاستطاعت جيسيكا أن ترى أن كل ما خطّطت له كان واجهة، وأنها معتلة نفسيًا، وأن عينيها يسكنهما ظلام، ولا حياة فيهما.

"إذا كنتِ تعتقدين أنني لا أعرف الشعور بأن أكون الطرف المتلقي والمغتصب والمُهان، فأنت مخطئة حقًا، يا جيسيكا، صدّقيني، أعرف ذلك الشعور، فقد مررت به، وتعرّضت للكثير من الإساءة".

إيسي ضحية أيضًا، يا جيسيكا.

لا يزال الهاتف يرنّ في جيب جيسيكا، فأدخلت يدها خفيةً، وقالت: "إيسي، يتوجّب عليكِ أن...".

"ليس عليّ أن أفعل أي شيء بعد الآن"، خطت إيسي عدة خطوات سريعة نحو جيسيكا، وأمسكت بالمطرقة الثقيلة وصوّبتها على رأس جيسيكا، بعد أن رجحتها بكل قوتها.

لم يتسنَّ لجيسيكا الوقت لتفادي الضربة التي تلقّتها، فرفعت يدها اليسرى لحماية رأسها، فارتطم الرأس الحديدي للمطرقة بظهر يدها، وسحقتها، فترنّحت، وسقطت أرضًا، ثم ارتطم هاتفها بالحائط، فاشتدّ شعورها بالألم الذي سرى في يدها، ثم امتدّ إلى كتفها، بينما كانت تمسك بمعصمها، وتصرخ متألمة.

أرخت إيسي يدها، وهي لا تزال ترجح المطرقة، وقالت: "ابقي ساكنة، يا جيسيكا".

نظرت جيسيكا إلى يدها، فبدا الجلد قرمزيًا متوهجًا، وقد تدلّت أصابعها، وتشابكت فيما بينها، فبدا الأمر كما لو أنها استبدلت يدها بقفاز فارغ.

"دعينا لا نجعل الأمر صعبًا عليك، يا جيسيكا".

صرخت جيسيكا قائلة: "توقّفي، إيسي"، وقد استخدمت يدها السليمة لتزحف بعيدًا عنها، وهي تقول: "النجدة!".

"لا فائدة من الصراخ، فقد كانت هذه الغرفة المعزولة لتدريب أعضاء العصابة قبل أن تهجرها قبل عامين، كما أن هذا الطابق مزوّد بعازل صوتي بسماكة إنش، وبحلول الصباح سيعاد بناء هذا الجدار مرة أخرى"، أضافت إيسي قائلة: "بعد أن تنضمّ الشرطية إلى طيري الحب اللعينين اللذين أقلقتِ راحتهما".

استعدّت للتلويح بالمطرقة مرة أخرى، وهذه المرة رفعتها فوق كتفها، لذلك لم يكن لدى جيسيكا أدنى فرصة لحماية رأسها، وصدّ ضربتها القوية والقاتلة.

صرخت جيسيكا قائلة: "انتظري قليلًا".

سخرت إيسي من صوت جيسيكا المذعور، وهي تقول لها: "ماذا تريدين؟".

"هل كنتِ... أنتِ وجيسون؟".

أوقفت إيسي ترجح المطرقة للحظات، وقد ارتسم الحزن على وجهها: "لم يكن يفترض أن يكون جيسون هناك تلك الليلة...".

مكتبة
t.me/soramnqraa

105

صدم شيء ما ضخم مقدمة مركب أكوادور، فشعرت إيسي باضطراب معدتها، بعد أن استغرقت الرحلة من سودرسكار إلى أورينكولا هتي ساعة ونصف الساعة تقريبًا، فتقيّأت أولغا أربع مرات، ما أجبر إيسي على تولّي القيادة، وتسلّم المقود في الوقت الذي اتّجهت فيه أولغا إلى طرف المركب، وهي تحاول التقيؤ، ومع ذلك لم يكن سبب غثيان أولغا تلاطم أمواج البحر، بل تلقّي علاج الكامبو في وقت سابق من ذلك اليوم، ولكن إلى أي درجة يمكن أن يكون المرء غبيًا حتى يدع شخصًا ما يحقنه بسم الضفادع ليسري في عروقه؟ ولكنهم كانوا محظوظين لأن خوسيه رودريغز قد خطرت في باله فكرة مزج علاج الكامبو بالمواد الأفيونية وجعل تلك الدمى تعتمد على العلاج، وعلى أفراد العصابة في الوقت نفسه.

نظرت إيسي إلى شاشة ربان السفينة، فظهرت كتلة سوداء على الجهة اليمنى، إنهم يقتربون من اليابسة.

خفّفت إيسي من الضغط على دواسة الوقود، فعلى الرغم من أنه لم يسبق لها أن قادت مركبًا من قبل، ولكنها راقبت أولغا وهي تقوده عدة مرات خلال رحلاتها إلى سودرسكار لجلب الفتيات الجميلات، وما إن خفّفت السرعة، حتى ترجح المركب، وغارت مقدمته، بعد أن بدأت تتلاعب به الأمواج الهائجة بعنف.

تعرف إيسي أنها لن تراهم مرة أخرى، سامي وجيمس والفتيات الجميلات الخمس اللواتي لا يزلن يتنفّسن، بعد أن نقلتهن وأولغا إلى سودرسكار، ثم سينقلن خلال الاستراحة النهارية إلى سوسنوفي بوري، غرب سان بطرسبرغ.

كانت إيسي تتساءل في بعض الأحيان حول غرابة ألا تشمّ أي واحدة من أولئك الفتيات الجميلات الرائحة التي تفوح من الخيانة، والاعتقاد أن بعض الفتيات عدن إلى ديارهن.

ربما يعرفن الحقيقة في أعماقهن، ولكنهن لا يردن الاعتراف بها.

أخمدت الرياح صوت محرك المركب الخلفي، فسمعت إيسي صوت تقيؤ العصارة الصفراوية التي أفرزتها معدة أولغا مرارًا وتكرارا على نحو متواصل، ثم لاحظت تشنج أولغا، وهي تستند إلى السياج.

هناك خطب ما.

قبل عدة أشهر حذّرها خوسيه من الإسراف في تناول سمّ الضفدع الذي يمكن أن يسبّب مضاعفات خطيرة إذا دُمج بالمواد الأفيونية، لكنه لم يفكر أن يؤدّي إلى الموت، بالإضافة إلى أن التقيوء بعد تلقّي علاج الكامبو أمر طبيعي، ولكن لا اينبغي أن يستمرّ لفترة طويلة.

سألتها إيسي: "هل كل شيء على ما يرام؟"، من دون أن تحتاج إلى أن تلقي نظرة على الفتاة الوحيدة التي تتحدّث بالإنكليزية بطلاقة، ولكن أولغا لم تردّ عليها، بل استمرت بالتقيؤ على الرغم من مرور وقت طويل إلى درجة أنه لم يتبقَّ في معدتها ما يمكن أن تتقيّأه.

قالت إيسي بحزم: "يتحتّم عليك توجيهنا إلى الرصيف".

أفلتت إيسي المقود، فتهادى المركب على سطح الماء، وهو يندفع في اتجاه أضواء أورينكولا هتي، وقد بدت المدينة وكأنها واحة تنبثق من الظلام.

"هل تسمعينني، أولغا؟ يتوجّب عليك أن توجّهي هذا المركب إلى حوض السفن اللعين".

التفتت أولغا إلى إيسي، فبدا وجهها أبيض مثل الورقة، وقد جحظت عيناها، وقالت: "لا أشعر بأنني بحالة جيدة"، ثم مسحت ما تصبّب على جبهتها وغطّى وجهها، وقد يكون عرقًا، أو ربما رذاذًا متطايرًا من الأمواج، إلا أن ذلك لا يبدو مهمًا.

قالت إيسي: "ستنفّذين ما طلبته منك في الحال"، ثم ابتعدت عن المقود لإفساح المجال لبائعة الهوى التي ترتدي زي تلميذة لتسلّم القيادة.

106

بعد عشر دقائق كان المركب يترجح، وهو يقف في المرسى، فربطت أولغا حبل التثبيت بالرصيف البحري، بينما تقدّمت إيسي إلى مقدمة الرصيف، وتفحّصت المكان حولها. كان المرسى فارغًا كالعادة في هذا الوقت من الليل، وكل ما عليهما القيام به هو نقل بقية الأشياء من الجناح وتخزينها فيه. عندما عادت أولغا إلى سودرسكار أغرقت القارب، وانتظرت إلى أن يتمّ اصطحابها من المنارة، وما حدث لها بعد ذلك وثّقته إيسي في لوحتها.

قالت لها أولغا: "أكيفومي"، وهي تستند إلى مقدمة سياج الألمنيوم، وقد ارتخى جفناها.

قالت إيسي بفارغ الصبر "تعالي"، كان القناع البلاستيكي لا يزال ملتصقًا على خديها، فشعرت بالعرق يتصبّب من وجهها.

"إيسي؟".

إنه ليس صوت أولغا، بل إنه صوت رجل.

شعرت إيسي بأن قلبها يقفز في صدرها، فأعضاء العصابة فقط يعرفون اسمها الحقيقي، أما بالنسبة إلى الفتيات الجميلات فتُدعى أكيفومي، وهي تضع القناع دائمًا.

لازمها القناع لفترة طويلة، وقد رأت عيناها عبره العديد من الأرواح تخبو أمامها.

استدارت إيسي، فرأت رجلًا يقف في مقدمة الرصيف.

إنه جيسون.

"إيسي، ما الذي يحصل، بحق الجحيم...؟".

نادته إيسي قائلة: "اسمعني، جيسون، وسأوضح لك".

"لقد وعدت بإعادة المركب هذا الصباح... ما الذي يجري...؟"، ثم ظهرت أولغا على الرصيف، وهي تترنّح، ثم نظرت إلى إيسي وجيسون بعينين ذابلتين، قبل أن تفقد الوعي.

اندفع جيسون نحوها، بينما نظرت إيسي إلى الفتاة الممددة على الرصيف، وعيناها الغائرتان تحدّقان إلى السماء الخالية من النجوم.

أدارت إيسي وجهها نحو البحر، ونزعت قبعتها الصغيرة وقناعها.

"إيسي، ما الذي يجري، بحق الجحيم...؟"، عندما وصل جيسون إلى آخر الرصيف، حدّق إلى إيسي بذهول، ثم جثا بالقرب من أولغا، التي ترقد على الرصيف، وسألها بذعر: "من تكون... لقد انهارت للتو"، ثم قلب أولغا على ظهرها، وبدأ يضغط على صدرها بكلتا يديه.

"جيسون...".

إنها لا تتنفّس! اتّصلي بالإسعاف...".

قالت له إيسي، وهي جاثية إلى جانبه: "هل أتيت وحدك، يا جيسون؟".

لم يردّ جيسون عليها، بل رمقها بنظرة متشككة، وهو لا يزال مستمرًّا بالضغط على صدر أولغا بطريقة لا تدلّ على خبرته، بل على أنه تعلّمها من بعض كتيبات الإسعافات الأولية.

استمرّ بالضغط على صدرها، وهو يلهث بشدة، وبعد مرور بعض الوقت انسحق صدرها بشكل أثار تقززه من شدة ضغطه عليه.

تراجع جيسون، ونظر إلى الجثة مذعورًا، ثم سحب هاتفه من جيبه.

قالت له إيسي محذرة، وهو يطلب رقم الطوارئ: "جيسون، ضع الهاتف جانبًا".

"لماذا؟".

"سأشرح لك الأمر".

"ينبغي أن نتّصل..." .

رمت إيسي الهاتف بعيدًا عن يد جيسون، فسقط في مياه البحر، واختفى في أعماق المياه المظلمة.

صرخ جيسون: "ما الذي فعلته بحق الجحيم، يا إيسي؟" .

نظرت إيسي حولها، لتتأكد من أنه ما من أحد يراقبهما في الظلام..

قالت إيسي: "اسمع، يا جيسون، اسمعني لثانية فقط، يا إلهي، سأشرح لك كل ما يجري، وبعد ذلك إذا كنت مصرًا يمكنك الاتصال بالشرطة، ولكن يتحتّم عليك أن تسمعني الآن، يبدو واضحًا أنها ماتت، ولا يمكننا أن ننقذ حياتها" .

بكى جيسون، وهو يقول: "من كانت؟" .

"سأشرح لك كل ما جرى، ولكن أولًا ينبغي أن تهدأ"، مسحت إيسي الدموع عن خد جيسون، وقالت له: "لا يمكن أن يعثر رجال الشرطة على الجثة في المركب، لأنهم إذا عثروا عليها، فسوف تدخل إلى السجن أيضًا" .

107

وقفت إيسي وهي تضع يديها على خاصرتيها، ثم نظرت إلى أولغا بيلوسوفا، التي ترقد جثتها الهامدة على شاطئ شبه جزيرة سورتيو الصغيرة، ومن المؤكد أن شخصًا ما سيعثر عليها هناك، ولكن ليس قبل الصباح، وربما بعد عدة أيام، لقد ماتت بائعة الهوى الصغيرة، في الوقت الذي كانت فيه كل الأمور تسير على ما يرام.

وضعت إيسي يدها على كتف جيسون، بينما كان يبكي، وهو جاثٍ على الأرض.

ثم فتحت حقيبة ظهر أولغا، فوجدت فيها حزمة من سوبوتيكس، ما سيمكّن إيسي من أن تحصل الآن من خلال مقتل تلك الوضيعة على تفاعل المخدرات الذي حذّرهم منه خوسيه.

كما عثرت على مذكرة صغيرة، فمزّقت الصفحات القليلة التي كتبت فيها أولغا ملاحظات باللغة الأوكرانية، ثم كتبت على إحدى صفحاتها بعض الأسماء التي ستلاحقها الشرطة على الفور، فكانت تلك الفكرة إضافة مرتجلة للخطة، ولا يمكن أن تؤذي الآن أولغا بعد أن ماتت، كما أن كل خطوة تخطوها إيسي لا بد أن تقودها نحو تحقيق هدف واحد، وهو جعل ليزا تبدو الجانية، ثم وضعت دفتر الملاحظات بحيث يسهل أن يجده أي شخص.

ثم سألت: "جيسون، هل أنت بخير؟".

قال جيسون، وهو يجهش بالبكاء: "إنها جريمة قتل".

هزّت إيسي رأسها، وقالت: "إنها ليست كذلك، فقد أصيبت أولغا بنوبة قلبية".

"لكن كان يتحتّم علينا مساعدتها... كما أعتقد أنني كسرت عظمة قصها أو شيء من هذا القبيل..." .

"حسنًا، هذا يعني أن لا فائدة من التفكير في استدعاء سيارة إسعاف، أليس كذلك؟" ، جلست إيسي إلى جانب جيسون، وقالت له: "ما الذي أتى بك إلى هنا؟ لماذا تسأل عن المركب؟" .

"كان يفترض بي أن أعيده اليوم... فقد وعدتني ليزا بأن تعيده بالأمس، ولم أكن أعرف أنها أعارتك إياه..." .

"يمكنك أن تسترخي قليلًا" .

صمت جيسون، ثم قال لها: "أردت التحدث إلى ليزا" .

نظرت إيسي إلى البحر، وقد شعرت بأن حجابها الحاجز يهتزّ من شدة الانفعال، والاشمئزاز من ضعف جيسون في مختلف شؤون الحياة، كما كان ضعيفًا عندما أوقعت بينه وبين ليزا قبل بضعة أشهر، فبدا الأمر برمته بالنسبة إلى إيسي اختبارًا نفسيًا تقليديًا يبرز واقعًا حقيقيًا، هل يمكن أن تقيم علاقة مع صديق زميلتها في السكن؟ في واقع الأمر جيسون كان آخر شخص قد تقيم معه إيسي علاقة من دون القناع، إلا أنها أقامت معه علاقة بصفتها إيسي وليس أكيفومي، ومع ذلك لم تفكّر أبدًا في إلحاق الأذى به، فهو لم يكن أبدًا جزءًا من خطتها الإجرامية.

لكن الظروف تغيّرت.

وضعت يديها على كتفي جيسون، وقالت له: "أعرف مكان ليزا الآن" .

سألها جيسون: "أين يمكنني أن أجدها؟" .

ابتسمت إيسي ابتسامة متعاطفة أنارت وجهها، ثم بدا الأسف على ملامح وجهها لفترة وجيزة، وكأن ما تقوم به يؤلمها: "هيا بنا، لديّ صديق يمكنه نقل المركب إلى لاوتاساري، وسأعطيه المفاتيح على الطريق، وسنعود إلى منزلي، ويمكنك التحدث إلى ليزا، وتنهي كل الأمور العالقة بينكما" .

ثم ربتت على خد جيسون.

قال جيسون بحماسة: "حسنًا"، ثم أظلم وجهه مرة أخرى عندما وقع نظره على الجثة الممددة على الشاطئ ذي المياه الضحلة.

كان يُفترض أن تختفي ليزا وحدها اليوم، ولكن جيسون حسم مصيره القاتم بعد أن أتى إلى الرصيف في ليلة من ليالي تشرين الثاني المظلمة.

108

شعرت ليزا ياماموتو برأسها يدور، ثم أخرجها رجل حضر الحفل من مزاجها المتعكر، وقد استغرق استعادتها مزاجها الرائق والانسجام مع الجو الاحتفالي بضع محاولات وجرعتين من الكوكايين، وهي الآن تنظر حولها، وقد ازداد الجو جموحًا، فالسترات وربطات العنق رميت جانبًا، والفتيات يرقصن حافيات على الطاولات.

ثم رأت ليزا كيكس يقف على الطاولة أيضًا، وهو يحتضن زجاجة فودكا بحجم مطفأة الحريق مثل الطفل الصغير الذي يحتضن لعبته، وقد ارتفع الصراخ، وانسكب الشراب في الأفواه المفتوحة حول الطاولة.

عندما نظرت ليزا إلى هاتفها، رأت رسالة نصية أرسلتها إليها إيسي.

ليزا، أنتِ في خطر.

أوقفي تشغيل هاتفك فورًا.

واستقلّي سيارة أجرة، وقابليني في مرآب الدراجات.

تأكّدي من أن أحدًا لا يتبعكِ.

إيسي.

109

فتحت إيسي الباب المعدني الثقيل لليزا.

شتمتها ليزا، ثم قالت لها: "ما الأمر؟".

"تعالي، وسأخبرك"، ألقت إيسي نظرة متفحصة على الشارع المهجور من البداية إلى النهاية، فمشت ليزا في مرآب الدراجات، وتدلّى شريط حذائها الذي يأخذ شكل نجوم بيضاء غير مقيدة.

لقد مشت طوال الطريق إلى المنزل من فينيكس، في البداية اعتقدت أنها ستستقلّ سيارة أجرة من موقف سيارات الأجرة في كامبي، ولكنها لم تستطع العثور على حافظة بطاقتها في أي مكان، في طريق العودة إلى المنزل، أدركت أنها كانت في جيب معطفها، ولكن سلسلة مفاتيحها لا تزال مفقودة، لذا لم تستطع الدخول من الباب الأمامي.

تمتمت ليزا قائلة: "أظنّ أنني تجاوزت الحدّ بعض الشيء أشعر أنني سأتقيّأ..."، سارت خلف إيسي في الممر الرمادي، فتعثّرت ليزا بشريط حذائها، عندما وصلتا إلى الباب الأخير، الذي يؤدّي إلى غرفة الغسيل، سألت ليزا: "ماذا يجري بحق الجحيم؟"

"هل قمت بالضبط بما أخبرتكِ به، يا ليزا؟ أوقفي تشغيل هاتفك و..."

قالت ليزا بسأم: "هل هذا بشأن الفتى الياباني؟ هل جاء..."

"يمكن، المهم أنه لم يركِ تعودين إلى المنزل".

ضحكت ليزا، وقالت: "هل هذا سبب لقائنا في مرآب الدراجات؟ هل تعتقدين أنه يراقب المبنى؟"، ثم كتمت تجشؤًا، ولكنه أفلت من بين شفتيها، إنها ثملة جدًا، ولكنها لسبب ما أحسّت بأن شيئًا ما حول إيسي قد انطفأ. للحظة، ندمت

على عودتها إلى المنزل، إنها تفضّل أن تكون محاطة بأشخاص من حفل كيكس مايس.

فتحت إيسي باب غرفة الغسيل، ثم حثّت ليزا على الدخول.

رأت ليزا جيسون يجلس فوق المجفف، وبدا حزينًا، فاستدارت إلى إيسي، وقالت مستغربة:

"ماذا...؟".

بكى جايسون، وقال: "ليزا، من فضلك...".

"اصمتا لثانية واحدة"، فشعرت ليزا بالذهول عندما مدّت إيسي يدها إلى جيب معطفها الأسود، وسحبت مسدسًا صغيرًا مزودًا بكاتم صوت عند ماسورته.

شعرت ليزا بنبضات قلبها تتسارع، وقالت: "إيسي..."

"أريدكما أن تعرفا أن كل المشاكل التي واجهتكما... كل تلك الشائعات والأكاذيب كانت بسببي". "ماذا؟".

"لم أعتقد أبدًا أنني سأهتمّ بأي شيء من هذا القبيل، ولكنني أعتقد أنني شعرت بالغيرة قليلًا مما كان بينكما، أيها الرفيقان، إلى جانب ذلك كل هذا يتناسب مع الصورة الكبيرة".

"ما الصورة اللعينة؟ ما الذي تتحدّثين عنه يا إيسي؟ ما الذي يجري؟".

صمتت ليزا في الوقت الذي رفعت فيه إيسي المسدس، فشعرت بشيء ما في حلقها يخنقها، وعندما نظرت إلى جيسون، أدركت أنه ضائع مثلها تمامًا، وأن كليهما دخلا إلى هذه الغرفة، وهما يجهلان تمامًا ما ستجلبه اللحظات اللاحقة، سألت بصوت مرتجف: "إيسي؟".

للحظة اعتقدت ليزا أنها تبحث عن الدفء في عيني إيسي الكبيرتين، ولكن ما رأته ليزا في عيني إيسي هو الإثارة...

110

شعرت جيسيكا بأن الصدمة تتلاشى، وأن الألم بدأ يتصاعد في يدها المشوهة، وهي تلتهب بحرارة، كما لو كانت منقوعة في الماء المغلي حتى المعصم.

قالت إيسي: "أعتقد أنني كنت أستطيع قتل جيسون في أي وقت وفي أي مكان، حتى تلك الليلة في أورينكولاهتي، ولكن ليزا أرادت بالتأكيد أن أدفنها هنا، كانت تلك الفكرة جميلة، لقد وجدت فكرة أن البلد كله يبحث عنها، بينما كانت مدفونة داخل حائط لا يبعد أكثر من عشرة أمتار عن منزلها، مضحكة. أيًا يكن الأمر، قررت دفنهما خلف الحائط... كان الأمر شاعريًا، الآن يمكن لطيري الحب أن يقضيا بعض الوقت الممتع معًا".

في الوقت الذي قالت فيه إيسي ذلك، ترجحت المطرقة مرة أخرى، فمسّت المطرقة فخذ جيسيكا قبل أن تصطدم بالأرض وتقتلع الإسمنت، ناحت جيسيكا، وأدخلت يدها السليمة في جيبها.

في هذه الأيام تحملها معها دائمًا.

أسقطت إيسي المطرقة، ووضعت يدها في ثوبها، وفي هاتين الثانيتين اللتين كانت فيهما إيسي تشهر المسدس، انحنت جيسيكا، ونثرت رذاذ الفلفل على وجه إيسي التي تشهر المسدس، فأطلقت رصاصة، صمّ دويها الآذان، ولكنها كانت رصاصة طائشة.

لا يزال رذاذ الفلفل يحرق عيني إيسي، فحرّكت يديها أمامها ورفعتهما لحماية وجهها، وقالت: "أيتها الوضيعة اللعينة... ما الذي فعلته؟!"، وجّهت جيسيكا البخاخ إلى إيسي مرة أخرى، ورشّت رشة أخرى طويلة، لكن يد إيسي

المرفوعة صدّتها، فأسقطت جيسيكا البخاخ من يدها، وصرخت من الألم، في الوقت الذي استقامت فيه، وألقت بنفسها على إيسي شعرت بعظام يدها المحطمة تنهار، وبذلك وضعت حدًا للاعتداء الذي تتعرّض له.

لن تستطيع إيسي إطلاق النار مجددًا، ويبدو أن الرذاذ أدّى دوره، كانت تمسح عينيها بكم ثوبها، عندما طرحتها جيسيكا أرضًا واستقرّت فوقها.

صرخت إيسي: "أيتها الوضيعة اللعينة، سأقتلكِ"، بدا وجه إيسي كما لم يسبق لجيسيكا أن رأته، وجه خالٍ من المشاعر الإنسانية، أبعدت جيسيكا المسدس عن يد إيسي، وأمسكت بشعرها، وضربت رأسها بالأرض الإسمنتية مرارًا وتكرارًا.

في الوقت الذي ظنّت فيه جيسيكا أنه لا داعي لمزيد من ضرب رأس إيسي بالأرض، سمعت صوت رصاصة، وبدت كتفها وكأنها انفجرت.

بعد ثوانٍ من سماع صوت الرصاصة، شعرت جيسيكا بالوهن يغمر جسدها، وبرأسها يصطدم بالأرض الإسمنتية، وقبل أن تقف نظرت إلى شكل أشعث، غطّت الدماء الرداء الأبيض، وكانت الدماء تسيل بغزارة من جبينها، لم يتح الوقت لجيسيكا حتى أن تفكّر في أن الوجه الملطخ يشبه شيئًا من أحلامها، إنه الشكل الذي يظهر عليه أحبّتها، هذه هي الطريقة التي يفترض أن ينتهي بها كل شيء.

قالت إيسي: "محاولة بارعة، أيها الشرطية"، بصقت الدماء في وجه جيسيكا، ثم صوّبت المسدس نحوها.

نظرت جيسيكا إلى فوهة المسدس، وبدت أنها تودّع الحياة بصمت، ولكنها بدلًا من أن تسمع صوت رصاصة، سمعت صوتًا خافتًا لترجح المطرقة الثقيلة، التي ضربت جذع إيسي التي انهارت على الأرض كما لو أنها كيس من الرمل، وانبثق من فمها صوت حشرجات الموت الخافتة، بعد ذلك رأت نيكولا بونسي يجثو إلى جانبها.

قال وهو يمزّق قطعة قماش من ثيابه، ويضمّد بها جرح جيسيكا: "لقد اتّصلت بسيارة إسعاف، النجدة في طريقها إلى هنا".

الجمعة 13 كانون الأول

111

طوى نيكولا بونسي يديه ووضعهما على الطاولة، وأخفض رأسه، فلم يكن بوسع نينا أن تقدّم شيئًا من المساعدة، ولكنه ظنّها تتلو صلاة صامتة.

سألها بونسي بهدوء: "ما وضعها الآن، لم أقصد أن تكون إصابتها خطيرة، ولكن...".

"لا تلم نفسك، أو تبحث عن تبرير، ما أقدمت عليه أنقذ حياة شرطية، وربما عددًا آخر من الأشخاص"، ارتشف بونسي رشفة من القهوة وحكّ جبهته، من ينظر إلى الانتفاخ أسفل عينيه، يدرك أنه لم تغمض له عين طوال الليل.

سألته نينا: "هل يمكننا المتابعة؟".

أومأ برأسه، مدّت نينا يديها إلى جهاز التسجيل، وشغّلته: "هل يمكنك أن تخبرني مجددًا بما سبق لك أن ذكرته".

نظر بونسي إلى الجدار الأبيض، ربما تخيّل أنه ينظر إلى صورة ويتولد بيليكي: "منذ أربع سنوات، طلب مني جيسون مقابلة صديقته القديمة إيسي، كان قلقًا بشأنها لفترة من الوقت، بدا أنها كانت تعاني نوعًا من أنواع الأزمة الوجودية، والاكتئاب... التقينا لتناول القهوة، وأدركت على الفور أنها موهوبة اجتماعيًا، ولكنها في الوقت عينه تختزن في داخلها مجموعة من الأحاسيس غير العادية".

سألته نينا: "هل يمكنك أن تكون أكثر دقة؟".

"لقد كوّنت انطباعًا أن إيسي اعترفت بمشاكلها، ولكنها لم تكن مهتمة بفعل أي شيء حيالها، وبعبارة أخرى ما فسّره صديقها جيسون على أنه اكتئاب أو أزمة ما، كان مجرد إحباط".

"من ماذا الإحباط؟".

"بعد ذلك الاجتماع الأولي، كنت ألتقي إيسي مرة واحدة في الأسبوع في سياق علاجي. أردت حقًا مساعدتها، ولكنني واجهت صعوبة في الوصول إلى لب المشكلة، قبل مضي وقت طويل اقترحت عليها أن ترى طبيبًا نفسيًا، ولكنها وجيسون كانا مقتنعين أنني وبصفتي شخصًا عمل عن كثب مع الشباب، كنت شخصًا موثوقًا وآمنًا. كان جيسون يثق بي، وأظنّ أن إيسي كانت تشعر بالأمان عندما تتحدّث إليّ. شيئًا فشيئًا فهمت أن إحباطها كان ذا طبيعة جنسية، فكثيرون هم الأشخاص الذين يخفون ميولهم الجنسية، أُحبطت لأنها لم تستطع التعبير عن رغباتها، بدا لي الأمر وكأنها تعيش في طنجرة ضغط".

"وهل بدأت الطبيعة الحقيقية لدوافع إيسي تتّضح لك؟".

هزّ بونسي رأسه، وقال: "نعم، ذات مرة أرتني رسوماتها، إن إيسي تعرف حقًا كيفية الرسم والتلوين، إنها موهوبة جدًا، لكن في تلك المرحلة أدركت أنها تعاني".

فتحت نينا مجلد مستندات على الطاولة، وقلبت صفحاته أمامه حتى يتمكّن من رؤية المحتويات: "أنا أعرض على الشاهد، نيكولاس بونسي، صورًا لرسوم وجدت في منزل المشتبه به"، خاطبت المسجل، ثم استدارت إلى بونسي، وقالت: "هل هذا نوع الرسوم الذي تشير إليه؟".

رفع بونسي يده إلى فمه، وهو ينظر إلى الصور، ثم هزّ رأسه.

لم تُبدِ نينا اهتمامًا برؤية الصور، فقد سبق لها أن اطّلعت عليها، ورأت زي تلميذة المدرسة الملطخ بالدماء، والأطراف المقطوعة، والرؤوس المقطوعة، والمسامير المدقوقة في محاجر العيون.

"ألم تتوقّع أن إيسي ستعيش تخيلاتها حقًا؟".

انسكبت دمعة من خدّ بونسي، وشقّت طريقها بتعرج بين البثور، واختفت تحت ذقنه.

"يأتي إليّ الشباب قلقين، وخائفين، ومرتبكين، إن بناء الثقة عملية طويلة الأمد وهشة، التقطتُ الهاتف لأتصل بالشرطة، ولكنني لم أستطع التفكير في أن رسوم

إيسي ليست أكثر من ذلك، رسوم، وتدفق من الوعي، وطريقة لتوجيه ألمها... وإذا كنتُ مخطئًا، فسيكون هناك ثمن باهظ سيدفع".

"ما الذي حدث بعد ذلك؟".

"منذ عامين، توقّفت إيسي عن زيارتي، قال جيسون إنها أصبحت أفضل حالًا، ولم يكن هناك من طريقة يمكن أن يعرف من خلالها جيسون ما ستؤول إليه الأمور، وبالطبع لم أستطع التحدث إليه حول هذا الموضوع، لكنني طلبت منه أن يراقب إيسي، ويخبرني إن تعرّضت لانتكاسة".

"ولم يتطرّق جيسون للأمر مرة أخرى".

"أبدًا، بين الحين والآخر كنت أسأله عن إيسي، وتبيّن لي أنهما لم يعودا على تواصل منذ عدة أسابيع... ثم اختفى جيسون".

"تابع من فضلك".

"في الليلة الماضية عندما كنت أشاهد الأخبار، رأيت الصور التي عرضتها الشرطة حول المانغا، عندها فهمت سبب اختفاء جيسون وليزا، وأدركت أن أوهام شريكة ليزا في السكن لها صلة بالاختفاء، فألقيت نظرة على حساب ليزا ياماموتو على الإنستغرام للمرة الأولى، وشاهدت رسوم المانغا، وبالطبع الصور ليست مثل تلك التي رسمتها إيسي قبل سنوات، ولم يكن لدي شك في أن اللوحات والرسوم لم ترسمها ليزا، بل رسمتها إيسي...".

"لهذا ذهبت لرؤية إيسي؟".

"كنت مصدومًا، ولم تكن لديّ خطة، كل ما سعيت إليه هو مقابلة إيسي قبل...".

"لماذا لم تتّصل بالشرطة؟".

لم يعد بونسي ينظر إلى السقف، بل إلى وجه نينا، وبدا ساخطًا: "كيف يمكنني ذلك؟ لم أتواصل معها منذ عامين، وما كان يجدر بي إدانتها قبل أن أتأكّد، أردت أن أسمعها تقول ذلك... لم أكن من انتهك ثقتنا، لقد كانت هي، اعتقدت أنني كنت

أفعل الشيء الصحيح، كنت شجاعًا، لكن عندما نزلت الدرج الموجود في الطابق السفلي، وسمعت إيسي تعترف بكل شيء للمحققة نيمي... تجمّدت في مكاني، وبكيت في صمت، وأدركت حينها أنني ارتكبت خطأً فادحًا، وأخيرًا اتّصلت بالشرطة".

الاثنين 16 كانون الأول

112

بدت هيلو مشرفة جيسيكا السابقة مفعمة بالطاقة، فقد بدت متفائلة، وكأنها ولدت من جديد، مرت ثانية قبل أن تلاحظ جيسيكا أن هيلو، بالإضافة إلى كل شيء آخر، صبغت شعرها، وأوحى اللون البني أن أرنبًا قرّر التخلص من التمويه لأن الشتاء لم يكن كثيف الثلوج، التغيير الرئيسي الآخر هو اختفاء الساعة الذكية من معصمها، ربما كان ألم معرفة الكثير لا يطاق.

قالت هيلو، وهي تلمس سطح المكتب بإصبعها: "ساعدتنا المعلومات التي قدّمتها إيسي. لقد حولّت غرفة النوم إلى مخزن تحت الأرض بالقرب من ملعب فوساري للغولف، وأكّد ناثان ريديك استنادًا إلى الصور أنه المكان نفسه".

سألتها جيسيكا: "هل وجدوا أحدًا هناك؟".

هزّت هيلو برأسها، ولكننا الآن نعرف اسم الشركة التي استأجرتها، وكذلك أسماء بعض المقاولين الفرعيين الذين شاركوا في تجديدها، لا أعرف إن كان ذلك كافيًا لأي شيء عندما يتعلّق الأمر به، ولكنه لم يعد في أيدينا، أو حتى في أيدي المكتب".

"ماذا عن إيسي...".

"إنها تخضع لسلسلة من الاختبارات النفسية، ولكن من الواضح، من منظور الشخص العادي، أنها متخلفة عقليًا"، نظرت هيلو من خلف طاولة المكتب إلى عيني جيسيكا، وبالحديث عن المجانين، يبدو أنها تفكّر في جيسيكا، ولكنها لا تقول ذلك.

"الأمور تتغيّر هنا، نيمي، سيغادر جيمس أورانين، وسيتولّى منصبًا مهمًا في القطاع الخاص، وهذا يغيّر الأمور".

"أتقولين إنك ستصبحين نائب رئيس الشرطة الجديد؟".

شخرت هيلو، وهزّت برأسها بصمت: "الجميع مهتمون بهذا المنصب، أما أنا فجديدة في الوحدة"، انحنت صوب الطاولة، وقالت: "لكن رحيل أورانين سيوفّر لي الكثير من المساحة في بعض الأمور".

"ماذا على سبيل المثال؟".

اكتفت هيلو بالإجابة على سؤال جيسيكا بأن تواصلت معها بصريًا لفترة طويلة.

حرّكت جيسيكا عينيها، وسألتها بارتياب: "هل أنتِ جادة؟".

لوت هيلو شفتها السفلية، للحظة بدت تشبه إحدى الشخصيات الكرتونية الكوميدية: "اسمعي، نيمي".

"على الأقل قولي لي جيسيكا، اللعنة".

هزّت هيلو برأسها، وقالت: "لقد استغرق الأمر بعض الوقت لأدرك أنكِ قائدة هذا الفريق".

"وأنتِ...".

"المدربة، على ما أظنّ، وأورانين هو المدير الذي في طريقه إلى المغادرة".

قالت جيسيكا بترقب: "حسنًا"، وقد جمعت ذراعيها بالقرب من صدرها.

سحبت هيلو مجلدًا من مكتبها، سبق لجيسيكا أن اطلعت على محتوياته، وسألتها بغموض، كما لو أنها غير متأكدة من الأمر الذي تحاول السؤال عنه: "أودّ أن أعرف كيف كل هذا... هنا في هذا المجلد... كيف؟".

حدّقت إلى عيني المشرفة، ومع مرور اللحظات، ازداد اقتناعها بأن هذه ليست إحدى النكات أو الاختبارات أو الحيل الخاصة بهيلو، وقد يبدو الأمر غريبًا، إلا أن المشرفة تمدّ لها غصن زيتون.

لم تستطع جيسيكا ضبط نفسها: "ما الذي تخطّطين له، يا هيلو؟".

لكن السلوك الاسترضائي للمشرفة لم يتلاشَ.

"سيندم نيكولاس بونسي طوال حياته لأنه لم يبلغ الشرطة عن شكوكه بشأن سلوك إيسي، إذا كنت سأخاطر مخاطرة قريبة مما أقدم عليه... اللعنة عليك، يا نيمي، أريد فقط أن أفهم، هذا كل شيء، أعتقد أن لي الحق به".

حدّقت جيسيكا إلى عيني المرأة الأخرى.

ربما حان الوقت لنكون صادقتين مع بعضنا ونرى إلى أين سيقودنا ذلك، بعد كل شيء، لم تعد واثقة من أنها تريد أن تعمل في الشرطة، بعد أن فكّرت في كلماتها لبعض الوقت، قالت جيسيكا: "في بعض الأحيان أرى أشياء لا يراها الآخرون".

بدا أن هيلو تفكّر بما قالته جيسيكا، في الوقت الذي كانت تُقلب فيه التقرير بتكاسل والذي يُفترض بها أن قرأته عشرات المرات.

"هل تجدين صعوبة في التمييز بين ما هو حقيقي وما هو...؟".

ردّت جيسيكا بسرعة: "كلا"، وهي تنظر إلى الحمالة التي تربط ذراعها المغلفة بالجبس وتضمّها إلى كتفها: هزّت رأسها، ثم تابعت حديثها بهدوء، وكأنها تسعى لتصحيح معلومة: "ولكن يمكن أن يأتي يوم أجد فيه صعوبة في التمييز بين الأمرين".

"هل تعدينني بأن تخبريني عندما يحدث ذلك؟".

ضحكت جيسيكا بهدوء، وقالت: "هل تعتقدين أنني سأعرف عندما يحدث ذلك؟".

نظرت هيلو لبرهة إلى جيسيكا وكأنها تأمرها أن تكفّ عن الغرور، ثم ضحكت بهدوء، وهذا ما لم تستطع جيسيكا توقّعه في أكثر أحلامها الجامحة.

"أحسنت، نيمي".

"نادِني جيسيكا".

"نيمي".

مكتبة
t.me/soramnqraa

113

نظرت جيسيكا إلى نافذة حانة سي هورس، وتفحّصت قائمة الطعام.

حساء البازلاء وبانكيك.

سمعت صوت محرك قوي على الطريق المجاور، خطت جيسيكا بضع خطوات نحو المدخل المقوس المؤدي إلى فناء المبنى الذي شيّد منذ أكثر من مئة عام، لا تزال تسمع صوت هدير المحرك الذي يقترب، بعد ثانية ظهرت سيارة مرسيدس بنز زرقاء داكنة في الممر الضيق.

انتظرت جيسيكا أن يظهر الباب الأمامي أمامها قبل أن تفتحه، وتركب في المقعد بجوار السائق.

هتف تيم تاوسي: "ماذا بحق الجحيم؟"، توقف قبل أن تصل السيارة إلى الشارع المرصوف بالحصى.

أغلقت جيسيكا الباب، فتوقّف رنين إنذار السيارة، ذات المقاعد الجلدية القشدية اللون.

"لا تُغلق الأبواب تلقائيًا قبل أن تصل إلى سرعة العشرين، أليس كذلك؟".

اتّكأ مغني الراب على باب سيارته الفاخرة، وابتعد أكبر قدر ممكن عن جيسيكا، ثم تحوّلت المفاجأة المرتسمة على وجهه فجأة إلى تعبير آخر، لقد تعرّف إليها.

قالت جيسيكا: "أنت رجل يصعب الإمساك به، يا تيم"، وهي تحرّك أصابعها على كونسول السيارة، في تلك الأثناء، فاحت من السيارة رائحة الجلد الجديد وعطر ما بعد الحلاقة.

"كيف دخلت...".

"أتقصد إلى سيارتك الفاخرة؟ يجب أن أعترف بأنها جميلة جدًا، هل يكلّف ركوب مثل هذه السيارة 300 ألف؟".

"سيارة بمثل هذه المواصفات قد يصل ثمنها إلى هذا الحدّ".

"هل اشتريتها جديدة؟".

"طبعًا".

همهمت جيسيكا من دون مبالاة: "ربما سأحصل على واحدة مثلها".

قهقه توسي قائلًا: "إنها فكرة جيدة".

"ألا تعتقد أنه يمكن أن يكتنز الشرطيون بعض المال؟".

"ماذا تريدين؟ فأنا مستعجل".

هزّت جيسيكا بكتفيها، في الواقع يمكنها شراء مئة سيارة مثلها: "أودّ أن أعرف لماذا حوّلت مئتي ألف مؤخرًا إلى شركة قابضة أوكرانية من حسابك".

بدا الشحوب على وجه توسي، ولكنه حاول إخفاء ذعره من خلال رسم ابتسامة زائفة.

"ماذا؟".

"لقد سمعتني"، شهرت جيسيكا بطاقة الشرطة الخاصة بها لتذكّره بأنه يحقّ لها طرح الأسئلة.

"لقد كان استثمارًا".

"رائع، أنت الآن مغني راب ومستثمر كبير، ما الذي استثمرت فيه مئتي ألف دولار؟".

"لست في وارد الشرح".

"في أي مجال استثمرت؟ هل كانت شركة ناشئة؟ أمصنع جعة؟ أهو جيل جديد من تشيرنوبيل؟".

نقر توسي على المقود بأصابعه، وقال: "يجب أن أذهب".

"حسنًا اذهب، ولكن إذا شعرت فجأة بأن مثل هذا الاستثمار لم يكن في مكانه، فربما تكون محقًا، كما ترى نعرف أنك والكثيرين غيرك تعرّضوا للابتزاز، قرّر كل واحد منكم تسليم هذا المبلغ بالضبط من دون جلبة، لقد كنا نتساءل في

المقر: ما الذي يكلّف مبلغ مئتي ألف؟"، فتحت جيسيكا الباب، وتابعت كلامها قائلة: "يجب أن يكون سرًا عميقًا حقيقيًا، النوع الذي إذا كشف يجعلك تخسر كل شيء: مهنتك، والأشياء الخاصة بك، وحتى حريتك".

قال توسي: "أخرجي من هنا"، وهو ينزل نظارته الشمسية الضخمة من جبهته إلى عينيه.

"بالتأكيد، فهذه سيارتك حتى الآن".

مدّت جيسيكا ساقها اليمنى، ولكنها غيّرت رأيها: "ما شعورك وأنت تجلس في مقعد السائق؟ تقول الشائعات إنك تفضّل المقعد الخلفي، على الأقل عندما يتعلّق الأمر بسيارات بنز رباعية الدفع"، ثم ترجّلت، وأغلقت الباب.

اختفت سيارة الدفع الرباعي في حركة المرور وتوجّهت أعلى التل، عندها همست جيسيكا: "أنت في حالة يرثى لها، أيها الأحمق السادي".

نظرت إلى ساعتها، إنه موعد الغداء، حساء البازلاء والفطائر لا يبدو سيئًا.

114

قالت جيسيكا: "يوسف"، وهي تبعد خصلة من شعرها عن عينيها.

"ماذا؟".

"أريد أن أريك شيئًا"، أخفضت علبة الجعة الفارغة، ووضعتها على الطاولة، وأشارت إلى يوسف، الجالس على الأريكة، تبعها من خلال الباب في المطبخ الصغير إلى الدرج.

تأكّدت جيسيكا من إغلاق باب الأستوديو بشكل صحيح، ثم سحبت حلقة مفاتيح من جيب بنطال الجينز ووضعت أحد المفاتيح في قفل الباب المجاور.

همس يوسف لها: "أين نحن..."، ثم نظر حوله، فلا يوجد مصعد، تؤدّي الدرجات الحجرية المنحوتة إلى الطابق الخامس وإلى السطح.

لم تجب جيسيكا، بل فتحت الباب الخشبي الثقيل، وضغطت على سلسلة من الأرقام على جهاز الإنذار، وأصدرت وحدة التحكم صافرة قصيرة، فأضيئت المصابيح تلقائيًا.

حدّق يوسف إلى عشرات أضواء السقف المتألقة المعلقة في المدخل.

التناقض مع تعتيم شقة الأستوديو هائل.

تمتم في حيرة: "جيسيكا...".

سبق لجيسيكا أن رأت عشرات التعابير على ملامح يوسف، ولكن أيًا منها لا يشبه ما تراه، ربما يكون مزيجًا من الرهبة والتسلية، وقليلًا من الخوف، بدا وكأنه يسألها: من أنتِ بحق الجحيم، يا جيسيكا نيمي؟

قالت جيسيكا: "اخلع حذاءك"، إنه ليس مجرد طلب للحفاظ على نظافة المكان، إنه إجابة شاملة على السؤال الذي لم يطرحه يوسف، نعم، *هذا منزلي*.

وضعت جيسيكا المفاتيح على الطاولة، وتبعت يوسف الذي أذهلته إطلالة غرفة الجلوس، حيث تمنح النوافذ الكبيرة نصف الدائرية إطلالة بانورامية على خليج تولونلاهتين، ومبنى البرلمان، ووسط مدينة هلسنكي في الجهة المقابلة.

نظرت جيسيكا إلى يوسف الذي توقّف لينظر إلى اللوحات الفنية المعلقة على الحائط.

"هل هذا حقيقي؟".

أجابته جيسيكا بهدوء: "نعم"، وقفت أسفل الدرج اللولبي الأبيض الملتوي بجوار الحائط.

"انتظري، هل هناك طابق ثانٍ؟".

"نعم، هناك مئة وخمسون مترًا مربعًا أخرى".

"هل تقولين إنه منزلك؟".

"إنه منزلي، إنه بيتي الحقيقي"، لاحظت نيمي أنها تشعر بالندم. قد يكون إحضار يوسف إلى هنا بعد كل هذه السنوات، أغبى ما فعلته منذ فترة طويلة، إنه مثل القفز من طائرة من دون مظلة، تركت نفسها تسقط سقوطًا حرًا على أمل أن تنجو، ولكنها اصطدمت بالأرض، ولم يعد ذلك يخيفها، لهذا قرّرت إدخال يوسف إلى عالمها السري.

بعد أن صعدا الدرج، كانت جيسيكا تفتح بابًا تلو الآخر، حيث نظر يوسف إلى داخل كل غرفة، ومرّر أصابعه على الجدران، وحواف الأبواب، وشمّ رائحة الخشب والطلاء الجديد الذي لا يزال يفوح في الغرف الخالية، بدا وكأنه مشترٍ يقوم في جولة تفقدية لمنزل يريد شراءه.

تفقّدا كل الغرف من دون أن ينبسا ببنت شفة، وشعرت جيسيكا بالدفء وتوهّج داخلي، ستنتهي سنوات من السرية، يبدو أن يوسف غير متأكد مما سيفعله بما يراه، ولكنه أيضًا معجب به بشكل واضح، الحقيقة هي أن جيسيكا لا يمكنها إلا أن تخمّن بما يفكر.

توقّفا لبرهة أمام باب غرفة جيسيكا التي بدت كبيرة، وذات إطلالة بانورامية على الحديقة الصغيرة بجوار المتحف الوطني، لم تحتج جيسيكا إلى قول أي شيء، فقد فهم يوسف أن إرني كان الشخص الوحيد الذي يعرف، لقد سمحت له بالموت في هذه الغرفة، تحت رعايتها.

بعد صمت مطول، سألها يوسف: "لماذا لم تقولي شيئًا؟"، بدا صوته أجش قليلًا، وكالعادة بدت أسئلته مبررة وذكية، حتى عندما تكون بهذه البساطة.

سألته جيسيكا: "لماذا برأيك؟".

"لكن إرني...".

لمست جيسيكا أصابع يوسف بأصابعها، فسمعت الزفير المرتعش، وأحسّت بالألم الطويل الخانق يهرب، وتدحرجت دمعة على خد يوسف قبل أن يقول: "آسف".

مسح الدمعة، وقال لها: "إنني أفتقد إرني، يا جيسي".

في تلك اللحظة أدركت جيسيكا أن شيئًا مما رآه يوسف في الدقائق العشر الماضية لم يحدث فرقًا، لا سلبًا ولا إيجابًا. إن رؤية فراش موت إرني هو الأمر الوحيد الذي أثّر فيه، في النهاية أدركت جيسيكا، أن الأمر الذي أمضت سنوات وهي تحجبه عن أعين الآخرين لا معنى له على الإطلاق.

قالت جيسيكا بدورها: "وأنا أيضًا".

ابتعد يوسف ليخفي سيل العواطف التي يشعر بها، فلم تندفع جيسيكا إلى مواساته، تركته ينسحب، ثم قال: "لقد كانت سنة صعبة، أنا أفتقده... لا أعرف..."، مسح يوسف عينيه بكم قميصه، وأضاف قائلًا: "آسف، لا أعرف ما الذي دهاني".

"لا بأس، يا يوسف".

قال يوسف: "وهذا..."، مشيرًا إلى ما حوله، توقّف ليفكّر مليًا في كلماته التالية، جال بعينيه في أرجاء الغرفة، وتفحّصت جيسيكا عينيه الحمراوين، من المستحيل القول إلى أين ستؤدّي تلك اللحظة، ربما صُدم يوسف إلى حد ما من

فرط الرفاهية التي يراها، ومدى بُعده عن عالم الجريمة الدموي، ومشاهد الجريمة العابقة بالبارود، والجثث المتحللة، وأعذار الثملين التي يتعاملون معهم كل يوم، ربما شعر بخيبة أمل لأن جيسيكا لم تثق به بما يكفي لإخباره بذلك.

أخيرًا قال: "أفترض أن هذه الشقة ليست كل ما تملكينه...".

"لا، هناك المزيد، أكثر بكثير".

"هذا يعني أنك ثرية جدًا".

أجابته جيسيكا بهدوء: "صحيح، لطالما كنت ثرية، لقد ورثت كل ذلك عندما كنت قاصرًا".

هزّ يوسف برأسه: "نعم".

"هل أنت غاضب؟".

قال يوسف وهو يبتسم ابتسامته المشرقة: "نعم، أنا غاضب، لقد كنا نشرب في هذا الأستوديو الصغير المجنون الخاص بك عندما كان من الممكن أن نقيم حفلات هنا".

الثلاثاء 24 كانون الأول

115

ارتدت هيلينا لابي معطفها، ونظرت إلى ساعة معصمها العادية، لا مزيد من الساعات الذكية، لا مزيد من البيانات، كلما قلّت المعلومات، قلّ الضغط، تنهّدت، وتوجّهت إلى مكتبها، وألقت نظرة أخيرة على صورة الجثة السوداء المحترقة التي عُثر عليها في الموقف المركزي. الأحجار الصغيرة مرتبة في دائرة حولها، الضحية، الذي أصيب بحروق شديدة إلى درجة أنه لم يتمّ التعرف إليه، إلا من خلال أسنانه الأمامية. كمية كبيرة من الكحول في عروقه، هذا كل ما هو معروف عن المتوفى حتى هذه اللحظة، يستطيع هارغولا إخبار فريقه بأحدث المستجدات في الصباح.

116

استيقظي، يا جيسيكا.

فتحت جيسيكا عينيها، وأدركت أنها لا تستطيع التنفس، كل ما تراه هو السواد، شعرت أنها تحاول التنفس من خلال وسادة كبيرة ناعمة مثبتة بقوة على وجهها.

حاولت أن تبكي طلبًا للمساعدة، ولكن الصوت المرتفع من حلقها ارتد خافتًا إلى أذنيها، بدا الأمر كما لو أن السلاسل الباردة ثبّتت حول معصميها وكاحليها، مما يثبّت أطرافها في مكانها.

أنتِ مستيقظة، يا حبيبتي.

سُحب شيء عن وجهها، وتحوّل الظلام الدامس إلى غسق ليلة صيف، رأت جيسيكا يدي والدتها الباردتين مرتخيتين من خلال معصمها.

تدلّى الشعر الملطخ بالدماء الرطبة على وجه والدتها مثل الوسخ الأسود الذي يتمّ كشطه من بركة مسمدة أخرى، أظهرت عظام فك والدتها الملتوية أنها تبتسم ابتسامة مريضة، هناك لب أحمر حيث يجب أن تكون إحدى العينين، وحفرة مدماة مكان الأنف.

يبدو أن النفس البارد الرطب الذي يغطّي وجه جيسيكا يتجمّد على جلدها المتعرق، فجأة شعرت جيسيكا وكأنها ترتجف.

انهضي.

لم تشدّ جيسيكا عضلات بطنها ولم تلحظ نفسها منتفخة، لكنها فجأة جلست على حافة الأريكة ونظرت إلى الساعة، إنها تشير إلى الثالثة والنصف، من دون أن تلاحظ جيسيكا، نهضت والدتها عن الأريكة، وكانت تجلس إلى طاولة طويلة، وعادت إلى جيسيكا. إنها تمشّط شعرها، وبدت حركات يديها آلية وسريعة.

سمعت جيسيكا صوتًا يهمس في أذنها، وشعرت بشيء يضغط على كاحليها العاريتين، مالت إلى الأمام، ونظرت إلى طرف الأريكة، ورأت شخصًا أسفلها يمسك بها، شخص عديم الوجه.

فقط سواد.

لماذا فعلتِ ذلك، يا جيسيكا؟

أردت أن يعرف أحدهم، أن إرني لم يعد هنا.

رأت جيسيكا وجه إرني يشرق عند باب المطبخ، ربما كان إرني يراقب طوال الوقت، ولكن كل ما رأته الآن هو ظهر رجل عجوز يختفي في المطبخ.

أريد مساعدتكِ يا جيسيكا، إننا هنا من أجلك.

حدّقت جيسيكا إلى الرجل أسفل الأريكة، والأصابع الملفوفة حول كاحليها طويلة ورفيعة، مثل مخالب النسر.

دعيني اذهب.

شعرت جيسيكا بالذعر يسري في كل خلية من خلايا جسدها، مثل موجة المد والجزر التي تغمر المتاهة.

لطالما أردت حمايتكِ، أنتِ وتوفي، والآن أنتِ تفسدين كل شيء.

نهضت والدتها، وتسلّلت خلسة نحو المطبخ، وهي ترتدي ثوبها الأسود.

تقولين إنك آسفة.

أنا آسفة.

وقف الجميع في الوقت نفسه، الواحد تلو الآخر، مثل النباتات الطويلة التي تتدافع خارج التربة في اتجاه السماء.

وقفت والدتها أمام الباب، ونظرت إلى جيسيكا.

اليوم الذي تخافين فيه كثيرًا.

لهذا السبب لا يزالون هنا، أليس كذلك.

أومأت إليها برأسها.

انظري من النافذة.

خطت جيسيكا ببطء نحو النافذة، وضغطت جبهتها على الزجاج، فبدا الشعور رائعًا.

رأت مصابيح الشوارع تتمايل مع الريح، ونورها ينتشر على الأسفلت الأسود، ومجموعة من الشخصيات تسير في وسط الشارع المهجور، وحين نظرت إلى أعلى النافذة في الطابق السادس، رأت جيسيكا وجوه الحيوانات الرمادية، والقرون المتشعبة تنمو من رؤوسها، فجأة ابتسمت لها أمها الواقفة إلى جانبها بحنان.

شعرت جيسيكا بأنها تلتقط أنفاسها، وعظام والدتها يكشفها جلدها.

قبل يوم الميلاد.

تمت

مكتبة

telegram @soramnqraa

دخلت المحققة جيسيكا نيمي في صراع مع الوقت، فقد عُثر على جثة فتاة على أحد الشواطئ، وترافق ذلك مع اختفاء اثنين من المؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي- ليزا وجيسون- كل ذلك ولم يمضِ أكثر من ستة أشهر على مواجهتها الشخصية مع العصابة التي تنفذ جرائم متسلسلة، ووفاة المشرف على وحدتها إرني ميكسون.

في الوقت نفسه، لم تكف كوابيس والدتها عن مراودتها، ولكنها تبذل قصارى جهدها لتخطي الأمر والحفاظ على تركيزها. في غضون ذلك، يبدو أن هناك صلة تجمع بين المؤثرين المختفيين، وبين الجثة التي عثر عليها، وعصابة تتاجر بالبشر. لكن إحدى الصور التي تظهر منارة وفتاة ترتدي زياً مدرسياً تفتح أبواب التحقيق، فتراود جيسيكا الأسئلة إن كانت هذه الصورة تسعى لإخبارها بشيء بخصوص الجرائم التي تحقق فيه.

في غضون ذلك يفتح أحدهم باباً على ماضي المحققة المروع، وهذا ما يهدد بتدميرها شخصياً وتدمير التحقيق أيضاً.

telegram @soramnqraa

ماكس سييك

كاتب محترف متخصص بروايات الإثارة، مولع بقراءة أدب التشويق الإسكندنافي، حاز في العام 2016 على جائزة عن أعماله، لماكس سييك خلفية في المبيعات والتسويق وهو يحب أن يروّج لأعماله، وهو يتقن بطلاقة اللغتين الإنكليزية والألمانية.

ISBN: 978-614-01-3366-2
9 786140 133662

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com